رسائل

الشعائر الحسينيّة

رسالة الصولة للسيّد مهدي القزويني

ورسالة التنزيه للسيّد محسن الأمين

والرسائل المؤيّدة والمعارضة لهما

رسائل
الشعائر الحسينيّة

رسالة الصولة للسيّد مهدي القزويني
ورسالة التنزيه للسيّد محسن الأمين
والرسائل المؤيّدة والمعارضة لهما

تأليف
مجموعة من العلماء
جمعها وحقّقها وعلّق عليها
الشيخ محمّد الحسّون

الجزء الأوّل

رسائل الشعائر الحسينيّة (الجزء الأوّل)

الشيخ محمّد الحسّون

منشورات دليل ما

الطبعة الأولى: ١٤٤١ هـ. ق - ٢٠١٩ م

عدد النسخ: ٥٠٠ نسخة

المطبعة: نگارش

شابك(ج١) : ٦ - ١١٢ - ٤٤٢ - ٦٠٠ - ٩٧٨

شابك(الدورة) : ٩ - ١١١ - ٤٤٢ - ٦٠٠ - ٩٧٨

الهاتف و الفكس: ٣٧٧٤٤٩٨٨ - ٣٧٧٣٣٤١٣ (٩٨٢٥+)

العنوان: ايران، قم، شارع معلم، بناية الناشرين، الطابق السادس، رقم ٦١٢ و ٦١٣

(للتواصل معنا) www.dalilema.ir | Info@dalilema.ir

سرشناسه : الحسون، محمد، ١٣٣٨ -

عنوان و پديدآور : رسائل الشعائر الحسينية : رسالة الصولة للسيد مهدي القزويني، و رسالة التنزية للسيد محسن الامين، والرسائل المويدة والمعارضة لهما / تاليف مجموعة من العلماء؛ جمعها وحققها و علق عليها محمدالحسون.

مشخصات نشر : تهران : دليل ما، ١٣٩٧.

مشخصات ظاهرى : ١٠ ج.

شابک : دوره: 9 - 111 - 442 - 600 - 978؛ ج ١: 6 - 112 - 442 - 600 - 978

وضعيت فهرستنويسى : فيپا

يادداشت : عربى.

يادداشت : كتابنامه.

موضوع : حسين بن على(ع)، امام سوم، ۴ - ۶۱ق. -- سوگوارى ها

موضوع : Hosayn ibn'Ali, Imam III, 625 - 680 -- Laments

موضوع : سوگواريها -- آداب و رسوم

موضوع : Mourning etiquette

موضوع : شعاير و مراسم مذهبى

موضوع : Rites and ceremonies

رده بندى كنگره : ١٣٩٧ ۵ ر ۴٧۶ ح / ٣/ BP٢۶٠

رده بندى ديويى : ٢٩٧/ ٧۴

شماره كتابشناسى ملى : ۵۴۵٠٠١٣

منشورات دليل ما

www.dalilema.ir

دليل الكتاب

(١) قراءة في رسائل الشعائر الحسينيّة: «الصولة» للسيّد مهدي القزويني و«التنزيه» للسيّد محسن الأمين، والرسائل المؤيّدة والمعارضة لهما، تأليف الشيخ محمّد الحسّون.

(٢) جريدة الأوقات العراقية، العدد ١٦٦١، الصادرة في البصرة، في الأوّل من شهر محرّم سنة ١٣٤٥هـ.

(٣) صولة الحقّ على جولة الباطل، للسيّد مهدي الموسوي القزويني البصري (ت١٣٥٨هـ).

(٤) رسالة في حكم إقامة الشبيه، للسيّد محمّد شريف التقوي الشيرازيّ الونكيّ (ت١٣٥٢هـ)، فارسية.

(٥) المواكب الحسينية، للشيخ عبدالله المامقاني (ت١٣٥١هـ).

(٦) نظرة دامعة حول مظاهرات عاشوراء، للشيخ مرتضى آل ياسين الكاظمّي (ت١٣٩٨هـ).

(٧) كلمة حول التذكار الحسينيّ، للشيخ محمّد جواد الحچامي (ت١٣٧٦هـ).

(٨) نصرة المظلوم، للشيخ حسن ابن الشيخ عبدالمهدي المظفّر (ت١٣٨٨هـ).

(٩) الكلمات التامّات في المظاهر العزائيّة لسيد الشهداء، للميرزا محمّد علي الغرويّ الأردوباديّ (ت ١٣٨٠هـ).

(١٠) الآيات البيّنات في قمع البدع والضلالات (المواكب الحسينيّة)، للشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (ت١٣٧٣هـ).

(١١) الأنوار الحسينيّة، للشيخ عبدالرضا كاشف الغطاء (ت١٣٨٧هـ).

(١٢) الأعلام الحسينيّة، للسيّد مرتضى ابن السيّد علي الداماد (القرن الرابع عشر)، فارسيّ.

(١٣) قطعة من كتاب الفردوس الأعلى، للشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (ت١٣٧٣هـ).

(١٤) سيماء الصلحاء، للشيخ عبدالحسين صادق العامليّ (ت١٣٦١هـ).

(١٥) التنزيه لأعمال الشبيه، للسيّد محسن الأمين العامليّ (ت١٣٧١هـ).

(١٦) دفع التمويه عن رسالة التنزيه، للشيخ علي جمّال (ت١٤٠٤هـ).

(١٧) رنّة الأسى «نظرة في رسالة التنزيه»، للشيخ عبدالله السُبيتي العاملي (ت ١٣٩٧هـ).

(١٨) إرشاد النبيه إلى خرافات التنزيه، لمحمّد علي النجفي (القرن الرابع عشر).

(١٩) كلمات جامعة حول المظاهر العزائيّة، للميرزا محمّد علي الغرويّ الأردوباديّ (ت ١٣٨٠هـ)

(٢٠) الشعار الحسينيّ، للشيخ محمّد حسين المظفّري (ت١٣٨١هـ).

(٢١) النقد النزيه لرسالة التنزيه، للشيخ عبدالحسين قاسم الحليّ (ت١٣٧٥هـ)

(٢٢) كشف التمويه عن رسالة التنزيه، للشيخ محمّد الگنجيّ (ت حدود ١٣١٠هـ)

(٢٣) إقالة العاثر في إقامة الشعائر، للسيّد علي نقي اللكهنويّ (ت١٤٠٨هـ)

(٢٤) قطعة من كتاب إرشاد الأمّة للتمسّك بالأئمة، للشيخ عبدالمهدي المظفّر (ت١٣٦٣هـ)

(٢٥) رسالة في الشعائر الحسينيّة، للسيّد محمّد هادي البجستانيّ (ت١٣٦٨هـ)

(٢٦) الحسين والإسلام، للسيّد جليل الطباطبائي (ت١٤١٣هـ)، فارسيّة.

(٢٧) الفتاوى والتقارير في جواز العزاء والشبيه والسلاسل والتطبير، للسيّد مهدي السويج الخطيب (ت١٤٢٣هـ).

(٢٨) فقيه الشعراء وشاعر الفقهاء «نبذة عن سيرة الشيخ عبدالحسين صادق العاملي»، للسيّد أحمد زكي تفاحة الحسيني «حفظه الله».

(٢٩) ثورة التنزيه، لمحمّد القاسم الحسينيّ النجفيّ.

(٣٠) اختلاف آراء العلماء في بعض أنواع العزاء في شهر محرّم، للمستشرق الألماني ورنر انده، باللغة الألمانية.

(٣١) وقوف رجال الدين الإصلاحيين في لبنان أمام تحريف واقعة عاشوراء، للمستشرقة الفرنسيّة سابرينا مرون، باللغة الفرنسيّة.

(٣٢) ردع الناكب عن فضيلة المواكب، للشيخ عبدالواحد المظفّر (ت ١٣٩٥هـ).

(٣٣) الشعائر الحسينيّة: رسائل ومقالات، عربيّة وفارسيّة، للسيّد هبة الدين الشهرستانيّ:

١- فتوى النائينيّ وكاشف الغطاء وأشباههما في إباحة السلاسل وغيرها.
٢- تاريخ العزاء الحسينيّ وإقامة المآتم.
٣- جواب السؤال عن الغناء في العزاء الحسينيّ.
٤- اختلاف الجماعات في حدود العزاء الحسينيّ.
٥- تاريخ العزاء الحسينيّ.
٦- اعتراض المخالفين على المنكرات التي عند الشيعة.
٧- اعتراض القصيمي على بعض الأعمال العاشوريّة.
٨- ماذا حدث؟ ومتى ظهر التطبير؟
٩- قاعدة نفي الضرر والضرار.
١٠- جواب مغالطات جريدة «نواى خراسان» ـ صوت خراسان ـ.
١١- ملامة الأعداء حول التطبير وعزاء الزنجيل.
١٢- تعرّض جريدة «الفتح» للعزاء الحسينيّ وتبرئة يزيد.
١٣- رسالتان إلى السيّد هبة الدين الشهرستانيّ.
١٤- مقالة مجلّة «خواندنيها» ـ المقروء ـ.
١٥- كيف يصبح الفعل المحرّم ـ في المأتم الحسينيّ ـ حلالاً؟
١٦- باب الصبر والجزع.
١٧- هل تُعدّ أعمال عاشوراء عزاءً؟ أو هي نزوات نفسانيّة؟
١٨- نشر فتوى آية الله الشهرستانيّ في تحريم التطبير.

١٩- حكم النوح بطريقة «سوز خوانى».

٢٠- جواب السؤال عن حكم التطبير.

٢١- حدود إقامة العزاء الحسينيّ.

٢٢- سؤالان من السيّد عبد الستّار الحسنيّ.

٢٣- الملحق: «الشعائر الحسينيّة من كتاب (نهضة الإمام الحسين عليه السلام)»؟

(٣٤) مقدّمة المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة، للسيّد عبدالحسين شرف الدين العامليّ (ت ١٣٧٧هـ).

(٣٥) قطعة من كتاب «إقناع اللائم على إقامة المآتم»، للسيّد محسن الأمين العامليّ (ت ١٣٧١هـ).

(٣٦) ما ورد في كتاب «المجالس السنيّة في مناقب ومصائب العترة النبويّة»، للسيّد محسن الأمين العامليّ (ت ١٣٧١هـ).

(٣٧) قطعة من كتاب «كشف الحقّ لغفلة الخلق»، للسيّد محمّد مهدي الموسويّ القزوينيّ (ت ١٣٥٨هـ).

(٣٨) قطعة من كتاب «دولة الشجرة الملعونة الشاميّة»، للسيّد محمّد مهدي الموسويّ القزوينيّ (ت ١٣٥٨هـ).

(٣٩) علماؤنا والتجاهر بالحقّ، للسيّد هبة الدين الحسينيّ الشهرستانيّ (ت ١٣٨٦هـ).

(٤٠) ما ورد في كتاب «نقض الوشيعة»، للسيّد محسن الأمين العامليّ (ت ١٣٧١هـ).

(٤١) ما ورد في كتاب «أعيان الشيعة»، للسيّد محسن الأمين العامليّ (ت ١٣٧١هـ).

(٤٢) ما ورد في كتاب «هكذا عرفتهم»، للأستاذ جعفر الخليليّ النجفيّ (ت ١٤٠٥هـ).

(٤٣) مقالات الصحف والمجلاّت، وهي:

١ـ مقالة الشيخ عبدالرضا كاشف الغطاء، ردّاً على ما ورد في جريدة «الأهرام» المصريّة.

٢ـ مقالة الميرزا محمّد تقي الأصفهاني، في الجريدة الفارسيّة المصريّة «جهره نما».

٣ـ مقالة عبدالجبار عبدالكريم، في مجلّة «العرفان» اللبنانيّة.

٤ـ مقالة الشيخ محسن المظفّر، في مجلّة «المرشد العربي» السوريّة.

٥ـ مقالة محمّد علي الحاج سالمين، في جريدة «ديوان ميسج» الهنديّة.

٦ـ مقالة السيّد نور الدين شرف الدين، في مجلّة «العرفان» اللبنانيّة.

٧ـ مقالة باسم «حبيب بن مظاهر»، في مجلّة «العرفان» اللبنانيّة.

٨ ـ مقالة باسم «أبي فراس»، في مجلّة «العرفان» اللبنانيّة.

٩ـ مقالة باسم «ابن الشيعة» في صحيفة «ظَفَر عراق» البغداديّة.

١٠ـ مقالة لمندوب جريدة «الفجر الصادق» العراقيّة.

١١ـ مقالة السيّد محمّد الحسيني البغدادي.

١٢ـ رسالة وزير العدل السابق السيّد حسين الصافي إلى الرئيس العراقي السابق أحمد حسن البكر.

ملاحظة

هنالك عدّة رسائل ومقالات، متعلّقة بموضوع هذه المجموعة، لم نعثر عليها لحدّ الآن، نسعى للحصول عليها؛ لإكمال عملنا هذا، فالرجاء من الإخوة الأفاضل إرشادنا لها، وهي:

(١) التحقيقات المحمّدية في استحباب الشعائر الحسينيّة، مخطوط، للشيخ محمّد ابن الشيخ محمّد تقي أسد الله التستري.

(٢) البراهين القائمات لقمع الشبه والتشكيكات، مخطوط، للشيخ عبدالكاظم الغبّان.

(٣) نصرة الفقيه، مخطوط، للشيخ عبدالمهدي الحجّار.

(٤) رسالة للشيخ محمود الكوثراني، مخطوط.

(٥) الراية الحسينيّة، للسيّد محمّد عليّ شرف الدين.

(٦) مطارحة علميّة في الشعائر الحسينيّة، مخطوط، للسيّد علي نقي اللكهنوي، وهي غير «إقالة العاثر».

(٧) رسالة في الشعائر الحسينيّة، للسيّد نور الدين شرف الدين.

(٨) رأيان مختلفان في كيفيّة إقامة عاشوراء، لإبراهيم فرّان.

(٩) أكاذيب الأنوار الحسينيّة، لفراس النابلسي.

محمّد الحسّون
البريد الإلكتروني : Muhammad@aqaed.com
الصفحة على الإنترنيت : www.aqaed.com/muhammad
الجوال: ٠٠٩٨٩١٢٥٥٣٢٧١٠

ملاحظات

الأولى: تمتاز هذه المجموعة من الرسائل، أنّها تحتوي على النصّ الصحيح لرسالة «التنزيه لأعمال الشبيه»، للسيّد محسن الأمين العامليّ (ت١٣٧١هـ)، إذ اعتمدنا في تصحيحها على الطبعة الأولى لها، التي طُبعت في مطبعة «العرفان» في صيدا، سنة ١٣٤٧هـ بإشراف مؤلّفها.

علماً بأنّ كافّة الطبعات الأخرى لهذه الرسالة محرّفة، وُحذفت منها كلمات عديدة، بل عدّة أسطر وصفحات؛ لأنّ كافّة هذه الطبعات اعتمدتْ على الطبعة الثانية لها، التي طُبعت في «دار الهداية» للطباعة والنشر، دون ذكر تاريخ طباعتها ولامكانه، ولا الجهة التي قامت بطبعها.

والسبب الرئيسي الذي أدّى إلى اعتماد كافّة الطبعات على الطبعة الثانية لها؛ هو إتلاف الطبعة الأُولى لها؛ باعتبارها من كتب الضلال، التي يُتقرّب إلى الله تعالى بإتلافها وإحراقها.

الثانية: إنّما قدّمنا رسالة «صولة الحقّ على جولة الباطل»، للسيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني (ت١٣٥٨هـ) على رسالة «التنزيه» للسيّد محسن الأمين العامليّ؛ لأنّها أقدم منها تاريخاً، إذ أنّ هاتين الرسالتين طُبعتا في فترة

واحدة تقريباً، وكلاهما دعيتا لإصلاح بعض الشعائر الحسينيّة، وتصدّى لهما بعض الأعلام، فردّهما معاً، أو إحداهما.

الثالثة: تحتوي هذه المجموعة على إثنين وأربعين مؤلَّفاً، واثنتي عشرة مقالة نُشرت في الصحف والمجلاّت، وكلّ هذه المؤلّفات والمقالات تتعلّق بموضوع الشعائر الحسينيّة وبرسالتي «الصولة» و«التنزيه» تأييداً أو معارضة، أكثرها باللغة العربيّة، وثلاث رسائل فارسيّة، وإحداها باللغة الألمانيّة، وأخرى بالفرنسيّة تمّت ترجمتها إلى العربيّة.

الرابعة: المؤلَّف الأوّل من هذه المجموعة ـ الذي أحتلّ مساحة الجزء الأوّل منها وبعض أوراق الجزء الثاني ـ كان من تأليفنا، وهو عبارة عن قراءة لرسالتي «الصولة» و «التنزيه» والرسائل المؤيّدة والمعارضة لهما، وما أحدثتهما هاتين الرسالتين من انشقاق في المجتمع الشيعي ـ على كافّة المستويات ـ إلى مؤيدين ومعارضين لما ورد فيهما.

وقد قسّمنا مراحل هذه المعركة الثقافيّه، إلى خمس مراحل، ابتداءً بمقالة في جريدة الأوقات العراقيّة، ومروراً بتأليف رسالة «الصولة»، والردود عليها، وختاماً بمقالة في صحيفة العهد البيروتيّة، وتأليف رسالة «التنزيه» والرسائل المعارضة والمؤيّدة لها.

وقد بيّنا أنّ كافة طبقات المجتمع آنذاك، قد شاركت في هذا الجدل الثقافي العقائدي، من: مراجع دين وعلماء بارزين، ومؤلّفين قديرين، وصحف ومجلاّت، وشعراء وخطباء، وعامّة الناس.

الخامسة: إنّ الرسائل والمقالات والقصائد الشعريّة التي جمعناها وحقّقناها في هذه المجموعة، لاتمثّل كلَّ ما كُتب عن هذا الجدال العلمي العقائدي، بل هذا ما عثرنا عليه بعد فحص كبير، وبقيت هناك رسائل ومقالات وقصائد شعرية لم نعثر عليها، لذا فإنّ المأمول من إخواننا المحقّقين وأصحاب التخصّص في هذا المجال، أن يرشدونا لأماكن تواجدها، لاقتنائها وتحقيقها وطبعها، كي تأتي المجموعة كاملة إن شاء الله تعالى.

السادسة: لقد بذلتُ قُصارى جهدي في الحصول على هذه الرسائل، ثمّ تحقيقها وطبعها، وسافرتُ إلى مُدن وبلدان كثيرة باحثاً عنها، وسائلاً كلَّ من أتوقّع أن أجد عنده ضالّتي.

ففي عام ١٤٢٠ هـ، وأنا أعيش في بلاد المهجر إيران ـ وما زلتُ فيها ـ كان لي وقفة مع رسالة «التنزيه»، ومطالعات ودراسة عن الوضع الاجتماعيّ الذي خلّفته هذه الرسالة، فعرفتُ ـ من خلال تلك المطالعات ـ أنّ أكثر من أربعين رسالة اُلّفت حول رسالة «التنزيه»، أكثرها معارضة لها وقليل جدّاً مؤيّدة لها.

ومن هُنا بدأ عملي الفعليّ في هذا المشروع، بجمع هذه الرسائل تحقيقها وطبعها في مجموعة واحدة، حتّى يطّلع الباحث على أدلّة المؤيّدين لهذه الشعائر والمعارضين لها.

لكنّ المفاجئة التي صدمتني، أنّي لم أجد من هذه الرسائل في المكتبات العامّة والخاصّة في إيران ـ وكلّها مطبوعة ـ إلّا ستّ رسائل فقط.

والعجيب ـ والعجائب جمّة ـ أنّي لم أعثر أبداً على الطبعة الأُولى لرسالة «التنزيه».

وحينما بدأتُ بالعمل على هذه الرسائل القليلة التي بيدي تصحيحاً وتحقيقاً، وإذا بي أفاجأ أيضاً بأنّ مؤلّفيها ينقلون نصوصاً من «التنزيه» لا وجود لها في الطبعة الثانية. ومن هنا كان لزاماً علينا أن نتتبّع باقي طبعات هذه الرسالة، فوجدتها كلّها تعتمد على الطبعة الثانية لها المحرّفة، وقد توفّرت لي طبعات عدّة محرّفة لهذه الرسالة هي:

١ـ الطعبة الثانية لها، نشر دار الهداية.

٢ـ الطبعة الموجودة في كتاب «أعيان الشيعة» في ترجمة المؤلّف بقلم ولده السيّد حسن الأمين.

٣ـ الطبعة الموجودة في كتاب «ثورة التنزيه» لمحمّد القاسم الحسينيّ النجفيّ، دار الجديد، لبنان ١٩٩٦م.

٤ـ الطبعة الموجودة في كتاب «الاختلاف والنقد وثمّ الإصلاح» لمختار الأسديّ، مؤسسة الأعراف للنشر في قم ـ ١٤١٨هـ

٥ـ الطبعة الموجودة في كتاب «رأيان مختلفان في كيفيّة إقامة الشعائر» لإبراهيم فرآن.

٦ـ الترجمة الفارسيّة للكاتب الإيرانيّ المعروف جلال آل أحمد.

٧ـ الترجمة الفارسيّة التي قام بها السيّد قاسم يا حسيني.

ورغم كلّ ذلك لم أترك العمل، وكان هدفي هو العثور على الطعبة الأُولى لهذه الرسالة، والعثور أيضاً على الأربعين رسالة التي ألّفت حولها، مؤيّدة ومعارضة.

وفي عام ١٤٢٢ هـ زرتُ السيّد حسن الأمين، قبل وفاته بفترة وجيزة، في داره في بيروت، لعلّي أجد عنده ضالتي، فلم أجد عنده أيَّ شيء.

وفي عام ١٤٢٩هـ زرتُ الشيخ عبدالحسين صادق العامليّ في النبطيّة، فلم أجد عنده شيئاً يذكر.

وبعد أيام قليلة ـ أي في شهر صفر ـ من سقوط النظام الجائر في العراق سنة ٢٠٠٣م عُدت إلى أرض العراق بعد فراق طال ثلاث وعشرين سنة، ودخلت إلى مدينتي الحبيبة النجف الأشرف، ولسان حالي يلهج بقول أبي فراس الحمداني (ت ٣٥٥هـ):

بلادي وإن جارت عليَّ عزيزة   وأهلي وإن ضنّوا عليّ كرام

وأتذكر قول الشاعر الشيخ محمّد الخليلي (ت ١٣٥٥هـ):

لـــــي بــــالغريّ أحبّــــةٌ   مــــا أنصــــفوني بالمحبّــــة
أخـــذوا الفـــؤاد وخلّفـــوا   جثمانـــــه فـــــي دار غُربـــــة
يـــا دهـــر مـــا أنصـــفتني   كلّفتنـــي الأهـــوال صـــعبة
حمّلتنـــــي بُعـــــدَ الـــــديار   وبُعـــدَ مَـــن أشـــتاق قُربـــه
قســـــماً بأيـــــام مَضـــــت   فـــي وَصـــل مـــن أهـــواه عذبـــة
لـــم يحـــل لـــي غيـــر الغـــريّ   وغيـــــر أنديـــــة الأحبـــــة
أوّاه هـــــل لـــــي للحمـــــى   مـــن بَعـــد بُعـــد الـــدار أوبـــة

لأقبّـــل الأعتـــاب مـــن مـــولى الـــورى وأشـــمّ تُربـــه
حـــرم ملائكـــةُ الســـما لطوافهـــا اتّخذتـــه كعبـــة
وبـــه نـــشـــاوى العارفين قـــد احتســـوا كـــأسَ المحبّـــة

وبدأت أبحث عن ضالّتي في المكتبات العامّة والخاصّة في النجف الأشرف، فعثرتُ على الطبعة الأولى لرسالة «التنزيه» في مكتبة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام، وإذا بها طبعة صحيحة غير محرّفة، اعتمدها العلماء الذين ألّفوا عن رسالة «التنزيه» تأيداً ورداً.

وكذلك عثرت على قسم من تلك الرسائل في باقي المكتبات، وقد طَبَعْتُ منها عشرين رسالة (سنة ١٤٣٢هـ).

سؤال يطرح نفسه:

لماذا لا توجد الطبعة الأولى لرسالة «التنزيه»، حتّى أصبحت نادرةً أندر من المخطوطات؟

الجواب:

الذي يُراجع الوضعَ الاجتماعي لتلك الحقبة الزمنية (١٤٣٦ـ ١٣٥٠)، وما تركته هذه الرسالة من وضع مأساوي، انقسم فيه المجتمع الشيعيّ بكافّة طبقاته إلى معارضين ومؤيّدين لبعض الشعائر الحسينيّة، يُدرك جيّداً سبَب ضياع نسخ رسالة «التنزيه»، إذ عدّت هذه الرسالة ـ مع الأسف الشديد ـ من كُتب الضلال التي يجب ـ وجوباً عينياً ـ إتلافها وحرقها.

بل وُصف السيّد الأمين بـ«الأمويّ»، ومن يؤيّده بـ«الجمعيّة الأمويّة»، وأبدل السقّاؤون الذين كانوا يسقون الماء في الصحن العلوي المبارك اسم

«يزيد» باسم «الأمين»، حينما ينادون «اشرب الماء والعن يزيد».

والعلاّمة الشيخ أقا بزرك الطهراني (ت ١٣٨٩هـ) يصفه بـ«المُتسنّن» في أكثر من مورد في ذريعته.[(١)]

يقول العلاّمة الشيخ عبدالحسين قاسم الحلّي (ت١٣٧٥هـ) في مقدّمة كتابه «النقد النزيه لرسالة التنزيه» مُعرّضاً بالسيّد الأمين باعتباره من أهل الشام، وبالسيّد مهدي البصريّ باعتباره من أهل البصرة، يقول: «إنّ الحسين لما قُتل، بكى عليه جميع ما خَلق الله، ممّا يرى وممّا لا يرى، إلّا ثلاثة أشياء لم تبك عليه: البصرة، والشام، وآل الحكم بن أبي العاص».[(٢)]

وأمّا الشعر والشعراء، فحدّث ولاحرج، يقول الشاعر السيّد صالح الحليّ (ت ١٣٥٩هـ):

يا راكباً أما مررتَ بجلّق[(٣)]   فابصق بوجه أمينها المتزندق[(٤)]

ويقول الشاعر الكبير السيّد رضا الهندي (ت١٣٦٢هـ)

ذريّةُ الزهراء إن عددت   يوماً ليطرى الناس فيها الثنى

فلا تعدّوا (محسناً) منهم   لأنّها قد أسقطت مُحسنا[(٥)]

ومن حقّنا أن نتسائل هنا ـ وبكل موضوعيّة ـ هل يستحّق السيّد الأمين كلّ هذه النُعوت، التي بعضها أخرجته من دائرة المذهب؟

---

(١) الذريعة ٢٤: ١٧٨و٩٢١/١٩٦و١٠٣٠.

(٢) النقد النزيه لرسالة التنزيه، المطبوعة ضمن رسائل الشعائر الحسينية ٦:١١.

(٣) جلّق: دمشق.معجم البلدان ٢:١٥٤ «جلق».

(٤) هكذا عرفتهم ١:٢٠٨.

(٥) هكذا عرفتهم ١:٢١٤.

وهل يستحّق مناصروه ومؤيّدوه كلّ ما صدر من أصحاب الطرف الآخر؟

علماً بأنّ كلّ الذي جرى ويجري حاليّاً يدلّ على خطورة المساس بهذه الشعائر؛ لتجذّرها وتعمّقها في نفوس الناس، لذا نُدرك جيّداً لماذا أنّ بعض مراجعنا الكرام المعاصرين لا يُصرّح برأيه عن بعض هذه الشعائر؛ لأنّه يعلم أنّ تصريحه هذا سوف لا يحلّ المشكلة، بل يزيد في الطين بلّة، ويؤدّي إلى انشقاق المؤمنين وتناحرهم وتباغضهم.

وأتذكر جيداً في العام الماضي حينما نقلتُ لأحد المراجع الكرام، بأنّي شاهدتُ مجموعة من المؤمنين في سنغافورة حاولوا التطبير في يوم العاشر من محرّم، وحينما حاول وكيل المرجعيّة هنالك منعهم؛ لعدم إجازة الحكومة لذلك، فإنّهم لم يستمعوا لقول ذلك الوكيل.

فقال لي ذلك المرجع: أنتَ تتعجّب أنّهم لم يُطيعوا وكيلي في هذا الأمر، إنّ هؤلاء لايُطيعوا المرجع نفسَهُ في هذا الأمر، وأضاف قائلاً وهو يتأسّف: «إنّهم تركوا الواجبات وتمسّكوا بالمتشابه من المستحبات».

ولا أريد الخوض في عمق هذا الموضوع وأكتفي بما أشرت إليه مختصراً.

جلال آل أحمد وترجمته لرسالة التنزيه:

في عام ١٩٤٣م=١٣٢٢هـ ش قام الكاتب الإيرانيّ المعروف جلال آل أحمد (ت١٩٦٩م) بترجمة رسالة «التنزيه» إلى اللغة الفارسية، بعنوان «عزادارى

هاى نامشروع» أي «ألوان العزاء غير المشروع» وكانت هذه الترجمة هي أوّل عمل علميّ يقوم به، وقد تفاجأ جلال آل أحمد بأنّ ترجمته هذه قد نفدت من المكتبات خلال يومين فقط، وقد سُرَّ بهذا الخبر سروراً كبيراً. ولمّا تتبعّ الموضوع علم أنّ أحد التجّار الإيرانيين قد أشترى كلّ نسخ هذه الترجمة وأحرقها باعتبارها من كتب الضلال[1]!!

ومن هذا وغيره من الشواهد يتضح لنا سبب ضياع نُسخ الطبعة الأُولى لرسالة «التنزيه».

محمّد الحسّون

٤ ذي القعدة ١٤٣٧هـ

البريد الإلكتروني: Muhammad@aqaed.com

الصفحة على الإنترنيت: www.aqaed.com/muhammad

---

(١) انظر كتاب «جدل ومواقف في الشعائر الحسينيّة» لمجموعة من المؤلفين: ص ١٦٧.

(١)

قراءة في رسائل الشعائر الحسينيّة
«الصولة» للسيّد مهدي القزويني
و «التنزيه» للسيّد محسن الأمين
والرسائل المؤيّدة والمعارضة لهما

تأليف

الشيخ محمّد الحسّون

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على خير الأنام، نبيّنا ومقتدانا أبي القاسم محمّد، وعلى أهل بيته الطيّبين الطّاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً

وبعد، لكلّ أُمّة من الأُمم، بل لكلّ جماعة من الناس ـ على اختلاف أديانهم ومذاهبهم ومعتقداتهم ـ شعائر وطقوس يؤمنون بها ويؤدّونها على أنّها فرضٌ لا يمكن التساهل به.

والأُمم والجماعات: السالفة منها، والتي نعاصرها الآن، وحتّى التي تأتي بعدنا، كلّها سواء من حيث المعتقدات، إلّا أنّ الاختلاف في طبيعتها وكيفيّتها يكون تابعاً لعنصري المكان والزمان والمستوى الثقافي للأفراد، فالشعائر التي يؤدّيها المثقّف تختلف عن تلك التي يؤدّيها الأمّي وإن كانت متّحدة من حيث المنشأ والمعتقد.

والشعائر الحسينيّة التي يقيمها أتباع أهل البيت عليهم السلام ومحبّوهم، قديمة قِدم واقعة الطفّ الخالدة، ومتأصّلة في النفوس أصالة المبادئ التي ثار من أجلها الإمام الحسين عليه السلام.

وقد مرّت هذه الشعائر بفترات مدّ وجزر؛ تبعاً للظروف السياسيّة التي عمّت المجتمع الإسلامي آنذاك، ونزولاً عند رأي الحكّام المتسلّطين على رقاب المسلمين وميولهم لهذه الشعائر وعدمها.

فلعلّ أوّل هذه الشعائر، وهو البكاء على الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، جرى بعد واقعة الطفّ مباشرة وفي بيت يزيد بن معاوية، كما حدّثنا التأريخ بذلك.

قال الطبري في تأريخه: «فخرجن ـ أي النساء السبايا ـ حتّى دخلن دار يزيد، فلم يبق من آل معاوية امرأة إلّا استقبلتهنّ تبكي وتنوح على الحسين، فأقاموا عليه المناحة ثلاثاً»[1].

وتتابعت مجالس الحزن والبكاء في الكوفة والمدينة المنوّرة وغيرهما، وأقام التوّابون عند قبر الحسين عليه السلام مأتماً عظيماً يصفه ابن الأثير في تأريخه قائلاً: «فما رُئي أكثر باك من ذلك اليوم، وأقاموا عنده يوماً وليلة يبكون ويتضرّعون ويترحّمون عليه وعلى أصحابه»[2].

وأُقيمت هذه المجالس في العهد الأُموي سرّاً؛ خوفاً من أعداء أهل البيت عليهم السلام.

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٤٦٢.

(٢) الكامل في التأريخ ٤: ١٧٨.

وفي العهد العبّاسي أُقيمت علناً أحياناً وسرّاً أحياناً أُخرى، ففي أيّام المأمون أُقيمت علناً، وفي أيّام المتوكّل أقيمت سرّاً، حتّى تفاقم الوضع في أيّامه ومنع من إقامة هذه الشعائر، وتطرّف كثيراً في عدائه للإمام الحسين عليه السلام؛ إذ أمر بهدم قبره الشريف، يقول ابن الأثير في تأريخه في حوادث سنة ٢٣٦هـ:

«وفي هذه السنة أمر المتوكّل بهدم قبر الحسين بن علي عليه السلام، وهدم ما حوله من المنازل والدور، وأن يُبذر ويُسقى موضع قبره»[(١)].

وانتشرت هذه الشعائر أيام الأخشيديين وكافور، واتّسع نطاقها أيام الفاطميين[(٢)].

وفي أيام البويهيين اتّخذ معزّ الدولة البويهي يوم العاشر من محرّم يوم حزن وعزاء بصفة رسميّة[(٣)].

وانتعشت هذه المجالس في أيّام الدولة الصفويّة، واتّسعت مساحتها، ودخلتها أُمور كثيرة مُستحدثة.

وعندما سيطر العثمانيّون على العالم الإسلامي ـ ومنه العراق ـ منعوا من إقامة هذه الشعائر بشتّى الأساليب والطُرق، فأُقيمت سرّاً.

وبعد رحيل الأتراك عن العراق أصبحت المجالس تُقام علناً وبشكل واسع النطاق.

---

(١) الكامل في التأريخ ٧: ٥٥.

(٢) الخطط المقريزيّة ٢: ٢٩٠.

(٣) الشيعة في الميزان: ١٦٣.

وعند حصول العراق على استقلاله الوطني انتعشت هذه المجالس كثيراً، وأصبح لها دويّ واسع، لا في المحرّم فحسب، بل وفي أربعينيّة الإمام الحسين عليه السلام وذكرى وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والأئمّة الأطهار عليهم السلام.

وفي العقود الأخيرة من زماننا هذا، وبعد سيطرة حزب البعث على العراق، منعت الحكومة العراقيّة من إقامة أكثر هذه الشعائر، وعاقبت المتمسّكين بها أشدّ عقاب، فأعدمت بعضهم وسجنت البعض الآخر.

أمّا في الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة فقد مرّت هذه الشعائر بأدوار مختلفة مُنعت في بعضها وأُقيمت في أُخرى، ففي زمن الشاه رضا البهلوي مُنعت هذه الشعائر أشدّ المنع، وجرت عقوبات مجحفة بحقّ المقيمين لها.

وفي أيّامنا هذه نُشاهد ـ بحمد الله تعالى ومنّه ـ رواجاً وانتشاراً واسعاً لهذه الشعائر بشكل لم يسبق له مثيل، وهذا من ثمار الجمهوريّة الإسلاميّة المباركة التي أسّسها الإمام الراحل رضوان الله تعالى عليه.

وقد انتشرت هذه الشعائر بشكل كبير جداً، واتسعت وتنوّعت بعد سقوط النظام البعثي في العراق، فعمّت كافّة المدن والقرى العراقيّة، يشارك فيها الملايين من العراقيين، خصوصاً زيارة الإمام الحسين عليه السلام في العشرين من صفر الخير.

إلّا أنّ هذا لا يعني بقاء جميع تلك الشعائر سالمة من بعض الجوانب السلبيّة، ومحافظةً على أصالتها والأهداف التي أُقيمت من أجلها. فمن المؤسف جدّاً أن نرى محاولات مُغرضة ومُبرمجة ـ لا يبعد أن يكون

وراءها أيادي معادية للإسلام ـ لصرف هذه الشعائر عن مسيرها الصحيح، وتفريغ الثورة الحسينيّة المباركة من محتواها الفكري والعقائدي، الذي يتحدّى الظالمين ويسخر من الطغاة.

والغريب في الأمر أنّ بعض محبّي أهل البيت عليهم السلام أدخلوا في هذه الشعائر ما يشينها ويبعدها عن روح الإسلام المحمّدي الأصيل، وهم يتصوّرون ـ في أعمالهم هذه ـ بأنّهم يخدمون الإمام الحسين عليه السلام الذي استرخص دمه ودم أهل بيته وأصحابه من أجل أهداف سامية، عبّر عنها بقوله:

«إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مُفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجتُ لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي صلّى الله عليه وآله، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر»[(١)].

وبقوله عليه السلام: «اللّهم إنّك تعلم إنّه لم يكن الذي كان منّا تنافساً في سلطان ولا التماساً لفضول الحطام، ولكنّ لنردّ المعالم من دينك، ونُظهر الإصلاح في بلادك، ويأمن المظلومون من عبادك، ويُعمل بفرائضك وسننك وأحكامك»[(٢)].

إذاً، فثورة الحسين عليه السلام جمعت بين الفكر والعاطفة، واحتوت العقل والسيف، وضمّت الشعار إلى الحكمة، والعِبرة إلى العَبرة، والدمعة الساكبة إلى التأمّل والفكرة.

---

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٣٢٩.

(٢) تحف العقول: ٢٣٩.

فما أحوجنا في هذه الأيّام ـ التي نشاهد فيها الغزو الثقافي الغربي قد دخل إلى عقر ديارنا الإسلاميّة ـ إلى التركيز على العِبرة والخطاب الفكري العقائدي، إلى جانب العَبرة والخطاب التعبويّ الذي يعرض الجانب المأساوي لواقعة الطفّ.

والساحة الإسلاميّة الآن بحاجة ماسّة إلى تلاحم واتّحاد واقعي بين مدارس الفكر ومدارس العاطفة، يقف فيه المثقّف إلى جانب الخطيب المناقبي، ويساند المفكّرُ الفقيهَ الذي قضى كلّ عمره في دراسة العلوم الإسلاميّة واستنباط الأحكام الشرعيّة.

وما رسالة «التنزيه» إلّا واحدة من تلك الصيحات المخلصة التي تعالت مطالبةً بتنزيه الشعائر الحسينيّة ممّا لحقها من شوائب أخرجتها عن مسيرها الصحيح، أطلقها أحد علماء أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام قبل ثمان وثمانين سنة تقريباً، هو السيّد محسن الأمين العاملي (ت١٣٧١هـ).

وقد كان لي قبل عدّة سنوات وقفة مع هذه الرسالة، إذ قمتُ بعرضها، وقراءة ما ورد فيها، ومناقشة آراء مؤلّفها، وإيضاح الأمور المبهمة والوقائع التاريخيّة وتراجم الرجال التي تحتاج إلى تبيين، كلّ ذلك في رسالة مستقلّة باسم «قراءة في رسالة التنزيه» طُبعت سنة **١٤٢٣هـ** في مكتبة سعيد بن جبير في مدينة قم المقدّسة.

ولم أكن آنذاك بصدد الترويج لهذه الرسالة أو تبنّيها أو ردّها كاملةً، بل الذي كان يهمّني في ذلك الوقت هو رؤية صاحبها العلاّمة الأمين والأفكار التي طرحها فيها، التي نؤيّد بعضها ونتحفّظ على البعض الآخر، مع

كامل احترامنا وتقديرنا لكلّ الآراء التي طرحت حولها قدحاً ومدحاً أو رفضاً وقبولاً.

وأثناء بحثي في تلك الرسالة تعرّفت على أسماء الرسائل التي اُلّفت حولها ـ تأييداً وردّاً ـ وسعيت آنذاك للحصول عليها كاملة للوقوف على آراء أصحابها، لكنّي لم أوفّق لذلك، فأخرجتُ رسالتي ـ قراءة في رسالة التنزيه ـ كعمل أوّلي حسب المعلومات التي توفّرت لديّ في ذلك الوقت.

لكنّي لم أترك البحث، وسعيتُ للحصول على كلّ الرسائل المتعلّقة بـ«رسالة التنزيه»، والتي كانت لها مشاركة فعّالة في تلك الثورة الإصلاحية والمعركة الثقافية، علماً بأنّ أكثر هذه الرسائل عثرتُ عليها في مكتبات العراق بعد سقوط النظام البعثي الجائر في العراق.

وتبيّن لي أثناء البحث أنّ هناك رسالة أخرى، ورجلاً آخر، تزامن نداؤه لتنزيه الشعائر الحسينيّة مع نداء السيّد الأمين، هو السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني الكاظمي البصري (ت١٣٥٨هـ)، الذي أصدر رسالته «صولة الحقّ على جولة الباطل» (سنة١٣٤٥هـ)، وكان يسكن البصرة في ذلك الوقت.

وكان نصيبه ونصيب رسالته هو الردّ أيضاً من بعض الأعلام.

فجمعتُ الرسالتين، والرسائل التي أيّدتهما وعارضتهما، وقمتُ بتحقيقها، والتعليق عليها وتسليط الضوء على هذه المعركة الثقافية الإصلاحية، ابتداءً من نشوئها في جريدتي «الأوقات العراقية» و«العهد

الجديد اللبنانية»، ومروراً برسالتي السيّد البصري «الصولة» والسيّد الأمين «التنزيه»، وانتهاءً بالرسائل التي أيّدتها وعارضتها، وبيّنت الطبقات الاجتماعية المختلفة التي ساهمت في هذه الحركة الإصلاحية من مراجع دين، وعلماء، وأدباء وشعراء، وعامّة الناس.

وهدفي من عملي هذا هو حفظ هذه الرسائل في مجموعة واحدة، والاطلاع على آراء العلماء المعارضين لبعض الشعائر الحسينيّة والمؤيدين لها وأدلّتهم وحججهم على آرائهم، فإنّ قضية الشعائر الحسينيّة تتجدّد كلّ سنة، بل تعيش مع المؤمنين في كلّ ساعات حياتهم، وليست هي مسألة قديمة أكل الدهر عليها وشرب، ولا حاجة لإثارتها من جديد، كما يقول البعض.

أسأل الباري عزّ وجلّ أن يجعلنا من خدّام الإمام الحسين عليه السلام، وأن يرزقنا زيارته في الدنيا وشفاعته في الآخرة، إنّه سميع مجيب.

محمّد الحسّون

الأول من شهر رمضان ١٤٣١هـ

البريد الإلكتروني: Muhammad@aqaed.com

الصفحة على الإنترنيت: www.aqaed.com/muhammad

بداية المطاف

نستطيع أن نقسّم المراحل التي مرّت بها هذه الحركة الإصلاحية إلى خمس مراحل، هي:

المرحلة الأولى

كان للصحافة في هذه المرحلة الدور الأساسي في الحركة الإصلاحية، فقد نشرت صحيفتان مقالتين لعلمين من أعلام الطائفة الحقّة يطالبان بإصلاح الشعائر الحسينيّة، وهما: صحيفة الأوقات العراقية الصادرة في البصرة، وصحيفة العهد الجديد الصادرة في بيروت.

صحيفة الأوقات العراقية:

بعد عودة السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني البصري (ت١٣٥٨هـ) من الكويت واستقراره في البصرة (سنة١٣٤٣هـ)، نادى بإصلاح بعض الشعائر

الحسينيّة، وصادف أن زاره أحد مسؤولي أو محرّري هذه الجريدة، وتباحث معه عن بعض هذه الشعائر، فأبدى السيّد رأيه فيها وضرورة تهذيبها من الأمور الغريبة التي دخلت فيها.

فقام هذا الشخص بنشر بعض هذه المحاورة في تلك الجريدة، في عددها ١٦٦١ تحت عنوان «يوم عاشوراء» دون علم ورضى السيّد، إذ يقول في رسالته «صولة الحقّ على جولة الباطل» مشيراً إلى ذلك:

«حتّى لقد جرت بيني وبين بعض من جاءني محادثة في هذه وغيرها من الديانات وغير الديانات، وبعد أيام نشرها على صفحات الأوقات العراقيّة، وقد تعرّض لأكثر ما جرت فيه المفاوضة باختصار، وكان من جملة ما تعرّض إليه هذه المسألة «التشبيهات والمواكب العاشورية»، ولو كنتُ عالماً بأنّه سيتعرّض لها في الجريدة لحظرت عليه ذلك؛ إذ لا دخل لغير العلماء فيها. ولمّا كان بيانه لها باختصار، فأجمل فيها بعض التي لصاحب الغرض حملها على حسب غرضه، قامت قيامة بعض الجهلة...»[(١)].

وخلاصة كلام السيّد مهدي البصري في هذه الصحيفة هو: تحريمه للتشبيهات والتمثيليات التي يقوم بها الناس في عاشوراء، إذ يمثّلون ما جرى في واقعة الطف الأليمة؛ لأنّ ذلك ـ حسب رأيه ـ «مجلبة لسخريّة الملل الخارجة وداعياً من دواعي الاستهزاء».

---

(١) صولة الحقّ على جولة الباطل (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢:١٦٩.

وكذلك تحريمه لضرب الرؤوس بالسيوف والقامات والظهور بسلاسل الحديد؛ لأنّه «فعل همجي وحشي لم يرد دليل شرعي على تجويزه».

أمّا لطم الصدور، فما حرّمه عموماً، بل نادى أن يكون ذلك في المساجد والحسينيات، لا في الشوارع والأماكن العامّة.

وحاولتُ كثيراً الوقوف على هذا العدد من الجريدة، كي أنشره في هذه المجموعة، إلّا أنّي لم اُوفّق لذلك، فقمت بإيراد بعض عباراتها التي ذكرها الشيخ محمّد جواد الحجّامي (ت١٣٧٦هـ) في رسالته «كلمة حول التذكار الحسيني» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة).

وقفة مع صحيفة الأوقات العراقية:

عرفنا أنّ الشرارة الأولى لهذه الحركة كانت من هذه الجريدة، فلنسلّط الضوء ـ ولو قليلاً ـ عليها: مَن أصدرها، ومتى، ومَن حرّر فيها؟

يقول السيّد عبد الرزاق الحسني (ت١٩٩٧م) في كتابه «تاريخ الصحافة العراقية» تحت عنوان: الجرائد التي صدرت بعد الاحتلال البريطاني للبصرة وكانت سياسيّة:

«الأوقات البصريّة: لمّا احتلّ الجيش البريطاني البصرة في ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٤م وضع يده على ثلاث مطابع للأهالي فيها، مضافاً إلى مطبعة الولاية التي صادرها وأخذ يطبع فيها نشرة يوميّة باللغتين العربية والإنجليزية عن سير القتال في الشرق والغرب. وقد تطوّرت هذه النشرة إلى جريدة

يومية سياسيّة أدبية مصوّرة، يحرّر فيها «جون فلبي» وغيره من مروّجي السياسة البريطانية.

ولمّا شعرت الحكومة المحتلّة بضرورة وجود جريدة ثابتة تعبّر عن سياستها، وتهيّئ الرأي العامّ في البلاد إلى الأحداث المقبلة، أوعزت إلى «سليمان بك الزهير» ـ أحد سراة البصرة ـ أن ينشئ جريدة باسمه لهذا الغرض، فصدرت جريدة «الأوقات البصريّة» في أوّل عام ١٩١٥م بأربع لغات، وهي: العربية، والانجليزية، والفارسية، والتركية، ولبثت تصدر بانتظام خمس سنوات كاملات، حيث حلّ محلّها جريدة «أوقات ما بين النهرين» باللغة الإنجليزية في أواسط عام ١٩٢١م أوّل مايس، إذ لم تبق ضرورة لبقاء الجريدة الأولى.

وكانت الجريدة الجديدة يومية سياسيّة استبدلت اسمها باسم «الأوقات العراقية»، ونقلت إدارتها من البصرة إلى بغداد لتحلّ محلّ جريدة «الأوقات البغدادية» التي عطّلتها الحكومة»[١].

ويقول عن «الأوقات العراقية» منير بكر التكريتي في كتابه «الصحافة العراقية» بعد نقله لكلام السيّد الحسني المتقدّم: «وكانت خير أداة للإعلان عن سياستهم، وقد لعب المستر جون فلبي ـ السياسي الإنجليزي المعروف ـ دوراً هامّاً في تحريرها»[٢].

---

(١) تاريخ الصحافة العراقية: ٧٤ – ٧٥.

(٢) الصحافة العراقية: ٦٨.

ويقول أيضاً في هذا الكتاب: «حرّر فيها السياسي المعروف المستر جون فلبي، ولها سياسة معروفة، فهي خادمة لأغراض السلطات البريطانية، ومروّجة لسياسة الحلفاء، وقد استمرت في الصدور إلى احتلال بغداد في الحادي عشر من آذار عام ١٩١٧م وانتقال حكومة الاحتلال إليها، إذ ذاك أُعطيت بطريقة الالتزام إلى أحد وجوه البصرة السيّد سليمان الزهير، وقد استقدم لها محرّراً من مصر هو «عطا عوام» زميل «توفيق حبيب» المعروف بالصحافي العجوز.

فالمتصفّح لأعدادها يجد أنباء العالم والبلاغات الحربيّة تحتلّ معظمها، فهي أشبه ما تكون بنشرة حربيّة لخدمة مصالح الإنجليز والترويج لسياستهم وحلفائهم.

أمّا المقالات الثقافية فتكاد تكون قليلة جداً بالقياس إلى الموضوعات الأخرى، وحتّى هذه الموضوعات القليلة لا تخلو بين ثناياها من مدح الإنجليز وذمّ العثمانيين»[1].

ويقول رجب بركات في كتابه «من صحافة الخليج العربي»: «خلال فترة الإصدار الأوّل استخدمت حكومة الاحتلال لتحرير الجريدة من غير العراقيين كلّاً من: محمّد شوقي، وعبد الحميد مرعي. وأمّا العراقيون الذين حرّروا في «الأوقات البصريّة» فكان منهم: الأستاذ شاكر نعمة، والمرحوم الأديب الشاعر هادي الدفتر. ومن كتّابها أيضاً المرحوم سليمان فيضي المحامي، وعبد الوهاب الطباطبائي»[2].

---

(١) الصحافة العراقية: ١١٣.

(٢) من صحافة الخليج العربي: ٧٦ – ٧٧.

صحيفة العهد الجديد البيروتيّة:

في الوقت الذي نشرت صحيفة «الأوقات العراقية» كلاماً للسيّد البصري (ت١٣٥٨هـ)، يدعو فيه إلى إصلاح بعض الشعائر الحسينيّة، في نفس الوقت نشرت صحيفة «العهد الجديد» ـ التي كانت تصدر في بيروت ـ كلاماً للسيّد محسن الأمين (ت١٣٧١هـ)، يدعو فيه أيضاً لإصلاح بعض الشعائر الحسينيّة، وكان ذلك سنة١٣٤٥هـ

وقد أشار إلى هذه الصحيفة الشيخ عبد الحسين صادق العاملي (ت١٣٦١هـ) في رسالته «سيماء الصلحاء» قائلاً:

«ومن فجائع الدهور، وفظائع الأمور، وقاصمات الظهور، وموغرات الصدور ما نقلته بعض جرائد بيروت في هذا العام، عمّن نحترم أشخاصهم من المعاصرين الوطنيّين، من تحبيذ ترك المواكب الحسينيّة والاجتماعات العزائية بصورها المجسّمة في النبطية وغيرها من القرى العامليّة»[1].

وفي الطبعة الثانية لهذه الرسالة «سيماء الصلحاء» يوجد تعليق في الهامش على قول الشيخ عبد الحسين صادق: «ما نقلته بعض جرائد بيروت» هو:

«يريد بها جريدة العهد الجديد، الذي كان مراسلها قد زار سماحة السيّد محسن الأمين ـ حسب نقل الأستاذ إبراهيم فرآن عن المؤرّخ السيّد حسن الأمين نجل سماحة السيّد محسن الأمين ـ وسأله عن رأيه في اللطم على

---

(١) سيماء الصلحاء (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٤:٤٧٩.

الصدور والضرب على الرؤوس، فأجابه بالتحريم، ممّا أثار حفيظة المرحوم سماحة الشيخ عبد الحسين صادق، فأصدر هذه الرسالة الموسومة بـ«سيماء الصلحاء» سنة ١٣٤٥هـ ـ١٩٢٧م ـ مطبعة العرفان صيدا، رداً على التصريح المشار إليه. «عن حلقة دراسية حول عاشوراء ـ ١٩٧٤ رقم٢٢٥ ص٢٧»[١].

والظاهر من خلال مطالعة رسالتي «سيماء الصلحاء» و«التنزيه» أنّ هذه الصحيفة نقلت عن السيّد الأمين دعوته لإصلاح بعض الشعائر الحسينيّة، وتحريمه ضرب الرؤوس بالسيوف والقامات، وكذلك نقل الأحاديث المكذوبة على المنابر، وخروج المواكب في الأزقّة والطرق، وغيرها من المراسم العزائية، التي أكد ـ بعد ذلك ـ على تحريمها في رسالته «التنزيه».

---

(١) المصدر السابق: ٤:٤٧٩.

المرحلة الثانية

بعد أن قامت جريدة «الأوقات العراقية» بنشر آراء السيّد مهدي البصري وتحريمه لبعض الشعائر الحسينيّة، وذلك دون رضاه، بل دون علمه بأنّ الجريدة سوف تنشر كلامه هذا، كما أوضحناه سابقاً، لذلك حصلت ردود أفعال كثيرة وعارضه مجموعة من العلماء، وكتب المؤمنون رسائل لمراجع الدين في النجف الأشرف يستفتونهم عن صحّة هذه الآراء، وعمل البعض على إثارة الفتنة، وادّعوا أنّ السيّد البصري حرّم كلّ أنواع التعزية والشعائر الحسينيّة.

لذلك اضطرّ هذا السيّد لتأليف رسالة مستقلّة سمّاها «صولة الحقّ على جولة الباطل» بيّن فيها حقيقة آرائه، وأنّه لم يحرّم كلّ الشعائر، وأن الجريدة لم تنشر كلّ ما جرى بينه وبين أحد مسؤوليها أو محرّريها، إذ يقول فيها:

«وبعد أيام نشرها في صفحات الأوقات العراقية، وقد تعرّض لأكثر ما جرت فيه المفاوضة باختصار، وكان من جملة ما تعرّض إليه هذه المسألة «التشبيهات والمواكب العاشوريّة»، ولو كنتُ عالماً بأنّه سيتعرّض لها في الجريدة لحظرت عليه ذلك؛ إذ لا دخل لغير العلماء فيها.

ولمّا كان بيانه باختصار، فأجمل فيها بعض الشيء لصاحب الغرض حملها على حسب غرضه، قامت قيامة بعض الجهلة بالشناعة من محافلها، ينادون بأنّا قد حرّمنا التعزية بتاتاً، وبعضهم ينادي بأنّ مجالس التعزية والمآتم ستُسدّ في العام المقبل، وصاروا يتقوّلون علينا بالبهتان، وقد حصل لهم مَن ساعدهم على هذا من الّذين هم من غير صنفهم، وصار لهم زفير وشهيق ووو.

ولكنّي لا تضرّني زعقاتهم، ولا يقلقني اصطخابهم بتشنيعهم عليّ بالبهتان البيّن».

إلى أن قال: «ولقد طلب إليّ بعضُ المؤمنين كتابة شيء مختصر جليّ في الباب، يتحقّق به فصل الخطاب، ويخزي بحججه الدامغة المفتري المرتاب، فأجبته إلى ما طلب؛ تنزيهاً للدين عن السخافات، وقمعاً لمن جعل شعاره المفتريات، وقد سمّيته: صولة الحقّ على جولة الباطل»(١).

وخلاصة كلام السيّد في رسالته هذه أنّه حرّم عدّة أمور:

١) حرّم التشبيهات التي يجري فيها تشبيه عقائل النبوّة «بالنسوة غير المحجّبات اللاتي لا شرف لهنّ ولا حيثيّة تحوطهنّ، فيُجعلن على الجمال في المحامل وغيرها، ويُشهرن بين الفسقة وغيرهم من الملل الخارجة، وقد ضُربت الطبول والطوس، وصدحت الأبواق أمامهنّ وخلفهنّ، والخلق حولهنّ من كلّ

---

(١) صولة الحقّ على جولة الباطل (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١٧٣:٢.

صنف وشاكلة، ما بين وقوف وجلوس، يتفرّجون عليهنّ: بعض بالاستهزاء، وبعض بالشماتة، وآخر راث لهذه الهيئة وهنّ يُسار بهنّ في الطرق والأزقّة على هذه الهيئة الشنيعة البشعة، والناس يشيرون إليهنّ بأيديهم، ويسمّونهنّ بأسمائهنّ»[(١)].

٢) الضرب بالسيوف والقامات على الرؤوس، إذ قال معلّلاً ذلك: «لما شاهدناه وشاهده غيرنا من موت جماعة منهم في كلّ سنة، لكثرة نزف الدم.

ولو قطعنا النظر عن هذه الجهة، فهو فعل همجيّ وحشيّ، مثل الضرب بسلسلة من الحديد، ولم يرد دليل شرعي على تجويزها، وما من سيرة يستند إليها فيها، بل هي بنظر أرباب العقول والمعرفة فعال وحشيّة»[(٢)].

٣) خروج مواكب اللطم في الأزقّة والشوارع، معلّلاً ذلك بقوله: «لِما بلغني من ترتّب بعض المحرّمات على خروجهم، من فتنة وفساد ومضاربة ومقاتلة عندما يلتقي أهل محلّتين، بحيث يحصل من جرّاء ذلك جرح وقتل، إلى غير ذلك، فكأنّما بعضه م يلطم على آل الرسول، وبعضهم يلطم على يزيد وشيعته، ويحارب بعضهم بعضاً»[(٣)].

أمّا ما يتعلّق بآراء السيّد محسن الأمين التي نشرتها جريدة «العهد الجديد» البيروتية، فقد تصدّى لها الشيخ عبد الحسين صادق العاملي (ت١٣٦١هـ) برسالته «سيماء الصلحاء» التي طبعت طبعتها الأولى في مطبعة العرفان في صيدا

---

(١) المصدر السابق ٢: ١٧٣ – ١٧٥.

(٢) المصدر السابق ٢: ١٨١.

(٣) المصدر السابق ٢:١٧٩.

سنة١٣٤٥هـ ، إذ تناول آراء السيّد الأمين بالردّ العنيف، ووصف مؤيّديه بأوصاف جارحة، أشرنا إليها في الرسالة عند حديثنا عنها.

وخلاصة آراء الشيخ عبد الحسين، أنّه أيّد كافّة الشعائر التي عارضها السيّد الأمين، والتي منها: ضرب الرؤوس بالسيوف والظهور بسلاسل الحديد، وخروج المواكب في الأزقّة والطرقات، وتمثيل واقعة الطف وما جرى يوم العاشر على عائلة الحسين عليه السلام، وغيرها، وسوف يأتي الكلام عنها مفصلاً.

المرحلة الثالثة

هذه المرحلة تتعلّق بردود الفعل على آراء السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني (ت١٣٥٨هـ) التي نُشرت في جريدة «الأوقات العراقية» وفي رسالته «الصولة»، حين قام جماعة من المؤمنين ـ خصوصاً الساكنين في البصرة ـ بإرسال رسائل عديدة إلى مراجع الدين في النجف الأشرف يستفتونهم عن الحكم الشرعي لهذه الشعائر الحسينيّة.

فكتب المراجع والعلماء آراءهم عنها، وأكثرهم عارض آراء السيّد مهدي آنذاك، وألّف بعض العلماء رسائل بيّنوا بشكل صريح معارضتهم لآراء هذا السيّد، منهم:

(١) الشيخ عبدالله المامقاني (ت١٣٥١هـ)، ورسالته «المواكب الحسينيّة»، وهي عبارة عن جواب ورد إليه في الرابع عشر من شهر صفر سنة ١٣٤٥هـ فأجاب عليه الشيخ بهذه الرسالة التي بيّن فيها رجحان الشعائر الحسينيّة ومعارضته لمنكريها دون ذكر أسمائهم، علماً بأنّ هذا هو السؤال الثاني الذي ورد عليه عن هذه الشعائر، والسؤال الأوّل كان بتاريخ منتصف شهر محرّم الحرام من هذه السنة.

(٢) الشيخ مرتضى آل ياسين (ت١٣٩٨هـ) ورسالته «نظرة دامعة حول مظاهرات عاشوراء»، وهي رسالة أدبيّة رائعة، تدلّ على المستوى الأدبي الرفيع للمؤلّف، الذي يتوجّع ويتأسّف لهذه الأُمّة التي وصلت إلى هذا الحدّ من الانحطاط الفكري الذي دعاها تشكّك بالشعائر الحسينيّة، إذ أورد فيها بعض إشكالات المستشكلين وأجاب عليها جواباً علميّاً، طبعت سنة ١٣٤٥هـ

(٣) الشيخ محمّد جواد الحچّامي (ت١٣٧٦هـ) ورسالته «كلمة حول التذكار الحسيني»، يردّ فيها على ما ورد في جريدة «الأوقات العراقية» ويذكر عبارات وفتاوى بعض الأعلام في رجحان هذه الشعائر، منهم: السيّد محمّد الفيروزآبادي (ت١٣٤٥هـ)، والشيخ مرتضى كاشف الغطاء (ت١٣٤٩هـ)، والشيخ عبدالله المامقاني (ت١٣٥١هـ)، والشيخ هادي كاشف الغطاء (ت١٣٦١هـ)، والشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (ت١٣٧٣هـ).

ويذكر أيضاً جواباً لاستفتاء وجّهه البعض للعلاّمة البلاغي الشيخ محمّد جواد (ت١٣٥٢هـ)، طبعت سنة١٣٤٥هـ

(٤) الشيخ حسن المظفر (ت١٣٨٨هـ) ورسالته «نصرة المظلوم»، يردّ فيها على جريدة «الأوقات العراقية» و«الصولة» أيضاً، ويذكر بعض الشعائر الحسينيّة بشكل مفصّل، وينقل فتوى الميرزا النائيني (ت١٣٥٥هـ)، وكذلك ما كتبه العلاّمة البلاغي (ت١٣٥٢هـ)، عن مشاهداته لمواكب القامات في سامراء، طبعت في ربيع الأوّل سنة ١٣٤٥هـ

(٥) الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (ت١٣٧٣هـ) ورسالته «المواكب الحسينيّة» وهي في الواقع ثلاث رسائل، أي ثلاثة أجوبة على

ثلاثة أسئلة وردت عليه حول الشعائر الحسينيّة: الرسالة الأولى بدون تاريخ، والثانية في السابع عشر من شهر صفر سنة١٣٤٥هـ والثالثة أيضاً في هذه السنة. ومن خلال هذه التواريخ يتّضح أنّها ردّ على آراء السيّد محمّد مهدي الموسوي صاحب «الصولة».

وقد ذكر المؤلّف في رسائله هذه الشعائر الحسينيّة بشكل مفصّل: اللطم واللدم، خروج المواكب في الطرقات، ضرب الرؤوس والظهور بالسيوف والسلاسل، وضرب الطبول ونفخ الأبواق وقرع الطوس، والشبيه ومواكب التمثيل.

(٦) الشيخ عبدالرضا ابن الشيخ عبدالحسين كاشف الغطاء (ت ١٣٨٧هـ) ورسالته «الأنوار الحسينيّة والشعائر الإسلامية»، التي ألّفها في الهند، ردّاً على جريدتين فارسيّتين تصدران هناك هما: «حبل المتين» و «الإبلاغ»، وذكر فيها أيضاً عدّة عبارات من رسالة «الصولة» وقام بردّها، طبعت في بمبئ ـ ٢٩ محرّم سنة ١٣٤٦هـ.

وقام أحد الكتّاب واسمه فراس النابلسي، بردّ هذا الكتاب بكتاب سمّاه «أكاذيب الأنوار الحسينيّة»، لم نعثر على نسخته لحدّ الآن.

(٧) السيّد مرتضى ابن السيّد علي الداماد (القرن الرابع عشر)، وكتابه «الأعلام الحسينيّة»، فارسيّ، يحتوي على عبارات وأشعار فارسيّة قديمة، يردّ فيه على ما ورد في «الصولة» وجريدة «الأوقات العراقيّة»، طبع في التاسع عشر من شهر صفر الخير سنة ١٣٤٦هـ.

(٨) الشيخ عبدالكاظم بن محمود الغبّان، المولود في الشنافية سنة ١٣٠٧هـ ورسالته «البراهين القائمات لقمع الشبه والتشكيكات»، وألّفه ردّاً

على ما ورد في «الصولة»، وقد قرّظه الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء، طبع سنة ١٣٤٥هـ لم نعثر على نسخته لحدّ الآن، انظر ما قاله عنه الشيخ الطهراني في الذريعة ٩٨:١٥ رقم ٦٤٦و ٩٣:٢٦ رقم ٤٤٢.

(٩) الميرزا محمّد علي الغروي الأردوبادي (ت١٣٨٠هـ)، ورسالته «الكلمات التامات في المظاهر العزائيّة لسيّد الشهداء عليه السلام»، التي ردّ فيها على «الصولة»، وعلى رسالة «الدين والشؤون» للشيخ أسد الله المامقاني (ت١٣٣٦هـ)، وتعرّض لأنواع الشعائر الحسينيّة التي أثيرت حولها الإشكالات، و استدلّ على رجحانها، وهي: تمثيل واقعة الطفّ، والتشبّه بنساء أهل البيت عليهم السلام، وخروج المواكب الحسينيّة إلى الشوارع والأزقّة، وضرب الطبول ودقّ الصنّوج ونفخ الأبواق، واللطم على الصدور، ومواكب الشموع، وضرب الرؤوس بالسّيوف المعبّر عنه بـ «التطبير».

علماً أنّ السيّد محمّد شريف التقوي الشيرازي الونكي (ت ١٣٥٢هـ) ألّف رسالة فارسيّة حول إقامة بعض الشعائر الحسينيّة، وإظهار اللاطمين لصدورهم أمام النساء، طبعها في سنة ١٣٤٣هـ مقارنةً لبداية دعوة الإصلاح من قبل صاحب «الصولة»، فتكون هذه الرسالة الأولى التي أيّدت ما نادى به السيّد محمّد الموسوي القزويني البصري.

المرحلة الرابعة

تقتصر هذه المرحلة على رسالة «التنزيه لأعمال الشبيه» التي ألّفها السيّد محسن الأمين (ت١٣٧١هـ) دفاعاً عن آرائه ورداً على رسالة «سيماء الصلحاء» التي كتبها الشيخ عبد الحسين صادق العاملي (ت١٣٦١هـ)، والتي انتقد فيها كلّاً من السيّد الأمين والسيّد القزويني البصري.

وقد ذكر السيّد الأمين تسعة إشكالات على الشعائر الحسينيّة، وهي:

١) الكذب بذكر الأمور المكذوبة المعلوم كذبها وعدم وجودها في خبر، ولا نقلها في كتاب.

٢) التلحين بالغناء الذي قام الإجماع على تحريمه.

٣) إيذاء النفس وإدخال الضرر عليها.

٤) استعمال آلات اللهو كالطبل والزمر والصنوج النحاسية.

٥) تشبيه الرجال بالنساء في وقت التمثيل.

٦) إركاب النساء الهوادج مكشّفات الوجوه، وتشبيههنّ ببنات رسول الله صلى الله عليه وآله.

٧) صياح النساء بمسمع من الرجال الأجانب.

٨) الصياح والزعيق بالأصوات المنكرة القبيحة.

٩) كلّ ما يوجب الهتك والشنعة ممّا لا يدخل تحت الحصر.

انتهى المؤلّف منها في الثامن عشر من شهر محرّم الحرام سنة ١٣٤٦هـ وطبعت طبعتها الأولى في مطبعة العرفان في صيدا سنة ١٣٤٧هـ.

ورأيت طبعة أخرى لهذه الرسالة كتب عليها: أنّها الطبعة الثانية، نشر دار الهداية للطباعة والنشر، إلّا أنّ هذه الطبعة لم يذكر فيها تاريخ طباعتها ولا مكانه، ولا الجهة التي قامت بطبعها.

والذي يظهر من «التمهيد» الذي كتب في بداية هذه الطبعة، أنّ الذين طبعوها هم من المؤيدين لأفكار السيّد الأمين. علماً بأنّ في هذه الطبعة سقطت كلمات بل أسطر وصفحات، لا يمكن إلقاء اللوم فيها على المطبعة ؛ إذ لا يمكن لأيّ مطبعة مهما كانت رديئة أن تسقط من الكتاب كلمات وسطور بل عدة صفحات، ونثبت هنا تلك السقوطات حتّى يطلّع القارئ عليها، ويعرف التلاعب الذي حصل فيها، وهل يمكن أن تكون من المطبعة؟! وهي:

أولاً: «ثبت عن النبيّ صلى الله عليه وآله وأئمّة أهل البيت عليهم السلام رجحانها وأنّها من السنن، واعترف بذلك جميع العقلاء من جميع أهل الملل، كما بيّناه في كتابنا (إقناع اللائم على إقامة المآتم) الذي لم يصنّف مثله في هذا الموضوع»[1].

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة)٥: ١٠.

ثانياً: «بما لم يسبقنا إليه أحد إلى اليوم، وذكرنا فيه ما في إقامة العزاء من الفوائد والمنافع بأوفى بيان، وأقمنا الأدلّة والبراهين الكافية من العقل والنقل بما لا مزيد عليه»[(١)].

ثالثاً: «حتّى في أيام ارتفاع الخوف والتقيّة، كأوائل دولة بني العبّاس وعصر المأمون وغير ذلك»[(٢)].

رابعاً: «كالصدّيق الأكبر والفاروق الأعظم وذي النورين وأبي السبطين، لا كيزيد»[(٣)].

خامساً: «كالسيّد صالح الحلّي، خطيب الذاكرين ومفخرة القارئين وأمثاله»[(٤)].

سادساً: «ما الذي يدعوه إلى هذه اللسبات واللسعات؟! وأيم الله لو لم يوجّه لسباته ولسعاته إلينا لما تعرّضنا له ﴿**فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ ولكن من اُغضب فلم يغضب فهو حمار.

وممّا قاله: «إنّ الموذّن الخصوصي للنبيصلى الله عليه وآله كان بلالاً الحبشي لأجل نداوة صوته وطلاوة لفظه، مع عدم قدرته على إخراج السين إلّا شيناً».

وما ندري أين وجد هذه العلّة، ومن أيّ كتاب نقلها»[(٥)]؟!

---

(١) المصدر السابق ٥:١٩.

(٢) المصدر السابق ٥:٢٠.

(٣) المصدر السابق ٥:٢٢.

(٤) المصدر السابق ٥:٣٥.

(٥) المصدر السابق ٥:٥٤.

سابعاً: «بل لم نرَ أحداً من العلماء الذين يعوّل على مثلهم لطم صدره لطماً مؤذياً إلى الإحمرار، بل كلّهم يلطمون لطماً خفيفاً لا يؤدّي إلى ذلك، طبق ما كان يفتي به الإمام الحجّة السيّد ميرزا محمّد حسن الشيرازي قدّس سرّه، كما ستعرف.

وإنّما كان علماء النجف يخرجون يوم عاشوراء باللطم الخفيف إلى الحضرة الشريفة الحيدريّة، وعلماء كربلاء شاهدناهم مراراً يخرجون ليلة عاشوراء باللطم الخفيف جداً.

ومن ذلك يظهر أنّه لم يعلم أن أحداً من علمائنا السالفين كان يجوّز أزيد من ذلك.

قال: «أولم يقم عندهم دليل على حرمتها، وإلّا لما أمسكوا النكير، وهو النهي عن المنكر الواجب على كلّ مقتدر عليه ومؤثّر نهيه فيه، وكثير من أُولئك العلماء الأعلام مقلَّد عام تنقاد لفتواه العوام».

ونقول: هناك احتمال ثالث لم يذكره وهو الصواب، وهو أنّهم يعلمون بعدم التأثير. وكون كثير منهم مقلَّداً عامّاً لا ينفع في أُولئك العوام؛ إذ ليس فيهم مقلِّد، على أنّ دعوى إمساكهم النكير فاسدة من أصلها، فهذا حجّة الإسلام السيّد أبو الحسن الأصفهاني أنكر ونهى وأذاع المناشير، فلم يؤثّر نهيه كما ستعرف، وهو مقلّد عامّ، وأمثاله في ذلك كثيرون.

قال: «مثل أُستاذنا «كذا» العلاّمة الشيرازي الذي بمجرّد أن حرّم على الفرس شرب الدخان عمّ الامتناع جميع مملكة إيران».

ولسنا نعلم من أين جاءته هذه الأُستاذية؟!

والذي نعلمه أنّ هذا الإمام العظيم كان يفتي بتحريم اللطم الموجب لإحمرار الصدر، فضلاً عن جرح الرؤوس بالمدى والسيوف، ورأينا فتواه بذلك بخطّه وخاتمه ونحن في النجف الأشرف، وكان المستفتي له الثقة المعروف عند جميع العامليين المرحوم الحاج باقر الصحّاف، الذي كان مقيماً في حجرة صاحب مفتاح الكرامة قُدِّسَ سِرُّهُ.

قال: «فسكوته كغيره من الأساطين المقلّدين يعدّ منهم إجماع سكوتي كاشف (كذا) عن رضى المعصوم».

وممّا ذكرناه عرفت عدم سكوته، ولا سكوت غيره.

وفعل العوام له في أعصار العلماء لا يدلّ على رضاهم به، فكم رأيناهم ينكرون الغناء بالشعر في إقامة العزاء، ولا يقدرون على منعه.

وكان الشيخ ميرزا حسين خليل ـ وهو من أجلاّء العلماء المقلّدين ـ يقوم من مجالس العزاء حينما يُقرأ فيها الشعر بالألحان؛ لعدم قدرته على الإنكار بغير ذلك، وقع ذلك منه مراراً ونحن في النجف الأشرف.

وكان شيخنا الشيخ آقا رضا الهمداني ـ وهو من أجلّ العلماء المقلّدين وأوثقهم في النفوس علماً وعملاً ـ يتأفّف كثيراً من قراءة بعض الذاكرين الذين يجعلون أمام المنبر بعض تلاميذهم يردّدون معهم الأصوات، ولا يمكنه ولا غيره المنع»[1].

---

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٨٤.

ثامناً: «الذي حدثت هذه البدعة في عصره وفي بلده، واجتهد في منعها بواسطة الحكومة العثمانية فلم يستطع؛ لأنّ القائمين عليها إيرانيون، وزيد فيها في هذا الزمان الطبل والزمر.

والسيّد نجيب فضل الله الذي كان ينهى ـ على ما أخبرنا به بعض ثقات بني عمّه ـ عن اللطم الموجب لإحمرار الصدر؛ طبقاً لفتوى الإمام الشيرازي المقدّم ذكرها»[(١)].

تاسعاً: «وبذلك يظهر جليّاً أنّ العلماء لم يمسكوا النكير، وبعضهم بذل قصارى جهده فلم يفلح، وأنّ نكيرهم لا يؤثّر في مقابل تيار العامة»[(٢)].

عاشراً: «خلا بصريّاً وعامليّاً خالفا الأئمّة وعلماء الأُمّة، فنسأل الله الهداية لنا ولهم إلى سواء السبيل والحقّ المبين»[(٣)].

حادي عشر: «قال في المطلب الثالث من المقام الأوّل من المقصد الثاني من الفنّ الثاني في مسائل أصول الفقه، بعد أن بيّن البدعة وما في حكمها ما لفظه:

«وأمّا بعض الأعمال الخاصة الراجعة إلى الشرع ولا دليل عليها بالخصوص، فلا تخلو بين أن تدخل في عموم، ويقصد بالإتيان بها الموافقة من جهته لا من جهة الخصوصيّة، كقول: «أشهد أنّ عليّاً ولي الله» لا بقصد

(١) المصدر السابق ٥:٨٧.

(٢) المصدر السابق ٥:٨٨.

(٣) المصدر السابق ٥:٨٩.

الخصوصيّة ولا بقصد النصوصيّة؛ لأنّهما معاً تشريع، بل بقصد الرجحان الذاتي أو الرجحان العارضي، لما ورد من استحباب ذكر اسم عليعليه السلام متى ذكر اسم النبيّصلى الله عليه وآله» إلى أن قال:

«وكما يصنع في مقام تعزية الحسينعليه السلام من دقّ طبل إعلام، أو ضرب نحاس، وتشابيه صور، ولطم على الخدود والصدور؛ ليكثر البكاء العويل، وإن كان في تشبيه الحسين، أو رأسه أو الزهراء، أو علي بن الحسين، أو باقي النساء في محافل الرجال، وتشبيه بعض المؤمنين بيزيد أو الشمر، ودقّ الطبول وبعض آلات اللهو وإن لم يكن الغرض ذلك، وكذا مطلق التشبيه شبهة والترك أولى». انتهى.

وأمّا نسبة ذلك إلى الميرزا القمّي في «جامع الشتات» فنسبة باطلة أيضاً، فإنّ الذي في الكتاب المذكور في باب المتفرّقات مخصوص بالتشبّه بصورة الإمامعليه السلام وأعداء أهل البيت، ولبس الرجال لباس نساء أهل البيت أو غيرهنّ، وليس فيه ذكر جرح الرؤوس ودقّ الطبول وضرب الطوس ونفخ البوقات، وهذا نصّ السؤال الذي أجاب عنه بلفظه الفارسي:

سؤال: «آيا جائز است در ايام عاشورا تشبيه بصورت امام يا اعادى أهل البيتعليهم السلام بجهت گريانيدن مردم؟ آيا جائز است كه مردان در لباس زنان أهل البيتعليهم السلام يا غير ايشان متشبه شوند بهمان قصد يا نه»؟

وأجاب بما حاصل ترجمته: «إنّ العلماء ذكروا حرمة تزيّن الرجل بالأشياء المختصّة بالنساء، سواء كان من المحرّمات الأصليّة على الرجال كالذهب والحرير أم لا كالخلخال، والأوّل إجماعي، والثاني لا خلاف فيه،

وتدلّ عليه أخبار كثيرة، وهي الأخبار الدالّة على منع لباس الشهرة، وفي بعض الصحاح من تلك الأخبار: «إنّ الله يبغض شهرة اللباس»، ويؤيده عموم الشهرة خيرها وشرها في النار، وتدلّ عليه الأخبار الدالّة على حرمة تشبّه الرجال بالنساء وبالعكس، كما نقل عن العلل وغيره».

ثمّ قال: «إنّه ليس في نظره طريق إلى منع التشبّه بالمعصوم ولا بأعدائه لغرض البكاء والإبكاء» وأطال في الاستدلال على ذلك ثمّ قال:

«وأمّا مسألة تشبيه بزنان پس جواب از آن نيز از انچه گفتيم ظاهر ميشود كه ممنوعست كه مراد از تشبيه اين باشد كه بجهت آنكه اينشخص متشبه بزنان از حيثيه آنكه تشبيه بزنانست نميكند بلكه ميخواهد كه مثلاً زينب خواتون را مصور كنند بلباسى كه صريح در زنان نيست غالباً واگر باشد هم مضر نيست مثل چادر شب بسر كردن ومكالماتي كه ايشان ميفرمودند بكند بجهت ابكا واين راتشبيه بزنان نمى گويند چون ظاهر آن تشبيه بآنچه مختصّ بجنس زنانست بدون غرضى ديگر ودر اينجا لباس زنان پوشيدن نه از براى نمود خود است در صورت زن وفرق بسيار است ميانه ملاحظه تشبيه بشخص معين از زنان از راه خصوصيات أفعال آنزن وتشبيه بجنس زنان از راه تشبيه باين جنس».

وحاصله منع أنّ ذلك من تشبّه الرجال بالنساء الممنوع.

هذا حال النسبة إلى «كشف الغطاء» و«جامع الشتات» وليست تحضرنا باقي الكتب المشار إليها لنعلم صحّة النسبة إليها، والذي نظنّه أنّها من قبيل النسبة إلى الكتابين.

أمّا نسبة ذلك إلى جميع علمائنا المعاصرين فنسبة باطلة، فإنّ حجّة الإسلام السيّد أبا الحسن الأصفهاني الذي يقلّده الكثيرون قائل بالمنع، صرّح به في رسالته الفارسية، وأذاع منشوراً مطولاً على الناس يمنع فيه من ذلك، لكنّه لم يتمكّن من المنع في مقابل تيّار العامّة.

وكذلك أكثر علماء النجف الأشرف والكاظمية وغيرها قائلون بالمنع، بل كلّهم قائلون بالمنع في مثل الطبل ودقّ الطوس ونفخ البوق ممّن يعتدّ بقوله.

ومن يجترئ على نسبة ذلك إلى جميع علمائنا المعاصرين؟! وجلّ العلماء في العراق وإيران وسائر بلدان الشيعة لم ينقل عنهم تجويز شيء من ذلك، ولو كان لملأ نقله الخافقين لموافقته لرغبة العامة، وجملة منهم مصرّحون بالمنع، كجملة من علماء جبل عامل الذين ذكرناهم، ومن جوّز الجرح من علماء النجف الأشرف ممّن يعتدّ بقوله قيّده بعدم خوف الضرر، وليس في كلامه تعميم للطبل والزمر ودقّ الطوس.

نعم، أرخى رجل عنان القلم في التجويز لكلّ ما يشتمل عليه التشبيه بلا قيد ولا شرط، فأين تقع النسبة إلى جميع علمائنا المعاصرين المنتشرين في الأقطار ـ وهم يعدّون بعشرات الألوف ـ بقول واحد أو اثنين من علماء النجف الأشرف الذين يعبأ بأقوالهم، اقتصر فيه على بعض هذه الأمور مع التقييد بعدم خوف الضرر، وخوف الضرر حاصل غالباً أو دائماً.

وكيف كان فالمتّبع هو الدليل لا قال فلان وفلان، وقد عرفت أنّه يقتضي تحريم الطبل والزمر وجميع آلات اللهو وجرح الرؤوس، وكلّ ما يوجب الهتك والشنعة من محتويات التمثيل، وما يشتمل على محرّم سوى

هذا ثبت في الشرع تحريمه، وما عدا ذلك لا مانع منه بل هو في نفسه راجح مستحسن.

أمّا ما يقال من إباحة جرح الرؤوس وضرب الطبول ودقّ الطاسات والنفخ في البوق (الدمام) وتشبّه الرجال بالنساء، وغير ذلك ممّا يحصل في عمل الشبيه؛ بحجّة أنّ فيها إقامة لشعائر الحزن الثابت رجحانها.

ففيه: إنّ إقامة شعائر الحزن إنّما تكون راجحة إذا لم تشتمل على محرّم آخر، وهذه المذكورات كلّها أو جلّها ممّا ثبت تحريمها في نفسها، فكيف تباح لأنّ فيها إقامة لشعائر الحزن؟! أفهل يحلّ شرب الخمر والغناء والكذب والسرقة إذا كان فيها إقامة لشعائر الحزن؟!

نعم، إنّ التمثيل المسمّى بالشبيه ممّا نقول بحسنه ورجحانه، وبأنّه من أعظم أسباب إقامة شعائر الحزن، لكن بشرط أن لا يشتمل على محرّم آخر، ولا شيء ينافي الآداب ويوجب الشنعة من الأشياء المارّ ذكرها أو غيرها، فـ ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾ ولا يطاع الله من حيث يعصى.

مع أنّ بعض ذلك لو فرض عدم قيام دليل على حرمته، كتشبّه الرجال بالنساء إذا كان مؤقتاً أو نحو ذلك، أفليس من الورع التجنّب عنه، وما الذي يوجب الالتزام به؟!

وهل انحصرت إقامة شعائر الحزن فيه؟!

أليس في ما هو مسلّم الإباحة خال من كلّ عيب وشبهة غنىً وكفاية؟!

أمّا ما ختم به هذا الرجل كلامه من التعريض بنا وبالعالم البصري بسيّئ القول، ونسبتنا إلى مخالفة الأئمّة وعلماء الأُمّة، فنسأل الله له فيه المغفرة والهداية إلى سواء السبيل والحقّ المبين.

إنّنا والحمد لله لم نخالف الأئمّة عليهم السلام، وهم قدوتنا إن شاء الله تعالى في جميع أقوالنا وأفعالنا، ولم نتعدّ الخطة التي رسمها لنا أجدادنا وسادتنا وأئمّتنا، والتي رواها لنا عنهم ثقات طائفتنا. وليس فيها أنّ أحداً منهم ولا من أتباعهم شقّ رأسه بموسى أو مدية أو سيف، أو دقّ طبلاً أو نفخ في بوق أو استعمل شيئاً من آلات اللهو في وقت من الأوقات في إقامة العزاء.

ولم نحد عن أحكامهم وأحكام جدّهم صلى الله عليه وآله التي حرّمت الإضرار بالنفس، وحرّمت الطبل والبوق وجميع آلات اللهو، وجعلت قبول الأعمال مشروطاً بالتقوى.

فنحن متّبعون خطّتهم وطريقتهم، لا نحيد عنها قيد أنملة، وهم الذين قالوا لشيعتهم: «كونوا زيناً لنا ولا تكونوا شيناً علينا»، فمن شانهم وعابهم بنسبة شقّ الرؤوس بالمدى إلى دينهم ومذهبهم، مع أنّه لم يقع منهم ولا من أحد من فضلاء شيعتهم، ولم يدلّ عليه دليل أحقّ بنسبة مخالفتهم إليه.

وأمّا علماء الأُمّة فقد عرفت ممّا أسلفناه أنّ جلّهم ـ إن لم يكن كلّهم ـ لا يجوّز أن يُنسب إليهم تجويز ذلك، عدا نادر منهم في بعض ذلك لا كلّه، ففاعل ذلك ومجوّزه أحقّ بنسبة مخالفتهم إليه.

ونحن والحمد لله وبنعمته نتحدّث، أقمنا في هذا العام بدمشق الشام في عشر المحرم مجلساً للعزاء، لا يقلّ حاضروه تقريباً عن خمسمائة إنسان من المسلمين على اختلاف مذاهبهم، كثرت فيه الفوائد، وجرت الدموع، وتجلّت فيه الهيبة والوقار، ولم يكن إلّا مدرسة وعظ وإرشاد وتهذيب

للأخلاق، ونشر لفضائل أهل البيت عليهم السلام ومناقبهم، وموجباً لإهراق الدموع على مصائبهم، ومظهراً لشيعتهم وأتباعهم بمظهر الفضل والكمال الموجب لميل النفوس إليهم، لا بمظهر الوحشيّة والانتقاص المنفّر للقلوب عنهم.

وقد أقيمت في اليوم العاشر فيه مراسم الحزن والبكاء، وظهرت بأجلى مظاهرها وأوقرها وأكملها، فلم تبق عين لم تسكب دموعها، ولا قلب لم يحزن ويخشع، وختم باللطم المهيّج المؤثّر الذي لا يدخله محرّم ولا منفّر، والحمد لله على التوفيق.

ومن واجبات اتّباع الأئمّة عليهم السلام حفظهم في أبنائهم وذريّاتهم، وعدم إساءة القول فيهم ونسبتهم إلى ما هم منه براء.

أمّا البصري المعرّض به والمنسوب إليه مخالفة الأئمّة وعلماء الأُمّة، فهو سيّد جليل القدر، من أفاضل السادة العلماء، ومن الذرّيّة الطاهرة التي جعل الله مودّتها أجر الرسالة، وهو العلاّمة السيّد مهدي الكاظمي، صاحب المؤلّفات في الذب عن مذهب أجداده الطاهرين.

رأى منكراً فنهى عنه، وشاهد في البصرة ما لا تبرك عليه الإبل، فحرّكته حميّته الهاشميّة إلى الذبّ عن حرم أجداده الطاهرين، والمنع من هتك حرمتهم، وذلك إنّه في المحرّم من السنة الماضية ـ وهي سنة ١٣٤٥هـ ـ جرى تمثيل الواقعة في البصرة، فجيء بامرأة من مومسات البصرة، ووضعت في الهودج حاسرةً، وشبّهت بزينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام على مرأى من ألوف المتفرّجين.

فأخذت هذا السيّد الجليل الصادق النسبة الغيرة على بنت أمير المؤمنين عليه السلام وأجلّ امرأة هاشميّة بعد أمّها الزهراء عليها السلام، فمنع من التشبيه الذي اشتمل على هذه المنكرات من شقّ الرؤوس وإيذاء النفوس والطبول والزمر، وتشبيه بنات رسول الله صلى الله عليه وآله بهذا التشبيه الشنيع، وكتب في ذلك رسالة ونشرها، فكان بذلك عند صاحبنا مخالفاً للأئمّة وعلماء الأُمّة...

أمّا العاملي المنسوب إليه ذلك، فهو هذا الفقير الذي كتب في مقدّمة «المجالس السنيّة» بعض كلمات في منع التشبيه المشتمل على المحرّمات المشار إليها، مدعومة بساطع البرهان، حداني عليها الغيرة على الطائفة والمذهب من أن يلصق بهما الأغيار من المعائب ما هما براء منه، وقد بان بذلك من هو المخالف للأئمّة وعلماء الأُمّة.

وهذان السيّدان اللذان عرّض بهما بسيّئ قوله يؤلمهما وأيّم الله مصاب جدّهما بما لا يؤلم به سواهما، وليست الثكلاء كالمستأجرة، ويقول أحدهما ـ وهو كاتب هذه السطور ـ من قصيدة:

يا جدّ ما برحت عيني مسهّدة حزناً عليك وقلبي يشتكي العطبا
ما مرّ يوم بقلبي ذكرُ مصرعكم إلّا وفاض سحاب الدمع وانسكبا
إن يقتلوكم ويقلوكم فما نسخوا ذكراً لكم وثناءً زيّن الكتبا

كما قال الشريف الرضي ـ رضي الله عنه ـ قبله:

يا جد ما زالت كتائب حسرة تغشى الضمير بكرها وطرادها
ابدا عليك وأدمع مسفوحة إن لم يراوحها البكاء يغادها

هذا ما أردنا إثباته في هذه العجالة، والله ولي التوفيق، وله الحمد والمنّة»[1].

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٨٩-٩٩.

المرحلة الخامسة

تتمثّل في ردود الفعل على رسالة «التنزيه» للسيّد الأمين، فقد جاءت ردود الفعل من مختلف طبقات المجتمع: علماء، وفضلاء، وخطباء، وشعراء، وعامّة الناس. واختلفت هذه الردود حسب مستوى الناس وثقافاتهم:

فمنهم من اكتفى بكلمات الاستغفار والدعوة لصاحب الفتوى، بالهداية.

وأظهر آخرون معارضتهم لها باللسان والكتابة والشعر.

وتجاوز البعضُ الحدود، فاتّهم السيّد الأمين بتُهم باطلة، وتجاسر آخرون عليه وعلى مؤيّديه بالسب واللعن.

فأحاول في هذه الأوراق أن أُبيّن ردود الفعل من المعارضين والمؤيّدين، وعلى عدّة مستويات:

رجال الدين:

عارض السيّد الأمين عددٌ كبير من رجال الدين، وفي مقدّمتهم مراجع دين، ومجتهدون، وكتّاب معروفون، منهم:

١) المرجع الدينيّ الكبير الميرزا حسين النائيني (ت١٣٥٥هـ)، عارضه في النجف الأشرف بإصدار فتوى بالجواز[١].

٢) المرجع الدينيّ الكبير الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (ت١٣٧٣هـ)، عارضه في النجف الأشرف بإصدار فتوى بالجواز[٢].

وكانت لفتوى هذين المرجعين أثر كبيرٌ في نفوس الناس في العراق وخارجه، حيث استغلّها بعض المغرضين لتأليب الرأي العام على السيّد الأمين.

٣) المجتهد الكبير الشيخ عبد الحسين صادق العاملي (ت١٣٦١هـ)، عارضه في النبطيّة بإصدار فتوى بالجواز[٣].

٤) المجتهد الكبير السيّد عبد الحسين شرف الدين (ت١٣٧٧هـ)، عارضه بإصدار فتوى بالجواز[٤].

وكانت لفتوى هذين العالمين أثرٌ كبيرٌ في لبنان.

وورد في رسالة ثورة التنزيه: «ومن أشرس مَن قاوم الدعوة في لبنان كان السيّد عبد الحسين شرف الدين، الذي كتب رسالة عنيفة أسَفَّ بها إلى سيىء القول، ونحّلها صهره الشيخ عبد الله سبيتي، كما أوعز إلى ولده السيّد

---

(١) معارف الرجال ٢: ٢٨٤، هكذا عرفتهم ١: ٢٠٧.

(٢) معارف الرجال ٢: ٢٧٢، هكذا عرفتهم ١: ٢٠٧.

(٣) معارف الرجال ٢: ٤١، هكذا عرفتهم ١: ٢٠٧.

(٤) معارف الرجال ٢: ٥١، هكذا عرفتهم ١: ٢٠٧.

محمّد علي بأن يصدر رسالة، وإلى ابن شقيقه السيّد نور الدين بأن يوالي حملاته.

وقد استغلّ موت إحدى قريباته من آل الصدر في العراق، فأقام لها أربعينيّة في صور، وحشد له من استطاع حشدهم من الناس، وألقى هو بصوته الجهوري خطاباً، هاجم فيه الدعوة وصاحبها، كما ألقيت قصيدة لصاحب الكتيب المار ذكره»[١].

٥) المجتهد والكاتب المعروف المجاهد الشيخ محمّد جواد البلاغي (ت١٣٥٢هـ)، وكانت معارضته فعليّة، فلم يُسمع منه أيّ كلام ضدّ السيّد الأمين، بل كان هذا الشيخ الجليل على ضعفه وكبر سنّه يخرج أمام مواكب العزاء يضرب على صدره ورأسه وقد حلّ أزراره وطيّن جبهته. وكان له مجلس عزاء كبير جدّاً يُقيمه في كربلاء المقدّسة يوم عاشوراء، لازال الناس يتحدّثون عنه[٢].

قال معاصره المؤرّخ الشيخ جعفر محبوبة (ت١٣٧٧هـ):

«وكم له أمام المناوئين للحسين عليه السلام من مواقف مشهودة، ولولاه لأمات المعاندون الشعائر الحسينيّة والمجالس العزائيّة، ولكنّه تمسّك بها والتزم بشعائرها وقام بها خير قيام»[٣].

---

(١) رسالة ثورة التنزيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٧: ١٣٩.

(٢) شعراء الغري ٢: ٤٣٦.

(٣) ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦٢.

وقال الشيخ محمّد هادي الأميني (ت١٤٢١هـ)، بعد أن حكى قول الشيخ جعفر محبوبة السابق:

«فحين أفتى بعض العلويّين في الشام ـ وتبعه علويّ آخر في البصرة ـ بحرمة الشعائر الحسينيّة، وزمّر وطبّل على هذه الفتوى كثير من المغرضين المعاندين، شُوهد هذا الشيخ الكبير على ضعفه وعجزه أمام الحشد المتجمهر للعزاء يمشي وهو يضرب على صدره وقد حلّ أزراره وخلفه اللطم والأعلام، وأمامه الضرب بالطبل. ومن آثاره إقامة المآتم في يوم عاشوراء في كربلاء، فهو أوّل من أقامه هناك، وعنه أُخذ حتّى توسّع فيه ووصل إلى حدّه اليوم»[(١)].

٦) الحجّة الشيخ عبدالله السُبيتي العاملي (ت ١٣٩٧هـ)، عارضه بتأليف رسالة «رنّة الأسى»، نظرة في رسالة التنزية لأعمال الشبيه، طبعت سنة ١٣٤٧هـ.

٧) العلاّمة الحجّة الشيخ محمّد علي الغروي الأردوبادي (ت١٣٨٠هـ)، ألّف رسالة «كلمات جامعة حول المظاهر العزائيّة»، طبعت لأوّل مرّة ضمن هذه المجموعة.

٨) الحجّة الشيخ محمّد حسن المظفّر (ت١٣٨١هـ)، ألّف رسالة في ردّه سمّاها «الشعار الحسيني»، طبعت سنة ١٣٤٧هـ.

٩) الحجّة الشيخ عبدالحسين قاسم الحلّي (ت١٣٧٥هـ)، عارضة بتأليف رسالة «النقد النزيه لرسالة التنزيه»، طبعت سنة ١٣٤٧هـ.

---

(١) معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام ١: ٣٥٣.

١٠) الشيخ محمّد علي النجفي (ربّما هذا اسم مستعار؛ لأنيّ لم أعثر على ذكرٍ له في كتب التراجم)، ألّف رسالة «إرشاد النبيه إلى خرافات التنزيه»، طبعت سنة ١٣٤٧هـ

١١) الحجّة السيّد علي نقي النقوي اللكهنوي (ت١٣٠٨هـ)، عارضه أيضاً برسالة «إقالة العاثر في إقامة الشعائر»، طبعت سنة ١٣٤٨هـ

١٢) الحجّة الشيخ عبدالمهدي المظفّر (ت١٣٦٣هـ)، ألّف في ردّه رسالة «إرشاد الأمّة للتمسّك بالأئمة»، طبعت سنة ١٣٤٨هـ

١٣) الحجّة السيّد محمد هادي البجستاني الحائري (ت١٣٦٨هـ)، عارضه بتأليف «رسالة في الشعائر الحسينيّة»، طبعت سنة ١٣٤٨هـ

١٤) الحجّة السيّد جليل الطباطبائي (ت١٤١٣هـ)، ردّه برسالة فارسيّة سمّاها «الحسين والإسلام»، طبعت سنة ١٣٧٤هـ

١٥) الخطيب الحسيني السيّد مهدي السويج (ت١٤٢٣هـ)، ألّف في ردّه رسالة «الفتاوى والتقارير في جواز العزاء والتشبيه والسلاسل والتطبير»، طبعت سنة ١٣٧٦هـ

ووقفتُ على أسماء بعض الرسائل، ألّفت للردّ عليه، لم أعثر عليها لحدّ الآن، ولم أجد من وصفها، وهي:

١٦) رسالة في الشعائر الحسينيّة، للسيّد نور الدين شرف الدين.

١٧) مطارحة علميّة في الشعائر الحسينيّة، للسيّد علي نقي اللكهنوي (ت ١٣٠٨هـ)، وهي غير رسالته التي ذكرناها برقم ١١ «إقالة العاثر».

١٨) التنبيه على جواز الشبيه، للسيّد محمّد مهدي الأصفهاني.

١٩) الراية الحسينيّة، للسيّد محمّد علي شرف الدين العاملي.

٢٠) السياسة الدينيّة لدفع الشبهات على المظاهرات الحسينيّة، للشيخ عبدالمهدي المظفّر (ت١٣٦٣هـ).

ومن المراجع ورجال الدين الذين أيّدوا السيّد الأمين في فتواه:

(١) المرجع الديني الكبير السيّد أبوالحسن الأصفهاني (ت١٣٦٥هـ)، أيّده باصدار فتوى بالتحريم[١].

(٢) المجتهد المجاهد الشيخ عبدالكريم الجزائري (ت١٣٨٢هـ)، أيّده باصدار فتوى بالحرمة، وقد أثرّت فتواه كثيراً في أوساط الشباب.[٢]

(٣) المجتهد المجاهد السيّد هبة الدين الشهرستاني (ت١٣٨٦هـ)، أصدر فتوى بالحرمة، وقد أثّرت فتواه في بعض مدن إيران.[٣]

(٤) المجتهد الحجّة الشيخ جعفر البديري (ت١٣٦٩هـ)، أيّده وسانده كثيراً[٤].

---

(١) أعيان الشيعه ٢:٣٣١، هكذا عرفتهم ١:٢٠٧. وهناك من يذهب إلى غير ذلك، أيّ أنّ السيّد الأصفهاني لم يؤيّده، واتخذ جانب الصمت، وفتواه التي أصدرها كانت عامة، لايوجد فيها تأييد ولا معارضة، وسوف نتعرّض لهذا الموضوع بشكل مفصل في هذه الرسالة.

(٢) هكذا عرفتهم ١:٢٠٩.

(٣) أعيان الشيعة ١٠:٢٦١، هكذا عرفتهم ٢:٢١٢.

(٤) هكذا عرفتهم ١: ٢٠٩.

(٥) الحجّة السيّد حسين الحسيني البعلبكي (ت١٣٩١هـ)، أيّده كثيراً عندما كان في النجف الأشرف، وكذلك في لبنان[١].

قال الأُستاذ جعفر الخليلي: «ومنهم ـ أي الذين أيّدوا السيّد الأمين ـ الجريء العامل، والموالي المؤيّد بالعقيدة، السيّد حسين البعلبكي، وهو صهر لأخت السيّد محسن الأمين»[٢].

(٦) الحجّة الشيخ عبد المهدي الحجّار (ت١٣٥٨هـ)، كتب رسالة «نصرة الفقيه» تأييداً له.[٣]

(٧) الحجّة الزاهد الشيخ علي القمّي (ت١٣٧١هـ) وقد أظهر تأييده علناً وفي المجالس والمحافل[٤].

---

(١) هكذا عرفتهم ٣: ٢٢٩.

(٢) هكذا عرفتهم ٣: ٢٣١.

(٣) نسبها إليه الشيخ محمّد الكَنجي (ت ١٣٦٠تقريباً) في رسالته «كشف التمويه عن رسالة التنزيه» المطبوعة ضمن هذه المجموعة ، إذ عدّها من الرسائل المؤيّدة للسيّد محسن الأمين قائلاً:

«وقد أهملنا ذكر بعض التحقيقات حول مواضيع رسالة «التنزيه»، اكتفاءً بما تضمّنته رسالة الأستاذ العلاّمة المفضال الشيخ عبدالمهدي الحجّار، التي سمّاها «نصرة الفقيه».

ونحن سابقاً ـ في رسالتنا الصغيرة المسماة «قراءة في رسالة التنزيه» المطبوعة سنة ١٤٢٣، في الصفحة ٢٦ ـ نسبنا رسالة «كلمة حول التذكار الحسيني» للشيخ مهدي الحجّار، باعتبارها من الرسائل المعارضة للسيّد الأمين، وهذا غيرصحيح، إذ أنّ هذه الرسالة للشيخ محمّد جواد الحچامي (ت ١٣٧٦هـ).

(٤) هكذا عرفتهم ١: ٢٠٩.

(٨) الحجّة الشيخ محمّد الگنجي (ت١٣٦٠هـ)، أيّده بتأليف رسالة مستقلّة، سمّاها «كشف التمويه عن رسالة التنزيه»، طبعت سنة ١٣٤٧هـ.

قال الأُستاذ جعفر الخليلي: «وكان من أبرز دعاة التحريم بعد طبقة العلماء الكبرى من النّجفيين الشيخ محمّد الگنجي، الذي سخّر قلمه ولسانه وكلّ نشاطه في شجب الضرب بالسيوف، وقد شجّعت جرأته الكثيرين على الالتفاف حوله»[1].

(٩) الحجّة الشيخ محسن شرارة (ت١٣٦٥هـ)، أيّده بالكتابة في الصحافة، قال الأُستاذ جعفر الخليلي: «أمّا البارزون من غير النجفيين ـ أي الذين أيّدوا السيّد الأمين ـ فقد كان الشيخ محسن شرارة، وكان من العناصر المليئة بالإيمان وحرارة الدعوة في تحريم هذه التقاليد، وهو رجل لم ينل بعد يومذاك درجة الاجتهاد، فالتفّ حوله من أهل بلده من العامليين جماعة»[2].

(١٠) الخطيب الأديب الشيخ علي جمّال (ت ١٤٠٤هـ)، من تلاميذ السيّد الأمين، وأحد المدرّسين في المدرسة العلويّة، ألّف رسالة «دفع التمويه عن رسالة التنزيه» انتصاراً لأستاذه ودفاعاً عن «التنزيه»، طبعت سنة ١٣٤٧هـ.

(١١) محمّد القاسم الحسيني النجفي، كتب دفاعاً عن السيّد الأمين رسالة «ثورة التنزيه»، طبعت سنة ١٤١٦هـ.

---

(١) هكذا عرفتهم ٣: ٢٣٠.

(٢) هكذا عرفتهم ٣: ٢٣١.

وأخيراً وقفت على رسالتين لاثنين من المستشرقين المعاصرين:

الأولى: «اختلاف آراء العلماء في بعض أنواع العزاء في شهر محرّم» للمستشرق الألماني ورنر انده، ترجمها إلى الفارسية جعفر جعفريان، وطبعت في المجلّة الفارسية «آينه پژوهش» ـ مرآه التحقيق ـ في عددها ٨٤.

والثانية: «وقوف رجال الدين الإصلاحيين في لبنان أمام تحريف واقعة عاشوراء» للمستشرقة الفرنسية سابرينا مرون، ترجمها إلى الفارسيّة حسن فرشتيان، طُبعت سنة ٢٠٠٠م=١٤٢٠هـ.

في هاتين الرسالتين ـ اللتين دافعتا عن آراء السيّد الأمين في «التنزيه»، والسيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني في «الصولة»ـ ملاحظات كثيرة، إذ هما يصوّران الاختلاف بين العلماء حول الشعائر الحسينيّة بأنّه صراع عائلي، بل صراع مرجعيّات ومصالح ماديّة، وهذا ناشئ عن جهلهما بهذه الشعائر المقدّسة ومكانتها عند المؤمنين.

رسائل أُلّفت حول هذا الموضوع:

تضمّ حوزة النجف الأشرف ـ التي أسّسها الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، قبل ألف عام تقريباً ـ علماء كبار، ومراجع دين أتقياء، وكتّاباً لامعين، يصلون الليل بالنهار في عمل دؤوب، لا يعرفون الملل والضجر، همّهم الأوّل والأخير مرضاة الله سبحانه وتعالى، وذلك عبر المحافظة على الدين الإسلامي الحنيف وصونه عن أيّ تغيير يطرأ عليه، أو أيّ أفكار دخيلة تصل إليه.

وما إن وصلت إلى النجف الأشرف رسالة «التنزيه» حتّى انقسم الكتّاب فيها إلى معارضين وهم الأكثر، ومؤيدّين وهم القلّة القليلة، فألّف بعضهم رسائل ردّاً على رسالة الأمين، يأتي الحديث عنها مفصّلاً قريباً إن شاء الله تعالى.

وأمّا الكتّاب المؤيّدون للسيّد الأمين ـ وكانوا قلّة قليلة ـ فقد واجهوا موجةً عارمةً ملتهبة من كلّ حدب وصوب، أدّت إلى ابتعاد بعضهم عن الأنظار خوفاً من الناس.

ومع ذلكّ كلّه فقد جمعوا قواهم وأوعزوا إلى أحدهم تأليف رسالة مؤيّدة للسيّد الأمين، فقام الحجّة الشيخ محمّد الگنجي (ت١٣٦٠هـ)، بجمع فتاوى العلماء والمجتهدين المؤيّدين لما في رسالة «التنزيه»، وطبعها في رسالة مستقلّة سمّاها «كشف التمويه عن رسالة التنزيه»، طُبعت في المطبعة العلويّة في النجف الأشرف سنة١٣٤٧هـ[١]، وطبعت أيضاً ضمن هذه المجموعة.

وفي الترجمة المفصّلة الكاملة لحياة السيّد الأمين ـ التي كُتب أكثرها بقلمه الشريف ـ المطبوعة في آخر موسوعته الكبيرة «أعيان الشيعة» وردت عدّة عبارات لكتّاب معروفين، أيّدوا فيها آراء السيّد الأمين في رسالته «التنزيه»:

قال الدكتور علي الوردي (ت ١٤١٥هـ):

«يعجبني من المصلحين في هذا العصر رجلان: الشيخ محمّد عبده في مصر، والسيّد محسن الأمين في الشام... وإنّي لا أزال أذكر تلك الضجّة

---

(١) الذريعة ١٨: ٢٤ / ٤٩٢، أعيان الشيعة ١٠: ٣٨٢.

التي أُثيرت حول الدعوة الإصلاحيّة التي قام بها السيّد محسن قبل ربع قرن. ولكنّه صمد لها وقاومها باسلاً، فلم يلين ولم يتردّد وقد مات السيّد أخيراً، ولكن ذكراه لم تمت ولن تموت، وستبقى دهراً طويلاً حتّى تهدم هاتيك السخافات التي شوّهت الدين وجعلت منه أضحوكة الضاحكين»[1].

وقال الشيخ محمّد رضا الشبيبي (ت ١٣٨٤هـ):

«شنّ السيّد الأمين حرباً شعواء على الخرافات والأوهام الشائعة، وعلى العادات التي اعتبرت ديناً عند بعض الطبقات، وما هي من الدين ولا من الشرع الشريف في شيء، فهو في طليعة المنادين في الدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي في الشرق العربي وفي غيره من الأقطار»[2].

الصحف:

كانت الصحافة هي الشرارة الأولى لهذه الحركة الإصلاحية ـ كما بيّنا سابقاً ـ فقد قامت صحيفة «الأوقات العراقية» وصحيفة «العهد الجديد» البيروتية بنشر آراء السيّد محمّد مهدي الموسوي البصري والسيّد محسن الأمين.

ولأهميّة هذه القضيّة وحساسيّتها؛ لأنّها تعدّ من الشعائر والمعتقدات التي لا يمكن المساس بها عند عامّة الناس، نرى أنّ الصحف وفي مختلف البلدان الإسلاميّة قد ألقت بدلوها وأعطت رأيها فيها.

---

(١) أعيان الشيعة ١٠: ٣٨٢.

(٢) أعيان الشيعة ١٠: ٣٨٣.

والمؤيّدون للسيّد الأمين لجأوا إلى الصحف أكثر من المخالفين له ؛ لأنّهم القلّة القليلة، وقد سُدّت الأبواب في وجوههم، ولا وسيلة للدفاع عن آرائهم؛ لذلك اتّخذوا من الصحافة الحرّة ميداناً رحيباً لأقلامهم، فكتبوا فيها وكتبوا، حتّى أنّ البعض منهم كتب بأسماء مستعارة كـ «حبيب بن مظاهر» و«أبي فراس»[(١)].

وقد وقفت أثناء عملي في هذه المجموعة، على أسماء مجموعة من الصحف والمجلاّت، كُتبت فيها عدّة مقالات آنذاك، تأييداً أو معارضة لإقامة بعض الشعائر الحسينيّة، منها: جريدة الأوقات العراقيّة الصادرة في البصرة، صحيفة العهد الجديد اللبنانيّة، صحيفه ديوان ميسج الهنديّة الصادرة باللغة الانكليزيّة، وجريدة حبل المتين الهنديّة الصادرة باللغة الفارسيّة، وكذلك جريدة الإبلاغ الهنديّة الصادرة باللغة الفارسيّة، وجريدة الأهرام المصريّة، ومجلّة المقتطف والمقطم أيضاً، وجريدة (چهره نما) المصريّة الصادرة باللغة الفارسيّة، ومجلّة العرفان اللبنانيّة، ومجلّة المرشد العربي السوريّة، وظَفَر عراق البغداديّة، وصحيفة الهاتف العراقيّة.

وصحيفة الهاتف وإن كانت صدرت متأخّرة عن زمان الفتوى، إلّا أنّ صاحبها الأستاذ جعفر الخليلي كان له دور فعّال في مناصرة السيّد الأمين سنة ١٣٤٤هـ وما بعدها، إذ يقول: «ولمّا كنتُ يومذاك موظّفاً فقد نشرتُ مقالاتي في الجرائد بتواقيع مستعارة»[(٢)].

---

(١) أعيان الشيعة ١٠: ٣٨١.

(٢) هكذا عرفتهم ١: ٢٠٩.

وهكذا فعل الشيخ محسن شرارة، وسلمان الصفواني، إذ كتبا مقالات في الصحف اللبنانيّة بأسماء مستعارة.

وأمّا المعارضون للسيّد الأمين فلم يلجأوا إلى الصحف ـ كما قلنا ـ لوجود قنوات كثيرة لهم يُبيّنون فيها آراءهم، ومع ذلك فقد كتب أحدهم ـ وهو السيّد نور الدين شرف الدين ـ مقالاً في صحيفة لبنانيّة يردُّ فيها على السيّد الأمين ورسالته «التنزيه».

فانبرى له في هذه المرة السيّد الأمين وردّ عليه بمقالة مفصّلة، كما وانبرى للرّد عليه بمقالة مفصّلة أُخرى شخص آخر وقّع مقالته باسم «حبيب ابن مظاهر»[(١)].

وقد أفردنا فصلاً خاصاً في آخر هذه المجموعة ذكرنا فيه ما عثرنا عليه من هذه المقالات المنشورة في الصحف و المجلاّت.

الشعراء والخطباء:

من الطبيعيّ جدّاً أن يشارك الخطباء ـ وبعضهم شعراء في نفس الوقت ـ في هذا الصراع الفكري، فيؤيّد بعضهم السيّد الأمين ويعارضه آخرون. وهو حقّ من حقوقهم، كغيرهم من العلماء والكتّاب والمثقّفين الذين أيّدوا وعارضوا.

لكن أن يأتي شاعر ويتعدّى الحدود المرسومة ويتجاسر على السيّد الأمين ومؤيّديه وينعتهم بنعوت باطلة، ويتلاعب بعقول الناس ويحاول تمويه

---

(١) أعيان الشيعة ١٠: ٣٨١.

الحقائق عليهم، فهذا غير مسموح به، ولا أعتقد أنّ التأريخ سوف يمحو هذا عن صفحاته.

وعلى كلّ حال، فمن الشعراء الخطباء الذين كان لهم دور بارز في هذه الأحداث، هو الشاعر الكبير والخطيب المفوّه السيّد صالح الحلّي (ت١٣٥٩هـ)، الذي مدحه وأثنى عليه وعلى مقدرته الخطابيّة محبّوه ومبغضوه[١].

ومع ذلك كلّه نرى أنّ السيّد الحلّي يقف موقفاً معارضاً، بل معادياً ومعانداً للسيّد الأمين، ويتعرّض له في مجالسه بالتصريح تارةً وبالإشارة اُخرى، ويصفه بصفات باطلة، وممّا قاله فيه:

يـا راكبـاً أمـا مـررت بــ (جلّـق)[٢] فأبصق بوجـه (أمينهـا) المتزنـدق[٣]

ولم يكتف بذلك فقط، بل شنّ حملة شعواء على كلّ المؤيّدين والمناصرين للسيّد الأمين، فأخذ ينهال عليهم بالطعن والاتهامات الباطلة، حتّى وصل به الأمر إلى أن تجاسر على المرجع الدينيّ الكبير السيّد أبو الحسن الأصفهاني ؛ لأنّه أيّد السيّد الأمين.

«فشنّ عليه غارة واسعة عنيفة بكلّ معنى العنف، ولم يترك لوناً من ألوان الزراية بالكناية والتصريح إلّا وصبغ به السيّد أبو الحسن من فوق المنابر التي كان يرقاها، فكان يتصرّف من فوقها تصرّف المالك، ويميل بها

---

(١) انظر: البابليّات ٤: ١٣٣، أدب الطفّ ٩: ٢٠٤ – ٢٠٥.

(٢) جلّق: دمشق. معجم البلدان ٢: ١٥٤ «جلّق».

(٣) هكذا عرفتهم ١: ٢٠٨.

أنّى شاء، بما كان يملك من مقدرة وموهبة وجرأة رفعته إلى أعلى الدرجات في سماء الخطابة والبلاغة»[١].

فأصدر السيّد أبو الحسن الأصفهاني فتوى حرّم بها الاستماع لقراءة السيّد صالح الحلّي، فأرخ ذلك الشاعر الشيخ علي بازي قائلاً:

أبو حسن أفتى بتفسيقِ (صالح)   قراءته أرّختها (غير صالح)[٢]

وقال أيضاً يهجوه:

مُذ تردّى الشقيّ بالغي جهلاً   وإمام الزمان طُراً جفاه
قلتُ: يا من قد أرخوا (أحقيق   قد رمى الله صالحاً بشقاه)[٣]

علماً بأنّ السيّد محسن الأمين أثنى على السيّد صالح الحلي في رسالته «التنزيه» قالاً:

«ولا ننكر أن فيهم ـ أي الخطباء ـ الفضلاء الكاملين الذين يفتخر بأمثالهم، وقليل ما هم، كالسيّد صالح الحلّي خطيب الذاكرين ومفخرة القارئين وأمثاله»[٤].

ويقول الأستاذ جعفر الخليلي نقلاً عن السيّد الأمين عند زيارته في دمشق:

---

(١) هكذا عرفتهم ١: ١٠٨.

(٢) شعراء الغري ٦: ٣٦٩، هكذا عرفتهم ١: ١١١.

(٣) شعراء الغري ٦: ٣٦٩.

(٤) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة)٥:٣٥.

«وأذكر في ما أذكر أنّه قال لي ما مضمونه: إنّ السيّد صالح الحلّي هو أحسن خطيب عرفته المنابر الحسينيّة، وأنا أودّ أن نعدّ الخطباء على غراره إذا ما أردنا أن ننبّه الناس ونوجّههم توجيهاً صحيحاً، أمّا موقفه ضدّ الحركة الإصلاحية وضدي أنا فله تفاسير أُخرى لا يجوز أن تصدّنا عن قول الحقيقة»[1].

ويقال: إنّ السيّد رضا الهندي كان من المعارضين للسيّد الأمين، وقد قال فيه:

ذريّــــة الزهـــــراء إن عــــددت   يومــاً ليطــرى النــاس فيهــا الثنــا
فــــلا تعـــدوا (محســـناً) مـــنهم   لأنّهـــا قـــد أســـقطت محســـنا

وقيل: إنّ هذين البيتين في السيّد محسن أبو طبيخ.

وكان للشيخ عبدالحسين صادق العاملي (ت ١٣٦١هـ) مقاطع شعرية، بل قصائد في الردّ على السيّد محسن الأمين وآرائه في بعض الشعائر الحسينيّة:

منها: عندما زوّج ابنته من السيّد محمّد جواد ابن السيّد عبدالحسين شرف الدين، قال:

فارشـــف مـــن شـــفتيه اللمـــا   واحظـــى مـــن تفاحـــة الـــوجنتين
تجـــدني إذن تاركـــاً مـــذهبي   كمن سنّ تحريم ندب الحسين

ومنهــا: مــا ورد فــي ديوانــه ـ ديــوان الشــيخ عبدالحســين صــادق

(١) هكذا عرفتهم ١: ٢١٤ ـ ٢١٥.

ص ١٠٤ـ المسمّى «سَقَطُ المتاع»، قصيدة بعنوان «بين الأسى والحزن»، نذكرها بكاملها مع الهوامش تعميماً للفائدة:

بين الأسى والحزن

دهت فحنت ظهر الهدى والمكارم	على مثل حز المرهفات الصوارم
دهت فمحت أم الكتاب ومزقت	أثيمة يمناها صحيفة فاطم
دهت فطوت سجادة علوية	تقطّع أعناق الدجى بالعزائم[1]
دهت فخلا المحراب من بنت عصمة	مرتلة فيه قراءة عاصم[2]
خلا منبر الإرشاد من بنت صدره	تزين تراقيه بلؤلؤ ناظم[3]
خلا الكون من طهر المآزر، مريم	البتول، وأم الفضل بنت مزاحم[4]
لها النسب الحضّان كل ابن مفخر	إلى جدها باب الحوائج كاظم[5]
بكته السما والأرض في حمرتيهما	وآدم والأبرار من صلب آدم

---

(١) العزائم: هي الآيات القرآنية التي فُرض عند تلاوتها السجود.

(٢) بنت عِصمة: كناية عن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام.

(٣) لتراقي، مفردها تَرْقوة: أعلى الصدر حيث يترقى فيه النفس، لؤلؤ ناظم: كناية عن الخطب والمواعظ الرصينة السامية التي تلقى من على منبر الإرشاد.

(٤) مريم البتول: السيدة مريم العذراء عليها السلام، أم الفضل بنت مزاحم: هي حفيدة الإمام موسى الكاظم عليه السلام، كما يصرح الشاعر نفسه في البيت التالي، مزاحم: هو التابعي الجليل مزاحم بن معاوية الضبي، نقلا عن أبي ذر (محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، مجلد ٨، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، دون تاريخ، مادة زحم ص ٣٢٣).

(٥) كاظم: هو لقب الإمام السابع للشيعة الإثني عشرية، وهو موسى بن جعفر الصادق (١٢٨-١٨٣هـ/ ٧٤٥-٧٩٩م) مات مسموماً في سجن هارون الرشيد، وقبره في الكاظمية ـ بغداد.

مصـــــيبته أم المصـــــائب كلهـــــا وما أتمـــه جمّـــاع شـــمل العظـــائم
فما المعول النجدي أدهـى مصيبة مـن القلـم الجـاري بمنـع المـآتم
كـلا ذيـن هـدّام لمـا شـاد أحمـد ولكــن يــراع المنــع أكبــر هــادم
حسـامان مشـحوذان سـم خديعـة ولا تنطلـي إلّا علـى غيـر فـاهم[1]
فليس يُميت المرء توزيع جسمه ببـيض الطبـا أو شـكه باللهـاذم[2]
ولا طمـس مثـواه وإعفـاء رمسـه ولا لثــراه منــع شــدّ الرواســم[3]
ولكـنّ مـوت المـرء إبطـال ذكـره وكتمانـه فـي الصـدر بـين الحيـازم
عدو الفتى من لا يرى ذكـره سـوى شـجا واقـف بـين اللهـا واللهـازم[4]
معـــالم ديـــن الله ذكـــر هداتـــه وكتمـان هـذا الـذكر محـو المعـالم
وما الخطوة الأولى إلى محوه سوى الـدعاء إلـى إلباسـه ثـوب كـاتم
وثانيـــة المشـــؤومتين انعدامـــه بتاتـــاً، كمـــا يهـــواه، طيّـــة عـــادم
أقـول لسـيماء الصـلاح لـك الهنـا فما أنت لابن المصطفى غير خـادم[5]
فـإن نلـت حظـاً مـن رضـاه بخدمـة فـلا تبتـئس فـي مفظعـات الشـتائم
رمـاك بكـذب وافتـراء فقـل لـه رويـدا تـورع عـن مقالـة آثـم

---

(١) لا تنطلي: لاتخفى ولا تنستر.
(٢) اللهاذم جمع لهذم: القاطع من الأسنة والسيوف.
(٣) الرواسم: مفردها الرؤسم: العلامة والرسم.
(٤) اللهازم جمع لهزمة: عظم ناتئ تحت الأذن.
(٥) سيماء الصلاح: إشارة إلى عنوان كتاب الشاعر: "سيماء الصلحاء" المطبوع في المطبعة العصرية في صيدا، دون تاريخ.

رمـاك ومـا أدهـى وأدهـم مـا بـه ... رمـاك بتضـليل الـورى للـدراهم
فقـل حبـذا ذكـر الحسـين ضـلالة ... وأحبـب بـرزق منـه طهـر المغـانم
تبــرّأ مـــن مـــالي يتـــيم وأيّـــم ... ومـن حـق مسـكين وردّ مظـالم(١)
ومـا هـو إلّا مـال أجـود مـن وطـا ... أديـم الثـرى مـن نسـل حـوا وآدم
فلـم يبلـغ الكعبـان بـالجود كعبـه ... ومن دون شسعي نعله جود حاتـــم(٢)
إمـــام أباحـــت كفـــه كـــلّ مالـــه ... لشـــيعته طـــراً لطيـــب المطـــاعم
علـى أننـي، والله يشـهد والـورى، ... وكلّ ابـن سِـلْمٍ لـي وكـلّ مخاصـم
بريء ولـم أخـدم عـزاء ابـن حيـدر ... لجـــرّ انتفـــاع أو لـــدفع مغـــارم
فقل، بعد ذا بي، ما تشاء فلـم يكـن ... بمخف شعاع الشـمس مـرُّ النسـائم
علـيّ عزيـز أن أراك بـرزت لـي ... تناضـــلني فيهـــا بـــروز مخاصـــم
تجـــادلني لابـــل تجـــادلني ومـــا ... كلامـــك إلّا قطعـــة مـــن تلاكـــم
كأنـك لـم تشـعر بمـن حولنـا وهـم ... إلـى شـامت هـذا وهـذا لشـاتم
وقـــوفٌ يمـــدّون الرقـــاب تطلّعـــاً ... علينـا ويفتـرون عـن سـنّ باسـم
يودون أن لا دين فـي الكـون ماثـل ... ولا ملّـــــة إلّا رهـــــين رمـــــائم

---

(١) أيم: صفة المرأة التي فقدت زوجها، رد المظالم: تعبير فقهي يعني أن يعيد الظالم إلى مظلوميه ما استلبه منهم.

(٢) الكعبان: هما: كعب بن مامة الإيادي، كريم من أجواد العرب الجاهليين، ضُرب المثل بجوده، وكعب بن أروى من أجواد العرب أيضا، حاتم: هو حاتم الطائي (توفي أواخر القرن السادس الميلادي) شاعر جاهلي اشتهر بشجاعته و سخائه وكرمه حتّى ضُرب به المثل، له ديوان شعر.

فقـــم ناصـــباً للتـــوّب أرفـــع ســـلّم على قدر شأو السطح شأو السلاسم(١)
وهاك يدي فاضرب بها كـلّ ملحـد وســـالم بهـــا للـــدين كـــلّ مســـالم
غضبتَ، وما من مغضب، فجريت في يراعتـك الغضـبى رخـيّ الشـكائم
فمـا أنـا بالزنـد الـذي إن حككتـه بقـدح تبـدّت منـه نـار التخاصـم
زعمـتَ بـأني لاسِـبٌ لـك لاسـعٌ أبن لـي جليـاً صـدق تلـك المـزاعم
لعمري، لم تنطق بسوء إلـى امـرىء شفاهي، ولـم تنطف بذاك مراقمـي(٢)
خُلقـت ومـن فضـل الإلـه ومنّـه خُلقت وحسن الصبر ملء حيـازمي
تركـت الجفـا والعمـر فـي عنفوانـه أأفعلـه مـن بعـد شـيب اللمـائم؟(٣)
إذا خسرتْ، بعـد المـرابح، صـفقتي وبـاءت سـنو عمـري بشـرّ الخـواتم
كتمتُ اسمك الميمون كي لايمسه بســـوء لســـانا مســـتخف وشـــاتم
فأبـداه تنزيـه الكـرام إلـى الـورى فنالـك منـه غصـة فـي الحلاقـم
ظننـتَ، وبعـض الظـن إثـمٌ، بـأنني لهاشم لم أنسـب وأنـت ابـن هاشـم
ولا يســـتوي الإثنـــان:فاقـــد أهلـــه ومســـتأجر يبكـــي لهـــم بالـــدراهم
بلـى ولـدتني الموسـويات والـذي تولّـد منهـا فهـو أعلـى الهواشـم
وهـب لـم تلـدني بضـعة فاطميّـة فمـــا أنـــا إلّا عبـــد بضـــعة فـــاطم
مودتـــه مغروســـة فـــي حشاشـــتي وعقـد ولاه نـائط فـي لهـازمي(٤)
تأمـل معـي واقـتص آثـار مـن مضـى أهل غير قرباهم لهـم مـن مخاصـم؟!

---

(١) الشأو: من معانيه الغاية، يُقال: "فلان بعيد الشأو": عالي الهمة.
(٢) تنطُف: ماضيه نطف الرجل فلانا: قذفه بفجور أو لطَّخه بعيب، مراقم: مفردها مرقم: القلم.
(٣) اللمائم، مفردها لميمة: لمة الشعر.
(٤) نائط: اسم فاعل من ناط الشيء: علقه، يقال: "نيط عليه الشيء": علقه عليه.

أحربٌ لهم سلم، أصخر وولده، ... أأبناء عباس، أبعض الفواطم؟
وفي الفم ماء، ههنا، لا أمجه ... وإن كان في الحلقوم صاب العلاقم[١]
طريف، لعمري، قوله أهل عامل ... مضوا بين مخفٍ للعزاء وكاتم
أجل هكذا كانوا، بظل أراكة التقيّة، ... مرعوبين من سيف ظالم
ولو ملكوا حرية اليوم طبقوا ... رحيب الفيافي في دوي اللواطم[٢]
هم السلف الأبرار آه عليهم ... وآه على تلك العظام الرمائم
وآه على أهل الزعامة منهم ... بهم كان محفوظاً كيان العمائم
بني عامل هل يومكم، مثل أمسه، ... منير بشمس للعلى والمكارم؟
أرى، من وراء الأكمة اليوم، جثّما ... إذا تركوا هبوا غداً كالضياغم[٣]
يدبون لكن لا دبيب عقارب ... ويسعون لكن لا كسعي أراقم
ومن قصدهم تحوير كل شريعة ... وإطفاء نور الله من كل عالم

ومنها: قصيدة باسم «عُفر الضباء»، وهي مطولة شعرية، تتضمّن جملة مواضيع اجتماعيّة، وتبدأ بالنسيب، تبلغ ١٢٩ بيتاً، شرحها باستفاضة نجل الشاعر الشيخ حسن، ونشرها في كتاب مستقلّ مع قصيدة ثانية لوالده هي

---

(١) العلاقم: مفردها العلقم: نبات شديد المرارة.

(٢) الدويّ: صوت الرعد، اللواطم: مفردها اللاطمة، اسم فاعل مؤنث من لطمه: ضرب خده أو صفحة صدره بكفه المفتوحة.

(٣) الأكمة: التل المرتفع عمّا حوله، وقد سكّن الشاعر وسطها لضرورة الوزن، الجُثم: مفردها الجاثم: القاعد، الضياغم: مفردها الضيغم: الأسد.

«الشمس وبنو عبد شمس»، ونحن نثبت هنا مقطوعة منها وردت في ديوانه المسمّى «سَقَطُ المتاع ص ٣٧٥»:

ذَر ذي وخـض فـي فئـة أغضـبت — البـاري وأرضـت ضـلَّة يزيـدها
على مقيمـي مـأتم السبط، انبـرت — لوّامـة مفظعـة تفنيـدها
تـرى إقامـة العـزاءِ بِدعـة — جديـدة يـأبى الهـدى تجديـدها[1]
أمـا درت أن النبـي سـنّها — ،لعـمّه، مستـحسناً مـزيدها[2]
ألـم تـرد، بـه، صـحاح جمّـة — لايجهـل ابـن سُـنّة ورودهـا؟![3]
من قاصمات الظهر منع اللطم — للصدر وإدماء الورى جلودها
على مَن الله، له، أبكى السما — دماً، وأوحى للرُّبى مميدها
وفجّـر الأرض عيونـاً فجـرت — ،في علق، فأفعمت أخدودها[4]
نكباء لم تكشف ذيول الدهر عن — نظيرهـا ولـم تلـد نديـدها [5]
بكت جميع الرسل من مسموعها — ما حالهم لو عاينوا مشهودها؟!
والمصطفى، والمرتضى، وفاطم، — والمجتبـى، تجرعـوا صـديدها

---

(١) بدعة جمع بِدَع: ما أحدث من عقيدة لم تستند إلى كتاب أو سنة.

(٢) سنها لعمه: شرعها النبيﷺ لعمه حمزة بن عبدالمطلب الذي استشهد في معركة أُحد.

(٣) لا يجهل ابن سنة: كناية عن العالم بالسنة المتبع لها وقد وردت في «صحاح الأخبار» أقوال كثيرة عن إقامة العزاء على شهداء كربلاء.

(٤) العلق: الدم المتماسك، الأُخدود: الحفرة في الأرض.

(٥) النديد: المثل والنظير.

والتسـعة الغـر، أيمـة الهـدى، مفتّـت، فـرط الأسـى، كبودهـا
بـل مقـرح، كمـا أتـى عـن الرضـا، آماقهـا، ملزمهـا تسـهيدها[١]
قـد نـزل السـجاد فيهـا نـزلاً مُصـدّعاً، مـن نفسـه، جلمودهـا[٢]
فـي كـلّ يـوم غشـية لـه فـان سُـرّي عنهـا جـدّ أن يعيـدها
أخدشـة الجلـد مضـرة، شـديد وطؤهـا، فـالله لـن يريـدها
والسـهد، والأسـقام، والتقـريح، والإغمـاء لمّـا يبلغـوا شـديدها
أمُـتَّ، يـا إنصـاف، أم فقـدت، يـا منصـف، أم ضـللت يـا رشـيدها؟!
أم أنـت، يـا سـيّالها قريحـة، ترضـى، علـى جهالـة، جمودهـا
أم لـم يجـب تقليـد آل المصـطفى والمصـطفى ملزمنـا تقليـدها

وللشيخ محمّد ابن الشيخ محمّد تقي التستري (ت ١٣٥٥هـ) مقطوعة شعريّة في الردّ على السيّد محسن الأمين، ذكرها الأخ العزيز والصديق الوفيّ الأديب الدكتور جودت القزويني في كتابه «الروض الخميل» ج ٩ ص ١٢١، عند حديثه عن أحد مؤلّفات هذا العالم وهو كتاب «التحقيقات المحمّدية في استحباب الشعائر الحسينية»، قائلاً:

«كتاب مخطوط يقع في «٣٠٦» صفحة، مؤلّفه الشيخ محمد ابن الشيخ محمّدتقي آل أسدالله التستري المتوفى سنة ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م.

---

(١) جاء في الروايات الشيعية أنّ الإمام الثامن علي الرضا عليه السلام (توفي ٢٠٣هـ/٨١٨م)، قال: «إنّ يوم الحسين أقرح جفوننا وأسبل عيوننا، بأرض كربلاء، وأورثنا الكرب والبلاء...».

(٢) السجّاد: لقب الإمام الرابع علي بن الحُسين الملقب بـ «زين العابدين» (٣٨-٩٥هـ/٦٥٨-٧١٢م) وُلد وتوفي في المدينة.

كُتبَ على صفحته الأولى: «هذا الكتاب المستطاب المسمّى بالتحقيقات المحمدّية في استحباب الشعائر الحسينيّة، من تصنيفات العالم الربّاني والعلاّمة الثاني، مروّج الأحكام حجّة الإسلام الشيخ محمّد (دام بقاه)، خلف المرحوم آية الله الشيخ محمد تقي طاب ثراه آل العلاّمة الشيخ أسدالله الكاظمي قدّس الله سرّه ومثواه أمين».

ألّفه ـ كما يظهر ـ على إثر فتوى السيّد محسن الأمين في تحريم (التطبير)، وهو مغاير لفتوى الأمين.

قال في أوله: «رأيتُ بعض مَنْ له الاسميّة في المراكز العلميّة، وقد اختلجتْ في فكره الثاقب شبهات أدّتْ به إلى تحريم التشبيهات الحسينيّة، وما يتعلّق بها من المواكب. فأحببتُ أنْ أكتبَ كتاباً تنجلي به الحقائق، وتظهر فيه النكات والدقائق، ويرفع توهمات المشتبهين، وقد سمّيتهُ: «التحقيقات المحمّدية في الشعائر الحسينيّة».

وقد رتّبه على أبواب خمسة، وكلٌّ باب يشتمل على فصول.

والنسخة التي بين يديّ وقع الفراغ من تبييضها في اليوم الثاني والعشرين من شهر ذي القعدة الحرام من شهور السنة الخامسة والأربعين بعد الثلاثمائة والألف هجرية، على يد راقمها الحاج كاظم ابن المرحوم الحاج جعفر الشوشتري».

وتوجد هذه النسخة عند الأستاذ علي ابن الشيخ محمّد أمين آل تويج، وقد وصلت إليه من جهة الارتباط النسبيّ بينه وبين جدّه لأمّه الشيخ

محمّد أسدالله المذكور، وهي من مخلّفات مكتبة والده الشيخ محمد أمين، زوج ابنة الشيخ محمّد بن تقي أسدالله.

وقد عثرتُ على هذه القصيدة التي نظمها الشيخ أسدالله يردُّ فيها على الإمام السيد محسن الأمين، عندما أفتى بتحريم بعض الشعائر والممارسات التي تسرّبت إلى المذهب الشيعي في العصور الأخيرة، وشوّهت مضمونه، يقول فيها:

أيّهـا الممتطـي متـونَ الجيـاد ... يقطـعُ البيـدَ واديـاً بعـد وادِ
عـجْ سـقاكَ الحيـا علـى البصـرة ... الفيحـاء وأحـبسْ بهـا قليلاً ونـادِ
أيّهـا العـيلمُ الـذي فـاضَ لكـنْ ... بعلـوم لـم تسـتند لاسـتناد
كيـف حرّمـتَ مـا بتحليلـه الأ ... خبـار جـاءت عـن آل طـه الهـادي
وعليـه قـد وافـق العقـلُ والنـ ... ـقلُ جميعـاً، وإنْ أبتـهُ الأعـادي
رمـتَ أمـراً مـن دون إثباتـه الـ ... ـويل، وحزّ المُدى وخرط القتادِ
جِـيءْ لمـا تـدّعي بقـولِ فقيـهٍ ... أو حـديث معـنعن الإسـنادِ
مـا لمـا تدّعيـه أدنـى دليـل ... أو حـديثٍ يُـروى، ولـو عـن حمادِ
جُـلُّ أصـحابنا علـى ضـدّ مـا أفتـ ... ـيتَ فـي كتـبهم صـريحاً تنـادي
ذاكَ (كشف الغطا) فراجعه إن شئـ ... ـتَ، وراجـعْ (ذخيـرةَ العبّـادِ)
ومـزار الخضـر بـن شـلاّل والقمـ ... ـيّ والمرتضـى وكشـف المـرادِ
وعمـاد الإسـلام فيـه وفـي الأسـ ... ـرار، وابـنَ الأثيـر ريّ الصـادي
وكذا (المجلسيّ) فـي (تحفـة الـزا ... ئـر)، والتسـتريّ فـي (الإرشـادِ)
وأعـدْ نظـرةً ففـي (الإقبـال) مـا ... تكتفـي بـه و (زاد المعـادِ)
ولسـانُ الأخبـار عـن آل طـه ... للـذي تـدّعي صـريحُ المفـادِ

ولـو أنـي أردتُ إحصـاءَ مـا قـد　　كتـبَ القـومُ ضـاقَ عنـه عـدادي
إنّ هــذي شــعائرٌ شــادها الله　　منــاراً بــرغم أهــل العنــادِ
سـيرةً لـم تـزل عليهـا ذوو العلـم　　جميعــاً مــن رائــح أو غــادِ
وعلـى نهجهـا سـرت علمـاء الـــ　　ــعصر طـرّاً مـن حاضـر أو بـادي
إنَّ هــذي منــاهج الحــقّ خــذها　　لــك إنْ كنــتَ ذا نهــيً وســدادِ
لـكَ خـذها واسـمعْ نصـيحةَ خـلٍّ　　لـم يحـل قـطُّ عـن أخـا واتحـادِ
أيّهـا المـدّعي المـودّة فـي القـر　　بـى، رويـداً، ضـللتَ نهـج الـودادِ
لســتَ ممّــن نظــنّ فيــه عنــاداً　　أو فســاداً أو اخــتلال اعتقــادِ
أنــتَ أعلــى شــأناً وأرفـع لكــنْ　　هــذه منــكَ كبــوةٌ مــن جــوادِ
إذ بتحريمــكَ العــزاء لعمــرالله　　أيّــدتَ قــادةَ الإلحــادِ
وبهـذا الحُكـم الفضـيع، رعـاكَ　　الله، تمّــت آمــالُ أهــل الفســادِ
فيــه أقــذيتَ عــينَ كــلِّ مــوالٍ　　حيـث قـرّت بـه عيـونُ المعـادي

ووقف الشاعر الشيخ مهدي الحجّار (ت١٣٥٨هـ)، موقف المؤيّد للسيّد محسن الأمين، فأنشأ قصيدة في ذلك، يذكرها لنا الشيخ علي الخاقاني (ت١٣٩٨هـ)، ويذكر كيفيّة إلقائها وكلماته قائلاً:

«نجده من جهة أخرى يقف موقف الجري الحرّ، لم يخضع لحرب الأعصاب، ولم يعر الرجعيّة الرعناء أي قيمة أو أهمّية عندما ثارت على المصلح الديني السيّد محسن الأمين في ثورته الإصلاحية على تنزيه الشعائر، وتلطيفها ممّا لحقها من غبار الوحشية والجهل، من ضرب القامة على الهامة ولدم الظهور بالسلاسل.

فكان يقود الفئة المحدودة من الشباب متترّساً بالزعيم الجزائري، الذي استطاع أن يقضي على قائدها الخطيب السيّد صالح الحلّي، وقصيدته الدالية التي هنّأ بها الشيخ محمّد رضا المظفّر بقرانه ومطلعها:

يـا حـر رأيـك لا تحفـل بمنتقـد   إنّ الحقيقـة لا تخفـى علـى أحـد

انصبت كالشرر على رؤوس الرجعيين والضوضائيين، وقد تلاها في محفل حاشد في دار الشيخ باقر المظفّر، ضمّ أكثر هؤلاء، وكنت في مَن أحضر إلى جنب الشاعر وتأييده، والاستعداد لكلّ طارئ يقع عليه لدفعه، وقد أشرت إلى هذه الناحية في مختلف أجزاء الكتاب عند ذكري لبعض أخدانه وخصومه.

والحقّ أنّ المترجم له كان عالماً فاضلاً، وأُستاذاً مربّياً جليلاً، وشاعراً مطبوعاً، وقد تحمّل من هضم الظروف له وقسوتها معه، فراح يقابلها بصبر وجلد قويين، ورغم عسره فقد كان كريم النفس رقيق الروح حسن السمت، صمد أمام التيارات ووقف ضدّ الخصوم كأعنف مخلوق يستمّد القوة من عقيدته التي كانت مثار إعجاب إخوانه.

ولقد أرهفت أعصابه النجف فاستاء ممّا لقيه من بعض أبنائها، وأعرب عن ذلك بعدّة قصائد ومقاطع تتجلّى لك في النماذج.

نهج في شعره نهج المصلحين، وانهال على ذوي الفكر البالية بنقد حاد وقول جرئ، ورشحته هذه الناحية عند زعيم الدين فعيّنه وكيلاً عنه في ـ معقل البصرة ـ ولم يطل عهده فيها كعالم روحي وشخصيّة مرجعيّة، بل

عاجله القدر القاسي فتوفّي هناك في مستشفى تذكارمود ليلة السبت في الساعة الرابعة ثامن شعبان عام ١٣٥٨هـ بعلّة الحمى السوداء فأعيى الأطباء علاجها، ونقل جثمانه من المعقل إلى الزبير بموكب فخم، ثمّ نقل في السيارات إلى النجف الأشرف، ودفن فيها بوادي السلام».

ثمّ يذكر قصيدته الرائية، وعنوانها «حماسة شاعر مهتضم»، وهي:

يـا حـرّ رأيـك لا تحفـل بمنتقـد إنّ الحقيقـة لا تخفـى علـى أحـد
إن تلق ذماً على رأي تجد مدحاً وأنت في البين لم تنقص ولم تزد
وما على الشمس بأس حيث لم ترها عين أُصيبت بداء الجهل لا الرمد
لا يستوي الناس في علم ومعرفة فالناس كالحبّ منه جيّد وردي
إنّا نرى الحرّ رهن القيد فكرته كما نرى عيشه وقفاً على نكد
يا أيّها الوطن المحبوب رحلتنا غيضاً عليك غداً أو لا فبعد غد
هـذي بنـوك صـواد مـن معارفهـا وكيف يمكث ذو ري بجنب صدي
ليس المقام على الإرغام من شيمي أقصى البلاد على أدنى الإبا بلدي
عندي من المتنبي خير عاطفة روح الحماسة حلّت منه في الجسد
إنّي أقول ونظم الشهب من كلمي كما أصول ونصر الله من مددي
عن كلّ شائنة في معطسي شمم لكن على بيعة الرضوان هاك يدي
ومزبر في يدي ماضر يعرب لو تثرى به في كثير العدّ والعدد
مـا فيـه مـن أود حـول اسـتقامته لكنّمـا القـوم معلولـون بـالأود
لـئن كففـت سـهامي عـن مقـاتلهم فالقوم قومي وسهمي صائب كبدي

إيـه بنـي يعـرب فـيكم وفـاً وصـفاً   واليـوم قـد بُـدّلا بالضـغن والحسـد
آسي على ضيعة الأخلاق منك وذا   قلبـي لأجلـك مطـويّ علـى كمـد
تقـوى العناصـر عـن ضـعف إذا   وذلّ عنصـر قـوم غيـر متّحـد
تلـك الإخـوة يـا أحـرار بيـنكم   عاثت بها مـن بنـي الأغيـار شـرّ يـد
إنّ الصـديق إذا أدلـى بخلّتـه   إلـى العـدوّ فقـل يـا خلّـة اعتضـدي
إنـا علـى عامـل نأسـى لأنّ بهـا   مـن لا يفـرّق بـين الزبـد والزبـد
سـيروا شـبيبتنا لكـن علـى خطـط   قد سنّها الـدين فـي منهاجـه الجـدد
لا تجعلـوا لسـقيم الـذوق منتقـداً   عليكم واحذروا مـن أعـين الرصـد
إنّـا لنأمـل فـيكم أنّ شـعبكم   يعـود ملتئمـاً فـي شـمله البـدد
وبالختـام لكـم أهـدي التحيّـة مـن   قلـب بغيـر ولاكـم غيـر معتقـد(١)

وذكره أيضاً السيّد جواد شبر، مع بعض النكات المتعلّقة به، نذكرها تعميماً للفائدة، إذ قال:

ويوم كتب السيّد محسن الأمين كتابه «التنزيه» للشعائر الحسينيّة ثار العلماء الأعلام وأئمّة الإسلام بوجهه، وكتبوا مفنّدين ومنتقدين ما كتب، وكنت أتصوّر ـ وأنا في مقتبل العمر ـ أنّ المساندين لفكرة السيّد الأمين والمؤيّدين له هم المتجدّدون والذين يميلون للتحلّل من أوامر الدين، وكان المترجم له قد استخدمت أفكاره موجة الشباب، فراح ينظم بوحي منهم كقوله من قصيدة مطلعها:

---

(١) شعراء الغري ١٢: ٢٠٨ – ٢١٦.

يـا حـر رأيـك لا تحفـل بمنتقـد   إنّ الحقيقـة لا تخفـى علـى أحـد

ويوم بلغت الخصومة أشدها بين المرجعين الكبيرين السيّد أبو الحسن الأصفهاني والشيخ أحمد كاشف الغطاء حول شخصية الخطيب السيّد صالح الحلّي، فقد حرّم الأوّل الاستماع إلى خطاباته، وأحلّها الثاني وعقد له مجلساً في بيته، وكان المترجم له ـ كما قلنا ـ تلميذاً للشيخ أحمد كاشف الغطاء، فأنشد قصيدته التي يقول فيها:

أنـتَ العميـد لهـم بـرغم أُنـوفهم   بـل أنـتَ سـيّدها وكلّهـم سـدى
رأت الشـريعة منـك أكبـر قائـد   فرمـت إليـك زمامهـا والمقـودا
والعلـم مثـل البحـر هـذا غـائص   فيـه وهـذا منـه مـا بـلّ الصـدا
والعـرب تعلـم أنّ تـاج فخارهـا   بسـوى شـريعة (أحمـد) لـن يعقـدا
سـلها غـداة تصـفّحت قرآنهـا   أفهـل رأت (پيغمبـرا أو يـا خـدا)
فخـر البيـوت بأهلهـا فـافخر علـي   بأبي الرضا والمرتضى علـم الهـدى
وإذا روي عن آل جعفر فـي العلـى   خبر فمـن كـفّ (الحسـين) المبتـدا
إنّـي وإن كنـت البعيـد قرابـة   مـنكم فشـعري عـنكم لـن يبعـدا

وشاءت الإرادة السماوية والحكمة الربانية ـ والحمد لله على جميل صنعه ـ أن تنحصر الزعامة الدينية في الآية الكبرى السيّد أبو الحسن بعد وفاة المرحوم الحجّة الشيخ أحمد كاشف الغطاء، فيكون الشيخ الحجّار من تلاميذه ومخلصيه، ويراسله على سبيل المداعبة، يستجديه ويستميح نيله وفضله فيقول:

عجبتُ وكـلّ زمـاني عجـب | ولسـتُ أصـرّح مـاذا السـبب
ولكـن أُشـير وأنـتَ الخبيـر | ولا أستحي منك إذ أنـت أب
(زقســم عجــم را نامعــدود | فهــلا أعــد بقســم العــرب

فيغدق السيّد عليه بكرمه المعهود ويجعله ممثلاً عنه في جانب (معقل) البصرة، ويقوم الشيخ بأداء وظيفته الدينيّة كما يأمر به الشرع الشريف، ولكن لم يطل عهده وعاجله القدر فتوفّي ليلة السبت ٨ شعبان ١٣٥٨هـ فنقل نعشه بموكب فخم إلى النجف ودفن بوادي السلام[١].

وفي رسالة ثورة التنزيه: ومن الشعر الذي قيل، الأبيات التي جاءت ردّاً على ما كان ينشده لاطمو الصدور وضاربو الرؤوس وهم يجولون في شوارع النبطية، ممّا لقّنهم إياه مهاجمو الحركة الإصلاحيّة، وهو:

لعـــــــــنَ الله أُنـــــــــاساً | حرّمـــوا نـــدبَ الحُســين

فكان الردّ الشعري:

أبعــــــــدَ اللهُ أناســــــــاً | قـــولهم كـــذبٌ ومـــين
ألصـــقوا بالـــدين ممّـــا | قـــد أتـــوه كـــلّ شـــين
أظهـــروا للـــدين حبّـــاً | وهـــو حـــبّ الـــدرهمين
قـــطّ مـــا ســـالت عليـــه | مـــنهم دمعـــة عـــين
قــد أعــادوا عصــر عمــرو | يــوم نصــب الحكمــين
ولكــم سُــبّ علــي المــر | تضـــى فـــي الخـــافقين

(١) أدب الطفّ ١٠: ٣١٤ – ٣١٥.

أســـــــد الله ببــــــــدر وبأُحــــــــد وحُنــــــــين
بعلــــــــي لبنيــــــــه شــــبه فـــي الحــــالتين
ولعثمـــــان قمـــــيص لـــم يـــزل فـــي الـــزمنين
أنـــا لا أطلـــب فـــيهم أثـــراً مـــن بعـــد عـــين
كـــلّ عصـــر فـــي الـــورى فيـــه يزيـــد والحســـين[1]

عامّة الناس:

لم يكن الناس، سواء في العراق أو لبنان أو غيرهما من البلدان الإسلاميّة، بعيدين عن هذه المعركة الفكرية القائمة آنذاك.

ومن طبيعة عوامّ الناس أن تحرّكهم العاطفة، خصوصاً إذا كان المتحدّثون أو القائمون على عمل معيّن من الذين يُجيدون التلاعب بعقول البسطاء. فكيف إذا كانت القصة تتعلّق بالشعائر الدينية؟! فمن الطبيعي أن يُشارك الناس فيها مشاركة فعّالة، ومن المتسالم عليه أن يخسر المصلحون الساحة لوقت ما؛ لأنّ كلّ حركة إصلاحيّة لابدّ لها من تضحية.

وفي هذه القضيّة بالذات كانت هنالك عدّة شخصيّات علميّة واجتماعيّة بارزة قد أعطت رأيها، وعملت على تحريك الساحة ضدّ فتوى السيّد الأمين:

فبعض المراجع أصدر فتوى بالجواز.

وبعض الكتّاب ردّ على «التنزيه» برسائل طُبعت ووزّعت مجاناً.

---

(١) ثورة التنزيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة)٧:١٤٠.

والعلاّمة الجليل المجتهد والمصلح الشيخ محمّد جواد البلاغي على كبر سنّه وضعفه يتقدّم مواكب العزاء بشكل مؤثّر جدّاً.

والخطيب البارع المفوّه السيّد صالح الحلّي يُحرّض الناس على السيّد الأمين من فوق المنابر التي يعتليها، وهكذا.

فكانت ردّة الفعل عنيفة جدّاً، يصوّرها لنا أحد المعاصرين لها، وهو الأُستاذ جعفر الخليلي قائلاً:

«وانقسم الناس إلى طائفتين ـ على ما اصطلح عليه العوام ـ: «علويّين»، و«أمويّين». وعُني بالأمويين: أتباع السيّد محسن الأمين، وكانوا قلّة قليلة لا يعتدّ بها، وأكثرهم كانوا متسترّين خوفاً من الأذى.

واتّخذ البعض هذه الدعوة وسيلة لمجرّد مهاجمة أعدائه واتهامه بالأمويّة، فكثر الاعتداء على الأشخاص، وأُهين عدد كبير من الناس، وضُرب البعض منهم ضرباً مبرحاً.

وبدافع إعجابي بالسيّد محسن، وانطباعاتي عنه منذ الصغر، وإيماني بصحّة دعوته، أصبحتُ أمويّاً وأمويّاً قُحّاً في عرف الذين قسّموا الناس إلى أمويّين وعلويّين. وكنتُ شاباً فائر الدم كثير الحرارة، فصببتُ حرارتي كلّها في مقالات هاجمتُ بها العلماء الذين خالفوا فتوى السيّد أبي الحسن والذين هاجموا السيّد محسن.

وكنتُ أجد في كثير من الأحيان رسالة أو أكثر وقد أُلقي بها من تحت باب الدار، وهي تتضمّن ـ إلى جانب التهديد بالقتل ـ شتائم بذيئة تدلّ على خسّة وجبن.

وكان التيّار جارفاً، والقوّة كلّها كانت في جانب العلويّين، وكان هؤلاء العلويّون وأتباعهم يتفّننون في التشهير بالذين سمّوهم بالأمويّين.

وبلغ من الاستهتار أن راح حملة القرب وسُقاة الماء في مأتم الحسين يوم عاشوراء ينادون مردّدين: «لعن الله الأمين ـ ماء»، بينما كان نداؤهم من قبل يتلخّص في ترديدهم القول: «لعن الله حرملة ـ ماء»، فأبدلوا «الأمين» بـ«حرملة» نكايةً وشتماً.

ولا تسل عن عدد الذين شُتموا وضُربوا وأُهينوا بسبب تلك الضجّة التي أحدثتها فتوى السيّد الأمين يومذاك، وكان السبب الأكبر في كلّ ذلك هو العامليّون ـ أعني أهل جبل عامل ـ الذين كانوا يسكنون النجف طلباً للعلم، وكان معظمهم من مخالفي السيّد محسن»[1].

وقال الخليلي أيضاً:

«لم يكن يمرّ على صدور هذه الرسالة أُسبوع أو أكثر وتنتقل من الشام ـ حيث تمّ طبعها ـ إلى العراق حتّى رافقها كثير من الدعايات ضدّها، ووجدت هذه الدعايات هوىً في نفوس البعض، فأشعلوها فتنةً شعواء تناولت السيّد محسن الأمين وأتباعه بقساوة لا تُوصف من الهجاء والذمّ والشتم المقذع.

وخاف الذين آمنوا بقدسيّة هذه الرسالة وصحّة فتاوى العلماء، لقد خافوا أن يُعلنوا رأيهم في وجوب الذبّ عن موضوع الرسالة والدفاع عن شخص مؤلّفها.

---

(١) هكذا عرفتهم ١: ٢٠٨ – ٢١٠.

ومَن الذي كان يجرأ أن يُخالف للناس رأياً؟! ومن كان يستطيع الظهور بمظهر المخالف في ذلك اليوم»[(١)]؟!

والغريب في الأمر أنّ تسمية المؤيّدين لآراء السيّد محسن الأمين بـ«الأمويّين» و«المتسنّنين» لم يصدر من عوامّ الناس فحسب، بل صدر من بعض العلماء والفضلاء أيضاً:

فالشيخ حسن المظفّر (ت١٣٨٨هـ)، قال في رسالته «نصرة المظلوم»:

«فعلمتُ من أين جاءت هذه البليّة التي تقضي ـ إن تمّت ـ على حياة الشيعة، وتيقّنتُ أنّ كيد المموّهين والمنافقين وخاصّةً أفراد «الجمعيّة الأمويّة» ذلك الكيد الذي لا ينطلي إلّا على السُذّج والبسطاء»[(٢)].

وقال المتتبّع الكبير الشيخ الطهراني (ت١٣٨٩هـ)، عند ذكره لهذه الرسالة «نصرة المظلوم»: «كتبها جواباً على بعض المتجدّدين المتسنّنين»[(٣)].

وقال أيضاً عند ذكره لرسالة «النظرة الدامعة» التي ألّفها الشيخ مرتضى آل ياسين الكاظمي ردّاً على السيّد الأمين: «كتبه ردّاً على بعض المتسنّنين المتجدّدين»[(٤)].

والأغرب من ذلك كلّه أنّ الشيخ عبد الحسين قاسم الحلّي (ت١٣٧٥هـ)، في مقدّمة رسالته «النقد النزيه لرسالة التنزيه» أشار إلى السيّد

---

(١) هكذا عرفتهم ١: ١٢٢.

(٢) نصرة المظلوم (المطبوعة ضمن هذه المجموعة)٢:٣٣١.

(٣) الذريعة ٢٤: ١٧٨ / ٩٢١.

(٤) الذريعة ٢٤: ١٩٦ / ١٠٣٠.

مهدي البصري ـ باعتباره من أهل البصرة ـ وإلى السيّد محسن الأمين ـ باعتباره من أهل الشام ـ بقوله: «إنّ الحسين عليه السلام لمّا قُتل بكى عليه جميع ما خلق الله ممّا يُرى وممّا لا يُرى إلّا ثلاثة أشياء لم تبك عليه: البصرة، والشام، وآل الحكم بن أبي العاص»[1].

والمطالع لهذه الرسائل بدقّة، يقف على عبارات جارحة قوّية، صدرت من الطرفين، إن دلّت على شيء إنّما تدلّ على حساسيّة هذه الشعائر وأهمّيتها ومكانتها عند الناس، وتأثيرها في أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

ومن حقّنا أن نتسائل هنا ـ وبكلّ موضوعية ـ هل يستحقّ السيّد الأمين كلّ هذا الهجوم وهذه النعوت، التي بعضها أخرجته من دائرة مذهب أهل البيت عليهم السلام؟

وهل يستحق مناصروه ومؤيّدوه كلّ ما صدر من أصحاب الرأي الآخر؟

ونفس الأسئلة نوجّهها لدعاة الإصلاح المؤيّدين للسيّد الأمين، الذين لم تقصر عباراتهم في جرح أصحاب الرأي الآخر المقابل لهم.

---

(١) النقد النزيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٦: ١١.

الرسائل الواردة في هذه المجموعة

نورد هنا توضيحاً مختصراً للرسائل التي قمنا بجمعها، المتعلّقة بهذا الموضوع، وهو الشعائر الحسينيّة، المختصّة برسالة «التنزيه»، وقبلها رسالة «الصولة»؛ لعدم إمكان تجزئتهما، وارتباطهما بموضوع واحد وفي زمان واحد.

وقد عانيت الكثير من المصاعب في جمعها، واستغرق وقت تحقيقها منّي سنوات عديدة، لكثرة المشاغل وتشتّت البال، وتعدّد الأسفار، وتكليفنا بإدارة مركز الأبحاث العقائدية الذي أخذ كلّ وقتنا.

قمتُ بتصحيح هذه الرسائل وضبط نصوصها، واستخراج كلّ ما يحتاج إلى استخراج من: آيات قرآنية، وأحاديث شريفة، وأقوال مختلفة، وترجمتُ لبعض الأعلام، وشرحتُ الأحداث التاريخية والوقائع المهمّة، كلّ ذلك من أجل إيصال المعلومة كاملة للقارئ الكريم.

ورتبتُ هذه الرسائل حسب تأريخ تأليفها، لا حسب وفيات مؤلّفيها؛ لأنّ هذه الرسائل يردّ بعضها البعض الآخر.

(١) قراءة في رسائل الشعائر الحسينيّة

هذه الرسالة لكاتب هذه الأسطر، وجامع هذه الرسائل، العبد الفقير إلى الله تعالى محمّد ابن الحاج رضا ابن الحاج محمّد علي الحسّون النجفي.

جعلتها في مقدّمة، بيّنت فيها بشكل مختصر تاريخ الشعائر الحسينيّة، وفي مقدّمتها إظهار الحزن والبكاء والنوح على الإمام الحسين عليه السلام وكيفيّة تطوير هذه الشعائر زمن الأئمّة عليهم السلام في دولتي بني أُميّة وبني العبّاس، ثمّ في الحكومات التي تلتهما، إلى أن وصل الأمر للدولة العثمانية والصفوية، ثمّ في أيامنا هذه.

ثمّ شرعت ببيان المراحل التي مرّت بها هذه الحركة التي تطالب بإصلاح الشعائر الحسينيّة زمن السيّد مهدي الموسوي البصري والسيّد محسن الأمين العاملي، والآثار التي خلّفتها في المجتمع الإسلامي على اختلاف المستويات الثقافية التي كان يعيشها الأفراد آنذاك.

وأوضحت بشكل مفصّل أسماء مراجع التقليد ورجال الدين الذين ساهموا فيها، تأييداً ومعارضةً، والرسائل التي أُلّفت في هذا الموضوع، سواء التي عثرت عليها أو تلك التي لم أعثر عليها.

وبيّنت الدور المهم للصحافة آنذاك، والمقالات التي طبعت تأييداً للسيّد الأمين، سواء كانت بأسماء واقعية أو مستعارة، وكذلك دور الشعراء، والقصائد التي قيلت في هذه المعركة الإصلاحيّة.

ثمّ ختمت هذا البحث ببيان دور عامة الناس فيها، وكيف أنّ الناس انقسموا في ذلك الوقت إلى «علويّين» و«أمويّين» ـ حسب ما اصطلح عليه آنذاك ـ وذكرت بعض العبارات التي تدلّ على حساسية هذا الأمر عند المجتمع الإسلامي.

وأخيراً ذكرت الرسائل التي عثرت عليها، تأييداً ومعارضةً للسيّد البصري والسيّد الأمين، ونبذة مختصرة عن حياة مؤلّفيها، والحمد لله ربّ العالمين.

(٢) جريدة الأوقات العراقيّة

كانت هذه الجريدة هي الشرارة الأولى التي انطلقت منها هذه المعركة الإصلاحية، إذ قام رئيس تحريرها بزيارة للسيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني البصري (ت١٣٥٨هـ)، الذي كان يسكن آنذاك مدينة البصرة، وتباحث معه عن إصلاح الشعائر الحسينيّة وما دخلها من أمور غريبة، فتجاوب معه سماحة السيّد وأبدى رغبته في إصلاحها، فقام هذا الشخص ـ رئيس التحرير ـ بنشر هذه المقابلة وعرض آراء السيّد فيها.

علماً بأنّ السيّد لم يكن راضياً عن نشر هذه المعلومات في الصحافة، كما هو واضح من رسالته «صولة الحقّ على جولة الباطل».

وما أن انتشرت هذه المقالة التي كانت بعنوان «يوم عاشوراء» في تلك الجريدة في عددها ١٦٦١ الصادر في الأوّل من محرّم سنة١٣٤٥هـ حتّى أحدثت ضجّة كبيرة بين أوساط المؤمنين، وتجاوب معها البعض، ووقف ضدها البعض الآخر، وألّفت في تأييدها وردّها رسائل، وكتبت مقالات، ونظمت قصائد، بيّناه مفصلاً في مقالنا عنها المطبوع في أوّل هذه المجموعة.

كما سيأتي الكلام مفصّلاً عن هذه الجريدة، ومن أصدرها، والهدف من إصدارها، وكلّ ما يتعلّق بها، وذلك في حديثنا عن رسالة «صولة الحقّ على جولة الباطل».

وبما أنّنا لم نقف على هذه الجريدة الصادرة في البصرة آنذاك، لكي ننقل نصّ عبارتها، لذلك نقلنا ما ذكره منها الشيخ محمّد جواد الحجّامي (ت١٣٧٦هـ) في رسالته «كلمة حول التّذكار الحسيني»، وهي أربع عبارات فقط.

(٣) صولة الحقّ على جولة الباطل

للسيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني البصري

المؤلِّف:

هو السيّد محمّد مهدي ـ أو مهدي ـ ابن السيّد صالح الموسوي القزويني.

وأضاف العلاّمة الطهراني (ت١٣٨٩هـ)، لقبين له هما: الكشوان والكاظمي، وذلك عند ذكر كتابه «بوار الغالين»[١].

لم أعثر على ترجمة مفصّلة له في المصادر المتوفّرة لدينا، سوى ما ذكره العلاّمة الطهراني في ذريعته عند ذكر بعض مصنفاته، إذ قال:

«ولد بالكاظميّة سنة١٢٧٢هـ ، واشتغل بها، وهاجر إلى سامراء حدود ١٣٠٠هـ ، وكان يحضر بحث سيّدنا الشيرازي وبعض تلاميذه، منهم الميرزا إبراهيم ابن المولى محمّد علي المحلاّتي الشيرازي، والشيخ إسماعيل الترشيزي.

---

(١) الذريعة ٣: ١٥٣ / ٥٣١.

وفي سنة ١٣١٤هـ تشرّف لزيارة مشهد خراسان، وبعد رجوعه أقام في الكويت، وكان سنين مرجع الأمور الشرعيّة بها إلى ١٣٤٣هـ ، فنزل إلى البصرة، وكان مقيماً بالوظائف الشرعيّة ومجدّاً بالتأليف، إلى أن توفي بها يوم الاثنين سادس ذي القعدة ١٣٥٨هـ ، وحمل إلى النجف ودفن بها يوم الأربعاء ثامن الشهر المذكور مع السيّد عدنان والسيّد مهدي البحرانيين في الحجرة التي على يسار الداخل إلى الصحن من باب المغرب المعروف بباب السلطاني»[١].

وقال عنه أيضاً في موضع آخر من الذريعة: «نزيل الكويت وعالمها الأسبق، ونزيل البصرة اليوم وعالمها»[٢].

له مجموعة من المؤلّفات ـ إضافة لرسالة الصولة ـ منها:

١) برهان الدين الوثيق في نقض «عمدة التحقيق»، الذي ألّفه بعض أهل السنّة، فرغ منه في ثالث شهر رمضان سنة ١٣٤٠هـ ، كما ذكر في فهرس تصانيفه[٣].

٢) بوار الغالين، في الردّ على الشيخيّة، طبع سنة ١٣٣٢هـ[٤].

٣) خصائص الشيعة التي جاءت بها الشريعة، فرغ من تأليفه في رجب ١٣٤١هـ ، وطبع ببغداد في تلك السنة في ٧١٢ص، وفي أوله فهرس مطالبه

(١) الذريعة ٧: ١٦٨ / ٨٩٤

(٢) الذريعة ٣: ٩٥ / ٣٠٤.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الذريعة ٣: ١٥٣ / ٥٣١.

مفصّلاً من المقدّمة التي في أصول الدين الخمسة، ثمّ فصول كثيرة في المواعظ والآداب والأخلاق(١).

٤) مخازي الشيخيّة ومفاخر الشيعة، وهو تعريب كتاب «إلقام الحجر» الفارسي، فرغ منه عصر الخامس والعشرين من ذي الحجّة سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة وألف(٢).

٥) هدى المنصفين إلى الحقّ المبين، فارسي، في الردّ على الشيخية أتباع الشيخ أحمد الأحسائي، في مجلّدين، أبسط من «بوار الغالين» بالعربية في مجلّد واحد، طبع في النجف سنة **١٣٤٢**هـ في **٢٩** صفحة، وقد لقّبه شيخنا شيخ الشريعة الأصفهاني بـ«إلقام الحجر»، ومعرّبه بـ«مخازي الشيخية»(٣).

«إلقام الحجر لمن تجبّر وجحد الحقّ وتكبّر»، هذا الاسم اختاره له شيخنا العلاّمة الشهير شيخ الشريعة الأصفهاني، واسمه المعروف به «هدى المنصفين»، ومعرّبه الموسوم بـ«مخازي الشيخيّة»(٤).

وفي معجم مؤلّفي الشيعة، ذكر بعض مصنفاته قائلاً: له «بوار الغالين، تبصرة الحرّ الرشيد، حلية النجيب في ردّ الماديّين، حيّ على الحقّ، خصائص الشيعة التي جاءت بها الشريعة، حلية النجيب في المنع عن تقليد الميّت...»(٥).

---

(١) الذريعة ٧: ١٦٨ / ٨٩٤.

(٢) الذريعة ٢٠: ١٦٥ / ٢٤١٠.

(٣) الذريعة ٢٥: ٢٠٣ / ٢٧٥.

(٤) الذريعة ٢: ٣٠٠.

(٥) معجم مؤلّفي الشيعة: ٣١٨.

وذكر الشيخ عبد المهدي المظفّر (ت١٣٦٣هـ) في رسالته «إرشاد الأُمّة للتمسّك بالأئمّة» قصّة اختلاف المترجم مع الشيخ حبيب قرين، أحد مشايخ الشيخيّة في الكويت، ثمّ مصالحتهما بوساطة بعض رجال الدين، من أراد الاطلاع عليها فلينظر تلك الرسالة (المطبوعة ضمن هذه المجموعة)[١].

المؤلَّف:

نسلّط الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأولى: تعتبر هذه الرسالة هي نقطة البدء في تلك المعركة العلميّة التي حدثت آنذاك، والتي تبعها تأليف السيّد محسن الأمين لرسالته «التنزيه»، وكذلك تأليف مجموعة من العلماء رسائل عديدة في ردّها أو تأييدها.

ذكرها العلاّمة الطهراني في الذريعة قائلاً: «صولة الحقّ على جولة الباطل، مقالة طبعت لبيان أنّ التعزية والتشبيه، مع كونهما راجحين، قد حفّت بها أمور محرّمة لابدّ أن يتنزّه منها، ولم يُرد مؤلّفه غير هذا، كما اعترف به الرادّ عليه في كتابه «البراهين القائمات».

و «البراهين القائمات» هو ردّ على هذه الرسالة «الصولة»، ذكرها العلاّمة الطهراني في «الذريعة» قائلاً: «البراهين القائمات لقمع الشُبه والتشكيكات» في إثبات رجحان التعزية والشبيه ونقض شبهات مؤلّف «صولة الحقّ»، للشيخ عبدالكاظم بن محمود الغبّاني، نزل الشنافية، والمعاصر، المولود سنة ١٣٠٧هـ فرغ منه سنة ١٣٤٥هـ وقرّظه الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء»[٢]

---

(١) إرشاد الأُمّة للتمسّك بالأئمّة (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٦:٤٤٩

(٢) الذريعة ٢٦:٩٣/٤٤٢.

الثانية: الذي حثّ المؤلّف على تأليفه لهذه الرسالة، هو قيام بعض الصحفيين في نشر المحادثة التي جرت بينه وبين المؤلّف، التي استنكر فيها ـ المؤلّف ـ بعض الشعائر الحسينيّة كضرب الرؤوس بالقامات والظهور بالسلاسل الحديديّة، وخروج المواكب العزائيّة في الشوارع، وتمثيل واقعة الطفّ، إذ قام هذا الصحفي بنشر آراء المؤلّف في جريدة «الأوقات العراقيّة» العدد ١٦٦١، الصادرة في أوّل محرّم سنة ١٣٤٥هـ.

ولم يكن المؤلّف راضياً بنشر هذه الأفكار في الجريدة، إذ يقول في هذه الرسالة: «ولو كنت عالماً بأنّه سيتعرّض لها في الجريدة لحظرت عليه ذلك؛ إذ لا دخل لغير العلماء فيها. ولمّا كان بيانه باختصار، فأجمل فيها بعض التي لصاحب الغرض حملها على حسب غرضه...».

ويقول فيها أيضاً: «وصاحب الجريدة لم يلتفت إلى الحقيقة عند المفاوضة، فرسم في جريدته مالم يترقّب رسمه منه».

الثالثة: لما نشرت تلك الصحيفة آراء المؤلّف عن بعض الشعائر الحسينيّة، استنكرها الكثير من الناس، وتصوّروا أنّ المؤلّف يحرّم كلّ الشعائر الحسينيّة، ممّا حدى بالمؤلّف لتأليفه هذه الرسالة، مبيّناً فيها آراءه بشكل صريح، إذ يقول فيها مشيراً إلى هذه النقطة:

«قامت قيامة بعض الجهلة بالشناعة في محافلهم، ينادون بأنّا قد حرّمنا التعزية بتاتاً، وبعضهم ينادي بأنّ مجالس التعزية والمآتم ستُسدّ في العام المقبل، وصاروا يتقوّلون علينا بالبهتان، وقد حصل لهم من ساعدهم على هذا من الّذين هم من غير صنفهم، وصار لهم زفير وشهيق».

الرابعة: سمّاها في مقدّمتها: «صولة الحقّ على جولة الباطل»، ولا يخفى ما لهذه التسمية من دلالات على ردة الفعل التي أحدثتها تلك الجريدة عند نشر آراء المؤلّف.

الخامسة: انتهى من تأليفه لها في الخامس عشر من شهر محرّم الحرام سنة ١٣٤٥هـ، أي بعد أيام قلائل من صدور تلك الجريدة.

السادسة: يصف المؤلّف مخالفيه بعبارات جارحة مثل «بعض الجهلة» و«المفتري المرتاب».

السابعة: ردّ على هذه الرسالة بعض المؤلّفين مثل: الشيخ حسن المظفّر في رسالته «نصرة المظلوم»، والشيخ عبد المهدي المظفّر في رسالته «إرشاد الأُمّة للتمسّك بالأئمّة».

الثامنة: النسخة التي اعتمدنا عليها في تصحيح هذه الرسالة، هي الطبعة الأولى لها، موجودة في مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف، كتب عليها: «صولة الحقّ على جولة الباطل، تصنيف العالم العامل، الورع التقي الزاهد، حافظ الشريعة، حجّة الإسلام آية الله السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني، متّع الله المسلمين بحياته آمين. طبعت على نفقة بعض المؤمنين، طبعت في المطبعة الوطنية «عشّار» البصرة ١٩٢٦م ـ ١٣٤٥هـ».

(٤) رسالة في حكم إقامة الشبيه
للسيّد محمّد شريف التقوي الشيرازي الونكي

المؤلِّف:

نذكر ترجمته اقتباساً من «دانشمندان وسخن سرايان فارس»، و«سرور الفؤاد» و«گنجينه دانشمندان».

هو السيّد محمّد شريف بن محمّد حسن بن محمّد حسين بن علي بن محسن بن شاه حسين بن زبير، التقوي الشيرازي الونكي، نسبة إلى قرية «ونك» الواقعة بالقرب من مدينة «شهر رضا» التي كانت سابقاً تابعة لمحافظة شيراز، والآن أصبحت تابعة لمحافظة أصفهان.

يرجع نسبه بتوسّط أربعة وعشرين جداً إلى السيّد موسى المبرقع ابن الإمام الجواد عليه السلام.

ولد السيّد محمّد شريف في قرية «ونك» سنة ١٢٧٠هـ وذهب إلى المكتب لتعلّم القراءة والكتابة عندما بلغ عمره خمس سنوات.

وعند بلوغه سن التاسعة درس عند والده مقدّمات العربيّة، ثمّ درس عند أساتيذ آخرين الصرف والنحو والمنطق والبيان لمدة ثلاث سنوات، بعدها

سافر إلى أصفهان لإكمال دراسته الحوزويّة، وهناك التقى بالسيّد محمّد كـاظم اليزدي صاحب العروة الوثقى، وتوثّقت أواصر الصداقة والمحبّـة بينهمـا، وبـدءا بالدراسة معاً وتلازما كثيراً، وبقي المتـرجم فـي أصـفهان مـدة خمـس سـنوات مشغولاً بالدراسة.

وعند بلوغه سنّ السابعة عشر سافر إلى العـراق واسـتقرّ فـي مدينـة النجـف الأشرف، وحضـر دروس البحـث الخـارج عنـد مجموعـة مـن الأسـاتيذ، هـم: الشـيخ لطـف الله المازنـدراني، والشـيخ زيـن العابـدين المازنـدراني، والفاضـل الإيرواني، والميرزا حبيب الله الرشـتي، والميـرزا محمّـد حسـن الشـيرازي قدس سره، حيث استمر بالدراسة هناك لمدّة اثنتي عشرة سنة.

ثمّ بدأ بتدريس بعض الكتب في العلوم الإسلاميّة المتعارفـة آنـذاك، حتّـى أُبتلي بمرض القلب، واضطر إلى العودة إلى ايـران والتوجـه إلـى مدينـة شـيراز، حيـث اسـتقبله أهـالي هـذه المدينـة اسـتقبالاً حـافلاً. وبعـد اسـتقراره فيهـا بـدأ بممارسة نشاطه الديني والاجتماعي، واتخذ أحد المساجد مقرّاً له، وبـدأ بإقامـة صـلاة الجماعـة والأمـر بـالمعروف والنهـي عـن المنكـر، والنظـر فـي المسـائل الشرعيّة، ثمّ قام بتشكيل حوزة علمية والتدريس فيها. واسـتمر عملـه فـي مدينـة شيراز حوالي أربعين سنة، وقد ألّف مجموعـة مـن الرسـائل والكتـب فـي هـذه الفترة.

وبما أنّ المترجم كان مخالفاً لحركـة المشـروطة التـي توسّـعت فـي إيـران وكثـر أنصـارها، لـذلك فقـد تعـرّض لضـغوط كثيـرة مـن قبـل المؤيّـدين لهـا ـ

خصوصاً بعد إعدام الشيخ فضل الله النوري ـ اضطرّته إلى الهجرة ثانية إلى العراق والاستقرار في مدينة النجف الأشرف.

ومن أهمّ ما جرى له حين استقراره في مدينة النجف الأشرف على ساكنها آلاف التحية والسلام، حواره مع الشيخ محمّد كاظم الخراساني رحمهما الله حول المشروطة المحضة بلا قيد المشروعيّة، وما أينعت وأثمرت هذه الشجرة التي أثبتت في التاريخ بجزئياتها، فبعد تلك المباحثة أمعن الشيخ الخراساني رحمه الله نظره الشريف حول هذه الحوادث وما ظهرت منه حسيكة النفاق وما منه لبس بالإسلام لبس الفرو مقلوباً تبدل رأيه السامي، وأراد السفر إلى إيران لإصلاح أساس المشروطة، ولكن يد الخيانة حالت بينه وبين ما أراد وتوفي رحمه الله.

وفي سنة ١٣٤٢هـ عزم على السفر إلى مدينة مشهد المقدّسة لزيارة الإمام الرضا عليه السلام، وفي الطريق عند وصوله إلى مدينة أصفهان ابتلي بمرض عسر البول، مما اضطرّ إلى البقاء فيها مدّة سنتين للعلاج. وعلى الرغم من الآلام التي كان يعانيها من هذا المرض، إلّا أنه قام بتدريس بعض العلوم الإسلاميّة في مدرسة الصدر.

وفي سنة ١٣٤٤هـ جدّد العزم على زيارة الإمام الرضا عليه السلام، إلّا أنّ مرضه قد اشتدّ عليه عند وصوله إلى طهران، حيث بقي فيها مدة طويلة إلى أن وافاه الأجل في الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ١٣٥٢هـ ونقلت جنازته إلى مدينة قم المقدّسة، وجرى له تشييع كبير، حضره الكثير من أساتذة الحوزة

العلميّة وجمع غفير من الطلاّب، وصلّى عليه سماحة آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري، ودفن في مقبرة جدّه الأعلى السيّد موسى المبرقع ابن الإمام محمّد الجواد عليه السلام.

وللمترجم عدّة إجازات اجتهادية وروائية وفي الأُمور الحسبيّة من بعض أساتذته قدّس سرّهم:

منها: إجازة كتبها اُستاذه الشيخ لطف الله المازندراني على ظهر كتاب في الفقه للمؤلّف، وإليك نصها:

بسم الله تعالى

مولاي المعاصر الشريف الأشرف سكن في النجف الأشرف على ثاويها آلاف التحية والتحف، ففاز في علم الفقه والأصول بالحظّ الوافر، فإذا نظرت إلى كتابه تعرف أنه البحر الزاخر والفقيه الماهر، له ملكة مستقيمة اجتهادية يتصرّف بها في الأنظار والدلائل، وينحل بها عقد مشكلات المسائل، عدل، ورع، ثقة مأمون، وفلك بمكارم الأخلاق مشحون، فهو بذلك في تصرف الأمور مأذون، لا ريب أنّه من أهل الفضل والسداد والاجتهاد، وممّن بلغ أقصى غاية المراد، اللهم انصره نصراً عزيزاً، وافتح له أبواب التوفيق والعافية يسيراً.

حرّره الجاني لطف الله المازندراني

ومنها: إجازة له من المولى الفاضل الإيرواني، وفيما يأتي نصها:

بسم الله تعالى

الحمد لله الذي جعل العلماء ورثة الأنبياء، وفضّل مدادهم على دماء الشهداء، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد وآله شموس فلك الإمامة والاصطفاء.

وبعد، فإن الحكمة الربانيّة والمصلحة الرحمانيّة تقتضي صيانة الدين المبين من الخطأ والخطل، بأن يكون في كلّ زمن من الأزمنة من يبذل جهده في التأييد والتشييد، يتلقى الأخبار وينقل الآثار ويقيم العوج ويري المنهج ويظهر كلمة الإسلام، بأن يفتي للعوام ويبين مفترض الأحكام من الحلال والحرام.

وممّن سعى لنيل هذا المراد نور عيون أساطين العلماء ونور فنون بساتين الفضلاء والفقهاء، مولى ظهر في رياض الكمال آياته، وانتشرت بالفضل والكمال علاماته، وتشعشعت بالاجتهاد راياته، وفاهت بالتحقيق أفواه محابره وألسنة أقلامه، فإن لفظه منتقى الجمان، وقوله قلائد العقيان الواقعة في بحور المعاني الحسان، وإشاراته هداية، وعباراته دراية، الجامع لمكارم الأخلاق، والحاوي لمحامد الأفعال ومحاسن الآداب، أعني جناب المولى الأكرم الأشيم الأحشم الأفضل السيّد الحسيب النسيب الألمعي الأوحدي اللوزعي الأزهري السيّد شريف دام مجده السامي، أحيى الله بعلمه دوارس المدارس، ونوّر بوجوده حنادس المجالس، وجعل رقاب العوام مقيدة بطوق تقليده، ولا زال

بدور تحقيقاته شارقة، وشموس لائقاته رائقة، وهو مع تحلّيه بحلل الفضل الفاخر عن ربقة التقليد، واستغنائه بالاجتهاد المطلق عن التقليد، وترقيه إلى المراتب العالية واحتوائه الملكة القوية في الاستدلال، استجاز مني تبركاً للانتظام في سلك رواة الأخبار الأئمّة الأنام والمفتين بالأحكام وحماة الإسلام، فأجزته مطلقاً أن يروي عنّي ما رويته عن شيخي ومن إليه استنادي واعتمادي حجّة الإسلام الأنصاري ـ طاب ثراه ـ عن مشايخه العظام المنتهي إسنادهم إلى الأئمّة عليهم السلام. وأوصيه بالتقوى التي هي العروة الوثقى، وأن لا ينساني من الدعاء، وأجزت له في الأمور الحسبيّة التي من شأنها أن يراجع فيها المجتهدون، أن يجيز من يعتمد إليه بشريطة كمال الاحتياط في الوجوه الشرعية وتقديم الأهم فالأهم، وأن يبعث شطراً من ذلك إلى طلبة العراق.

حرّره الأقل الجاني محمّد الإيرواني

ومنها: إجازة له صدرت من قبل الشيخ زين العابدين المازندراني، وهي كالتالي:

بسم الله تعالى

مولاي المعاصر الورع التقيّ النقيّ الزكيّ السيّد محمّد شريف الونكي مجتهد مطلق، ويجوز للعوام أن يقلّدوه؛ لأنه قد بلغ أقصى مراتب الاجتهاد والتحقيق، فهو بالإفتاء للعوام يليق.

حرّره الجاني زين العابدين المازندراني

وخلّف المترجم أولاداً فضلاء:

منهم: السيّد هداية الله التقوي، كان عالماً فاضلاً له عدة إجازات من والده، ومن السيّد أبي الحسن الأصفهاني، والشيخ عبد الكريم الحائري.

وقد خلّف السيّد هداية الله ثلاثة أولاد: الأول: السيّد غلام رضا، الثاني: المهندس السيّد عبد الحسين، الثالث: سماحة العلامة الجليل السيّد عبد العلي دامت بركاته، المقيم حالياً في طهران، والذي يعد أحد علمائها البارزين.

ومنهم: السيّد حسن التقوي.

ومنهم: السيّد عطاء الله التقوي.

وللمترجم عدّة مؤلّفات، نذكر ما تعرّفنا عليها:

١ـ الأُصول، وهو في أُصول الفقه.

٢ـ تبصرة الناظرين، في الردّ على المبلّغ المسيحي.

٣ـ تذكرة المسلمين في تهيج العامة، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤ـ حاشية على (جامع عباسي).

٥ـ حاشية على ذخيرة العباد.

٦ـ رسالة في اجتماع الأمر والنهي.

٧ـ رسالة عمليّة.

٨ـ رسالة في النوافل.

٩ـ رسالة في ردّ الوهابيّة.

١٠ـ رسالة في العدالة.

١١ـ الفقه، وهو دورة كاملة من العبادات إلى الديّات، طبع متفرقاً في شيراز وأصفهان وطهران.

١٢ـ قانون إلهي، طبع في شيراز.

١٣ـ كشف البيان في تربية الإنسان.

١٤ـ كشف المرام في قانون الإسلام، في ردّ المشروطة وبيان سلبياتها.

١٥ـ مرآة الأُصول، في أُصول الدين.

المؤلَّف:

نسلّط الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأُولى: رسالة فارسيّة عبارة عن جواب سؤال وُجّه للمؤلِف من بعض مقلّديه عن حكم إقامة الشبيه في بعض المدن الإيرانيّة، إذ جاء في أوّلها: «ماذا يقول في التشابيه التي تُقام في إيران والمتعارفة فيها، فإنّ مقلّدين حضرة آية الله يطلبون حكماً قطعياً فيه ويلتمسون الجواب؟».

الثانية: لم يقتصر المؤلِّف في الجواب على السؤال الموجّه إليه من بعض مقلّديه عن حكم التمثيل، إذ حكم بحرمته، بل تطرّق إلى أنواع أخرى من الشعائر الحسينية كالتطبير، واستعمال آلات الموسيقى في المواكب الحسينيّة، وإظهار اللاطمين لصدورهم أمام النساء، فحكم بحرمتها جميعاً بعبارات لا تخلو من جرحٍ، إذ قال:

«ومن جملة هذه البدع أفعال الشبيه والهيئات... ولكنّي أحرّم ذلك بكمال الجرأة... وكذلك الضرب بالصنج واستعمال آلات اللهو من قبيل الموسيقى المحرّمة... واختلاط النساء بالرجال الأجانب، وإبراز عضو من أعضائهن أمامهم... وتشبيه الرجل بالمرأة... أين ورد التطبير لعزاء سيّد الشهداء في الكتاب والسُّنة؟» وغيرها من العبارات، يجدها القارئ في أثناء الرسالة.

الثالثة: تأريخ الإنتهاء من تأليفها هو محرّم سنة **١٣٤٣**هـ كما هو مُثبت في آخرها: «كتبه العبد الفقير الجاني علي بن إسماعيل الأصفهاني، في شهر محرّم الحرام سنة **١٣٤٣**هـ».

فإن كان هذا التأريخ صحيحاً، فإنّه يدلّ على أنّ المؤلِّف هو أوّل مَنْ أيّد السيّد محمّد مهدي الموسوي البصري (ت١٣٥٨هـ)، صاحب رسالة «الصولة»، بعد عودته من الكويت واستقراره في البصرة سنة **١٣٤٣**هـ إذ بدأ بالدع وة لإصلاح الشعائر الحسينيّة من على المنابر آنذاك، ثمّ كتابته مقالة في جريدة «الأوقات العراقيّة»، ثمّ تأليفه لرسالته «صولة الحقّ على جولة الباطل».

الرابعة: النسخة التي اعتمدنا عليها في تصحيحنا لهذه الرسالة، هي المطبوعة في مطبعة فرهنك في أصفهان، تفضّل بتهيئتها لنا الأخ الكريم سماحة الشيخ رسول جعفريان، كما بعث لنا رسالة «الحسين والإسلام» للسيّد جليل الطباطبائي، فللّه درّه وعليه أجره.

الخامسة: الطبعة السابقة لهذه الرسالة، التي اعتمدنا عليها في التصحيح، فيها أخطاء كثيرة في الآيات والروايات وغيرها، صححناها دون الإشارة إليها في الهامش.

(٥) المواكب الحسينيّة
للشيخ عبد الله المامقاني

المؤلِّف:

ترجمه الشيخ جعفر محبوبة (ت١٣٧٧هـ)، في كتابه (ماضي النجف وحاضرها) ٢: ٢٥٥ ـ ٢٥٨، قائلاً:

الشيخ عبد الله ابن الشيخ حسن المامقاني، ولد في النجف سنة ١٢٩٠هـ، من العلماء البارزين وأهل الفضل السابقين، جدّ في التحصيل وألَّف فأكثر.

قرأ بعض المباديء من العربية على والده العلاّمة، وقرأ على التقي الصالح العالم الشيخ هاشم الأورنقي الملكي الكافي الكتب المعروف قراءتها من النحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق والشرائع وشرح اللمعة، وحضر «المعالم» في الأُصول على والده، وقرأ «القوانين» على المولى غلام حسين الدربندي وبعض كتاب «الرياض» و«رسائل الشيخ» و«المكاسب» على الفقيه الشيخ حسن الخراساني أصلاً النجفي مسكناً الملقب بالميرزا، وحضر درس الأصول والفقه خارجاً عند والده العلاّمة الشهير، ومن ذلك الوقت أخذ في التأليف والتصنيف.

يمتاز هذا الشيخ بحسن الأخلاق ولطيف المعاشرة وصراحة القول، مع التمسّك بعرى الدين الوثيقة والإخلاص في ولاء أهل البيت عليهم السلام، يحثّ على إقامة المآتم الحسينيّة ويأنس بعقدها، كان عربي الذوق سليم الذات، جمعت فيه الخلال الحميدة والمزايا الفاضلة، رجع إليه في التقليد كثير من أنحاء آذربيجان وبعض أهالي العراق، خاض قلمه الشريف في أكثر فنون العلم ورزق التوفيق، فقد طبعت جلّ مؤلّفاته المهمّة على عهده، وكان من المدرّسين، له حوزة علمية يحضرها بعض طلبة العلم من الترك وغيرهم.

آثاره المطبوعة:

(١)ـ «مناهج المتقين» ثلاث مجلّدات تمام الفقه.

(٢)ـ «نهاية المقال في تكملة غاية الآمال» حاشية على خيارات العلاّمة الأنصاري، مجلدان، وألحق بها في الطبع «القلائد الثمينة» مجلّد، وهو تعليق على الرسائل الستّ الملحقة بمكاسب الشيخ الأنصاري.

(٣)ـ «مرآة الرشاد في الوصية إلى الأحبّة والأولاد».

(٤)ـ «مرآة الكمال في الآداب والسنن» مجلّد، وهو من الكتب النافعة.

(٥)ـ «الاثنا عشرية» مجموع رسائل، طبع في النجف وهي:

١) رسالة وسيلة النجاة.

٢) مجمع الدرر.

٣) رسالة المسائل الأربعين العاملية.

٤) المسائل الخوئية.

٥) رسالة في المسافر الذي عليه قضاء شهر رمضان مع ضيق الوقت.

٦) رسالة عدم تأثير العقد على ذات البعل والوطئ لها شبهة في الميراث وحرمتها عليه أبداً.

٧) رسالة المسائل الجيلانية تتضمن تحكيمه بين علمين معاصرين في فرع من فروع إرث الزوجة من رقبة الأرض.

٨) رسالة كشف الريب والسوء عن إغناء كلّ غسل على الضوء.

٩) رسالة في إقرار بعض الورثة بالدين وإنكار الباقين.

١٠) رسالة كشف الأستار في وجوب الغسل على الكفّار.

١١) رسالة غاية المسؤول في انتصاف المهر بالموت قبل الدخول.

١٢) رسالة مخزن اللئالي في فروع العلم الإجمالي.

(٦)ـ حواشي «مطارح الأفهام في مباني الأحكام» في الأصول.

(٧)ـ «هداية الأنام في أموال الإمامعليه السلام».

(٨)ـ «تحفة الصفوة في الحبوة».

(٩)ـ «إزاحة الوسوسة عن تقبيل الأعتاب المقدّسة» مع مخزن اللئالي.

(١٠)ـ «مقباس الهداية في علم الدراية».

(١١)ـ «مخزن المعاني في ترجمة المامقاني».

(١٢)ـ «تحفة الخيرة في أحكام الحج والعمرة» فارسية مبسوطة.

(١٣)ـ «السيف البتّار في دفع شبه الكفّار».

(١٤)ـ «المسائل البصرية».

(١٥)ـ «وسيلة التقى» حاشية على العروة الوثقى.

(١٦)ـ رسالة «الدر المنضود في صيغ الإيقاعات والعقود».

(١٧)ـ «أرجوزة في العقود».

(١٨)ـ ترجمة كتابه العربي «مرآة الكمال» إلى الفارسية سمّاه «سراج الشيعة في آداب الشريعة».

(١٩)ـ «المسائل البغدادية» في الفروع.

(٢٠)ـ «سؤال وجواب» فارسي.

(٢١)ـ «منهج الرشاد» سؤال وجواب فارسي.

(٢٢)ـ «مناسك الحج» فارسي وعربي صغير وكبير ومتوسط.

(٢٣)ـ تعاليق على رسائل العلماء العملية الفارسية والعربية كـ«ذخيرة الصالحين» و«منتخب المسائل»، و«الجامع العباسي»، و«مجمع المسائل» وغيرها.

(٢٤)ـ «صيغ العقود» للقزويني.

وآخر تأليفه:

(٢٥)ـ «تنقيح المقال في أحوال الرجال» ثلاثة مجلّدات كبار، وهو أحسن ما أُلّف في الرجال وأجمعها، قال بعض تلامذته مؤرخاً عام تمام الكتاب:

وشـيخ الكـلّ عبـد الله أرّخ   لـه قـد تـمّ تنقـيح المقـال

وأمّا مؤلّفاته التي لم تطبع منها:

١ـ «منتهى مقاصد الأنام في نكت شرائع الإسلام» ثلاث وستون مجلّداً.

٢ ـ ورسالة «الجمع بين فاطميتين».

٣ ـ ورسالة في «أحكام العزل عن الحرّة».

وفاته: توفّي يوم التاسع عشر من شوال سنة١٣٥١هـ ، وشيّع بكلّ تبجيل واحترام، وعطّلت له الأسواق، ومشى أمام نعشه باللطم على الصدور ونشر الأعلام، ودفن مع والده في مقبرتهم المعروفة، وأقيمت له عدّة فواتح في النجف وخارجه، ورثته الشعراء بمراث لاذعة، منهم الكامل الأديب المرحوم الشيخ حسن سبتي يقول من أوّل قصيدته:

نعى ناعيك يا شمس المعالي   فذي أيامنا أمست ليالي
وأفق الدهر أمس مدلهما   لفقدك قد نضا حلل الجلال
وكيف عليك لا يسوّد حزناً   وعنه غبت يا بدر الجمال

وقال أيضاً مؤرّخاً عام وفاته:

قد غاب عبد الله من   أحيا العلوم بوقته
ناع نعاه فقد نعى   حسناً أباه بصوته
فقضى لنا أرّخ أب   مات الكتاب بموته

وأعقب(رحمه الله) ولداً واحداً وهو الشيخ محيي.

المؤلَّف:

ونسلّط الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأُولى: هذه الرسالة عبارة عن جواب سؤال ورد إليه يتعلّق بالشعائر الحسينيّة، إذ ورد في أوله: «ما يقول مولانا حجّة الإسلام والمسلمين ـ أيّده الله في العالمين ودام ظلّه العالي ـ في المواكب المحزنة التي اعتاد الجعفريّون اتّخاذها في العشر من المحرّم تمثيلاً لفاجعة الطفّ، وإعلاماً بما انتهك فيها من حرمة الرسولﷺ في عترته المجاهدين عليهم السلام بالتمثيل للشهداء وجهادهم، وما جرى عليهم وعلى الأطفال من القتل والقسوة، بإعلانهم الحزن لذلك الفادح بكافّة أنواعه:

من ندب، ونداء، وعويل، وبكاء، وضرب بالأكفّ على الصدور، وبالحديد على الرؤوس والظهور، إلى غير ذلك ممّا هو معلوم ومشهور، منضمّاً إلى بروزهم بهيئاتهم المعروفة وحالاتهم الموصوفة، فهل هذه الأعمال مباحة في الشرع الأزهر أم لا؟ أفتونا مأجورين، مع بيان المستند؛ ليكون حجّة على مَن أنكر أو عاند».

الثانية: هذا هو السؤال الثاني الذي يُسأل عنه المؤلّف عن الشعائر الحسينيّة، إذ سُئل أولاً وقبل شهر من تأريخ السؤال الثاني، وأجاب رحمه الله عنه، إذ يقول: «قد سُئلت عن هذه قبل شهر تقريباً، فقلت في الجواب...».

الثالثة: تاريخ السؤال الأوّل تقريباً في النصف من محرّم سنة ١٣٤٥هـ، وتاريخ السؤال الثاني ـ وهو هذه الرسالة ـ الرابع عشر من شهر صفر من نفس السنة.

الرابعة: من تاريخ السؤالين يتّضح لنا أنّ هذه الرسالة ليست لها علاقة برسالة «التنزيه» للسيّد محسن الأمين (ت١٣٧١هـ)، لأنّ تأريخ تأليفها ـ التنزيه ـ هو شهر محرّم سنة١٣٤٦هـ وطبعت طبعتها الأولى في صيدا عام١٣٤٧هـ، بل هي ردّ على السيّد محمّد مهدي الموسوي البصري (ت١٣٥٨هـ)، في رسالته «صولة الحقّ» التي ألّفها في محرّم سنة١٣٤٥هـ.

الخامسة: لم نقف على السؤال الأوّل وعلى جوابه من قبل المؤلّف، إذ الظاهر أنّه كان مجملاً بدون ذكر الأدلّة والبراهين، لذلك طلب السائل في السؤال الثاني «بيان المستند ليكون حجّة على من أنكر أو عاند»، وقد أشار المؤلّف إلى هذا بقوله:

«قد سُئلت عن هذه قبل شهر تقريباً، فقلت في الجواب: لا ينبغي الشبهة في جواز الأمور المذكورة في السؤال، بل وإدماء الرأس بالسيف، بل لو أفتى فقيه متبحّر بوجوب ذلك كفاية في مثل هذه الأزمنة ـ التي صمّم جمع فيها على إطفاء أنوار أهل البيت عليهم أفضل الصلوات والسلام ـ لم يمكن تخطئته».

السادسة: طبعت هذه الرسالة في المطبعة المرتضوية في النجف الأشرف، وانتهى من تأليفها في الرابع عشر من شهر صفر سنة١٣٤٥هـ[1]، كما جاء في آخرها.

---

(١) معجم المؤلّفين العراقيين ٢: ٣٣٤ / ١٨.

(٦) نظرة دامعة حول مظاهرات عاشوراء
للشيخ مرتضى آل ياسين

المؤلِّف:

ترجمه الشيخ جعفر محبوبة (ت١٣٧٧هـ) في كتابه «ماضي النجف وحاضرها» ٣: ٥٣٤، قائلاً:

«الشيخ مرتضى ابن الشيخ عبد الحسين ابن الشيخ باقر.

أحد أقطاب هذه الأُسرة، وفي الطليعة من أعلام رجالها، ولد في الكاظمين في الخامس والعشرين من ذي الحجّة سنة١٣١١هـ ، نشأ تحت رعاية والده وتغذّى من معينه الروحي، فنما نمواً سريعاً.

وحضر مقدّمات دروسه على عدّة من الأفاضل في الكاظمين، ثمّ هاجر إلى النجف طلباً للدراسة العالية، فلازم حوزة درس المحقّق النائيني والمرجع العامّ السيّد أبو الحسن الأصفهاني، وحضر درس الفقيه أخيه العلاّمة الرضا، وقد شهد له أساطين الفنّ ببلوغ الرتبة العالية من العلم والاجتهاد وهو في عقده الثالث.

وقد شرع منذ عدّة سنوات في التدريس العالي «بحث الخارج» والمساهمة مع الأعلام والمراجع في الدين، حتّى أنّ أخاه الرضا فقيه عصره أرجع إليه جماعة من مراجعيه في احتياطاته شفهيّاً تارة وتحريرياً أُخرى ؛ لما يراه فيه من الأهليّة.

ورجع إليه جملة من مقلّدي أخيه بالتقليد بعد وفاته، وطلب منه جماعات من المؤمنين العارفين بفضله أن يتصدّى عمليّاً لمهام المرجعية ونحوها، فأبى إباءً شديداً؛ إعراضاً عن الدنيا وزخارفها الزائفة وبهرجتها الفانية.

استخلفه أخوه الرضا على الجماعة في أيام مرضه، واستمر عليها بعده يقيم الجماعة في البهو الشريف العلوي في الصيف، وفي الحرم المطهر العلوي في الشتاء، وصلّى خلفه جماعة من المؤمنين.

يمتاز سلّمه الله بصباحة الوجه، وحسن المنظر وطيب المعشر، وصفاء القلب، وقد جمع خلالاً حميدة، مضافاً إلى مركزه العلمي، قلّ أن توجد في فقيه يتمتّع بملكات أدبية فذّة تكاد تكون منقطعة النظير، وإنّ قلمه ليتفجّر بالسلسبيل الرائع من البيان، كما أن شبابه زخر بشعر رائع حافل بأنواعه لم يحتفظ به.

آثاره: له تعليقات على العروة الوثقى وبلغة الراغبين، وله غير ذلك من الآثار في الفقه والأُصول وغيرهما لم تطبع».

تُوفّي سنة١٣٩٨هـ

المؤلّف:

ونسلّط الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأولى: هذه رسالة أدبيّة رائعة، تدلّ على المستوى الأدبي الرفيع للمؤلّف رحمه الله، فإنّه يتوجّع ويتأسّف لهذه الأمّة التي وصلت إلى هذا الحدّ من الانحطاط الفكري الذي دعاها إلى التشكيك بالشعائر الحسينيّة، إذ يقول في أوّلها:

«أجل والله، إنّه ليجدر بالرجل الدينيّ في عصره الحاضر، أن يثب فؤاده من بين جنبيه جزعاً، وأن ينخلع قلبه عن موضعه أسفاً، عندما يلقي ببصره إلى ما حوله، فلا يجد هنا وهناك إلّا أضاليل وأباطيل، تتدحرج إلى قومه بين المضائق والمنفرجات، وتتدافع نحوهم خلال الثنايا والعقبات...».

الثانية: حصر المؤلّف شبهات وإشكالات المنكرين لبعض الشعائر الحسينيّة في أربع مواد، ثمّ بدأ بالجواب عليها ردّاً علميّاً، وهي:

(١)ـ إنّ التمثيل وما يتصل به من مظاهرات عاشوراء ممّا لم يكن عند الشيعة في الأعصر الغابرة، فهو بدعة محرّمة.

(٢)ـ إنّ التمثيل يشتمل على كثير من السخافات والأمور المستهجنة.

(٣)ـ إنّ تجوّل مواكب اللطم في الأزقة والشوارع مدعاة للخروج عن حدود الآداب الشرعيّة ومجلبة لسخرية الأغيار واستهزائهم.

(٤)ـ إنّ إدماء الرؤوس بالسيف موجب لإدخال الضرر على النفس، والإضرار بالنفس حرام بلا كلام.

الثالثة: لم يذكر المصنّف أسماء الأشخاص الذين يردّ عليهم، والواضح أنّه يردّ على السيّد محمّد مهدي الموسوي البصري (ت١٣٥٨هـ) ورسالته «الصولة» ؛ لأنّه ألّفها سنة١٣٤٥هـ، أي أنّ هذه الرسالة ليست رداً على «التنزيه»، لأنّها ألّفت وطبعت قبلها.

الرابعة: في آخر هذه الرسالة، حمل المصنّف المانعين عن بعض الشعائر على الصحّة، وأنّ ليس قصدهم منع تلك الشعائر الحسينيّة[1]، إذ قال: «هذا، ومن المرجّح عندي أنّ بعض المانعين ممّن أحترم شخصيتهم، لم يقصد المنع عن القيام بتلك الأعمال مطلقاً، وإن شفّ عن ذلك ظاهر كلامه الذي أرسله على عواهنه؛ لأنّ علمنا بحسن نوايا ذلك البعض ليضطرنا إلى تأويل كلامه بالرغم من ظهوره في خلاف التأويل، والله الموفّق للصواب، وهو الهادي إلى سواء السبيل».

الخامسة: في آخر هذه الرسالة تقريظ للعلاّمة السيّد حسن الصدر (ت١٣٥٤هـ)، جاء فيه: «هذا هو الكلام الفحل والقول الجزل، فزاد الله في شرف راقمه».

السادسة: طبعت في مطبعة الفرات في بغداد سنة١٣٤٥هـ ، وكتب على غلافها: «نظرة دامعة حول مظاهرات عاشوراء، للأستاذ العلاّمة الشيخ مرتضى آل ياسين الكاظمي دام ظلّه، طبعت على نفقة بعض الأشراف».

---

(١) قال عنها الشيخ الطهراني في الذريعة ٢٤: ١٩٦ / ١٠٣٠: «ردّاً على بعض المتسنّنين المتجدّدين الذين ينكرون على الشيعة هذا الفنّ العريق عندهم منذ قرون، مع أنّهم يحبّذونها في المسرحيّات الجديدة - كما يأتي بعنوان «نمايشنامه» - حيث لم يكن ضدّ بني أُميّة».

(٧) كلمة حول التذكار الحسيني
للشيخ محمّد جواد الحچّامي

المؤلِّف:

ذكره الشيخ جعفر محبوبة (ت١٣٧٧هـ) قائلاً:

«الشيخ محمّد جواد ابن الشيخ طاهر ابن الشيخ عبد علي.

ولد في شهر رجب سنة١٣١٢هـ ، ونشأ تحت ظلّ والده، ورباه تربيّة جيدة.

قرأ المبادئ على فضلاء عصره، وقرأ الدروس العالية على المشاهير من مراجع العلم، كالعلاّمة النائيني، والشيخ آغا ضياء العراقي، والسيّد أبو الحسن الأصفهاني، والشيخ محمّد حسين الأصفهاني، والعلاّمة السيّد محسن الحكيم.

وهو اليوم بقيّة هذه الأسرة والبارز من رجالها، ضمّ إلى فضله الكمال والأدب، ينظم الشعر أحياناً عند المناسبات ومقتضيات الوقت، قويّ السبك حسن الديباجة، رقيق الألفاظ، سامي المعاني، وله نثر مستحسن.

له تعليقة على كفاية الأصول ملتقطة من تقريرات دروس شيخيه السيّد أبو الحسن والشيخ آغا ضياء العراقي، وله شرح مختصر على أوائل التبصرة، وله شبه الكشكول سمّاه «مكتل الفواكه والفكاهات» صغير يقرب من كراستين، وله مجموعة شعر فيها ما يقرب من خمسمائة بيت، وله مراسلات ومطارحات نظماً ونثراً مع أخدانه من الأدباء كالشيخ محمّد حسين المظفّر، والمرحوم الشيخ حسن البهبهاني المتوفّى سنة ١٣٦٠هـ ، وغيرهما من أدباء عصره.

وحجّام قبيلة كبيرة متشعّبة الفروع متعدّدة الأفخاذ والمكانة العلمية، يطمع فيها كلّ من له طموح لارتقاء سلّم الشرف والسؤدد ومن له طموح وتطلّع إلى المجد العلمي»[1].

وفي شعراء الغري لعلي الخاقاني (ت١٣٩٨هـ) إضافة لما قاله محبوبة: «عالم فاضل، أديب كبير، وشاعر رقيق، أخذ عنه العلم فريق كبير من أهل الفضل، وحلقته كان لها صداها يوم أن كان أبناء الدين من النجفيّين لهم وزنهم وقيمتهم، فكان من بارزي المدرّسين وأفاضلهم، وله نادي يحضره الكثير من أهل الفضل وأعلام الأدب.

عرفته منذ ربع قرن إنساناً رقيق الروح طيّب المعشر، قد ورث الكثير من صفات أبيه الفاضلة: خلق دمث وسيرة وادعة، وعرفته إنساناً يحبّ الخير»[2].

---

(١) ماضي النجف وحاضرها ٢: ١٦١.

(٢) شعراء الغري ١: ٤١٨.

وذكره العلاّمة الطهراني (ت١٣٨٩هـ) في ترجمة والده، قائلاً: «وولده الشيخ محمّد جواد عالم أديب»[١].

وقال الأميني (ت١٤٢١هـ)، في معجمه: «عالم فاضل، شاعر أديب، مجتهد. ضمّ إلى فضله وعلمه وكماله، الأدب ونظم الشعر والتواضع والخلق الكريم ومكارم الأخلاق. هاجر إلى النجف وأقام بها، وتلمذ على الشيخ مشكور الحولاوي والسيّد عبد الهادي الشيرازي والميرزا علي الإيرواني»[٢].

المؤلَّف:

نسلّط الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأُولى: يذكر المؤلّف في بداية كلمته سبب تأليفه لها، وهو أنّه وقف على العدد ١٦٦١ من جريدة الأوقات العراقيّة، الصادرة في أوائل شهر محرّم الحرام سنة ١٣٤٥هـ، وفيها مقال بعنوان «يوم عاشوراء»، ينسب كاتبه فيها إنكار بعض الشعائر الحسينيّة إلى «أصحاب السيادة حضرات العلماء الأعلام»، لذلك بدأ المؤلّف في ردّ ما ورد في هذا المقال، إذ ذكر أربع عبارات منها وأخذ بردّها مفصّلاً.

الثانية: ينقل فيها عبارتين لعلمين من أعلامنا، إذ أجابوا على الشبهات الواردة على إقامة الشعائر الحسينيّة، هما:

---

(١) طبقات أعلام الشيعة (نقباء البشر) ٣: ٩٧١.

(٢) معجم رجال الفكر والأدب في النجف: ٤٠١.

أ) السيّد جعفر بحر العلوم (ت١٣٧٧هـ) الذي نقل كلام صاحب القوانين الميرزا أبو القاسم القمّي (ت١٢٣١هـ)، وكلام الشيخ مرتضى الأنصاري (ت١٢٨١هـ)، في رسالته العمليّة «سرور العباد».

ب) الشيخ هادي كاشف الغطاء (ت١٣٦١هـ).

الثالثة: لم يذكر المؤلّف تاريخ تأليفه لها، والظاهر أنّه ألّفها ـ وكذلك طُبعت ـ قبل شهر ربيع الأوّل سنة ١٣٤٥هـ، وهو تأريخ تأليف رسالة «نصرة المظلوم» للشيخ حسن المظفّر (ت١٣٨٨هـ) ؛ لأنّ الشيخ المظفّر ذكرها في رسالته هذه.

وكذلك ينقل فيها استفتاءً وجّهه بعض المؤمنين إلى جماعة من العلماء حول إقامة الشعائر الحسينيّة، وأجوبتهم على ذلك الاستفتاء، منهم: السيّد محمّد الفيروزآبادي (ت١٣٤٥هـ)، والشيخ عبد الله المامقاني (ت١٣٥١هـ)، والشيخ مرتضى كاشف الغطاء (ت١٣٤٩هـ)، والشيخ هادي كاشف الغطاء (ت١٣٦١هـ)، والشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (١٣٧٣هـ).

ويذكر أيضاً استفتاءً وجّهه بعض المؤمنين إلى العلماء عن هذه الشعائر، لكنّه يورد جواب العلاّمة الشيخ محمّد جواد البلاغي (ت١٣٥٢هـ) فقط .

الرابعة: النسخة المتوفّرة لدينا، التي اعتمدنا عليها في تصحيحها، هي النسخة المطبوعة في المطبعة العلوية في النجف الأشرف، كما كُتب في آخرها، ولم يذكر تاريخ طبعها فيها، وكتب في أوّلها: «كلمة حول التذكار الحسيني لصاحب الفضيلة العالم الشيخ محمّد جواد الحجّامي».

قال العلاّمة الطهراني في الذريعة: «كلمة حول التذكار الحسيني، للشيخ محمّد جواد الحجّامي النجفي المعاصر، في إثبات جواز التعزية بأنواعها للحسين عليه السلام، مطبوع»[1].

الخامسة: في رسالتنا «قراءة في رسالة التنزيه» ص ٢٦ المطبوعة سنة ١٤٢٣هـ نسبنا هذه الرسالة للشيخ مهدي الحجّار، باعتبارها من الرسائل الرادّة على رسالة «التنزيه»، وهذا غير صحيح، إذ أنّ للشيخ الحجّار رسالة أيّد فيها آراء السيّد الأمين، سمّاها «نصرة الفقيه».

---

(١) الذريعة ١٨: ١٢٤ / ١٠١٣.

(٨) نصرة المظلوم
للشيخ حسن المظفّر

المؤلِّف:

هو الشيخ حسن ـ أو محمّد حسن ـ ابن الشيخ عبد المهدي ابن الشيخ إبراهيم المظفّر.

لم أعثر على ترجمة مستقلّة له، بل ذكره الأعلام ضمن ترجمتهم لوالده وجدّه. فجدّه الشيخ إبراهيم كان من أعاظم أعلام الأسرة العلميّة الجليلة (آل المظفّر)، وكان من تلاميذ الشيخ محمّد حسين الكاظمي المعروف بالمقدّس البغدادي، وهاجر بأمر أستاذه المذكور بعد عام ١٣٠٠هـ من النجف الأشرف إلى مدينة البصرة للقيام بالوظائف الشرعيّة، وقام بها خير قيام إلى أن توفّي عام١٣٣٣هـ.

وجاء من بعده ولده الشيخ عبد المهدي للقيام مقام والده، وقام بأعباء خدمة الناس في مختلف الشؤون الدينية والسياسيّة والاجتماعية، حتّى وافاه الأجل عام ١٣٦٣هـ

وله رسالة أيضاً في ردّ رسالة التنزيه للسيّد الأمين، سمّاها «إرشاد الأمّة للتمسّك بالأئمّة» ـ (مطبوعة ضمن هذه المجموعة) ـ وردّ فيها أيضاً على السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني في كتبه: الصولة، وخصائص الشيعة، وضربات المحدّثين، وبوار الغالين ـ طبعت سنة ١٣٤٨هـ ، أي بعد طباعة رسالة ولده بثلاث سنوات.

وجاء ولده الشيخ حسن للقيام بدور والده وجدّه.

يقول الشيخ جعفر محبوبة (ت١٣٧٧هـ) في ذيل ترجمة والده: «أعقب عدّة أولاد، قام مقامه في محلّه ولده الفاضل الشيخ محمّد حسن، حذا حذو أبيه ونهج منهجه مدّ الله في عمره»[(١)].

وقال الشيخ الطهراني (ت١٣٨٩هـ)، أيضاً عند ترجمة والده: «وقد قام مقام أبيه وخلّفه في سيرته الحميدة ونفعه للناس، وهو موضع احترام أهل العلم وباقي الطبقات. وقد توفّي في يوم عاشوراء في مستشفى الميناء بعشّار سنة١٣٨٨هـ ، ونُقل إلى النجف ودفن بها رحمه الله»[(٢)].

المؤلَّف:

نسلّط الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأُولى: كان سبب تأليفه لهذه الرسالة، هو وقوفه أوّلاً على جريدة الأوقات العراقيّة، وهي تحمل مقالاً بعنوان «يوم عاشوراء»، تنسب فيه إنكار بعض الشعائر لبعض العلماء.

---

(١) ماضي النجف وحاضرها ٣: ٣٦٧.

(٢) طبقات أعلام الشيعة «نقباء البشر في القرن الرابع عشر» ٣: ١٣٤١ – ١٣٤٢.

ثمّ وقوفه على رسالة «صولة الحقّ على جولة الباطل» للسيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني (ت١٣٥٨هـ)، التي بيّن فيها آراءه حول الشعائر الحسينيّة.

ثمّ وقوفه أيضاً على رسالة «كلمة حول التذكار الحسيني» للشيخ محمّد جواد الحچّامي (ت١٣٧٦هـ)، التي ردّ فيها على مقالة جريدة الأوقات العراقيّة.

إلّا أنّ المؤلّف رأى أنّ ذلك الردّ غير كاف، خصوصاً بعد انتشار رسالة «الصولة» وتأثيرها في أوساط المجتمع، لذلك تصدّى للردّ بهذه الرسالة التي سمّاها في مقدّمتها «نصرة المظلوم».

الثانية: يذكر المؤلِّف نصّاً لتلك الجريدة ويردّ عليه، وكذلك يورد عدّة عبارات للصولة ويبدأ بردّها ردّاً علمياً.

الثالثة: يذكر فيها أنواع التذكارات الحسينيّة التي كانت ـ ولا زالت ـ تقام في ذلك الوقت، ويبيّن مشروعيتها، مثل المآتم، والتمثيل، وتمثيل النساء خاصّة، واللطم، وخروج المواكب في الشوارع: موكب السلاسل، والقامات ـ أي ضرب الرؤوس بالسيوف ـ وغيرها.

ثمّ يسلّط الضوء على الآلات المستعملة في العزاء الحسيني: الطبل، والبوق، والصّنج.

الرابعة: يستشهد في أقواله على حليّة هذه التذكارات الحسينيّة، بآراء الكثير من علمائنا، إذ يورد عباراتهم المكتوبة والمسموعة.

وينقل فتوى الميرزا النائيني (ت١٣٥٥هـ)، مفصّلةً.

وكذلك ما كتبه العلاّمة محمّد جواد البلاغي (ت١٣٥٢هـ)، عن مشاهداته لموكب القامات في سامراء، وكيف أنّ هذا الموكب كان يخرج من دار السيّد الميرزا محمّد حسن الشيرازي (ت١٣١٢هـ)، وأنّ أفراد هذا العزاء كانوا يضربون رؤوسهم في داره ثمّ يخرجون للشوارع، واستمرّ الأمر كذلك إلى زمن الميرزا الشيخ محمّد تقي الشيرازي (ت١٣٣٨هـ)، وأنّ السيّد مهدي صاحب الصولة كان أحد الطلبة اللاطمين متجرّداً من ثيابه إلى وسطه، وهو من دون اللادمين مؤتزراً فوق ثيابه بإزار أحمر.

الخامسة: يصف المؤلّف الذين يؤيّدون منع الشعائر الحسينيّة بـ«الجمعيّة الأمويّة»، وكذلك يصف السيّد مهدي بـ«الصائل»، وغيرها من العبارات الجارحة[(١)].

السادسة: انتهى من تأليفها وطبعها في شهر ربيع الأوّل سنة١٣٤٥هـ.

السابعة: لدينا نسختان مطبوعتان لهذه الرسالة، والتي اعتمدنا عليها في التصحيح هي الطبعة الأولى، المطبوعة في المطبعة العلويّة في النجف الأشرف سنة١٣٤٥هـ، وفي صفحتها الأولى ورد: «هذه الرسالة المسمّاة نصرة المظلوم،

---

(١) في الذريعة ٢٤: ١٧٨ / ٩٢١ قال العلاّمة الطهراني عن هذه الرسالة: «وفيها رجحان إقامة التعازي والتمثيليات لبيان ما حدث بالأيدي الظالمة على آل رسول الله، طبع سنة١٣٤٥هـ، جواباً على بعض المتجدّدين المتسنّنين الذين يحبّذون التمثيليات الفنيّة الدنيوية ويحرّمون الدينيّة منها».

من آثار العالم الفاضل المؤتمن الشيخ حسن آل العلاّمة الشيخ إبراهيم مظفّر قدّس سرّه».

أمّا الطبعة الثانية لهذه الرسالة والتي فيها بعض الاستخراجات، فقد جعلناها نسخة ثانية في عملنا.

الثامنة: قال المستشرق الألماني ورنر انده في رسالته «اختلاف آراء العلماء في بعض أنواع العزاء في شهر محرّم» المطبوعة ضمن هذه المجموعة: «يعتقد الكثير من الكتّاب المعاصرين، أنّ هذه الرسالة ـ نصرة المظلوم ـ ألّفها الشيخ عبدالحسين الحلّي، إلّا أنّه طبعها باسم الشيخ حسن المظفر».[1]

وأيّدت هذه الدعوة المستشرقة الفرنسيّة سابرينا مرون في رسالتها «وقوف رجال الدين الإصلاحيين في لبنان أمام تحريف واقعة عاشوراء»، المبطوعة ضمن هذه المجموعة.

وحكى حسن فرشتيان ـ مترجم رسالة المستشرقة الفرنسيّة ـ عن السيّد حسن الأمين ابن السيّد محسن الأمين: أنّ «نصرة المظلوم» للشيخ محمّد حسن المظفر (ت ١٣٧٥هـ)، ثمّ علّق قائلاً: «ويبدو أنّ هذا الرأي أقرب».[2]

---

(١) انظر هذه الرسالة المطبوعة ضمن هذه المجموعة ٧: ٢٧٠.

(٢) انظر هذه الرسالة المطبوعة ضمن هذه المجموعة ٧: ٤١٧.

(٩) الكلمات التامّات في المظاهر العزائيّة لسيّد الشهداء عليه السلام
للميرزا محمّد عليّ الغروي الأردوبادي

المؤلِّف:

ذكره معاصره وزميله الأديب الشيخ محمّد السماوي (ت١٣٧٠هـ) في الطليعة، قائلاً:

«محمّد علي ابن الشيخ أبي القاسم بن محمّد تقي بن محمّد قاسم الأردوبادي التبريزي النجفي. فاضل، اشتمل على فضل جمّ، وغزير علم، وشارك في فنون مختلفة، واتّسم بأحسن صفة إلى تقى طارف وتليد، وحسب موروث وجديد.

اجتمعتُ به كثيراً، وعاشرته طويلاً، فرأيت منه الرجل المتقدّم الفهم، الغزير العلم، الحصيف الذكر، المصنّف الشاعر» ثمّ ذكر بعض أشعاره[١].

وذكره معاصره الآخر السيّد محسن الأمين (ت١٣٧١هـ) في أعيانه[٢] بنفس عبارات الطليعة.

---

(١) الطليعة من شعراء الشيعة ٢: ٢٧٥ / ٢٨٣.

(٢) أعيان الشيعة ٩: ٤٣٨.

وأضاف السيّد حسن الأمين في مستدركه على الأعيان:

«ونسبته إلى أردوباد، مدينة تقع على الحدود بين آذربيجان والقفقاز، قرب نهر أرس.

وكانت ولادته في تبريز في ٢١ رجب سنة١٣١٢ هجرية.

وأتى به والده إلى النجف بعد عودته إليها في حدود سنة١٣١٥، فنشأ عليه ووجّهه خير توجيه.

قرأ مقدّمات العلوم على لفيف من رجال الفضل والعلم، وحضر في الفقه والأصول على والده، وشيخ الشريعة الأصفهاني ـ وقد أخذ عنه الحديث والرجال أيضاً ـ والسيّد ميرزا علي الشيرازي، وفي الفلسفة على الشيخ محمّد حسين الأصفهاني، وفي الكلام والتفسير على الشيخ محمّد جواد البلاغي، ولازم حلقات دروس مشايخه الثلاثة المتأخّرين أكثر من عشرين سنة. وبرع في الشعر والأدب العربيين، وتضلّع في التاريخ والسير وأيام العرب ووقائعها، وتوفّي سنة ١٣٨٠ في النجف الأشرف.

له: كتاب ضخم في ستّ مجلدات على نهج الكشكول، فيه الكثير من الفوائد التاريخية والرجاليّة والتراجم والتحقيقات.

و«حياة إبراهيم بن مالك الأشتر» مختصر نشر في آخر «مالك الأشتر» للسيّد محمّد رضا بن جعفر الحكيم المطبوع في طهران سنة١٣٦٥هـ.

و«حياة سبع الدجيل» في ترجمة السيّد محمّد ابن الإمام علي الهادي عليه السلام صاحب المشهد المشهور في الدجيل قرب بلد، طبع في النجف أيضاً.

و«سبيك النضار في شرح حال شيخ الثار المختار».

و«الرد على ابن بليهد القاضي» وهو ردّ على الوهابيين، طبع.

و«الأنوار الساطعة في تسمية حجّة الله القاطعة».

و«منظومة في واقعة الطفّ».

و«منظومة في مناضلة أرجوزة نيّر» جارى بها ألفيّة الشيخ محمّد تقي التبريزي المتخلص بنيّر، وقد بلغت (١٦٥١) بيتاً.

و«علي وليد الكعبة» طبع في النجف عام وفاته ١٣٨٠ مع مقدّمة لسبطه السيّد مهدي ابن الميرزا محمّد ابن الميرزا جعفر ابن الميرزا محمّد الشيرازي.

و«حياة الإمام المجدّد الشيرازي» في ترجمة السيّد الميرزا محمّد حسن المُتوفّى سنة ١٣١٢، وهو يشتمل على تراجم كثير من تلاميذه ومعاصريه.

و«سبك التبر فيما قيل في الإمام الشيرازي من الشعر» في (٦٠٠) صفحة، ترجم فيه لشعرائه ومادحيه مع إيراد قصائدهم مرتّبة على حروف الهجاء.

و«ديوان شعر» عربي، معظمه في مدح آل البيت ورثائهم، ومراثي العلماء والعظماء وفي سائر الأغراض الأخرى، ويبلغ مجموع نظمه أكثر من ستة آلاف بيت.

و«التقريرات» في الفقه والأصول وغيرهما، كتبها من تقريرات مشايخه، وآخر آثاره «تفسير القرآن» خرج جزؤه الأوّل فقط»[١].

دفن في صحن أمير المؤمنين عليه السلام في مدينة النجف الأشرف في الحجرة رقم ٢٣[٢].

---

(١) مستدرك أعيان الشيعة ١: ٢١٣.

(٢) مشاهير المدفونين في الصحن العلوي الشريف: ٣١١ / ٤٠٦.

المؤلَّف:

ونسلّط الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأُولى: دافع فيها مؤلّفها عن الشعائر الحسينيّة المختلفة التي يُقيمها أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وردَّ على الاعتراضات والشبهات التي أثيرت آنذاك على إقامة بعض هذه الشعائر(١).

وتحدّث الكاتب عن بعض هذه الشعائر بشكل مفصّل، وأقام الأدلة على رجحانها، منها: تمثيل واقعة الطفّ، والتشبّه بنساء أهل البيت عليهم السلام، وخروج المواكب الحسينيّة إلى الشوارع والأزقّة، وضرب الطبول ودقّ الصنّوج ونفخ الأبواق، واللطم على الصدور، ومواكب الشموع، وضرب الرؤوس بالسيوف، المعبّر عنه بـ«التطبير».

الثانية: ردّ فيها على رسالة «صولة الحقّ على جولة الباطل» للسيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني البصري، الذي استشكل فيها على إقامة بعض الشعائر الحسينيّة، إذ ذكر المؤلِّف عبارات عديدة من الصولة، ثمّ ردّها ردّاً علميّاً دقيقاً، مستدلاً بكتاب الله وسنة نبيّه والأحداث التأريخية.

الثالثة: لم يقتصر على ردّ عبارات «الصولة»، بل ردّ ـ بشكل مفصّل ـ على رسالة «الدين والشؤون» لمؤلِّفها الحاج الشيخ أسد الله المامقاني (ت١٣٣٦هـ)، الذي اعترض على الكثير من الشعائر الحسينيّة، ووصفها

---

(١) الذريعة ١٨: ١١٣/ ٩٥٨.

بأوصاف قبيحة، فتصدّى لـه الأردوبـادي، فنقـل عباراتـه كاملـة، ثـمّ أجـاب عليها بمنهج علميّ رصين.

الرابعة: لم يذكر المؤلِّف تأريخ تأليفه لهذه الرسالة، ومـن الواضـح أنّـه كان بعد سنة ١٣٤٥هـ وهو تأريخ تأليف رسالة «الصولة».

الخامسة: للمؤلِّف رسالة أُخرى، ردّ فيهـا علـى رسـالة «التنزيـه لأعمـال الشبيه» للسيّد محسن الأمين العاملي (ت١٣٧١هـ)، الذي استشكل فيهـا علـى إقامة بعض الشعائر الحسينيّة، سمّاها «كلمات جامعة حول المظاهر العزائيّـة» والتي لم يذكر فيها أيضاً تأريخ تأليفها، والظاهر أنّه ألّفها سنة ١٣٤٧هـ

السادسة: هـذه الرسـالة طبعـت سـنة ١٤٣٦هـ فـي « موسـوعة العلاّمـة الأردوبادي»، التـي قـام بجمعهـا وإعـدادها للطبـع، سـبط المؤلّـف الخطيـب الحسينيّ السيّد مهدي الشيرازي، وقام بتحقيق محتواها ـ من رسائل وكتـب ـ مجموعة من المحقّقين الفضلاء، تحـت نظـر ومتابعـة مركـز إحيـاء التـراث، التابع لدار مخطوطات العتبة العباسية المقدّسة.

ونحـن قمنـا بإعـادة طبعهـا ونشـرها فـي هـذه المجموعـة مـن الرسـائل الحسـينيّة، دون تغييـر فيهـا، إلّا فـي مـوارد الضـرورة، التـي صـحّحناها دون الإشارة إليها، وقد ميّزنا بعض تعليقاتنا في الهـامش بوضـعها بـين معقـوفتين كبيرتين، وختمها بلقبنا.

جزى الله الإخوة الفضلاء الذين قاموا بتحقيق ومراجعة هـذه الموسـوعة المباركة، وكذلك جامعها ومعدّها للطبع.

(١٠) الآيات البيّنات في قمع البدع والضلالات

«المواكب الحسينيّة»

للشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء

المؤلِّف:

الشيخ محمّد حسين ابن الشيخ علي ابن الشيخ محمّد رضا آل كاشف الغطاء، ولد سنة ١٢٩٤هـ، ونشأ في مدينة النجف الأشرف وتخرّج في المبادئ على أعلام عصره من النجفيين، وفي الفقه والأصول على الزعيم الديني الكبير السيّد محمّد كاظم اليزدي، وكان أحد أوصيائه ومن أخصّ أخصّائه.

وله الرواية عن الحاج ميرزا حسين الخليلي، وعن أعمامه الشيخ عبّاس ابن الشيخ حسن والشيخ عبّاس ابن الشيخ علي، وعن العلاّمة النوري والشيخ علي الخيقاني.

خلّف للأُمة الإسلاميّة مجموعة كبيرة من الآثار النفيسة، منها: الدين والإسلام، المراجعات الريحانيّة، أصل الشيعة وأصولها، الآيات البيّنات، التوضيح في بيان ما هو المسيح، الميثاق العربي الوطني، المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون، نبذة من السياسة الحسينيّة، الأرض والتربة الحسينيّة، حاشية

على تبصرة العلاّمة الحلّي، وجيزة الأحكام، حاشية على سفينة النجاة لأخيه الشيخ أحمد، حاشية على العروة الوثقى، تحرير المجلّة، تعليقات على سحر بابل ديوان السيّد جعفر الحلّي، مختارات من شعراء الأغاني. وله كتب خطية كثيرة لم تطبع إلى الآن.

ومن أعماله المشهورة: سفره إلى بيت المقدس وحضوره في المؤتمر الإسلامي هناك، وإلقائه خطبة عصماء أعجبت الحاضرين، وكذلك سفره إلى الهند الذي لاقى فيه التبجيل والتكريم، ومن إصلاحاته الاجتماعية المشهورة، قضاؤه على الأعمال المنكرة الصادرة من بعض العوام في التاسع من ربيع الأوّل، فصعد المنبر في الصحن العلوي الشريف وخطب بالناس خطبة رائعة لمدّة ساعتين تقريباً، ووعّظهم وبيّن لهم ضرورة القضاء على تلك الأعمال المنكرة.

وكان رحمه الله أديباً شاعراً، له ديوان شعر كبير.

وصفه المؤرّخ الشيخ جعفر محبوبة ـ والذي اقتبسنا هذه الترجمة منه ـ بقوله:هو عميد الطائفة الجعفريّة وزعيمها، وعلم من أعلام الفرقة الناجية وناصرها، منبع العلوم والآداب، وكعبة الفضل التي إليها تحث الركاب، سرّ الفصاحة وبحر البلاغة، إن تكلّم نُسي عنده حسّان، أو رقى ذروة التدريس يضيع بحضرته سحبان، كيف وهو فرع الدوحة الجعفريّة اليانعة، والنبعة العلميّة المثمرة التي لم يزل العلم والإرشاد ضارباً فيهم رواقه، وماداً عليهم سرداقه ما يقرب من قرنين.

توفّي رحمه الله في إيران يوم الاثنين الثامن عشر من شهر ذي القعدة سنة١٣٧٣هـ، ونقل جثمانه إلى بغداد، ومنها إلى النجف الأشرف ودفن في مقبرته في وادي السلام، ورثاه الشعراء وأبّنه الخطباء[1].

المؤلَّف:

نسلّط الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأُولى: إنّ هذا الكتاب «الآيات البيّنات» يحتوي على أربع رسائل للمصنّف هي:

«المواكب الحسينيّة، ونقض فتاوى الوهابيّة، والردّ على الطبيعيين، وخرافات البابية»، جمعها ابن أخ المؤلّف محمّد ابن الشيخ عبد الحسين كاشف الغطاء، اخترنا منها الرسالة الأولى هنا، التي هي محلّ بحثنا.

الثانية: كتب المصنّف رحمه الله عدة رسائل تتعلّق بالشعائر الحسينيّة، إلّا أنّ الموجود في هذه الرسالة ثلاث فقط، وذلك أنّ جامع هذه الرسائل وطابعها اختار هذه الثلاث فقط، إذ قال في مقدّمتها:

«كتب مُدّ ظلّه في أجوبة الأسئلة الواردة إليه عن فتواه في المواكب الحسينيّة ـ زادها الله عزّاً وكرامة ـ عدّة مقالات، وكتب مطولة ومختصرة، ومتوسّطة، ونحن ننتخب منها ثلاث على ذلك النسق».

(١) ماضي النجف وحاضرها ٣: ١٨٤ – ١٨٩.

وهذه الرسائل الثلاث هي:

(١)ـ جواب على استفتاء من بعض ذوي الفضل في مدينة النجف الأشرف، يسألون عن رأيه في الشعائر الحسينيّة، مثل: مواكب العزاء، وتمثيل فاجعة الطفّ، واللطم، وضرب السلاسل على الظهور، ودقّ الطبول.

فأجاب رحمه الله بجواز جميع ذلك.

ولم يذكر في آخر الجواب تأريخه، ولم أعثر على من أثبته، والظاهر أنّه كان قبل السابع عشر من شهر صفر سنة ١٣٤٥هـ وهو تأريخ الرسالة الثانية التي كتبها المصنّف لأهالي البصرة، والتي كانت بعد الرسالة الأولى.

(٢)ـ جواب على عدّة رسائل وردت إليه من أماكن مختلفة من العراق خصوصاً مدينة البصرة، يسألونه بيان رأيه في الشعائر الحسينيّة، وكتابة رسالة مبسوطة في ذلك، إذ أنّ جواب الرسالة الأولى لم يكن كافياً، فقد أشار جامع هذه الرسائل إلى هذه المسألة، قائلاً:

«ثمّ تتابعت البرقيّات من البصرة وغيرها سائلين منه دام علاه، طالبين فتواه في تلك الأعمال، فكتب إليهم كتاباً أبسط من الجواب المتقدّم، وقد طبع في مطبعة الكاظمية بالبصرة، وانتشر بصورة منشور منفرد في عامّة الأطراف».

علماً بأنّ تاريخ طباعته كان في السابع عشر من شهر صفر سنة١٣٤٥هـ.

وكتب المصنّف جوابه هذا إلى عدّة أشخاص، قائلاً في أوّله: «إلى إخواننا المؤمنين وعباد الله الصالحين من السادة الأشراف والأماجد الكرام:

السيّد هاشم البعّاج، والسيّد عبد الباقي البعّاج، والحاج داود العطيّة، وعبد الواحد العطيّة، والملاّ جعفر أدام الله حراستهم وتوفيقهم».

وقد حكم المصنّف في رسالته هذه على الشعائر الحسينيّة: «المواكب الحسينيّة، واللطم على الصدور، وضرب السلاسل على الظهور، والضرب بالسيوف والخناجر، وخروج الجماعات في الشوارع والطرقات» بكونها «مباحة مشروعة، بل راجحة مستحبّة، وهي وسيلة من الوسائل الحسينيّة، وباب من أبواب سفينة النجاة».

(٣)ـ جواب على عدّة رسائل وصلت إليه من البصرة، لذلك جعل جوابه موجّهاً إليهم قائلاً في أوله: «إلى عموم إخواننا من أهالي البصرة ونواحيها ـ وفّقهم الله جميعاً للعمل الصالح، والمتجر الرابح، والسعي الناجح إلى سعادة الدارين، وفوز النشأتين إن شاء الله ـ بتوسط الأمجدين السيّد هاشم البعّاج والحاج داود العطية أدام الله لهما السلامة والكرامة».

والظاهر أنّ الرسالتين الأوّليين لم تكفيا بالمطلوب لذلك كتب هذه الرسالة الثالثة باسلوب مبسّط ومفصّل، إذ يقول جامع هذه الرسائل: «وحيث لم تنحسم الشبهة ولم تبرأ العلّة، ولم تمُسك ألسنة المعارضين بتلك البيّنات الشافية، لذلك تظاهرت وتظافرت عليه البرقيّات من عدّة جهات يرغبون إليه في أن يكتب ما هو أبسط من ذلك، فعزّزهما بثالث، لم يبق للشبهة مجالاً ولا للشكّ موضعاً».

وهذه الرسالة الثالثة طبعت بشكل مستقل في المطبعة العلويّة في مدينة النجف الأشرف سنة١٣٤٥هـ باسم «المواكب الحسينيّة»، وطبعت ثانية

ضمن «الآيات البيّنات»، وذكرها الشيخ الطهراني قائلاً: «المواكب الحسينيّة» في الردّ على منكر بعض أنواع إقامة العزّاء، للشيخ محمّد حسين آل كاشف الغطاء، صاحب المغني عن الأغاني، طبع سنة ١٣٤٥هـ»[١].

وقد تعرّض المصنّف في هذه الرسالة إلى بعض الشعائر الحسينيّة بشكل مفصّل: اللطم واللدم، خروج المواكب في الطرقات، ضرب الرؤوس والظهور بالسيوف والسلاسل، ضرب الطبول ونفخ الأبواق وقرع الطوس، الشبيه ومواكب التمثيل.

وفي نهاية هذه الرسالة أورد جامعها وطابعها محمّد ابن الشيخ عبد الحسين كاشف الغطاء، نصّ محاضرة قيّمة ألقاها المصنّف تتعلّق بهذا الموضوع.

الثالثة: من خلال الوقوف على تاريخ الأجوبة الثلاثة التي كتبها الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء، وكلّها كانت سنة ١٣٤٥هـ، يتضح أنّها كانت جواباً على ما كتبه السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني (ت١٣٥٨هـ) في رسالته «صولة الحقّ على جولة الباطل» التي طبعت في الخامس عشر من شهر محرّم سنة ١٣٤٥هـ، وليس لها علاقة برسالة «التنزيه لأعمال الشبيه» للسيّد محسن الأمين (ت١٣٧١هـ) التي طبعت سنة ١٣٤٧هـ.

الرابعة: يصف الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء المعترضين على الشعائر الحسينيّة بقوله: «ما أحسب وضعها ـ أي الشعائر الحسينيّة ـ في مجال

---

(١) الذريعة ٢٣: ٢٣٢ / ٨٧٧٤.

السؤال والتشكيك إلّا دسيسة أموية أو نزعة وهابيّة، يريدون أن يتوصّلوا بذلك إلى إطفاء ذلك النور، الذي أبى الله إلّا أن يتمّه ولو كره الكافرون... عرف من أين سرى هذا السمّ الخبيث، وجاءت تلك البلية، التي تريد أن تقضي على حياة الشيعة وتزهق روح الشريعة، ولا يروّج هذا إلّا على السذّج والبسطاء والمغفّلين الذين يقتلون الدين باسم الدين من حيث لا يشعرون».

الخامسة: طبعت «الآيات البيّنات» بإجازة المصنّف، كما أشار جامعها وطابعها بقوله:

«ثمّ استجزنا شيخنا الأعظم أدام الله أيامه في ذلك، فتكرّم بالإجازة، وكان جملة منها قد طبع منفرداً، وقد جمعناها هنا مع ما أضافه إليها ثانية».

السادسة: كتب على الصفحة الأولى من النسخة المطبوعة التي اعتمدنا عليها في التصحيح: «الآيات البّينات في قمع البدع والضلالات ١ ـ المواكب الحسينيّة ٢ ـ نقض فتاوى الوهابية ٣ ـ ردّ الطبيعية ٤ ـ خرافات البابيّة. جامعها وناشرها محمّد ابن المرحوم الشيخ عبد الحسين آل كاشف الغطاء قدّس سرّه، من إفاضات علامة الدهر وناموس الفخر حجّة الإسلام آية الله في الأنام الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء النجفي».

(١١) الأنوار الحسينيّة والشعائر الإسلاميّة
للشيخ عبد الرضا كاشف الغطاء (ت١٣٨٧هـ)

المؤلِّف:

لم أعثر على ترجمة وافية وكاملة للمؤلِّف، في المصادر المتوفّرة لدينا، ونحنُ نعيش في بلد المهجر إيران، فاستعنتُ بالأخ العزيز الوسيم الشيخ أمير ابن الشيخ شريف كاشف الغطاء، باعتباره من هذه الأسرة، وأهل مكّة أدرى بشعابها، فأرسل لي مشكوراً ترجمته مذكورة ضمن رسالة ماجستير بعنوان «مجلّة الغري ودورها الثقافيّ السياسيّ في العراق خلال الحرب العالميّة الثانية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥»، للباحث هلال كاظم حميري الشبلي، الذي قدّمها لكليّة التربيّة في جامعة القادسية، نذكرها كاملةً؛ لاحتوائها على معلومات مفيدة:

ولد الشيخ عبد الرضا ابن الشيخ عبد الحسين ابن الشيخ محمّد ابن الشيخ عباس ابن الشيخ علي ابن الشيخ جعفر الكبير ـ ينتهي نسبه إلى الصحابيّ الجليل مالك الأشتر النخعي ـ عام ١٨٩٦م في مدينة النجف محلّة

العمارة، وينتسب إلى أحد الأسر النجفيّة المعروفة باسرة آل كاشف الغطاء، ولقّب بشيخ العراقين[1].

تعلّم مبادئ القراءة والكتابة على يد الشيخ محمود المعلّم، ومبادئ النحو والصرف على يد السيّد مير أحمد أبو طبيخ، ثمّ أكمل دراسة الفقه والأصول على يد الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء، إلّا أنّه لم يرسل إلى المدرسة الرشديّة العثمانيّة.

وكان منهج أهالي النجف في تعليم أبنائهم، المتمثّل بإرسالهم إلى الكتاتيب لتعلّم القراءة وفق طُرق وأساليب قديمة تقتصر على تحفيظ الأطفال آيات من القرآن الكريم، وإعطائهم بعض الأرقام العدديّة، وبهذه الطريقة يتعلّموا مباديء القراءة والكتابة والحساب.

من الطبيعي أن يُرسل الشيخ عبد الرضا إلى الكتاتيب كما كان سائداً آنذاك، لذا بقيت صفوف المدرسة الرشديّة ستّة صفوف ولم تتطوّر؛ لاقتناع الأهالي بأنّهم يختلفون عن مذهب الدولة العثمانيّة، ومعارضة بعض خطباء المنابر ورفضهم فتح مدارس توجّه الطلبة مذهبياً، أو أنّهم يأبون إخضاع

---

(١) لُقّب بشيخ المصرين أو العراقين؛ لكثرة السفر بين البصرة والكوفة، وهناك سبب آخر لهذا اللقب، وهو (أنّ أحد أفراد أسرة كاشف الغطاء، وهو محمّد حسين، المشتهر في بلاد فارس بلقب شيخ العراقين: عراق العرب، وعراق العجم، وأنّ الشيخ عبد الرضا أخذ هذا اللقب واشتهر كذلك في الهند).

«د. حسن الحكيم، مقابلات متعدّدة للباحث (النجف) ٤ ـ ٦ ـ ٢٠٠٤، مقابلة مع هاشم عبد الرضا (بغداد) ٢٣ ـ ٧ ـ ٢٠٠٤، وهو أكبر أولاد الشيخ عبد الرضا، ومن المشتغلين معه في إصدار المجلّة حتّى عام ١٩٥٠، ولازال على قيد الحياة».

أبنائهم لهذه المناهج التي لم تكن مقتصرة على الدين الإسلامي، وإنّما فيها مناهج حسب اعتقادهم بعيدة عن التعاليم الإسلاميّة، إذ كانوا يرفضون جعل العلوم الدينيّة تتماشى جنباً إلى جنب مع العلوم العصريّة.

ويبدو لي أنّ السبب الظاهر لمعارضة المدارس الحديثة، هو التمسّك بالمناهج الدينيّة التي كانت تُدرس في المدارس الدينيّة، مع الأخذ بنظر الاعتبار أنّهم كانوا بعيدين عمّا وصلت إليه المناهج التعليميّة من تطوّر، رافضين في الوقت نفسه كلَّ ما هو حديث، مثلما قال شاعرهم:

إذا كان ترك الدين يعني تقدماً   فيا نفس موتي قبل أن تتقدّمي

ويبدو أنّ توجّهات الشيخ عبد الرضا الثقافيّة مسايرة لمنهج الأُسرة، ممّا دفعه للتلازم مع الأُدباء، الذين كانوا يلتقون باستمرار للمناقشة في مختلف الجوانب الفكريّة، وتنظموا في جمعيات منها الرابطة الأدبية في النجف، وكوّنوا صلات مع أعضائها البارزين، ومنهم السيّد محمود الحبوبي، والشاعر محمّد علي اليعقوبي، والشيخ عليّ الخاقاني، والشيخ صالح الجعفري، والسيد محمّد علي البلاغي.

وكان الشيخ عبد الرضا زميلاً مواظباً على زيارتها، ومشجعاً لأُدبائها، ومباركاً لخطواتها، وناشراً لآدابها من خلال مجلّته، فمن الطبيعي أن يكون معظم أعضاء الجمعية كُتّاباً للمجلة.

ولم تقتصر علاقاته مع الأدباء، بل سعى لبناء علاقة مع علماء الدين في النجف، بفضل طبيعة عمله، وما تفرضه عليه الظروف الدراسيّة على أيدي رجال الدين، فضلاً عن الظروف السياسيّة التي كانت سائدة آنذاك.

ترسّخت علاقته بالعلماء أمثال السيّد محمّد سعيد الحبوبي، والذي رافقه عند خروجه إلى البصرة والناصريّة للمشاركة في الحرب ضدّ الإنكليز في معركة الشعبية (عام١٩١٥م)، ومن ثمّ رحل إلى العمارة، وذاع صيته هناك من خلال تلك المعارك ومشاركته مع قبيلة آل بومحمد، التي تصدّت لتقدّم القوات الإنكليزيّة على نهر دجلة، ارتبط مع أحد وجهاء القبيلة بعلاقة نسب.

تكرّرت زياراته إلى السيّد أبي الحسن الأصفهاني، والشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء؛ لأنّهم يمثّلون المرجعيّة العليا في العراق آنذاك، وارتبط بصلات مع رجال العلم والأدب، فقد سعى إلى بناء علاقات مع الشخصيّات السياسيّة وعلى مختلف مستوياتهم، والذي ساعده في ذلك عمله في المجلّة التي كانت خير وسيلة للوصول إلى رجال الدولة، بالإضافة إلى مميّزاته الشخصيّة الجذّابة، وسرعة البديهيّة، وفصاحة الكلام، إذ جعلته موضع اهتمامهم، فضلاً عن ذلك تأليف الكتب في بعضهم، ممّا يدعو لمقابلتهم شخصيّاً، والتي بدورها دعمت علاقاته بهم.

وفي مقدّمة العلاقات تلك التي بناها مع الوصيّ عبد الإله، عندما كتب عنه مؤلّفاً بعنوان «حياة الوصيّ»، بالإضافة إلى كتابه عن العائلة الهاشميّة في العراق بعنوان «الآثار الهاشمية».

وتعزيزاً لعلاقاته مع المسؤولين، سعى لدعمها بعلاقته مع الحكّام المحلّيين في لواء كربلاء وقائمقاميّة النجف، وتمثّلت من خلال نشر صورهم وتحرّكاتهم بمجلّته، ودعمها بعبارات الثناء لهم مقابل ذلك الرد على التهاني

المرسلة إليهم وتنشر في ذات المجلّة، أسهم العديد من هؤلاء الحكّام في نشر بعض نتاجاتهم في المجلّة، ومنهم السيّد جعفر حمندي، الذي بلغت مساهماته أربع مشاركات.

وتجدر الإشارة إلى أنّ باباً خاصاً في المجلّة سُمّي «باب الأخبار والحوادث» خصّص لتغطية الفعاليّات والأحداث في اللواء، بدعم من الحكّام المحلّيين.

اعتقد صاحب المجلّة أهميّة تقوية علاقاته مع الحكّام لخدمة مدينة النجف والمجلّة في آن واحد، وذلك لأنّ قسماً من المعلومات عن طريق الحكّام المحلّيين، وهي قرارات وقوانين تخصّ المواطنين وفيها منفعة لهم.

آمن الشيخ عبد الرضا بتنوّع الثقافة ومواردها، إلّا أن ذلك لا يتمّ إلّا من خلال الاطّلاع على ما في داخل القطر وخارجه؛ لذلك كانت الهند أُولى محطّاته، وفضلاً عن ذلك زار الصين واليابان واليمن والكويت وزنجبار، كما أكّد ذلك في إحدى مقالاته.

أثمرت تلك الزيارات ارتباطه بعلاقات وثيقة مع عدد من الشخصيّات البارزة في تلك البلاد التي زارها، لاسيّما الهند، والتي مكث فيها مدّة طويلة، وكوّن علاقات مع زعيم طائفة البهرة، وألّف كتاباً في آثار وتاريخ تلك المدن التي زارها في الهند، ومنها مملكة أودة.

أمّا فيما يخصّ اتصالاته الداخلية والمتمثّلة بالأُسر النجفية، لاسيّما تلك التي لها مركز دينيّ، من خلال حضوره المناسبات الدينيّة والاجتماعيّة التي

غالباً ما يقوم بنشرها في المجلّة، فضلاً عن ترحيبه بالشخصيّات العشائرية القادمة لزيارة المراقد المقدّسة في النجف وكربلاء، هذه الأعمال جعلت منه شخصاً معروفاً.

ويبدو لي أنّ اتصالات الشيخ عبد الرضا المختلفة، الهدف منها تمشية المجلّة وزيادة مبيعاتها في الساحة العراقيّة، فضلاً عن الطبيعة الاجتماعيّة التي يتميّز بها في علاقته مع الآخرين.

اقترن الشيخ عبد الرضا بعدد من الزيجات بلغن ستّ، أثمرت زيجاته المتعدّدة أربعة بنين وبنت واحدة، وبعد أن بلغ من العمر اثنين وسبعين عاماً، استقرّ في بيت زوجته الأخيرة في منطقة حيّ السعد، بعدما ترك العمل الصحفي، إذ كان يعاني من مرض القلب.

توفّي الشيخ عبد الرضا بعد مرض عُضال، وشيّع من قبل أهالي النجف في موكب مهيب، بتاريخ ١٤/ ٦/ ١٩٦٨م.

المؤلّف:

نسلّط الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأُولى: ردّ المؤلِف في كتابه هذا على جريدتين فارسيّتين صادرتين في الهند، انتقدتا بعض الشعائر الحسينيّة التي يقيمها المؤمنون في البلاد الإسلاميّة عموماً، وبلاد الهند خصوصاً.

إلّا أنّ المؤلِف لم يصرّح باسم هاتين الجريدتين في أول كتابه، بل نقل عدّة عبارات منهما، كانت في العددين ٢٧ و٢٨ الصادرين في ١٩ محرّم

سنة ١٣٤٦هـ من الجريدة الأولى، وفي العدد ١٣٥ الصادر في ٦ محرّم من نفس السنة، لكنّه في الجزء الثاني من كتابه هذا صرّح باسم إحدى هاتين الجريدتين، وهي «حبل المتين».

وقد صرّح باسمهما العلامة الطهراني في ذريعته ٢: ٤٢٤ ـ ٤٢٥ رقم ١٦٧٣، قائلاً: «ردّ فيه على ما في بعض الجرائد الفارسيّة الصادرة في الهند، مثل «حبل المتين» و«الإبلاغ»، في المنع عن مراسم العزاء لسيّد الشهداء عليه السلام».

الثانية: ذكر المؤلّف في موضع من الجزء الأوّل، عنوان المقالة التي انتقدت الشعائر الحسينيّة، وهي بالفارسية «ملّة گرية» وترجمها في هامش الكتاب بـ«أمّة البكاء».

الثالثة: أشار في الجزء الثاني منه إلى رسالة «الصولة» للسيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني البصري (ت١٣٥٨هـ) وذكر بعض عباراتها، وقام بردّها.

وكذلك ذكر رسالة «نصرة المظلوم» للشيخ حسن ابن الشيخ عبد المهدي المظفّر (ت١٣٨٨هـ)، ورسالة «الآيات البيّنات في قمع البدع والضلالات ـ المواكب الحسينيّة ـ للشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (ت١٣٧٣هـ).

الرابعة: انتهى من تأليفه في بلاد الهند، وطبع في مطبعة هور في بمبئ في ٢٩ محرّم سنة ١٣٤٦هـ

الخامسة: كتب المؤلِّف عدّة تعاليق وتوضيحات في هامش الكتاب، وضعناها كما هي، وميّزناها عن عملنا بوضع نجمة أمامها.

السادسة: في عدّة موارد من الجزء الثاني، صرّح بأنّه سيجعل كتابه هذا في ثلاثة أجزاء، بل في أربعة، إضافة للملحق، إلاّ أنّ المطبوع منها فقط جزءان وملحق.

السابعة: في آخر الملحق من هذا الكتاب، اعتذر المؤلِّف عن كثرة الأخطاء الواردة فيه بسبب عمال الطباعة الهنود، وذلك أتعبنا كثيراً في تصحيحه.

علماً بأنّ المؤلّف ذكر أبحاثاً ليست لها علاقة بموضوع الكتاب، فشرّق وغرّب وابتعد كثيراً عن صلب الموضوع.

الثامنة: قام أحد الكتاب، واسمه فراس النابلسي، بردّ هذا الكتاب بكتاب سمّاه «أكاذيب الأنوار الحسينيّة»، لم أعثر عليه لحدّ الآن.

(١٢) الأعلام الحسينيّة

للسيّد مرتضى ابن السيّد عليّ الداماد

المؤلِّف:

لم أعثر على ترجمته في المصادر المتوفّرة لدينا، ذكره بعضهم في آخر ترجمة والده السيّد عليّ ابن السيّد محمّد ابن السيّد عليّ الرضوي التبريزي (١٢٧٥هـ ـ ١٣٣٦هـ) الذي كان فقيهاً أصوليّاً كبيراً، وعالماً محقّقاً جليلاً، ومجاهداً كبيراً، خلّف ثلاثة أولاد هم: السيّد مرتضى، والسيد حسين، والسيد جواد.

وعلى الصفحة الأُولى من هذه الرسالة ـ الأعلام الحسينيّة ـ وردت عبارة:

«هذا الكتاب للعالم الفاضل والتقيّ الكامل، نتيجة المتقدّمين وفضيلة المتأخرّين، السيّد سيّد مرتضى، صاحب كتاب «الصولة العلويّة على الجولة الأمويّة»، سليل المرحوم السيّد حجة الإسلام والمسلمين آية الله تعالى في العالمين، سيّد المتّقين والمجاهدين، الشهيد الرابع، والمصباح اللامع السيّد سيّد علي الداماد التبريزي، نوّر الله مرقده».

انظر في ترجمة السيّد علي الداماد: معجم رجال الفكر والأدب للشيخ محمّد هادي الأميني ٢: ٥٥٩، نقلاً عن: أعيان الشيعة ٨: ٣١١، الذريعة ٢: ٢٠٧ و٢١: ١١٢، مصفّى المقال: ٣٠٤، ٣٢١، معجم المؤلّفين ٧: ٢١٨، نقباء البشر ٤: ١٥٢٥.

المؤلَّف:

نسلّط الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأولى: كتاب فارسيّ، يحتوي على عبارات وأشعار فارسيّة قديمة، وكذلك عبارات وأشعار تركيّة، أتعبَ مترجمته «السيّدة أم علي مشكور» إلى اللغة العربيّة كثيراً، استعنا بآخرين يجيدون اللغة الفارسية والتركية القديمة.

يدافع فيه المؤلِّف عن الشعائر الحسينيّة، إذ ورد في الصفحة الأولى منه عبارة عربيّة هي: «الأعلام الحسينيّة في جواز اللطمات وضرب القامات والتشبيهات والتعبية على العترة النبويّة».

وكلمة «التعبية» فارسيّة قديمة، معناها وضع الشيء في محلّه، ولعّل المؤلِّف قصد منها هنا القيام بهذه الشعائر واستقرارها في محلّها؛ إذ محلّها أن تكونَ على العترة النبويّة.

ذكرها الطهراني في الذريعة ٢: ٢٣٨ رقم ٩٤٨، قائلاً: «الأعلام الحسينيّة في ما يتعلّق بتعزية الحسين عليه السلام، فارسي، مطبوع... للسيّد مرتضى بن علي الداماد الرضوي الغروي».

الثانية: يردّ فيه المؤلّف على جريدة الأوقات العراقيّة، في عددها ١٦٦١، الصادر في الأوّل من شهر محرّم سنة ١٣٤٥هـ ويشير إلى السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني (ت١٣٥٨هـ)، وينقل بعض عباراته ويردّ عليها.

الثالثة: انتهى من تأليفه في ليلة عيد الفطر سنة ١٣٤٥هـ وطبع في التاسع عشر من شهر صفر الخير سنة ١٣٤٦هـ والمطبوع منه جزء واحد فقط، وفي آخره عبارة من المؤلِّف يوعد القارئ بتأليف جزءٍ ثانٍ منه، والنسخة التي اعتمدنا عليها في التصحيح، هي المطبوعة المحفوظة في المكتبة المرعشية في مدينة قم المقدسة.

الرابعة: وضع المؤلّف عدّة عناوين لأبحاثه، في أعلى صفحات الكتاب أو جانبه، قمنا بنقلها ووضعناها في مكانها المناسب بين قوسين.

الخامسة: وضعنا ترجمة الأشعار الفارسية والتركية ضمن الكتاب بين معقوفتين كبيرتين.

السادسة: الكتاب فيه قصص وحكايات كثيرة، خارجة عن موضوع الكتاب، لم نعثر على مصدر بعضها، وأتعبتنا كثيراً في تصحيحها، ولولا أنّا أخذنا على عاتقنا جمع وتصحيح كلّ ما يتعلّق بهذا الموضوع، لما أتلفنا وقتنا في تصحيح هكذا كتاب.

(١٣) قطعة من كتاب الفردوس الأعلى
للشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء

المؤلَّف:

نسلّط الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأولى: في هذا الكتاب تعرّض الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (ت١٣٧٣هـ) إلى حكم إقامة الشعائر الحسينيّة، في جوابه على سؤال ضمن المسائل القندهارية التي وردت إليه، والتي طبعت سنة١٣٣٩هـ ، ثمّ قام السيّد الشهيد محمّد علي القاضي الطباطبائي بترجمتها إلى العربية وطبعها في أوّل الفردوس الأعلى سنة١٣٧١هـ في النجف الأشرف، وسنة١٣٧٢ في تبريز[1].

الثانية: حكم المصنّف على بعض الشعائر الحسينيّة كلطم الصدور والضرب بالسلاسل والسيوف، بالمنع والتحريم بناءً على حرمة الإضرار وإيذاء النفس.

---

(١) الذريعة ١٦: ١٦٥ / ٤٦١.

وحكم أيضاً بكونها جائزة إذا صدرت من المكلّف بطريق العشق الحسيني، وانبعثت من احتراق القلب واشتعال النيران في الأكباد بمصاب الحسين عليه السلام، بل تكون حينئذ من القربات وأجلّ العبادات.

ثمّ علّق على حكمه بقوله: ولكنّ هذا المعنى لا يتيسّر لكلّ أحد، وأغلب الأشخاص الذين يرتكبون هذه الأمور والكيفيّات لا يأتون بها إلّا من باب التظاهر والمراءات والتحامل والمداجاة.

الثالثة: الذي يظهر من كلامه في هذا الكتاب، أنّه يعارض ما ذهب إليه في كتابه الآخر «الآيات البيّنات» من جواز تلك الشعائر، بل جعله أمراً حسناً. فما هو الرأي الصحيح للشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء في هذه الشعائر؟ وأيّ كتاب مقدّم: «الآيات البينات» أو «الفردوس الأعلى»؟

ومن الواضح أنّ جوابه في المسائل القندهارية كان قبل سنة ١٣٣٩هـ وهي سنة طبعها، بينما كلامه في «المواكب الحسينيّة» المطبوعة مستقلّاً ومع «الآيات البينات» كان سنة ١٣٤٥هـ ، فيقدّم ما في الأخيرة من جواز تلك الشعائر ؛ لأنّها متأخّرة تاريخيّاً.

لكن يمكن الجواب على هذا الكلام بأنّ كتاب «الفردوس الأعلى» تُرجم إلى العربيّة وطبع سنة ١٣٧١هـ بإجازة من المصنّف وبعد مراجعته له وتقريضه له أيضاً، وأنّه رحمه الله جعل «الفردوس الأعلى» و«جنّة المأوى» ختام مسك حياته، أي أنّه أقرّ ما ورد في «الفردوس».

وبهذا يكون الرأي الأخير له رحمه الله هو ما في «الفردوس» من حرمة تلك الشعائر.

الرابعة: ذهب المصنّف رحمه الله إلى أنّ أحسن الأعمال وأنزهها في ذكرى الحسين عليه السلام هو النياحة والندبة والبكاء عليه والزيارة له، واللعن على أعدائه، والتبري من ظالميه والمشاركين في دمه وقاتليه والراضين بقتله.

(١٤) سيماء الصلحاء

للشيخ عبد الحسين صادق العاملي

المؤلِّف:

هو[(١)] الشيخ عبد الحسين ابن الشيخ إبراهيم ابن الشيخ صادق الخيّامي النّباطي العاملي النّجفي، ولد سنة١٢٧٩هـ وقرأ بعض مقدّمات العلوم في جبل عامل، ثمّ هاجر إلى النجف بلد العلم والهجرة وعمره آنذاك إحدى وعشرون سنة، أعني سنة١٣٠٠هـ في السنّة التي توفّي فيها زعيم الإماميّة السيّد مهدي القزويني ورفيقه العالم الشيخ نوح القرشي.

وأكمل مقدّماته في النجف على الشيخ محمود ذهب (ت١٣٢٤هـ)، والشيخ علي الخاقاني (ت١٣٣٤هـ) والسيّد علي ابن السيّد محمّد البحراني الغريفي (ت١٣٢١هـ)، وحضر دروس الأعلام وتخرّج على المراجع العظام في النجف، حتّى صار مجتهداً وعالماً، شهد بفضله جلّ أساتذته.

---

(١) اقتبسنا هذه الترجمة ممّا قاله فيه معاصره الشيخ محمّد حرز الدين (ت١٣٦٥هـ) في معارف الرجال ٢: ٤٠ – ٤٧.

وكان كاملاً، أديباً شاعراً، خفيف الرّوح، مستقيم الذوق، أريحي الطبع، على غزارة علمه وفضله وقداسته وتقاه، ويُعدُّ في عداد الطبقة الأولى من شعراء عصره. له شعر كثير محفوظ لمتانته وحسن سبكه، فيه النكات الأدبيّة والمناسبات.

من أساتذته: الشيخ محمّد حسين الكاظمي، والميرزا الخليلي، والميرزا حبيب الله الرشتي، والشيخ محمّد طه نجف، والملاّ محمّد الشرابياني، والشيخ رضا الهمداني، والآخوند الخراساني.

ومن مؤلّفاته: «المواهب السنيّة في فقه الإماميّة»، و«جامع الفوائد»، و«الشذرات في مباحث العقود والإيقاعات»، و«منظومة في علم الكلام»، و«منظومة في المواريث»، و«كتاب في الإجازة والوصيّة والقضاء»، و«أجوبة على مسائل عمر الرافعي»، و«سيماء الصلحاء»، و«رسالة في الرّد على القسّ الحلبي صاحب كتاب المشرح»، و«ديوان شعر».

خرج الشيخ عبد الحسين من النجف حدود سنة ١٣١٥هـ عائداً إلى بلده وهو عالم فقيه، أديب ماهر، متضلّع في الأدب، صلب الإيمان، ورع ثقة عدل، كريم النّفس دمث الأخلاق، يقوم بواجبه الديني إلى أن وافاه الأجل في شهر ذي الحجّة سنة ١٣٦١هـ ودفن في النبطيّة.

وقد كتب إليه الأديب الشاعر، العالم المعروف، الشيخ محمّد علي الأردوبادي (ت ١٣٨٠هـ) أبيات شعر، قال فيها:

اللهُ خصَّكَ بالعلوم وإنّما حسدُوكَ إذ حسدُوا بجهلٍ مُطبقِ

غَمَرَ العراقَ شذا فضائِلُكَ التـي   غَصَّـت بـرغْمهُم مَحاني جُلّـقِ
فَلئِن نطقـتَ فعـن معـالِم عَـيْلمٍ   أو إن كتبتَ فعن يَـراع مُحقّـقِ
ويَقلُّ قولي: إن نثرتَ فمِصـقعٌ   أو إن نظمتَ فعن مشاعِرِ مُفلقِ
فإلى الوَرا يا حاسِديه على العُلا   وَلَيَحيى للدِّين الحَنيف أبوُ التَّقي

المؤلَّف:

نسلّط الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأولى: هذه الرسالة هي الفائدة الثانية والسبعون من كتاب المؤلّف «جامع الفوائد» إذ قال في أوّلها:

«الفائدة الثانية والسبعون من كتابنا جامع الفوائد، المندرجة منه تحت عنوان: سيماء الصلحاء، إقامة عزاء سيّد الشهداء الحسينعليه السلام، مسّت الحاجة إلى فصلها وطبعها على حدة»[1].

الثانية: لم يُثبت الكاتب فيها تاريخ تأليفها، والظاهر أنّه كان سنة١٣٤٥هـ، أي بعد أن صرّح السيّد محسن الأمين (ت١٣٧١هـ)، في بعض جرائد بيروت بآرائه حول إصلاح الشعائر الحسينيّة، وكان ذلك أوائل هذه السنة.

الثالثة: طبعت هذه الرسالة مستقلّة أوّلاً في مطبعة العرفان في صيدا سنة١٣٤٥هـ وهي طبعة حجريّة، فيها بعض الأخطاء المطبعية، كتب عليها: «كتاب سيماء الصلحاء لمؤلّفه حجّة الإسلام العلاّمة الشهير والمصلح الكبير الشيخ عبد الحسين صادق. طبع على نفقة الجمعية الدينيّة في النبطيّة، حقوق الطبع محفوظة. مطبعة العرفان صيدا ١٣٤٥هـ ـ ١٩٢٧م».

---

(١) سيماء الصلحاء (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٤:٣٩٢.

وطبعت ثانية مع التعليقات عليها وتصحيح متنها، وقد أرسلها إلينا من لبنان على البريد الالكتروني صديقنا العزيز سماحة الحجّة السيّد باسم الصافي، فله من الله الأجر والثواب ومنّا جزيل الشكر والتقدير.

وقد اعتمدنا في تصحيحنا لهذه الرسالة على هاتين الطبعتين معاً.

الرابعة: في هامش الطبعة المصحّحة يوجد تعليق مفيد على قول المؤلّف: «ما نقلته بعض جرائد بيروت» وهو:

«يريد بها جريدة العهد الجديد، الذي كان مراسلها قد زار السيّد محسن الأمين ـ حسب نقل الأستاذ إبراهيم فرّان عن المؤرّخ السيّد حسن الأمين نجل سماحة السيّد محسن الأمين ـ وسأله عن رأيه في اللطم على الصدور والضرب على الرؤوس، فأجابه بالتحريم، ممّا أثار حفيظة المرحوم الشيخ عبد الحسين صادق، فأصدر هذه الرسالة الموسومة بـ«سيماء الصلحاء» سنة١٣٤٥هـ ـ ١٩٢٧م ـ مطبعة العرفان ـ صيدا، ردّاً على التصريح المشار إليه. عن حلقة دراسية حول عاشوراء ١٩٧٤ ـ رقم٢٢٥ ص٢٧»[1].

الخامسة: هدف المؤلّف من تأليف هذه الرسالة، هو الردّ على السيّد محسن الأمين في دعوته لإصلاح الشعائر الحسينيّة وتحريم بعضها[2]، كما جاء في مقالة جريدة العهد الجديد، وكذلك الردّ على السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني البصري الذي دعا أيضاً إلى إصلاح الشعائر الحسينيّة، كما

---

(١) سيماء الصلحاء (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٤:٤٧٩.

(٢) الذريعة ١٢: ٢٩٢ / ١٩٦١.

نقلته عنه جريدة الأوقات العراقية آنذاك، إلّا أنّ نصيب السيّد الأمين من الردّ في هذه الرسالة كان أكبر، وذلك لمكانته العلمية وشهرته العالمية.

لذلك نرى أنّ السيّد الأمين غضب بعد صدور هذه الرسالة وقال مقولته المشهورة: «من أغضب ولم يغضب فهو حمار» وكتب رسالته «التنزيه لأعمال الشبيه» رداً على هذه الرسالة «سيماء الصلحاء».

السادسة: يصف المؤلّف في رسالته هذه المخالفين للشعائر الحسينيّة والمنادين باصلاحها، بأوصاف جارحة، تدلّ على مدى تأثّره بها، وأهمّية وحساسية هذا الموضوع، الذي ورثه الأبناء عن الآباء والأجداد، وتمسّك به الجميع، إذ يقول في واحدة من عباراته الجارحة:

«إنّ ناشئة عصرية ولدها الدهر بعد حيال، أو قاءها بعد جشأ، تنتحل دين الإسلام، وما هي منه بفتيل أو نقير، ولا بعير أو نفير، وإن تقشّفت بلبسته، وادّهنت بصبغته، لقد أتته من وجهته، وتسلّقت إليه من سلّم ثنيّته، لتطعنه في ثغره ولبّته، وتقطع نياط وريديه، كتاباً وسنّة.

تهمّ ـ وما أعظم ما تهمّ ـ تهمّ أن تطفئ نور الله بأفواهها ويأبى الله إلّا أن يتمّ نوره ولو كره الشانئون، تهمّ أن تمحو أسطر أعلام النبوّة، وتطمس آثار الرسالة من لوح عالم الوجود وقرطاس التذكار.

فطائفة منها ازدلفت إلى مشاهدهم المقدّسة ببقيع الغرقد بالمدينة المشرّفة فهدمت تلك المعالم الشامخة...، وطائفة منهم تألّبت لإبطال إقامة

العزاء للنبيّ وآله وعترته أيام وفياتهم المعلومة، لاسيّما يوم عاشوراء الذي استشهد فيه الإمام الثالث خامس أهل الكساء مولانا الحسين عليه السلام»[١].

(١) سيماء الصلحاء (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٤: ٣٩٢-٣٩٣.

(١٥) التنزيه لأعمال الشبيه
للسيّد محسن الأمين

المؤلِّف:

هو[1] السيّد محسن ابن السيّد عبد الكريم ابن السيّد علي ابن السيّد محمّد الأمين ابن أبي الحسن موسى بن حيدر بن أحمد الحسيني العاملي المعروف بالأمين.

ولد في قرية شقرة من جبل عامل سنة١٢٨٣هـ ونشأ فيها وأكمل مقدّماته العلميّة بها، ثمّ هاجر إلى العراق قاصداً الإقامة في النجف الأشرف بلد العلم والهجرة للمجتهدين، وأقام فيها سنين يطلب العلم والمعارف الإسلاميّة والكمالات الأخلاقيّة، وجدّ في دراسته حتّى حضر دروس الأعلام، وكان قويّ الحافظة فطناً ألمعيّاً لبيباً شاعراً ينظم الشعر المتين، وربّما أسمعنا بعض نظمه في المديح والرثاء والغزل.

---

(١) أقتبسنا هذه الترجمة المختصرة ممّا قاله فيه معاصره الشيخ محمّد حرز الدين (ت١٣٦٥هـ) في معارف الرجال ٢: ١٨٤.

ولمّا بلغ رتبة الاجتهاد والفضل الواسع غادر النجف، داعياً إلى الحقّ، مبشراً بالإيمان والصدق، وبثّ مكارم الأخلاق والفضائل الإسلاميّة، وأقام في دمشق والشام بطلب من وجوه المسلمين، وجعلها وطنه الدائمي. وهناك ظهرت علومه الجمّة وأخلاقه السامية، وطار صيته في الآفاق الإسلاميّة عامّة والأقطار العربيّة خاصّة. كما ألّف وصنّف الكثير، وكانت الأسئلة والانتقادات من المخالفين ترد عليه بمختلف ألوانها وصورها فيجيب عنها.

من مؤلّفاته: «أعيان الشيعة في تراجم طبقات أعلام الشيعة»، و«معادن الجواهر» و«المجالس السنيّة» و«الدرر المنتقاة» و«الدرّ الثمين» و«لواعج الأشجان» و«كشف الارتياب في أتباع محمّد بن عبد الوهّاب» و«مفتاح الجنّات» و«الرحيق المختوم» و«الدروس الدينيّة» و«الدر النضيد في رثاء الشهيد» و«حاشية على كتاب القوانين».

توفّي(رحمه الله) ليلة الأحد الرابع من شهر رجب سنة ١٣٧١هـ، الموافق لليوم الثلاثين في شهر آذار سنة ١٩٥٢م.

المؤلَّف:

ونسلّط الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأولى: سبب تأليف هذه الرسالة هو الردّ على الشيخ عبد الحسين بن إبراهيم بن صادق العاملي (ت١٣٦١هـ) ورسالته «سيماء الصلحاء» ؛ لأنّ السيّد محسن الأمين انتقد بعض الشعائر الحسينيّة، وقامت جريدة «العهد

الجديد» الصادرة في بيروت بنشر انتقاده هذا آنذاك، ممّا آثار حفيظة الشيخ عبد الحسين فأصدر رسالة «سيماء الصلحاء» ردّاً على أفكار السيّد الأمين.

وأشار المؤلّف السيّد الأمين أيضاً إلى انتقاد السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني (ت١٣٥٨هـ) لبعض الشعائر الحسينيّة، ودافع عنه وعن آرائه؛ لأنّ الشيخ عبد الحسين صادق العاملي انتقده أيضاً في رسالته «سيماء الصلحاء».

علماً بأنّ جريدة «الأوقات العراقية» ذكرت آراءه في عددها ١٦٦١ الصادر في الأوّل من محرّم سنة١٣٤٥هـ، وكذلك قام هذا السيّد ببيان آرائه وانتقاده لبعض الشعائر الحسينيّة في رسالة مستقلّة سمّاها «صولة الحقّ على جولة الباطل».

الثانية: ذكر المؤلّف في بداية رسالته هذه عدّة أمور اعتبرها من المنكرات والبدع التي أدخلت في الشعائر الحسينيّة وقد «أجمع المسلمون على تحريم أكثرها وأنّها من المنكرات، وبعضها من الكبائر التي هدّد الله فاعله وذمّه في كتابه العزيز»، وهي:

(١)ـ الكذب بذكر الأمور المكذوبة المعلوم كذبها وعدم وجودها في خبر ولا نقلها في كتاب.

(٢)ـ التلحين بالغناء الذي قام الإجماع على تحريمه.

(٣)ـ إيذاء النفس وإدخال الضرر عليها.

(٤)ـ استعمال آلات اللهو كالطبل والزمر والصنوج النحاسية.

(٥)ـ تشبيه الرجال بالنساء في وقت التمثيل.

(٦)ـ إركاب النساء الهوادج مكشّفات الوجوه وتشبيههن ببنات رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٧)ـ صياح النساء بمسمع من الرجال الأجانب.

(٨)ـ الصياح والزعيق بالأصوات المنكرة القبيحة.

(٩)ـ كلّ ما يوجب الهتك والشنعة ممّا لا يدخل تحت الحصر.

الثالثة: انتهى المؤلّف من تأليفها في بيروت، في الثامن عشر من شهر محرّم الحرام سنة١٣٤٦هـ، وطبعت طبعتها الأولى في مطبعة العرفان في صيدا سنة ١٣٤٧هـ، وكُتب على غلافها عبارة «رسالة التنزيه لأعمال الشبيه، تأليف العلاّمة السيّد محسن الأمين الحسيني العاملي، تتضمّن الكلام على ما يدخل في عمل الشبيه وإقامة العزاء للإمام الحسين الشهيد عليه السلام من المحرّمات والتحذير منها».

ورأيت طبعة أخرى لهذه الرسالة، كُتب عليها أنّها الطبعة الثانية، نشر دار الهداية للطباعة والنشر، إلّا أنّ هذه الطبعة لم يذكر فيها تاريخ طباعتها، ولا مكانه، ولا الجهة التي قامت بطبعها.

والذي يظهر من «التمهيد» الذي كُتب في بداية هذه الطبعة، أنّ الذين طبعوها هم من المؤيّدين لأفكار السيّد الأمين، وأنّ تاريخ طباعتها هو سنة١٣٩٣هـ، أي بعد وفاة المؤلّف باثنتين وعشرين سنة، وبعد ست وأربعين سنة من الطبعة الأولى لها، وجاء في هذا «التمهيد»:

«هذه الرسالة موقف من مواقف الإصلاح الكبرى التي وقفها المجتهد الأكبر السيّد محسن الأمين منذ بدء حياته العلميّة بعد نيله إجازة الاجتهاد المطلق من النجف الأشرف.

وقد قوبل هذا الموقف كما قوبل غيره من المواقف بصيحات الجامدين وهجمات الحاقدين واستثارة الغافلين، ممّا لم يزد صاحبه إلّا ثباتاً ومضيّاً في مخطّطه الإصلاحي العظيم.

ولا يخفى على القارئ أنّ هذه الرسالة صدرت أوّل ما صدرت منذ ستّ وأربعين سنة، وأنّ أوّل ما عمل أعداء الإصلاح حين صدورها هو أن عمدوا إلى إثارة الغوغاء واستنفار الدهماء، ولكن شخصيّة السيّد الأمين القويّة استطاعت أن تصمد لكلّ ذلك، وأن تفرض نفسها وتقود حركتها بشجاعة وصبر».

إلّا أنّ الملاحظ في هذه الرسالة هو سقوط كلمات وأسطر، بل صفحات، كانت موجودة في الطبعة الأولى لها، ولا يمكن إن نُرجع هذه السقوط إلى المطبعة، إذ لا يمكن لأيّ مطبعة مهما كانت سيئة ورديئة أن تسقط من الكتاب كلمات وسطور، بل عدّة صفحات!!

ولا يمكننا هنا إلّا أن نُرجع هذه السقوط إلى الأشخاص الذين قاموا بطباعة هذه الرسالة ثانية، فعمدوا إلى حذفها بدوافع تظهر جليّاً عند مطالعة محتواها بدقة.

أفهذا هو الإصلاح يا أولي الإصلاح؟!

وأين الأمانة العلمية في النقل والاقتباس وإعادة طباعة كتب الماضين؟!

وهل يقبل المؤلّف ـ رحمه الله ـ بحذف كلّ هذه الجمل والصفحات من رسالته؟!

اللّهم اغفر لنا ـ ولإخواننا ـ إن أخطأنا أو نسينا.

وقد أثبتنا الفرق بين الطبعتين الأولى والثانية، و الكلمات والأسطر، بل والصفحات التي حذفت من الطبعة الثانية لها، في حديثنا عن هذه الرسالة قبل عدة صفحات.[(١)]

والعجيب في الأمر أنّ الطبعات الأخرى لهذه الرسالة اعتمدت على الطبعة الثانية لها المحرّفة، ولم تعتمد على طبعتها الأولى الصحيحة، فقد طبعت هذه الرسالة «التنزيه» في آخر كتاب «أعيان الشيعة»، وفي كتاب «ثورة التنزيه» لمحمّد القاسم الحسيني النجفي، دار الجديد ـ لبنان ـ ١٩٩٦م، وفي كتاب «الاختلاف والنقد ثمّ الإصلاح» لمختار الأسدي، مؤسسة الأعراف للنشر ـ قم المقدّسة ـ ١٤١٨هـ.

الرابعة: في عام ١٣٦٢هـ قام الكاتب الإيراني المعروف جلال آل أحمد (ت ١٣٨٨هـ) بترجمة رسالة «التنزيه»، إلى اللغة الفارسيّة، بعنوان «عزادارى هاى نامشروع» أي «ألوان العزاء غير المشروع»، وكانت هذه الترجمة هي أوّل عمل علميّ يقوم به، وقد تفاجأ جلال آل أحمد بأنّ ترجمته هذه قد نفدت من المكتبات خلال يومين فقط، وقد سُرَّ بهذا العمل سروراً كبيراً، ولمّا تتبّع

---

(١) انظر ما كتبناه في هذا المجلّد ص٤٥-٥٧.

الموضوع علمَ أنّ أحد التجّار الإيرانيين قد اشترى كلّ نسخ هذه الترجمة وأحرقها باعتبارها من كتب الضلال.[١]

الخامسة: اعتمدنا في تصحيح هذه الرسالة على الطبعة الأولى لها التي مرّ ذكرها، وأشرنا إلى السقوط والاختلافات مع الطبعات الأخرى في الهامش.

---

(١) انظر كتاب جدل ومواقف في الشعائر الحسينيّه، لمجموعة من المؤلّفين: ص ١٦٧.

(١٦) دفع التمويه عن رسالة التنزيه
للشيخ علي جمّال

المؤلِّف:

لم أعثر على ترجمة مفصّلة له، سوى ما ذكرته المستشرقة الفرنسيّة سابرينا مرون في كتابها «وقوف رجال الدين الإصلاحيين في لبنان أمام تحريف واقعة عاشوراء»، وله ذكر في ترجمة السيّد محسن الأمين التي كتبها في آخر «أعيان الشيعة» ولده السيّد حسن الأمين، وأيضاً ذكره العلاّمة الطهراني.

ويظهر منها أنّه لم يكن من رجال الدين، بل كان خطيباً قارئاً للتعزية في دمشق، ومدرّساً لعلوم العربيّة في المدرسة العلويّة، وساهم في إدارتها أيضاً، وكان من تلاميذ السيّد محسن الأمين المقرّبين.

قال العلّامة الطهراني (ت١٣٨٩هـ) في الذريعة ٨: ٢٢٨ رقم ٩٤١ عند ذكر رسالته هذه: «الخطيب الأديب الشهير بالشيخ علي جمّال، القارئ للتعزية في دمشق الشام».

وذكره السيّد حسن الأمين (ت١٤٢٣هـ) في ترجمة والده في آخر أعيان الشيعة ١٠: ٤٢٨، قائلاً: «وقبل أن يتحرّك الموكب ـ أي موكب تشييع السيّد

محسن الأمين ـ أُلقي خطاب المربّي الأُستاذ أحمد صندوق، ألقاه نيابة عنه الشيخ علي جمّال».

وقالت المستشرقة الفرنسية في آخر كتابها المذكور، المطبوع ضمن هذه المجموعة: «علي الجمّال (١٨٩٥ـ ١٩٨٤) ولد في أُسرة فقيرة في دمشق في محلّة الخراب، وبدأ دراسته في مدرسة العلوم القرآنية، واستمر فيها، ثمّ تتلمذ على يد الرهبان [رجال الدين المسيحيين] في العلوم الحديثة، ولكنّه لم يستطع الاستمرار في دراسته لأسباب ماديّة.

وعمل سكرتيراً عند أحد التجّار لسنوات عدّة، وفي نفس الوقت كان يواصل دراسته للنحو والفقه على يد محسن الأمين، الذي كان هو المشجّع له.

لم يحسب علي الجمّال من العلماء الكبار قطعاً، ولكنّه كان مطّلعاً على العلوم القرآنيّة وفنون التلاوة وجمال الألحان، وكان واقفاً على قواعد رصينة دينيّة.

درّس في المدرسة العلويّة، وساهم في إدارتها، وكان مديراً لها سنة ١٩٣٠. وقد درّس، وأدار بشكل عام هذه المدرسة ثلاثين سنة تقريباً، وكان يدرّس دروساً مسائيّة مضافاً إلى انشغاله بتدريس القرآن، وهو عضو فعّال في تأسيس المؤسسات الخيريّة.

تعلّم الخطابة على يد محسن الأمين؛ كي يدير المجالس والتعازي التي تقام لاستشهاد الحسين [عليه السلام]، وتولّى الوعظ في مسجد القطيش ما يقارب خمسين سنة، وكان يأخذ على عهدته إمامة الجماعة حين غيبة محسن الأمين، وبعد رحيله كان هو الخليفة على المسجد والإمام فيه.

ومنذ البدء كان علي الجمّال يطرح مواضيع دينيّة في الراديو السوري (الإذاعة الشرعيّة)، وبعد ذلك عبر الأثير ضمن مؤتمرات ومحاضرات.

اُستاذه: محسن الأمين.

مؤلّفاته: دفع التمويه عن رسالة التنزيه ١٣٤٧ (١٩٢٨ ـ ١٩٢٩)».

وكتب مقالة تأبينيّة لأستاذه السيّد محسن الأمين بعنوان «مربّي الأجيال»، ذُكرت في آخر «أعيان الشيعة» ١٠: ٣٩٥، ورد فيها:

أيّها المولى الجليل.

باسم الحي الذي يعتزّ باسمك ويفاخر بتراثك، والذي آثلته بأبوتك وحدبك مجاهداً حياً، وشرفته برفاتك الطاهرة وقلمك المناضل ميتاً خالداً، جئناك يا أبانا وسيّدنا ومهتدانا وزعيمنا وراعينا، لا لنفيك ديناً لك علينا وجميلاً طوّقت به أعناقنا، فوالله ما نملك وفاء لهذا الدين بملك الدنيا كلّها، ولن نقوى على أداء هذا الجميل بكلّ ما في النفس الإنسانية من وفاء وعرفان للجميل.

ولكنّا جئنا نبكيك بذوب قلوبنا، ونعرب عن مدى فجيعتنا بك، ومقدار ما هدّ فقدك في كياننا، وأنّه لكيان أنشأت اُسسه وأقمت دعائمه وشيّدت صرحه بيدك حجراً حجراً ولبنة لبنة، فاخرجتنا به من الظلمات إلى النور، ونقلتنا من الضلال إلى الهدى، فكان اسمك الكريم يهيمن على حركاتنا وسكناتنا، وكانت روحك الطاهرة تسدّد خطواتنا وتنير سبلنا، وكان إخلاصك الفريد الفذ يقيل من عثراتنا وينزع الغل من نفوسنا، وكان قلبك الكبير يسع عظائم اُمورنا

وتوافهنا ويتسع لصغائرنا وكبائرنا، وكانت يدك السمحة الكريمة تمسح جراحنا وتطهّر نفوسنا من أدران الهوى وخبائث الأحقاد.

كنّا أشتاتاً فجمعتنا، وكنّا عدماً فأوجدتنا، وكنّا نكرات فعرّفتنا، وكنّا جهلاء فثقفتنا، وكنّا في ضلال فهديتنا، وكنّا مغمورين فأعززتنا، فأصبحنا بنعمة الله وعطفك وحدبك وجهدك مضرب المثل بالمتسك بأهداب ديننا وصدق وطنيتنا وجمع شملنا واتحاد كلمتنا، وقدرتنا على العمل الصالح المنتج في سبيل الخير العام، وأصبحنا كما أراد أجدادك أئمتنا الأطهار زيناً لهم لا شيناً عليهم.

أيّها الأب البار!.. باسم أبنائك الذين لا يحصون عداً، والذين نشأوا على تعاليمك السامية، واهتدوا بهديك جيلاً بعد جيل، والذين ستظلّ ذكراك نبراساً لأجيالهم الصاعدة، يستلهمون منها الهدى ويقتبسون منها السداد، جئنا خاشعين مهطعين أمام ذكرى رجل لا كالرجال، وعالم لا كالعلماء، وزعيم لا كالزعماء، ومصلح لا كالمصلحين، جئنا نقولها كلمة لله والحقّ والتاريخ والوفاء: ومن أحيا نفساً فكأنما أحيا طائفة بأسرها وأخذ بيد أمّة بكاملها.

مولاي! لن يتّسع هذا المقام ولا أيّ مقام للإحاطة بجانب من جوانب عظمتك وسموّك، فكيف بشخصيتك الفذّة النادرة، التي عقمت أجيال عن الأتيان بمثلها، فهي من هذا المعدن النادر والجوهر الفرد، الذي صيغت منه شخصية جدك الإمام الأعظم علي بن أبي طالب عليه السلام، وأنّى لأمثالي من الخوض في هذا الخضم المتلاطم، والتصعيد لمثل هذا الطود الشامخ، لولا قبس من نورك وفيض من إلهامك ينعكس علينا فيهدينا إليك، ولولا عاطفة

جامحة تدفعني باسم إخواني أصحابك وحوارييك لنقول كلمتنا في يوم سموت عن دنيا الفناء إلى جنّة الخلد.

أيّها المحسن الأمين! أحسن الله إلى روحك بقدر ما أغدقت عليها من فيض علمك وهدايتك وإخلاصك وتجرّدك، وجنّبها السوء بقدر ما جانب قلبك الضغينة والحقد، وعففت عنها الأذى بقدر ما تعفّفت يدك ولسانك، وأفسح لها في جناته بقدر ما أفسحت في قلبك الكبير من رعاية للعدو والصديق والقريب والبعيد، وأفاض عليهما من نعمائه بقدر ما أفاضت علينا من تسامح وخير ونبل ومثالية، وآلف بينها وبين أرواح الشهداء والصدّيقين بقدر ما ألفت بين قلوب العرب والمسلمين.

المؤلِّف:

نسلّط الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأولى: هي رسالة صغيرة، كتبها مؤلّفها في دمشق سنة ١٣٤٧هـ دفاعاً عن أستاذه ومربّيه السيّد محسن الأمين، ورسالته «التنزيه» ودوّنها في أيام حياته، إذ يعبّر عنه بـ«دام ظلّه».

الثانية: ليست رسالة علميّة، إذ لا تحتوي على مطلب علميّ أبداً، ولا ردٍّ على الإشكالات التي أثيرت على رسالة «التنزيه»، بل مليئة بالمدح والثناء للسيّد الأمين، وتعداد لمؤلفاته، وتعجّب المؤلّف من إشكالات العراقيين على «التنزيه» وصاحبها، وكأنّ الإشكالات كانت منحصرة بالعراقيين فقط، ولا

أعلم هل أنّ المؤلّف كان يجهل النقد اللاذع الذي وجهه اللبنانيون للسيّد ورسالته؟

الثالثة: ذكر المؤلّف فيها بعض أشعاره في رثاء الإمام الحسين عليه السلام.

الرابعة: طبعت في مطبعة زيدون في دمشق سنة ١٣٤٧هـ.

(١٧) رنّة الأسى
«نظرة في رسالة التنزيه لأعمال الشبيه»
للشيخ عبد الله السُبيتي العاملي

المؤلِّف:[1]

الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمّد ابن الشيخ حسن ابن الشيخ محمّد السبيتي العاملي، ينتمي لأسرة آل السبيتي، التي تعدّ من الأسر العلميّة والأدبيّة المعروفة في بلاد جبل عامل، ولها مصاهرات مع غيرها من الأسر العلمية الأدبيّة، فأمّ المترجم بنت العلاّمة الشيخ محمّد علي عزّ الدين، وزوجته بنت العلاّمة السيّد عبد الحسين شرف الدين.

ولد في قرية كفرا في جبل عامل سنة ١٣١٣هـ ، وتلقّى في الجبل العاملي علومه الأولى، إذ درس المقدّمات الأدبيّة والشرعيّة على أفاضل العلماء والفقهاء، وأبرزهم كان العلاّمة السيّد عبد الحسين شرف الدين.

---

(١) أقتبسنا هذه الترجمة ممّا ورد من معلومات قليلة عن المؤلِف في «الذريعة» للشيخ الطهراني، ومن مقالة نشرت في مجلّة «ينابيع» العدد٣٣ الصادرة في مدينة النجف الأشرف في شهري ذي القعدة وذي الحجّة سنة ١٤٣٠هـ ، والمقالة بقلم م م مجيد الحدراوي.

ثمّ هاجر إلى مدينة العلم والعلماء النجف الأشرف سنة١٣٣٧هـ ، وحضر على أفاضل العلماء هناك كالسيّد محمّد جواد الصدر، والسيّد حيدر الصدر، والشيخ محمّد تقي صادق، والشيخ مرتضى آل ياسين.

وحضر الأبحاث العالية على أساطين العلم والمرجعية آنذاك كالسيّد محسن الحكيم، والسيّد أبي الحسن الأصفهاني، والميرزا النائيني.

كان الشيخ السبيتي عالماً فاضلاً فقيهاً، وقد تفتحت أمامه في مدينة النجف الأشرف آفاق واسعة في البحث والتأليف، وقد رفد المكتبة الإسلاميّة بمجموعة من الآثار منها:

١) تحت راية الحقّ، في الردّ على كتاب «فجر الإسلام» لأحمد أمين المصري، فرغ من تأليفه سنة١٣٤٩هـ ، وكتب له مقدّمة العلاّمة الشيخ مرتضى آل ياسين الكاظمي، وطبع في مطبعة العرفان بصيدا سنة١٣٥١هـ[١].

وقد منعت السلطة العراقية آنذاك دخول هذا الكتاب إلى العراق، وأصدرت أمراً باحراقه في الكمارك العراقيّة، وبهذا الصدد قال المؤلّف: «وكانت الصدمة عنيفة جدّاً، وعلمت آنذاك أنّ الحقّ لا زال في محبسه الضيّق تحوطه سيوف الساسة ورماحها، ولم يتهيّأ له الانطلاق والتحرير؛ لأنّ اللحظة المرجوة لبروز العلّة والحقائق لم يأت وقتها».

٢) حياة أبي ذر، ويقال له «أبو ذر»، طبع في طهران سنة ١٣٦٥هـ[٢].

---

(١) الذريعة ٣: ٣٧٥ / ١٣٦٣.

(٢) الذريعة ٧: ١١٤ / ٦٠٠.

٣) سلمان الفارسي، في ترجمة أحواله وسوانحه قبل الإسلام وبعده، قدّم له السيّد صدر الدين ابن السيّد عبد الحسين شرف الدين، وقد أهداه المؤلّف إلى السيّد عبد الحسين شرف الدين، طبع في صيدا سنة ١٣٥٨هـ[١].

٤) المباهلة[٢].

٥) رسالة إلى مشيخة الأزهر، وهي ردّ على ما كتبه أحد علماء الأزهر الشيخ سعد حسن في كتابه «المهدويّة في الإسلام» إذ هاجم المسلمين الذين يعتقدون بوجود الإمام المهدي عليه السلام.

في سنة ١٣٥٤هـ عاد الشيخ السبيتي إلى بلدته كفرا عالماً مرشداً ومصلحاً وموجّهاً، فمكث فيها مدّة سبع سنين متواصلة، بعدها آثر العودة إلى مدينة النجف الأشرف، ومنها انطلق في سفرات متعددة إلى بعض دول العالم حيث سافر لإيران عدّة مرات زائراً وباحثاً، والتقى بالعديد من الشخصيات العلمية والفكرية.

وسافر إلى أفريقيا وأمريكا اللاتينية حيث توجد الجالية العربية وبدعوة منها في دول تلك القارتين، كما شارك في الاحتفال الذي أقيم في مدينة كراجي بمناسبة مرور ثلاثة عشر قرناً على وفاة الإمام علي عليه السلام وألقى كلمة في المؤتمر.

(١) الذريعة ١٢: ٢١٩ / ١٤٥٤.

(٢) الذريعة ١٩: ٤٦ / ٢٤٢.

نزل الشيخ السبيتي في مدينة الكاظمية وعمل على تأسيس مؤسسة (حديث الشهر)، وعملت هذه المؤسسة على إصدار سلسلة كتب مختارة تصدر في الشهر مرّة إلّا أنّها توقّفت بعد صدور كتابها الخامس عشر.

وبعد هذه المرحلة الطويلة للشيخ عبدالله السبيتي في البحث والاستقصاء التي وقفها للدفاع عن آل البيت عليهم السلام ومحبيهم، حلّ ضيفاً على الرحمن ليلة الأربعاء ٢٥ رجب ١٣٩٧هـ في مدينة الكاظمية، ونقل إلى النجف الأشرف ودفن بالصحن الشريف مع عمّه أبي زوجته بحجرة رقم ٤٨.

المؤلَّف:

ونسلّط الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأُولى: كتب المؤلّف هذه الرسالة ردّاً على رسالة «التنزيه» للسيّد محسن الأمين، كما هو واضح من عنوانها، لذلك ينقل عبارات «التنزيه» ثمّ يبدأ بردّها ومناقشتها مناقشة علميّة.

الثانية: للمؤلّف بعض التعليقات التوضيحيّة وضعها في الهامش، ميّزناها عن عملنا بكلمة «المؤلّف».

الثالثة: ينقل عبارات عن عدّة رسائل أُلّفت ردّاً على المانعين لبعض الشعائر الحسينيّة، وطبعت قبل رسالته هذه، وهي:

(١) المواكب الحسينيّة، للشيخ عبدالله المامقاني (ت ١٣٥١هـ) التي طبعت في الرابع عشر من شهر صفر سنة ١٣٥٤هـ.

(٢) نظرة دامعة، للشيخ مرتضى آل ياسين (ت١٣٩٨هـ) التي طبعت في سنة ١٣٤٥هـ

(٣) كلمة حول التذكار الحسيني، للشيخ محمّد جواد الحجّامي (ت١٣٧٦هـ) التي طبعت في ربيع الأول سنة ١٣٤٥هـ.

(٤) نصرة المظلوم، للشيخ حسن المظفّر (ت١٣٨٨هـ)، التي طبعت في ربيع الأوّل سنة ١٣٤٥هـ.

(٥) المواكب الحسينيّة، للشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (ت١٣٧٣هـ) التي طبعت مستقلّة سنة ١٣٤٥هـ، وطبعت بعد ذلك ضمن الآيات البيّنات.

(٦) سيماء الصلحاء، للشيخ عبد الحسين صادق العاملي (ت١٣٦١هـ) التي طبعت سنة ١٣٤٥هـ.

الرابعة: ذكر المؤلِّف في آخر رسالته فتاوى مجموعة من العلماء الذين أيدوا الشعائر الحسينيّة.

مثل: السيّد محمّد الفيروزآبادي، والشيخ عبد الله المامقاني، والشيخ مرتضى كاشف الغطاء، والشيخ هادي كاشف الغطاء، والشيخ محمّد جواد البلاغي، والشيخ ضياء الدين العراقي، والشيخ محمّد حسين الأصفهاني.

الخامسة: ذكر في آخرها تأريخ الانتهاء من تأليفها، وهو شهر شوال سنة ١٣٤٧هـ.

السادسة: طبعت هذه الرسالة في مطبعة النجاح في بغداد سنة ١٣٤٧هـ، وكتب على غلافها: «رنّة الأسى أو نظرة في رسالة التنزيه لأعمال الشبيه، بقلم الأستاذ العلاّمة الشيخ عبد الله السبيتي العاملي، حقوق الطبع محفوظة»، وهذه الطبعة هي التي اعتمدناها في عملنا هذا.

(١٨) إرشاد النبيه إلى خرافات التنزيه
للشيخ محمّد عليّ النجفي

المؤلِّف:

لم أعثر على ترجمته في المصادر المتوفّرة لدينا، والظاهر أنّه اسم مستعار، لم يشأ المؤلِّف التصريح باسمه، وقد كُتب على غلاف هذه الرسالة المطبوعة: «للفاضل المحدّث الأديب الشيخ محمّد علي النجفي دام ظلّه».

وممّا يؤيّد ذلك أنّ المصادر التي ذكرت هذه الرسالة ـ إرشاد النبيه ـ لم تذكر أيّ معلومات عن مؤلّفها، مثل: معجم المطبوعات النجفيّة ص٧٣ رقم٦٦، ومعجم المطبوعات العراقيّة ج١، ص٢٧٠، ومجلّة رسالة الحسين عليه السلام ١: ٢٢٠، ودائرة المعارف الحسينيّة: معجم المصنّفات الحسينيّة ج٢، ص٣٣٦ حرف الألف رقم٣٦٠.

وليس له ذكر في الذريعة أيضاً.

المؤلَّف:

نسلّط الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأُولى: يردّ فيها مؤلّفها على السيّد محسن الأمين ورسالته «التنزيه»، إذ ينقل عدّة عبارات منها، ثمّ يبدأ بردّها وبيان بطلانها مستدلاً بعدّة أدلّة.

الثانية: ينقل رسالة الشيخ عبد الله المامقاني (ت١٣٥١هـ) إلى أهالي البصرة حين استفتوه عن إقامة الشعائر الحسينيّة، وكذلك رسالة الميرزا الشيخ محمّد حسين النائيني (ت١٣٥٥هـ) إلى أهل البصرة أيضاً جواباً لهم عن إقامة الشعائر الحسينيّة.

الثالثة: يتهجّم على السيّد محسن الأمين: أنّه طبع رسالة عمليّة وهو ليس مجتهداً، وأنّ نبش القبور في صيدا كان بأمره، وأنّه أسّس ما يخالف الكتاب والأخبار.

الرابعة: يذكر المؤلِّف في رسالته هذه، أنّ الشيخ الدربندي (ت١٢٨٦هـ) صاحب كتاب «أسرار الشهادة»: «كان يشقّ رأسه يوم عاشوراء، ويسيل منه الدم المفرط، وهو الذي أشاع جرح الرؤوس في العراق، ولم ينكر ذلك عليه أحد من العلماء، مع كثرة الأساطين الأتقياء يومئذٍ: كآية الله العظمى الشيخ مرتضى الأنصاري، وآيتي الله صاحبي الفصول والضوابط، وغيرهم قدّس سرّهم».

الخامسة: طبعت في المطبعة المرتضوية في النجف الأشرف سنة ١٣٤٧هـ.

(١٩) كلمات جامعة حول المظاهر العزائيّة
للميرزا محمّد علي الغروي الأردوبادي

المؤلِّف:

ذكره معاصره وزميله الأديب الشيخ محمّد السماوي (ت ١٣٧٠هـ) في الطليعة، قائلاً:

«محمّد علي ابن الشيخ أبي القاسم بن محمّد تقي بن محمّد قاسم الأردوبادي التبريزي النجفي. فاضل، اشتمل على فضل جمّ، وغزير علم، وشارك في فنون مختلفة، واتّسم بأحسن صفة إلى تقى طارف وتليد، وحسب موروث وجديد.

اجتمعتُ به كثيراً، وعاشرته طويلاً، فرأيت منه الرجل المتقدّم الفهم، الغزير العلم، الحصيف الذكر، المصنّف الشاعر» ثمّ ذكر بعض أشعاره[١].

وذكره معاصره الآخر السيّد محسن الأمين (ت ١٣٧١هـ) في أعيانه[٢]

---

(١) الطليعة من شعراء الشيعة ٢: ٢٧٥ / ٢٨٣.

(٢) أعيان الشيعة ٩: ٤٣٨.

بنفس عبارات الطليعة.

وأضاف السيّد حسن الأمين في مستدركه على الأعيان:

«ونسبته إلى أردوباد، مدينة تقع على الحدود بين آذربيجان والقفقاز، قرب نهر أرس.

وكانت ولادته في تبريز في ٢١ رجب سنة ١٣١٢ هجرية.

وأتى به والده إلى النجف بعد عودته إليها في حدود سنة ١٣١٥، فنشأ عليه ووجّهه خير توجيه.

قرأ مقدّمات العلوم على لفيف من رجال الفضل والعلم، وحضر في الفقه والأصول على والده، وشيخ الشريعة الأصفهاني ـ وقد أخذ عنه الحديث والرجال أيضاً ـ والسيّد ميرزا علي الشيرازي، وفي الفلسفة على الشيخ محمّد حسين الأصفهاني، وفي الكلام والتفسير على الشيخ محمّد جواد البلاغي، ولازم حلقات دروس مشايخه الثلاثة المتأخّرين أكثر من عشرين سنة. وبرع في الشعر والأدب العربيين، وتضلّع في التاريخ والسير وأيام العرب ووقائعها، وتوفّي سنة ١٣٨٠ في النجف الأشرف.

له: كتاب ضخم في ستّ مجلدات على نهج الكشكول، فيه الكثير من الفوائد التاريخية والرجاليّة والتراجم والتحقيقات.

و«حياة إبراهيم بن مالك الأشتر» مختصر نشر في آخر «مالك الأشتر» للسيّد محمّد رضا بن جعفر الحكيم المطبوع في طهران سنة ١٣٦٥هـ.

و«حياة سبع الدجيل» في ترجمة السيّد محمّد ابن الإمام علي الهادي عليه السلام صاحب المشهد المشهور في الدجيل قرب بلد، طبع في النجف أيضاً.

و«سبيك النضار في شرح حال شيخ الثار المختار».

و«الرد على ابن بليهد القاضي» وهو ردّ على الوهابيين، طبع.

و«الأنوار الساطعة في تسمية حجّة الله القاطعة».

و«منظومة في واقعة الطفّ».

و«منظومة في مناضلة أرجوزة نيّر» جارى بها ألفيّة الشيخ محمّد تقي التبريزي المتخلص بنيّر، وقد بلغت (١٦٥١) بيتاً.

و«علي وليد الكعبة» طبع في النجف عام وفاته ١٣٨٠ مع مقدّمة لسبطه السيّد مهدي ابن الميرزا محمّد ابن الميرزا جعفر ابن الميرزا محمّد الشيرازي.

و«حياة الإمام المجدّد الشيرازي» في ترجمة السيّد الميرزا محمّد حسن المُتوفّى سنة ١٣١٢، وهو يشتمل على تراجم كثير من تلاميذه ومعاصريه.

و«سبك التبر فيما قيل في الإمام الشيرازي من الشعر» في (٦٠٠) صفحة، ترجم فيه لشعرائه ومادحيه مع إيراد قصائدهم مرتّبة على حروف الهجاء.

و«ديوان شعر» عربي، معظمه في مدح آل البيت ورثائهم، ومراثي العلماء والعظماء وفي سائر الأغراض الأخرى، ويبلغ مجموع نظمه أكثر من ستة آلاف بيت.

و«التقريرات» في الفقه والأصول وغيرهما، كتبها من تقريرات مشايخه، وآخر آثاره «تفسير القرآن» خرج جزؤه الأوّل فقط»[1].

---

(١) مستدرك أعيان الشيعة ١: ٢١٣.

دفن في صحن أمير المؤمنين عليه السلام في مدينة النجف الأشرف في الحجرة رقم٢٣[1].

المؤلَّف:

نسلّط الضّوء عليه في عدّة نقاط:

الأولى: هذه الرسالة لازالت مخطوطة، نسختها موجودة عند سبط المؤلّف الخطيب الحسيني السيّد مهدي الشيرازي، الذي يعمل حالياً على جمع وتحقيق كلّ آثار جدّه المؤلّف، وقد بعث لنا مشكوراً هذه الرسالة بعد صفّ حروفها، حيث جعلناها الأصل في عملنا هذا، فله من الله الأجر والثواب، ومنّا جزيل التقدير والاحترام.

الثانية: لم يذكر المؤلّف تاريخ تأليفه لهذه الرسالة، والظاهر أنّه ألّفها سنة١٣٤٧هـ ؛ إذ يذكر فيها رسالة السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني البصري، قائلاً: «وقد سبقه إليها البصري منذ عامين»، علماً بأنّ هذا السيّد ألّف رسالته «صولة الحقّ على جولة الباطل» سنة١٣٤٥هـ ، وكذلك نشرت جريدة «الأوقات العراقية» آراءه عن الشعائر الحسينيّة في نفس السنّة.

الثالثة: سمّاها مؤلّفها في أولها: «كلمات جامعة حول المظاهر العزائية»، وذكرها العلاّمة الطهراني (ت١٣٨٩هـ)، في الذريعة ١٨: ١١٤ / ٩٦١، قائلاً: «الكلمات الجامعة».

الرابعة: سبب تأليفها كما أوضحه المؤلّف في مقدّمته لها، هو الردّ على السيّد محسن الأمين ورسالته «التنزيه»، حيث يورد عدّة نصوص منها،

---

(١) مشاهير المدفونين في الصحن العلوي الشريف: ٣١١ / ٤٠٦.

ويبدأ بردّها رداً علميّاً رزيناً في غاية الاحترام والأدب، وهذه ميزة امتازت بها هذه الرسالة عن أكثر أخواتها في ردّ رسالة «التنزيه».

الخامسة: ينقل المؤلّف فيها كثيراً أقوال العلماء ومراجع الدين الذين أيّدوا الشعائر الحسينيّة، وأصدروا فتاوى في حلّيّتها، خصوصاً ضرب الرؤوس بالقامات والظهور بسلاسل الحديد.

السادسة: ينقل فيها مشاهداته، ومشاهدات كثير من العلماء، عن مواكب التطبير، وأنّ بعض مراجع الدين والعلماء كانوا يؤيّدون المتطبّرين ويدافعون عنهم ويدعموهم ماليّاً في تهيئة القامات والأكفان.

السابعة: يذكر عدّة رسائل لها علاقة بهذا الموضوع ـ تأييداً ورداً ـ منها: «صولة الحقّ على جولة الباطل» للسيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني (ت١٣٥٨هـ)، ورسالة «نظرة دامعة» للشيخ مرتضى آل ياسين (ت١٣٩٨هـ)، ورسالة «كلمة حول التذكار الحسيني» للشيخ محمّد جواد الحچّامي (ت١٣٧٦هـ)، ورسالة «رنّة الأسى» للشيخ عبد الله السبيتي العاملي (ت١٣٩٧هـ).

(٢٠) الشعار الحسيني
للشيخ محمّد حسين المظفّر

المؤلِّف:

ذكره في أدب الطفّ قائلاً:

«الشيخ محمّد حسين المظفر ابن الشيخ محمّد بن عبد الله بن محمّد ابن أحمد بن مظفر النجفي، أحد الأعلام المرموقين بالعلم والأدب.

ولد سنة١٣١٢هـ بالنجف الأشرف، وتُوفّي والده في الخامس من شوال١٣٢٢هـ فكفله أخوه الأكبر الشيخ عبد النبيّ، وقام بتربيته أحسن قيام.

قرأ المقدّمات ودرس السطوح على أخيه الأكبر الشيخ محمّد حسن، ثمّ حضر درس الميرزا حسين النائيني، والشيخ ضياء العراقي، والسيّد أبو الحسن الأصفهاني، وبلغ درجة عالية في الفقه والأصول والتاريخ والأدب، وولع بالتأليف والتحقيق، فطرق الأبواب الصعبة وأنتج آثاراً جليلة.

ومن محاسنه وأسلوبه في طرق التربية أن قام بتربية ثلّة من الشباب النابهين، فقبل رئاسة المجمع العلمي لمنتدى النشر، وكان لنشاطه أكبر الأثر

في نفوس الأعضاء، وأذكر وأنا مقرّر المجمع العلمي والمعني بأُموره، وأرى الواجب أن أكون المسؤول الأوّل، ولكن الشيخ أبو أمين كان له السبق والنشاط ممّا يجعلني استصغر نفسي، وكان قد هيّأ نفسه لقبول أيّ طلب يكون في سبيل نصرة المبدأ والعقيدة.

آثاره:

«الإمام الصادقعليه السلام» في جزئين، وقد طبع في النجف، «ميثم التمّار» طبع في النجف، «الكتاب والعترة»، «الشيعة والإمامة»، «تأريخ الشيعة»، «الشيعة وسلسلة عصورها»، «دعاء الإمام الصادقعليه السلام»، «علم الإمام»، «هشام بن الحكم»، «مؤمن الطاق»، «الأوصياء»، «القرآن تعليمه وإرشاده»، «الإسلام نشوؤه وارتقاؤه»، «الآيات الثلاث»، «ديوان شعره» وأكثره في أهل البيتعليهم السلام.

وله إجازة الرواية كتبيّاً عن الحجّة السيّد عبد الحسين شرف الدين، ترجم له الشيخ محمّد حرز الدين في «معارف الرجال»[1] ضمن ترجمة أخيه الأكبر العلاّمة الشيخ محمّد حسن فقال: كان كاملاً ينظم الشعر، ونظم أرجوزة في بعض أبواب الفقه.

كانت وفاته سنة١٣٨١هـ بالنجف الأشرف رحمه الله رحمة واسعة، ودفن بمقبرتهم الخاصة بالأسرة إلى جنب أخيه الأكبر الشيخ محمّد حسن».

وذكر في أوّل ترجمته قطعةً من شعره، وهي:

شـهر شـعبان قـد تجسّـمت نـورا فاسم وافخر فقد سموت الشهورا

---

(١) معارف الرجال ٢: ٢٤٧.

لكَ بُشرى بما حويت من الفخر ... فكم جئت بالسرور بشيرا
أيّ شهر جاراك في حلبة السعد ... فوافى ويتبع النور نورا
أشرقت فيك للسعود شموس ... وباشراقها الوجود أنيرا
كلّ شهر للشمس برج وفيه ... تقطع الشمس في السماء المسيرا
وثلاث من الشموس بشعبا ... ن تجلّت من البروج ظهورا
في ثلاث منه، وفي الخمس، ... غدا الأفق باسماً مستنيرا
فاطم أولدت بهنّ حسيناً ... وابنه والمؤيّد المنصورا
أنفس صاغها المهيمن نورا ... قدّر الله صنعها تقديرا
وأفاض السنا على الخلق حتّى ... منه شمساً وبدراً منيرا
هو لولا ذاك السنا ما برى خلقاً ... كريماً ولا جناناً وحورا
أهل البيت قد أذهب الله عنهم ... الرجس اعتصاماً وطهّروا التطهيرا[(١)]

المؤلَّف:

ونسلّط الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأُولى: اسم هذه الرسالة «الشعار الحسيني» كما هو مثبت على غلاف الطبعة الأولى منها، إلّا أنّ العلاّمة الطهراني (ت١٣٨٩هـ) ذكرها في ثلاثة مواضع في ذريعته باسم «الشعائر الحسينيّة»، ونحن أثبتنا الاسم كما في النسخة المطبوعة.

الثانية: ألّفها ردّاً على رسالة «التنزيه» للسيّد محسن الأمين (ت١٣٧١هـ) كما قال في أوّلها: «وبعد، فقد حمل البريد إلى النجف الأشرف رسالة «التنزيه

(١) أدب الطفّ ١٠: ١٥٦.

لأعمال الشبيه»، وبعدما تصفّحت صفحاتها وجدت فيها من التشويه لأعمال الشبيه، مالو أغضينا أو تغاضينا عنه لكنّا مسؤولين عند من تُصنع تلك الأعمال لأجله، إمامنا الحسين عليه السلام، فتنزيهاً لشعائره ونصرةً للحق وكشفاً للحقيقة بادرت إلى تحرير هذه السطور، مستعيناً به تعالى ومستمداً منه».

ثمّ بدأ بذكر عبارات «التنزيه» والردّ عليها ردّاً علمياً متيناً.

الثالثة: في آخرها ذكر رسالة «كلمة حول التذكار الحسيني» للشيخ محمّد جواد الحچّامي (ت١٣٧٦هـ) قائلاً: «وأمّا بقيّة المظاهر والمراجع من العلماء الحضور، فقد نشرت فتاواهم منظمة إلى كلمة فاه بها الأستاذ الأخ الفاضل الشيخ محمّد الجواد الحچّامي، ردّاً على الجريدة، التي نشرت مزاعم السيّد البصري،وهم الحجج من آل كاشف الغطاء: الشيخ مرتضى، والشيخ هادي، والشيخ محمّد الحسين».

وذكر أيضاً رسالة «نظرة دامعة حول مظاهرات عاشوراء» للشيخ مرتضى آل ياسين الكاظمي، قائلاً: «وأمّا علماء الكاظمية فأشهرهم حجج الإسلام السيّد حسن الصدر والشيخ عبد الحسين آل ياسين، والسيّد محمّد مهدي الصدر، وحالهم في الذهاب إلى الرجحان معلوم.

وشاهده أنّ العلاّمة الفاضل الشيخ مرتضى نجل حجّة الإسلام الشيخ عبد الحسين آل ياسين صنّف ـ في مَن صنّف ـ رسالة ردّاً على السيّد البصري برغبة من أبيه وذينك السيّدين العلمين، بل قد التمسه أخوه حجّة الإسلام الشيخ محمّد رضا، وقد قرّظها ذلك الحبر العلاّمة السيّد حسن، وقد أبرزتها المطابع رأي العين، وقد سارت في الأقطار «الأمصار»، ولا أحسب

أنّه لم يرَ تلك الرسائل المؤلّفة والكتب المصنّفة، ولكن الغضب سلطان قاهر».

الرابعة: يذكر فيها مواكب العزاء التي كانت تخرج في سامراء زمن المرجع الشيرازي، إذ قال: «وأمّا ضرب الرؤوس بالسيوف فقد كان يأتي موكبه إلى داره، وأوّل ما يضربون رؤوسهم فيها، ولقد نقل حجّة الإسلام النائيني أنّ الأكفان كان يبذلها من عنده، فانظر وأعجب».

ويذكر أيضاً أنّ ضرب الرؤوس كان يحصل بمنزل السيّد بحر العلوم، إذ قال: «وهل يخفى على أحد أنّ ضرب الرؤوس بالسيوف في النجف الأشرف من أوّل حدوثه وإلى اليوم أوّل ما يقع في دار العلاّمة السيّد بحر العلوم طاب ثراه.

وناهيك بها من دار، وياله من آل، فإنّ من أبناء ولده العلاّمة السيّد رضا كان ثلاثة من علماء أعلام في عصر واحد وهم:

السيّد محمّد تقي، والسيّد حسين، والسيّد علي صاحب «البرهان»، والضرب على الرؤوس بالسيوف يقع في دارهم بمشهد منهم ومرأى، فلم يردعوا عن ارتكابه، وإن لم يستطيعوا فلمَ لمْ يدفعوهم عن الدخول إلى دارهم المنيعة».

الخامسة: طبعت هذه الرسالة في مطبعة النجاح في بغداد سنة١٣٤٧هـ، وهي الطبعة التي اعتمدنا عليها في تصحيح هذه الرسالة ونشرها ضمن هذه المجموعة.

السادسة: ورد على غلاف الطبعة الأولى لها: «رسالة الشعار الحسيني، تتضمّن الكلام على بيان رجحان عمل الشبيه وإقامة الشعائر للإمام الحسين عليه السلام، لمؤلّفها العلاّمة المفضال الشيخ محمّد حسين المظفّري النجفي».

(٢١) النقد النزيه لرسالة التنزيه
للشيخ عبد الحسين قاسم الحلّي

المؤلِّف:

ذكره معاصره العلاّمة الشيخ محمّد السماوي (ت١٣٧٠هـ)، في كتابه «الطليعة من شعراء الشيعة» قائلاً:

«عبد الحسين بن القاسم بن صالح بن القاسم بن محمّد علي بن هليل الحلّي النجفي، فاضل مشارك في الفنون، ثاقب الفكر، دقيق النظر، مصنّف في العلوم، عاشرته فرأيته جميل العشرة، كريم الأخلاق، حصيف الرأي، طيّب المفاكهة، إلى سليقة معتدلة، ودين قويم، وله أدب جمّ وشعر غزير».

وذكر مجموعة من أشعاره، ثمّ قال:

«ومحاسنه كثيرة، ولد في أوائل محرّم سنة ألف وثلاثمائة وواحدة في الحلّة، وقرأ بها علوم العربية، وسافر إلى النج ف سنة أربعة عشر، وبقي بها إلى الآن، وهو اليوم مجدّ في كسب الفضائل والفواضل، سلّمه الله تعالى».

وكتب محقّق الطليعة الأستاذ الفاضل كامل سلمان الجبوري، في الهامش: «توفّي سنة ١٣٧٧هـ»[(١)].

وقال معاصره الآخر السيّد محسن الأمين (ت ١٣٧١هـ)، في كتابه «أعيان الشيعة»: «ولد في أوائل المحرّم سنة ١٣٠١هـ في الحلّة، وقرأ بها العلوم العربية، وسافر إلى النجف سنة ١٣١٤هـ وتفقّه وتأدّب في النجف، وله شعر ونثر وكتب» ثمّ ذكر بعض أشعاره[(٢)].

المؤلَّف:

ونسلّط الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأُولى: يبيّن المؤلّف سبب تأليفه لهذه الرسالة، وهو الردّ على الذين أنكروا بعض الشعائر الحسينيّة، إذ يشير إلى أنّه وقف أولاً على رسالة «الصولة» ثمّ على رسالة «التنزيه»، حيث يقول:

«حدث منذ أعوام في البصرة رأي لا يؤبه به، يتضمّن المنع عن كثير من الشعائر الحسينيّة التي تقام في بلدان الشيعة، عدا البكاء ولدم الصدور في الدور، وهو ـ مع أنّ صاحبه ليس بتلك المكانة ـ لم يُدعم بحجّة ولم يُقم على سوى التهاويل الفارغة.

وقد قوبل هذا الرأي في ما مضى برسائل جمّة حافلة بالأدلّة التي لا يكاد يبقى بعد مراجعتها ريب في وجوب إقامة جميع الشعائر المذكورة

---

(١) الطليعة من شعراء الشيعة ١: ٤٩٠ رقم ١٤٧.

(٢) أعيان الشيعة ٧: ٤٥٠.

كفاية، إلّا لجاهل بأصول الاستدلال، أو قاصر بذاته عن البلوغ إلى مراتب الكمال.

واليوم قد أوقفتنا العجائب الغرائب على أوراق مطبوعة في هذا الشأن، تدهورت علينا من الشام، وهي تنحو هذا المنحى.

إلّا أنّ هذه ـ مع أنّ صاحبها في مفتتحها يزعم أنّه لم يقصد بها سوى إنكار المنكرات التي أدخلها الناس في الشعائر الحسينيّة ـ تشفّ عن روح التعصّب الحادّ، ويستبين الغضب الشائن من خلال سطورها، ويقرأ كلّ أحد بوضوح من عناوينها التحامل المقذع على بعض الأعلام المعاصرين المعروفين بالعلم والأدب، حتّى أنّه لم يملك نفسه في حياته ما افتتح به مقالته دون أن رفع عقيرته مجاهراً في الصفحة: ١٣ منها بقوله: وأيّم الله لو لم يوجّه ـ يعني معاصره ـ لسباته ولسعاته إلينا ما تعرّضنا له».

الثانية: في هامش هذه الرسالة توجد تعليقات وبعض الفوائد العلميّة، لم أقف على كاتبها، هل هي من المؤلّف أو شخص آخر، لذلك أبقيناها كما هي، وجعلنا تعليقاتنا وكلّ عملنا في الهامش بين معقوفتين.

الثالثة: سمّاها مؤلّفها في أوائلها «النقد النزيه لرسالة التنزيه».

الرابعة: في كثير من الموارد يذكر عبارة «سيماء الصلحاء» ثمّ ردّ رسالة «التنزيه» عليها، ثمّ يبدأ بجوابه ومحاكمته بين العبارتين، منتصراً للشيخ عبد الحسين صادق العاملي في رسالته «سيماء الصلحاء».

الخامسة: ينقل عبارة من رسالة «المواكب الحسينيّة» للشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (ت١٣٧٣هـ)، التي طبعت في السابع عشر من شهر صفر سنة ١٣٤٥هـ.

السادسة: في آخر هذه الرسالة يذكر المؤلّف أنّه يسعى لتأليف جزء ثان من هذه الرسالة، إذ قال: «ونحن بتيسير الله وعونه سنتعرّض لذلك دعوىً ودليلاً في الجزء الثاني من هذا الكتاب، فإنّ العوارض الوقتية كما اقتضت تأخير إنجازه اقتضت انشطاره إلى جزئين».

السابعة: في آخر النسخة المطبوعة يذكر أنّه حدثت أخطاء كثيرة في تلك النسخة، قائلاً: «وقع في هذا الجزء نقصان كلمات كثيرة، وأغلاط كثيرة جدّاً، لإهمال المطبعة والمصحح معاً، يستوعب ذكرها صفحات عديدة، ونظراً إلى كثرة الغلط وعدم ملاحظة القارئ جدول الخطأ والصواب غالباً، تركناه والتزمنا بتصحيح القلم لكلّ نسخة.

الثامنة: لم يذكر المؤلّف في آخرها تأريخ انتهائه من التأليف، إلّا أنّ تاريخ الطبع مثبت على الصفحة الأولى منها، وهو سنة١٣٤٧هـ، في المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف.

وفي هامش رقم ٢ الصفحة ٢٩٧ من مقالة «المآتم الحسينيّة بين البدعة والشرعيّة» للسيّد حسن إسلامي، المطبوعة في كتاب «جدل ومواقف في الشعائر الحسينيّة»: وقد صُحّح هذا الكتاب ونُشر فيما بعد تحت عنوان «الشعائر

الحسينيّة في الميزان الفقهي» للشيخ عبدالحسين الحلّي، تحقيق نزار الحائري، طبع مكتبة الطف، دمشق، ١٩٩٥م.

(٢٢) كشف التمويه عن رسالة التنزيه
للشيخ محمّد الگنجي النجفي

المؤلِّف:

لم أعثر على ترجمته، إلّا ما ذكره الشيخ محمّد هادي الأميني (ت١٤٢١هـ) في كتابه «معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام»، إذ قال فيه:

«عالم فاضل، سكن النجف، ومات في العشر السادس من القرن الرابع عشر الهجري، كتب وصنّف وجمع، وجاء في بعض المراجع: الگنبجي.

له كشف التمويه عن رسالة التنزيه»[1].

المؤلَّف:

نسلّط الضوء عليه في عدّة نقاط:

---

(١) معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام ٣: ١١١٤، وانظر: الذريعة ١٨: ٢٤ / ٤٩٢، معجم المؤلّفين العراقيين ٣: ٢٣٢، المطبوعات النجفيّة: ٢٨٤.

الأولى: الهدف من تأليف هذه الرسالة ـ كما قال المؤلّف الكريم ـ هو إظهار الحقيقة لعموم الناس، وبيان أنّ مذهب أهل البيت عليهم السلام خالص وأصيل وخال عن الشوائب، إذ قال المؤلّف في أوّل الرسالة تحت عنوان «إيضاح وتنبيه»:

«لا يخفى على إخواننا المسلمين المتورّعين في الدين، إنّنا إنّما كتبنا هذه الرسالة إظهاراً للحقيقة، وغيرةً على الشرع الحنيف أن يتلاعب به أهل الأهواء والأغراض، لذلك فقد أتينا بهذه الرسالة جامعة لأقوال العلماء الأعلام.

وقد توخّينا أقوالهم وفتاواهم لتتبيّن الحقيقة، وينكشف لعموم إخواننا الشيعة أنّ مذهبنا السامي منزّه عن كلّ شناعة وقباحة يحدثها المحدثون، وأنّ هذه الأمور ليست منه بشيء».

وقال تحت عنوان «كلمة المؤلّف» مبيّناً هدفه من هذه الرسالة: «وما حداني إلى تأليف هذه الرسالة سوى ما في «سيماء الصلحاء» لبعض رجال النبطيّة، من ادّعاء أنّ خواطر العلاّمة الشهير السيّد محسن الأمين حول المواضيع التي اشتملت عليها المواكب الحسينيّة حديثاً، ممّا خالف بها الأئمّة وعلماء الأمّه، وتهويس أفراد حول ذلك الادّعاء الفارغ من دون ما روية ولا نظر».

الثانية: ذكر المؤلّف اسم هذه الرسالة قائلاً في مقدّمتها: وحيث إنّ وجوب إنكار المنكر من الأولويات الإسلاميّة، ضمّنت صحيفة الوجود رسالتي «كشف التمويه عن رسالة التنزيه».

الثالثة: طبعت هذه الرسالة سنة١٣٤٧هـ في المطبعة العلوية في النجف الأشرف.

الرابعة: في بداية الرسالة أوضح المؤلّف سبب تأليفه لها تحت عنوانين: «إيضاح وتنبيه» و«كلمة المؤلّف»، ثمّ بين أنّ دين الإسلام دين فطرة، وسبب تقدّمه هو وجود المصلحين من أبنائه، والذين منهم السيّد الأمين، ثمّ بيّن أنّ السيّد الأمين لم يمنع الشعائر الحسينيّة، بل دعى إلى تهذيبها من الشوائب التي لحقتها، ثمّ نقل كلامه من كتابه «إقناع اللائم في إقامة المآتم» الذي يوضّح فيه رأيه.

بعدها بدأ بذكر عبارات رسالة «التنزيه» والدفاع عنها، وردّ المعترضين عليها.

وأثناء بحثه ذكر كلام العلاّمة الميرزا حسين النوري والعلاّمة الشيخ هادي كاشف الغطاء حول الأحاديث المكذوبة التي ينقلها بعض قرّاء التعزية، وكذلك نقل فتوى الشيخ مرتضى الأنصاري حول حرمة الغناء في المآتم الحسينيّة، وفتوى الشهيد الأوّل والسيّد كاظم اليزدي في حرمة جرح النفس، وكذلك فتاوى مجموعة أخرى من العلماء عن بعض الشعائر الحسينيّة.

الخامسة: يشير إلى رسالة «نصرة المظلوم» للشيخ حسن المظفّر (ت١٣٨٨هـ)، المطبوعة سنة١٣٤٥هـ والمطبوعة أيضاً ضمن هذه المجموعة.

وكذلك يشير إلى رسالة «النقد النزيه لرسالة التنزيه» للشيخ عبد الحسين قاسم الحلّي المطبوعة سنة١٣٤٧هـ والمطبوعة أيضاً ضمن هذه المجموعة.

وكذلك يذكر في آخر كلامه رسالة «نصرة الفقيه» للشيخ عبد المهدي الحجّار.

كما أنّه ينقل عبارات عديدة من رسالة «سيماء الصلحاء» للشيخ عبد الحسين صادق العاملي (ت١٣٦١هـ)، ويردّ عليها بعنف.

السادسة: يردّ على هذه الرسالة ـ كشف التمويه ـ السيّد علي نقي النقوي اللكهنوي (ت١٤٠٨هـ) في رسالته «إقالة العاثر في إقامة الشعائر» المطبوعة سنة١٣٤٨هـ، والمطبوعة ضمن هذه المجموعة أيضاً.

السابعة: يصف المخالفين لآراء السيّد محسن الأمين بألفاظ جارحة، قائلاً:

(أ)ـ «ولكن يعترضنا في الحال الحاضر ما هو أدهى من ذلك وأمرّ، ألا وهو قيام أفراد من «المرتزقة» الذين تطفّلوا على هذا الصنف الروحاني، وهو يبرأ إلى الله منهم براءة الذئب من دم يوسف، قاموا ويابئس ما قاموا، قاموا على الدين بلباسه، وأخذوا يقذفون العلماء الروحانيين، ويلصقون بهم ما يبرّئهم منه العالم الإسلامي كلّه، ويكذبون عليهم ويموّهون ويدجّلون لدى العوام، بما يخشى لأجله من تزعزع الثقة العامة بهذا الصنف المقدّس».

(ب)ـ قال واصفاً الشيخ عبد الحسين صادق العاملي صاحب رسالة «سيماء الصلحاء» التي ردّت على آراء السيّد الأمين: «ويدفع فيها [أي السيّد الأمين في رسالته التنزيه] ما تحامل عليه بعض قومه ممّن حسد مركزه ويحقد على ما آتاه الله من فضل، ذلك قوله: (إنّه خالف الأئمّة وعلماء الأُمّة) نعوذ بالله من هذه الافتراءات.

وقد نسج على منواله بعض من يمتّ به وينتسب إليه بقرابة، فأخذ يموّه على السذّج والبسطاء، ويختلق ويفتري عليه الكذب، ممّا هو معروف ومشهور لدى الجميع، وقد خرجت أوراق مطبوعة مملوءة فحشاً لبعض المتطفّلين على موائد غيرهم، ونتكرّم عن ذكرهم من باب حبّ (لوذات سوار لطمتني)».

(جـ)ـ ويقول في مكان آخر رادّاً على الشيخ عبد الحسين صادق العاملي ورسالته «سيماء الصلحاء»: «اعلم أنّ كلّ مصلح كبير يتمركز على كرسي الإمامة والسيادة في الأُمّة، لابدّ وأن يتهيّأ له من مرضى النفوس من يحسده ويحقد عليه... وهنا أقول: طالعت تلك الأوراق المطبوعة، فانكشف لي التحامل الشديد والكذب الصريح الذي نشأ عن مآرب شخصيّة وأحقاد كانت تتآكل في الصدور، ولسوف يلقون بها جده رسول الله صلى الله عليه وآله وأمّه الزهراء وأبويه علياً والحسين عليهم السلام يوم حشرهم ونشرهم فيجازون».

الثامنة: ذكر المؤلّف في آخر رسالته هذه، ترجمة مفصّلة لحياة السيّد محسن الأمين تضمّنت: نسبه، مولده، تحصيله للعلوم، أساتذته، أقوال العلماء في حقّه، مشايخ إجازته.

التاسعة: يوجد في آخر الرسالة أيضاً قائمة بأسماء مؤلّفات السيّد محسن الأمين.

العاشرة: النسخة التي اعتمدنا عليها في التصحيح هي الطبعة الأولى لها، كُتب في أولها: كشف التمويه عن رسالة التنزيه لأعمال الشبيه، بقلم العلاّمة الكبير والمفكّر الخطير الجامع للمعقول والمنقول حضرة الأستاذ الشيخ محمّد

الگنجي النجفي دامت تأييداته، حقوق الطبع محفوظة للمؤلّف، طبع في المطبعة العلوية في النجف الأشرف سنة١٣٤٧هـ

(٢٣) إقالة العاثر في إقامة الشعائر

للسيّد علي نقي اللكهنوي

المؤلِّف:

في أثناء تحقيقنا لهذه الرسالة، وبحثنا عن ترجمة المصنّف، أخبرنا الأخ العزيز المحقّق الشيخ أحمد الحلّي حفظه الله ورعاه، بوجود ترجمة للمصنّف كتبها بنفسه، وصورتها الخطيّة موجودة في مكتبة العتبة العباسيّة المقدّسة في مدينة كربلاء المقدّسة، فطلبنا منه تصويرها لنا، فأرسل لنا صورتها، جزاه الله خير الجزاء.

فوجدتها ترجمة مفصّلة للمصنّف كتبها بنفسه بناءً على طلب بعض السادة منه، وتاريخ كتابتها هو يوم الأربعاء الثاني عشر من شهر ذي القعدة سنة١٣٤٩هـ في مدينة النجف الأشرف.

وقام باستنساخها السيّد محمّد صادق بحر العلوم الطباطبائي في يوم الخميس الرابع عشر من شهر ربيع الأوّل سنة١٣٥٠هـ.

وقد ذكر المصنّف في هذه الترجمة تاريخ ولادته، وهجرته إلى النجف الأشرف مع والده، وبداية دراسته مقدّمات العلوم، ثمّ رجوعه إلى الهند وإتمام دراسته هناك، ثمّ عودته إلى النجف الأشرف لإكمال أبحاثه العالية فيها.

وذكر فيها مؤلّفاته التي كتبها في الهند أو النجف، ثمّ ذكر أساتذته ومشايخه في الإجازة.

وبما أنّ تاريخ كتابة تلك الترجمة كانت أواخر سنة١٣٤٩هـ ووفاته رحمه الله كانت سنة١٤٠٨هـ لذلك لم يرد فيها الكثير من نشاطه العلمي وآثاره خلال تسع وخمسين سنة، لذلك لم تكن تلك الترجمة وافية بكلّ أبعاد حياته العلميّة.

ونحن ننشر تلك الترجمة هنا باعتبارها صادرة منه رحمه الله، ولم تطبع لحد الآنّ، فقال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الّذي أكرمنا بالهُدى، وجعلنا من أُمّة خير الورى، والصلاة على نبيّه المصطفى وآله مصابيح الدجى.

وبعد، فقد سألني بعض مَن يجب عليّ إجابة سؤله من السادة العلماء الأفاضل ـ جعله الله من أنصار الدّين وحماة الشرع المبين ـ أن أذكر له نبذة من شؤون حياتي وترجمة أحوالي، حتّى تكون تذكرة باقية وأُحدوثة خالدة،

فنزلت على حكمه وإن كنت أرى قصور شأوي وسقوط خطري ما لا أستحقّ سمعه لذلك.

ومن أنا حتّى يُعنى بشأني، ويُبحث عن أحوالي، ويُسأل عن مبدأ أمري ومآلي؟

وهل أكون إلّا امرأ قليل البضاعة، ساقط العزيمة، كثير العثار، حلس زاوية، وعقيد حاجة وافتقار، «ومن يسأل الصعلوك أين مذاهبه».

ولكن حيث سُئلت وجب عليّ الإجابة، ومن الله استمدّ المعونة والتوفيق.

أمّا نسبي، فهو ينتهي بثمان وعشرين واسطة إلى الإمام الهمام عليّ النقي الهادي سلام الله عليه، وإليك بيانه:

أضعف العباد عليّ نقي ابن ممتاز العلماء الثاني السيّد أبو الحسن دام ظلّه سيّد العلماء الثاني السيّد محمّد إبراهيم ابن ممتاز العلماء السيّد محمّد نقي سيّد العلماء السيّد حسين ابن العلاّمة المجتهد الكبير السيّد دلدار علي بن محمّد معين بن عبد الهادي بن إبراهيم بن طالب بن مصطفى بن محمود بن إبراهيم ابن جلال الدين بن زكريا بن جعفر بن تاج الدين بن نصير بن عليم الدين بن علم الدين بن شرف الدين بن نجم الدين بن عليّ بن أبي علي بن أبي يعلى محمّد بن أبي طالب حمزة بن محمّد بن الطاهر جعفر ابن الإمام علي النقي الهادي سلام الله عليه.

ولدت يوم السادس والعشرين من رجب الحرام سنة١٣٢٣ ثلاث وعشرين بعد ألف وثلاثمائة من الهجرة في بلدة «لكهنو»، عاصمة العلم والتشيّع في بلاد الهند.

ولمّا كنت ابن ثلاث سنين وأشهر سافر بي السيّد والدي دام ظلّه إلى النجف الأشرف سنة١٣٢٧، فبقي فيها خمس سنين ملتقطاً فرائد العلم عن أصداف صدور العلماء الأعلام، ونشأت هناك في جوار باب المدينة (والحمد لله).

فلمّا بلغت سبع سنين رأى أن يشرع في تعليمي بيوم سعيد، فأتى بي إلى مشهد أمير المؤمنين سلام الله عليه، وكان العلاّمة الورع السيّد محمّد علي الشاه عبد العظيمي وقتئذ جالساً على مصلاّه يريد صلاة الظهر بالجماعة، فسأله السيّد والدي أن يبدأ بتعليمي تيمّناً بأنفاسه الشريفة، فعلّمني بسم الله الرحمن الرحيم، ونحن اتّجاه الضريح المقدّس والصلاة قائمة بصفوفها وراء السيّد الجليل.

ومنذ ذلك اليوم واظب السيّد بنفسه على تعليمي، فضرب لي وقتاً من الفراغ، وسلك بي منهجاً كان هو المؤسّس له، فسار بي سيراً حثيثاً قلّما يسير الطالب مثله، حتّى أنّي في طيّ ستة أشهر فرغت من القرآن المجيد وبعض الكتب الفارسية بكلّ ضبط وإتقان ودخلت في النحو والتصريف.

وكان في كلّ من يومي الخميس والجمعة يلقي عليّ أسئلة في ما قرأته في أيام الإسبوع، مع ما يتعلّق بها من الفروع والأشباه التي يناط تخريجها بقوّة الفطنة والذكاء.

فكنت أجيب فيها بما ساعدني عليه الفكر والحافظة، ولربما أقف فيها، فإن كان ممّا يحقّ لمثلي أن يقصر عنه؛ لصعوبة، كان هو دام ظلّه يوقفني عليه.

وإن تراءى له منّي شيء من التفريط والتقصير، فهنالك الزجر والتنديد والبأس الشديد، إلى أن أكون أنا المجيب عنه جواباً صحيحاً، فإذا رأيت منه الرضى والإقرار أكتبه تحت سؤاله حتّى يكون تذكرة في ما يأتي، فاجتمع عندي من ذلك كتب مدوّنة.

وقد رأيت لذلك في نفسي أثراً كبيراً من الزيادة في قوّة الفطنة، وتشحيذ الفكرة، والإتقان في الضبط، والمحافظة والتمرّن على التأليف والتصنيف.

ومن مسلكه الخاصّ في تدريسي أنّه لم يدعني أسمع وهو يقرّر مطلب الكتاب، بل ألزمني أن أقرأ العبارة وأُبيّن معناها ومفادها. والغرض منها حسب ما فهمت في أثناء المطالعة، فإن كان صحيحاً بنظره أمضاه، وإن كان خطأً أمرني بالمراجعه ثانياً، إلى أن أكون أنا المبيّن للمطلب.

نعم، لو كان من المطالب الصعبة المستصعبة التي لا يمكن لمثلي أن يحلّ عقدتها بيّنها بنفسه، حتّى أنّه ربّما يمضي الوقت كلّه ويتمّ الدرس وهو لا يتكلّم فيه بكلمة غير الإمضاء أو الأمر بالتأمل والمراجعة.

فبذلك أوجد في نفسي ملكة استخراج المطالب المشكلة من العبارات الصعبة بقوّة المطالعة، ثمّ ملكة التقرير وبيان الطلب العلمي على نحو يفهم المخاطب، فكأنّه في حين أنّه يدرّسني كان يجعلني مستعدّاً للبحث والتدريس، فهو دام ظلّه بذلك المنهج وهذا حاول أن يجعلني مصنّفاً ومدرّساً في وقت واحد.

ولم أزل ملازماً له غدوة وعشيّاً في حين إقامته بالعراق، ومن بعد رجوعه إلى الهند وهو في صفر سنة ١٣٣٢، حتّى قرأت عليه كلّ ما قرأت من العلوم من النحو والتصريف والمنطق والحكمة والهيئة والفقه والأُصول.

ولم يبعثني يوماً إلى أُستاذ سواه، حتّى عندما كنت أتعلّم حروف الهجاء المفردة، فهو بنفسه الشريفة كان يهتمّ بي في كلّ الأدوار وكلّ الفنون.

اللّهمّ إلّا الأدب، فإنّه أمرني بالحضور فيه على زميله العلاّمة المفتي السيّد محمّد علي دام ظلّه ابن العلم الشهير المفتي السيّد محمّد عبّاس آل المحدّث السيّد نعمة الله الجزائري رحمه الله، وما كان من قرائتي على بعض الأجلّة من الفقهاء والأعلام بالهند ـ على ما ستأتي الإشارة إليه ـ فإنّما كان التزاماً بقانون المدرسة التي توجب على تلاميذها الحضور في مجلس بحثها البتّة.

وكان من آثار ما سلكه بي من المنهاج، أني طويت مراحل الدروس السطحيّة، وأخذت الشهادات العالية من كبار مدارس الهند وجلّتها وأنا ابن عشرين سنة.

ولولا ما ظهر في البين من العراقيل التي عطّلتني في خلال ذلك زهاء ثلاث سنين، لكنت أبلغ الغاية قبل هذا الأوان بمدّة طويلة، ولكنّ الأُمور مرهونة بأوقاتها، والأشياء تجري على مقاديرها، والأمر لله وحده.

كان السيّد آلى على نفسه أن لا يبعثني إلى أُستاذ سواه ـ على ما ذكرت ـ لكن دعته مصالح شتّى من بعد ذلك إلى أن يدخلني في بعض المدارس العلميّة، حتّى أنال منها الشهادات الثمينة.

فدخلت «الجامعة السلطانيّة» المشتهرة بـ«سلطان المدارس» في «لكهنؤ»، وحضرت على أكبر أساتيذها العلاّمة حجّة الإسلام السيّد محمّد باقر قدّس الله سرّه، فسمعت منه شطراً من أُصول «الكافي»، وطهارة «الرياض»، و«فرائد» شيخنا الأنصاري رحمه الله.

ودخلت الجامعة الناظميّة المسمّاة «مشارع الشرائع»، فحضرت لدى أُستاذها الأكبر العلاّمة المصلح الشهير السيّد نجم الحسن مؤسّس «مدرسة الواعظين» دام ظلّه، وسمعت منه أيضاً شطراً قليلاً من «الرياض» و«الرسائل»، وقرأت لديه أيضاً من كتب الهيئة كتاب «التصريح في شرح التشريح».

وعرضت على مسرح الامتحان في كلّ منهما ثلاث سنين، وأدّيت أيضاً الامتحان في الكليّة العربيّة ببلدة «إله آباد» وفي الكليّة العظمى العربية أيضاً في «لكهنؤ»، فكان مجموع ما أدّيت من الامتحانات ثمانية.

وكان من فضل الله عليّ ولطفه أنّي في كلّها نلت قصب السبق وسبقت على شركاء الامتحان، فلقّبت من تلك المدارس حسب قواعدها بألقاب: «سند الأفاضل»، و«صدر الأفاضل»، و«الفاضل»، و«ممتاز الأفاضل»، و«العالم»، و«فاضل الأدب».

وأخذت في التدريس منذ مبادي أمري، ومن لطف الله سبحانه عليّ أن جعل قلوب الطلاّب تهوي إليّ، حتّى أنّي بعد إتمام الدروس المرسومة في الهند واختصاصي بالتدريس مدّة سنة أو أكثر، لربما باحثت في يوم واحد أكثر من خمسة عشر درساً من فنون متباينة كالمنطق والفقه والأُصول والأدب، حتّى أنّ السيّد أبي دام ظلّه خاف عليّ كثرة الاشتغال، فلربما منعني إرشاداً وكان ينهاني مولويّاً.

ولمّا فهمت الدروس السطحيّة إلى «الرسائل» و«المكاسب» في تلك البلاد، وأدّيت الامتحانات، ساعدني التوفيق الإلهي على المهاجرة إلى النجف الأشرف.

فزممت ركاب السفر، وشددت رحال الطلب، وخرجت من بلدي مودّعاً للأهل والإخوان، ليلة الأحد الثالث من شعبان سنة١٣٤٥.ووصلت إلى النجف الأشرف بعد التشرّف بزيارة مشاهد الكاظمين والعسكريين سلام الله عليهم، ومشهدي الطفّ على صاحبيهما السلام، يوم الثلاثاء السادس والعشرين من الشهر نفسه، وكانت عطلة عامّة في الأبحاث لأجل قرب شهر رمضان، فبقيت.

وفي شهر رمضان ألّفت رسالتي «كشف النقاب عن عقائد ابن عبد الوهاب» وقد جعلها الله سبحانه مرضيّة عند الناس جميعاً، وسبباً لمعرفة الناس وحسن ظنّهم بي.

ومن التاسع من شهر شوال أخذت في تحصيل العلم بسعي متواصل وجهد مستمر إلى اليوم، والحمد لله.

فقرأت الدروس السطحيّة في «الرسائل» و«المكاسب» و«الكفاية» على أُستاذي العلاّمة عمدة العلماء المحقّقين حجّة الإسلام والمسلمين الميرزا أبو الحسن المشكيني النجفي دام ظلّه صاحب «الحاشية على الكفاية»، وحضرت لديه أيضاً في خارج بحثه بكتاب الصلاة.

وحضرت في خارج الأُصول بحث آية الله العظمى إمام المحقّقين شيخنا الأعظم الميرزا محمّد حسين النائيني متّع الله المسلمين بطول بقائه.

ومن حسن الاتفاق أن صادف أوّل حضوري لديه شروع دورته في مباحث الألفاظ، فقد أدركت دورته الأُصوليّة هذه من أوّلها إلى الحال على الاستمرار، إلّا نادراً في بعض الليالي إذا صادفني ما نع سفر ونحوه.

وحضرت في مباحث الألفاظ وشطر من الأدلّة العقليّة ونبذة من كتاب الطهارة مجلس بحث رئيس الشيعة والمرجع في أحكام الشريعة آية الله في العالمين السيّد أبو الحسن الأصفهاني دام ظلّه، وقليلاً من بحث الفقه والأُصول لحضرة مقدام المحقّقين وواحد الأساطين الشيخ ضياء الدين العراقي أدام الله أيام إفاضاته.

اللّهم هؤلاء مشايخي فأجزهم عنّي خير جزاء المحسنين وآتهم الحسنى في الدنيا والدّين.

أمّا ما برز منّي من المؤلّفات، فمنها ما كتبته وأنا بالهند، ومنها ما كتبته بعد تشرّفي بالنجف الأشرف.

أمّا القسم الأوّل فمنه:

«رسالة البيت المعمور في عمارة القبور»(١)، ردّاً على الوهابيّين.

«روح الأدب في شرح لاميّة العرب»(٢).

«فرياد مسلمانان عالم»، مجموعة مناشير ومقالات ضافية والاستغاثة بالعالم الإسلامي.

وهذه الثلاث مطبوعات وهي بلغة «أُردو» اللغة الإسلاميّة بالهند.

«تذكرة السلف»، وهو كتاب في ترجمة جدّي الأكبر العلاّمة المؤسّس السيّد دلدار علي قدّس سرّه، نشر كثير منها في بعض صحف الهند.

«أرواق الذهب في استدراك مافات وذهب عن صاحب أوراق الذهب»، في ترجمة جدّنا العلاّمة الوحيد سيّد العلماء السيّد حسين قدّس سرّه، بالعربية.

«رسالة في حكم انتقاض التيمّم بدلاً عن الغسل بالحدث الأصغر».

«تواريخ الأعلام»، وهي مجموعة لطيفة في تواريخ ولادات أو وفيات العلماء الأعلام والأفاضل الكرام.

هذه عدا ما أشرنا إليه من كتب دراسيّة في النحو والتصريف، جمعناها من الأسئلة والأجوبة عند اشتغالنا بقراءة المبادئ العربيّة.

---

(١) الذريعة ٣: ١٨٥ / ٦٦١.

(٢) الذريعة ١١: ٢٦١ / ١٥٩٤.

وأمّا القسم الثاني فمنه:

«كشف النقاب عن عقائد ابن عبد الوهاب»[١]، وهو أوّل ما ألفته في النجف الأشرف، وقد تقدّم ذكره، طبع في المطبعة الحيدريّة بالنجف الأشرف.

«السيف الماضي على عقائد الإباضي»[٢]، في زهاء **٣٥٠** صحيفة.

«شنف النضير في مسألة التصوير».

«تراجم مشاهير علماء الهند».

«الردود القرآنيّة على الكتب المسيحيّة»، في الردّ على النصارى.

«إقالة العاثر في إقامة الشعائر»[٣]، ردّاً على رسالة «التنزيه» السوريّة، طبعت بالنجف.

«مطارحة علميّة»، وهي ما جرى من المراسلات بيني وبين أحد الفقهاء والأعلام حول مواضيع رسالتي «إقالة العاثر».

«رسالة في الاجتهاد والتقليد» من تقريرات بحث آية الله السيّد الأصفهاني دام ظلّه.

«مباحث الألفاظ»، من تقريرات بحث آية الله شيخنا الأعظم النائيني دام ظلّه، مجلّد تام.

---

(١) الذريعة ١٨: ٦٥/ ٧٠١.

(٢) الذريعة ١٢: ٢٨٨ / ١٩٣٨.

(٣) الذريعة ٢: ٢٦٣ / ١٠٧٢.

«مباحث الأدلّة العقليّة»، من تقريراته دام ظلّه، برز منها جزء إلى أواخر البراءة.

«مجموع ديوان البقيعيّات»، جمعتُ فيه ما قيل في فاجعة البقيع من المنظوم والمنثور.

«نظرات على كتاب السفور والحجاب»، للآنسة نظيرة زين الدين السوريّة.

«تاريخ وفيات الشيعة»[1]، برز منها زهاء مجلّدين، ونشر منها شيء كثير في مجلّة «الهدى» الإسلاميّة بالعمارة.

«تقريرات بحث الصلاة»، لآية الله الأصفهاني.

«أقرب المجازات إلى مشايخ الإجازات»، برز منه مجلّد ضخم يزيد على ٣٠٠ صفحة، لم يتمّ.

«أصول الدين والقرآن»[2]، رسالة بلغة «أُردو» الهنديّة.

«نظرات بحّاثة في الأخبار الثلاثة» كتبتها ردّاً على السيّد رشيد رضا المصري صاحب مجلّة «المنار» في إنكاره لقوله صلى الله عليه وآله: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»، وقوله صلى الله عليه وآله: «أقضاكم علي»، وقول الخليفة الثاني: لولا علي لهلك عمر.

«الشعائر الحسينيّة في العراق».

«بغية المرتاد في شرح نجاة العباد» لم يتمّ.

«لمحات على كتاب الفتاة والشيوخ»، للآنسة نظيرة زين الدين السوريّة.

---

(١) الذريعة ٣: ٢٩٤ – ٢٩٥ / ١٠٩٠.

(٢) الذريعة ٢: ١٩٦ / ٧٤٩.

«رشحات القلم»، وهي مجموع مقالات دينيّة نشرت منّي في الصحف والمجلاّت الهنديّة.

«الظلّ الظليل في المكاتيب والمراسيل»، وهو مجموع ما دار بيني وبين جملة من الأعلام من المكاتيب العربيّة متضمّنة لنكات من البلاغة والأدب.

«حاشية الأدلّة العقليّة من الكفاية»، وفيها فوائد استفدتها من بحث شيخنا العلاّمة المشكيني دام علاه.

«تعليقات على المكاسب»، كذلك.

إلى غير ذلك من حواشي غير مدوّنة، ومقالات ضافية منشورة، وملاحظات انتقادية على الكتب التي طالعتها ممّا لا يسعني الآن بيانه[1].

---

(١) أضاف الشيخ الطهراني إلى مؤلّفاته:

«الحجج والبيّنات في ما ظهر من المشاهد المشرّفة بالعراق من الكرامات في سنة١٣٥٠، طبع في لكهنو. الذريعة ٦: ٢٦٣ / ١٤٤٠.

«الفرقان في تفسير القرآن»، طبع مجزّءاً شهرياً في مجلّة الرضوان، ابتداءً من شهر ذي الحجّة سنة١٣٥٣هـ الذريعة ١٦: ١٧٤ – ١٧٥ / ٥٢٩.

«الفجعة في الرجعة»، طبع في مجلّة الرضوان سنة١٣٥٤هـ الذريعة ٢٤ / ٦٨ / ٣٤١.

وأضاف الأخ الكريم المحقّق السيّد محمّد رضا الجلالي حفظه الله ورعاه في «ثبته»: ٨٢ ، لمؤلّفات المصنّف:

«لزوم المسح على الرجلين في الوضوء»، في الفقه المقارن.

«البيان في تفسير القرآن»، طبع بعضه في الهند.

وإنّي أعترف بالتقصير، وأسأل الله سبحانه أن يوفّقني للعلم والعمل، والقيام بواجب الدين من نشر آثار سيّد المرسلين وآله المعصومين، إنّه أرحم الراحمين.

وأمّا مشايخي في الرواية فهم كثير من أعلام الطائفة كالآيات والحجج والأعلام: الميرزا محمّد حسين النائيني، والميرزا علي آقا الشيرازي، والسيّد حسن الصدر، والشيخ عبد الله المامقاني، والشيخ محمّد باقر البيرجندي، وآقا رضا الأصفهاني النجفي، والشيخ مرتضى آل كاشف الغطاء طاب ثراه، والسيّد نجم الحسن اللكهنوي، وسيّدنا الوالد العلاّمة، والشيخ محمّد كاظم الشيرازي، والسيّد ميرزا هادي الخراساني، والميرزا محمّد الطهراني، والشيخ محسن ـ المعروف بآقا بزرگ الطهراني ـ نزيلي سامراء، والحاج الشيخ عبّاس القمي، وغيرهم ممّن ذكرت تراجمهم وأسانيدهم بأجمعها في كتاب «أقرب المجازات».

هذا ما أردت بيانه في هذا المختصر، قضاءً للوطر وابقاءً للأثر، أسأل الله سبحانه أن يجعل عاقبة أمري خيراً، ويرزقني الحسنى في الدين والدنيا، إنّه بالإجابة جدير، وهو على كلّ شيء قدير.

كتبه في غاية الاستعجال وتوزّع البال، يوم الأربعاء الثاني عشر من ذي القعدة سنة١٣٤٩، في بقعة النجف الطيّبة الزكيّة على مشرّفها ألف سلام وتحيّة. وأنا الأقل علي نقي النقوي عفي عنه.

وقد تمّ استنساخه يوم الخميس١٤ شهر ربيع الأوّل سنة١٣٥٠، على يد أقل الخليقة، بل لا شيء في الحقيقة، محمّد صادق بن الحسن آل بحر العلوم

الطباطبائي الحسني، عفى الله عن جرائمه بالنبي وآله الكرام عليهم السلام سنة ١٣٥٠ هجرية.

المؤلَّف:

نسلّط الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأُولى: كتب المؤلّف هذه الرسالة ردّاً على رسالة «التنزيه لأعمال الشبيه»، التي ألّفها السيّد محسن الأمين (ت١٣٧١هـ)، إذ ينقل عبارات منها ويبدأ بردّها، وفي عدّة موارد يذكر نصوصها دون نسبتها إليها.

الثانية: ينقل عدّة عبارات من رسالة «كشف التمويه عن رسالة التنزيه»، التي ألّفها الشيخ محمّد الگنجي دفاعاً عن السيّد الأمين ورسالته «التنزيه»، ممّا يدلّ على أنّ هذه الرسالة طبعت بعد تلك الرسالة.

الثالثة: ينقل عبارة للشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (ت١٣٧٣هـ) في رسالته «المواكب الحسينيّة» في معرض كلامه على شجّ الرؤوس بقوله: «بلغنا من العمر ما يناهز الستّين وفي كلّ سنة نصب أعيننا تلك المحاشد الدمويّة، وما رأينا شخصاً مات بها أو تضرّر، ولا سمعنا به في الغابرين».

الرابعة: يشير إلى رسالة «كلمة حول التذكار الحسيني» للشيخ محمّد جواد الحجّامي (ت١٣٧٦هـ)، التي جمع فيها نصوص فتاوى بعض العلماء في جواز هذه الشعائر.

الخامسة: يذكر أنّ له كتاباً في الردّ على الوهابيّة.

السادسة: ذكر في آخرها أنّه انتهى من تأليفها في اليوم الثاني من شهر رمضان سنة١٣٤٧هـ، وأخرجها إلى البياض مع بعض الزيادات في شهر محرّم سنة١٣٤٨هـ إلّا أن الموجود في الصفحة الأولى من الطبعة الأولى المتوفّرة لدينا أنّها طبعت سنة ١٣٤٧هـ

السابعة: النسخة التي اعتمدنا عليها في التصحيح هي الطبعة الأُولى، كتب في الصفحة الأُولى منها: رسالة إقالة العاثر في إقامة الشعائر، نظريات شريفة حول مواضيع رسالة التنزيه في أعمال الشبيه السورية، للعلاّمة الثقة البارع السيّد علي نقي النقوي اللكهنوي دام ظلّه، طبعت على نفقة بعض أهل الخير من التجّار زادهم الله شرفاً، طبع بالمطبعة الحيدريّة في النجف الأشرف سنة١٣٤٧هـ.

الثامنة: في آخر الطبعة الأُولى من هذه الرسالة، طبع ملحق يبيّن فيه أسماء الأعلام الذين أيّدوا إقامة الشعائر الحسينيّة، وكذلك طبعت عبارة تشكّك في إصدار فتوى من قبل المرجع الديني السيّد أبو الحسن الأصفهاني يعارض فيها بعض الشعائر الحسينيّة.

علماً بأنّ الأديب الشاعر، العالم الفاضل، الشيخ محمّد عليّ الأردوبادي (ت١٣٨٠هـ) نظم عدّة أبيات في تقريظ هذه الرسالة، قائلاً:

هـــــذا كتـــــابٌ مُبـــــين   مـــا فيـــه جهـــلٌ ومَـــينُ
بـــــــذكرِهِ وعُـــــــلاه   تَلَـــــــذُّ أذنٌ وعَـــــــينُ
فـــان تَصُـــغ منـــه لفظـــاً   فَعَسْـــــجدٌ ولُجيـــــنُ

مُشْـــــــفَّعاً بمعـــــــــانٍ فـــــيهنَّ للـــــدِّين زَيـــــنُ
تَجلُـــــو بِهـــــنَّ قلوبـــــاً قـــد اعتــــراهُنَّ ريْـــــنُ
بهـــــا حيـــــاة المُـــــوالي وللمُعـــــــادِينَ حَـــــيْنُ
بُشـــــراكَ فيهـــــا سَـــــيَلْقا كَ بـــــالجَزاءِ حُسَـــــينُ

(٢٤) قطعة من كتاب إرشاد الأُمّة للتمسّك بالأئمّة
للشيخ عبد المهدي المظفّر

المؤلِّف:

عبد المهدي ابن الشيخ إبراهيم ابن الشيخ نعمة بن جعفر بن عبد الله ابن عبد الحسين المظفّر.

ولد سنة١٢٩٦هـ وقرأ المقدّمات على لفيف من المدرّسين، وحضر خارج الفقه والأصول على آية الله السيّد محمّد كاظم اليزدي، وشيخ الشريعة الأصفهاني، والشيخ علي الجواهري، وعمدة تتلمذه على الأخير، فقد لازمه وحضر بحثه سنين طوال، حتّى برع وحظي بمكانة عند أساتذته وعلماء وقته وفضلائه، لغزارة فضله وسعة اطلاعه.

يقول عنه معاصره الشيخ جعفر محبوبة (ت١٣٧٧هـ): «هذا الشيخ من أهل الفضل، ومن المبرزين في الكمال والأدب، قام في البصرة مقام والده للهداية والإرشاد، فحمدت سيرته وفشى معروفه، وطار ذكره، وملأ صيته الأصقاع والبقاع.

نصب نفسه لقضاء حوائج المؤمنين، فكان ملجأ للعاني والعافي والرائح والغادي، فكانت داره مأوى الضيوف ومقرّاً للوفّاد، وله في كلّ جيد مكرمة من مكارمه الكثيرة التي لا تُعدّ ولا تحصى، فهو من حسنات الدهر ونوادر العصر، لم تحص مناقبه، ولم تحصر مآثره.

عاش في العشّار محترم الجانب، مرعي الحرمة، يقدّره سائر الطبقات ؛ لما انفرد به من غرّ الخصال، وهي حسن الخلق ولين العريكة، ولم يحمل في قلبه غلّاً لأحد. لم يعرف له عدو، وكلّ يستقبله بوجه متهلل وثغر باسم، كان يجود بماله وجاهه.

يمتاز هذا الشيخ بكثرة الحافظة وسعة الاطلاع، يحفظ الكثير من السير والتاريخ والنكات والشعر والشواهد المستحسنة، وإذا حلّ في نادي كان له الصدر، وهو بلبله الغِرّيد، ويضمّ إلى تقواه وصلاحه نبله وحسن خلقه وخفّة طبعه، من عاشره لا يملّ عشرته ولا يستطيع مفارقته»[1].

وقال عنه معاصره الآخر الشيخ الطهراني (ت١٣٨٩هـ): «وكان بالإضافة إلى براعته في الفقه وأصوله ملمّاً بالسير والتاريخ، راوية لطريق الحوادث والأخبار، حافظاً لغرر الشعر من القديم والحديث، مستحضراً للنكات المستملحة والنوادر المحتشمة.

(١) ماضي النجف وحاضرها ٣: ٣٦٦.

وكان بشوش الوجه حسن الأخلاق، كثير التواضع، طيب القلب، ليّن العريكة، ورعاً تقيّاً محبوباً عند عارفيه.

وقد كانت بيننا وبينه صلة وثيقة وعلاقة متينة، وكان يأنس بنا ونأنس به، حتّى خرج من النجف للقيام مقام أبيه رحمه الله.

هبط البصرة فكان مرجع أهلها في القضاء والإمامة وأخذ الأحكام، وأحلّه ورعه وخلقه محلّاً مرموقاً بين الناس، وطار صيته في تلك الأطراف، فاجتمعت القلوب على حبّه، والناس على تكريمه وتعظيمه، وامتدّت زعامته ووجاهته، فكان ملجأ العفاة، وسند المحتاجين، وكهفاً وملاذاً للمؤمنين، وصارت داره كعبة الوافدين ومأوى الضيوف، يستقبل الكلّ بثغر باسم، ويطوّق رقابهم بمعروفه والمكارم، ولا يبخل على أحد بمال أو جاه، وكانت له كلمة مسموعة ونفوذ واسع.

وقد وفّقه الله لخدمة الناس وقضاء الحوائج، فهو صاحب فضل على الكثيرين.

توفّي في العشار٢١ ذي القعدة سنة١٣٦٣هـ فجرى له تشيع قليل النظير، فقد نقل في قطار خاص إلى كربلاء، وكلّما مرّ بمدينة أو توقّف فيها خرج أهلها لاستقباله بمظاهر الحزن، وعطلت له أسواق كربلاء، واستقبلت النجف جثمانه في اليوم الثاني من وفاته بتبجيل لم يتّفق لكثير من المراجع، ودفن مع والده في مقبرته بمحلّة المشراق، وأقيمت له فواتح عديدة في

النجف وأكثر المدن العراقية، ورثاه غير واحد من الشعراء، وأرّخ وفاته جماعة منهم الشيخ علي البازي، قال:

لقد نكب الإسلام أيّة نكبة بفقد زعيم منه عزَّ نظيره
بيوم به مهديّها الندب قد قضى وأرّختهُ «المهدي فيه غيّب نوره»[1]

المؤلَّف:

ونسلّط الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأُولى: يقع هذا الكتاب في١٤٣ صفحة، إلّا أنّ أكثره ليس له علاقة بالشعائر الحسينيّة، ولا برسالة «التنزيه»، وإنّما تعرّض المؤلّف فيه لمواضيع مختلفة، مثل: الإمامة ووجوبها، واختصاص الخلافة بأمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، وذكر الأدلّة على ذلك من: حديث الغدير، والولاية، والمنزلة، والثقلين، والوصيّة، والموآخاة، والطائر المشوي، وغيرها.

ثمّ تعرّض للردّ على كلام ابن خلدون في الإمامة، وكذلك ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه للنهج.

وبيّن مظلوميّة أهل البيت عليهم السلام، ابتداءً بعميد البيت العلوي الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام، ولمّا وصل إلى مظلوميّة الإمام الحسين عليه السلام تعرّض لمسألة إقامة الشعائر الحسينيّة، واستحباب البكاء واللطم وإظهار الحزن والجزع عليه.

(١) طبقات أعلام الشيعة (نقباء البشر في القرن الرابع عشر) ٣: ١٢٤٠.

الثانية: يبدأ المصنّف ابتداءً من الصفحة١١٩ من هذا الكتاب بذكر الشعائر الحسينيّة تحت عنوان «خاتمة: في فاجعة الطفّ والمظاهر الحسينيّة»، فيتعرّض لاستحبابها وسيرة علماء الشيعة على ذلك.

ثمّ يبدأ بالردّ على رسالة «التنزيه» للسيّد الأمين، فيعقد باباً بعنوان «السيّد محسن الأمين ورسالته التنزيه لأعمال الشبيه»، فيورد عدّة عبارات منها ويبدأ بالردّ عليها.

الثالثة: يصف المصنّفُ السيّد الأمين أثناء الردّ عليه بقوله: «وها أنا أذكر لك بعض مَن أوقعته الغفلة في الورطة، وقذفته البساطة والاستبداد في الرأي في الهوّة، فمنهم السيّد الأجل المحسن الأمين العاملي في رسالته الموسومة بـ«التنزيه لأعمال الشبيه».

وهذا السيّد قد كنّا نسمع عنه أنّه من أهل المآثر الحسان، وذوي المكانة السامية في العلم، لكن لمّا اطّلعنا على هذه الرسالة وقعنا في حيرة الشكّ؛ لما اشتملت عليه من التهجّمات على الشيعة، والتهويلات الفارغة على مظاهر الشريعة، والاستدلال على مقصوده بما لا يليق أن ينسب إلى مثله.

وليته اكتفى بذلك وكفّ عن صاحب الشريعة وأهل بيته المعصومين عليهم السلام، ولم ينسب إليهم عدم العصمة عن فعل المحرّمات جهلاً بمواقعها، أو لسلب الاختيار منهم عند وقوعها.

الرابعة: يذكر صدور بعض الرسائل للردّ على «التنزيه» دون أن يذكر أسماءها أو أسماء مؤلّفيها، إذ يقول: «وإنّي لا أُريد الردّ عليه في مقاصده، وإثبات رجحان تلك المظاهر الشريفة أو وجوبها الكفائي، لكفاية ما كتبه للردّ عليه جملة من إخواننا الأفاضل، لكن أتعرّض لبعض ما كتبه ؛ استغراباً له وإن كان كلّ ما فيها غريباً».

علماً بأنّ ولد المصنّف الشيخ حسن (ت١٣٨٨هـ)، كتب أيضاً رسالة مفصّلة في الشعائر الحسينيّة، ردّ فيها على ما كتبه السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني (ت١٣٥٨هـ)، في جريدة الأوقات العراقية، وكذلك ما كتبه في رسالة «صولة الحقّ على جولة الباطل» ينتقد فيهما بعض الشعائر الحسينيّة، وقد طبعت تلك الرسالة سنة١٣٤٥هـ ، وطبعت هنا ضمن هذه المجموعة أيضاً، أي أنّ الأبّ ردّ على السيّد الأمين في رسالته «التنزيه»، والابن ردّ على السيّد القزويني في رسالته «الصولة».

الخامسة: يشير إلى رسالة «كشف التمويه عن رسالة التنزيه» للشيخ محمّد الگنجي التي طبعت في المطبعة العلوية في النجف الأشرف سنة١٣٤٧هـ ، والتي دافعت عن السيّد الأمين ورسالته «التنزيه»، إذ قال: «وقد بلغني عن رسالة هي بنت جماعة كُتبت حديثاً انتصاراً للسيّد الأمين، أيّدوا بها منع دفن زين العابدين عليه السلام لأبيه عليه السلام، بدعوى أنّه مخالف لمقدورات البشر».

السادسة: يذكر رسالة «صولة الحقّ على جولة الباطل» للسيّد القزويني بقوله: «وأنّ حضرة السيّد لم يكن منفرداً بالتهجّم على الشيعة والمظاهر

المقدّسة، بل هناك من هو أعظم منه، وهو صاحب «الصولة»، التي أنكرها كلّ من يهمّه أمر أهل البيت الطاهر عليهم السلام».

إلّا أنّه لم يردّ على هذه الرسالة «الصولة»، بل بدأ بالردّ على كتابين آخرين لنفس المؤلّف هما: «خصائص الشيعة» و«ضربات المحدّثين»، إذ نقل عباراته وردّ عليها.

ثمّ أفرد باباً خاصاً للردّ على السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني بعنوان: «صاحب الصولة وتهوّره في الفتيا»، فذكر عدّة أُمور استشكل فيها عليه منها:

افتاؤه بوجوب تغسيل الميّت بماء السدر على وجه يكون السدر مخرّجاً له عن الإطلاق.

ومنها: تحريمه أكل الدجاج الموضوع بالماء الحار قبل خروج أمعائه.

ومنها: إيجابه الكفارة على مَن أدمى صدره في عزاء الإمام الحسين عليه السلام.

ومنها: تحريمه المعاملة مع البنوك.

ومنها: ما صدر بينه وبين الشيخ حبيب قرين.

ومنها: طعنه بنسب السادة آل البعّاج.

السابعة: في آخر هذا الكتاب تقريظ للعلاّمة الأديب الشاعر الشيخ محمّد علي الأردوبادي (ت١٣٨٠هـ)، يقع في ستة أبيات.

الثامنة: النسخة التي اعتمدنا عليها في التصحيح هي الطبعة الأولى لها، كتب في الصفحة الأولى منها: «كتاب إرشاد الأُمّة للتمسّك بالأئمّة، لمؤلّفه

العلاّمة البارع ثقة الإسلام حضرة الشيخ عبد المهدي المظفرّ دام تأييده، حقوق الطبعة محفوظة للمؤلّف، طبع في المطبعة الحيدريّة في النجف الأشرف سنة ١٣٤٨هـ»[١].

التاسعة: يقال: إنّ للمؤلّف كتاباً آخر في الدفاع عن الشعائر الحسينيّة، فقد ورد في كتاب «جدل ومواقف في الشعائر الحسينيّة»: **٣٠١** لمجموعة من المؤلّفين، مقالة بعنوان «المآتم الحسينيّة بين البدعة والشرعيّة» للسيّد حسن إسلامي، ورد فيها:

«وله ـ أي للشيخ عبدالمهدي ـ كتاب آخر في هذا المجال حمل عنوان «السياسة الدينيّة لدفع الشبهات على المظاهرات الحسينيّة» نُشر في النجف.

العاشرة: في كتاب «من أعلام آل المظفر»: ٢٨، الذي طبع سنة ١٩٦٩م على نفقة آل المظفر، ورد في ترجمة المؤلّف:

«وقد كان لصدور هذا الكتاب في وقته ضجة كبيرة واستحسان من جميع الأوساط الدينيّة في النجف الأشرف والبصرة؛ لما كان فيه من ردّ مفحم للمتجنّين على الدين وعلى شعائره، ولما كان فيه من توضيح لمقاصد المستهزئين بالشعائر الحسينيّة، ولما جاء من ظلم لآل الرسول ودفاع عن حقّهم.

وقد قرّظه كثير من العلماء الأعلام في وقته، نذكر منهم ما يلي:

---

(١) الذريعة ١: ٥١٢ / ٢٥١٠.

(١) تقريظ العلاّمة العليم السيّد علي نقي النقوي اللكهنوي:

وقفت على الرشد الصريح فأصبحت　　براعتك الغرّاء تهدي إلى الرشد
نظرت إلى الآراء نظرة ناقد　　وإنّ حياة العلم بالردّ والنقد
وإنّ حمى الإسلام مازال يحتمي　　بمرهفة الأقلام لا بالقنا الملد
فلازلت في سبيل المعارف هادياً　　تدلّ على نهج الهدى أيّها (المهدي)

(٢) تقريظ آخر لحضرة العلاّمة المفضال الورع الشيخ محمّد علي الأردوبادي:

لتعظيم الشعائر راح يدعو　　كتاب للهدى لاريب فيه
هو الحقّ المبين وليس يدري　　مدى الحقّ المبين سوى ذويه
فخذه مسلسلاً علماً يقيناً　　روايته عن العَلَمِ النبيه
أماط عن الحقيقة كل ستر　　همام جاء بالنقد النزيه
به (المهدي) جاء غداة أدلى　　بحجّته القويمة ملء فيه
فدونك منه (إرشاد) البرايا　　ونَجح المهتدي ومنى الفقيه

هذا والكتاب اليوم نادر ومفقود، وقد استعنّا بنسخة من أحد الأصدقاء، إذ أنّ مكتبنا هي الأُخرى مفتقرة إليه».

(٢٥) رسالة في الشعائر الحسينيّة
للسيّد محمّد هادي البجستاني

المؤلِّف:

ترجمه سبطه الأخ الكريم المحقّق الفاضل سماحة السيّد محمّد رضا الجلالي الحسيني حفظه الله ورعاه في كتابه «ثبت الأسانيد العوالي»: ٤٢، قائلاً:

«السيّد محمّد هادي ـ ويدعى علي نقي ـ بن علي بن محمّد البجستانيّ الخراسانيّ الحائريّ.

ولد في كربلاء، وتوفّي بها، وهاجر إلى النجف وأخذ من أعلامها: السيّد اليزديّ صاحب العروة، والشيخ الخراسانيّ صاحب الكفاية، وشيخ الشريعة الأصفهاني.

ثمّ هاجر إلى سامراء واختصّ بالميرزا محمّد تقي الشيرازيّ الحائريّ ولازمه وأُجيز منه، ثمّ هاجر معه إلى كربلاء مشاركاً في حركته الجهاديّة ضدّ

المستعمرين الإنجليز في ثورة العشرين، وأرجع إليه الميرزا في الاحتياطات اللازمة، وتزعّم التدريس في كربلاء، فكان علمها البارز.

واشتغل بالتأليف والتصنيف، واشتهر بالتحقيق والتدقيق وسعة العلم والمعرفة، خصوصاً في مجال المناظرة والجدل، وهو من المشاركين في العلوم، والمكثرين في التأليف، وقد بلغت مؤلّفاته (١٣٠) كتاباً ورسالة، منها:

أحسن الجدل مع أحمد بن حنبل، ناقداً ما أثبته في مسنده.

وله: «أَسِنَّة السُنّة السَنِيّة في قطع أَلْسِنَة السُنّيّة» معجمٌ فقهي مقارن واسع، أثبت فيه أحكام الفقه الشيعيّ بأحاديث العامّة، وناقش الفقه السُنيّ من خلال مصادرهم وأدلّتهم، وهو عملٌ عملاق يقع في سبعة مجلّدات ضخام.

وله: دعوة الحقّ إلى أئمّة الخلق، في الردّ على الفرقة الوهابيّة.

وله: مرقاة الثقات في تمييز المشتركات.

وهو جدّي أبو والدتي، وقد تَرجمتُ له مفصّلاً في كتاب «آية الله الخراساني سيرته بقلمه وأقلام الآخرين».

وله ثَبَتٌ اسمه «الصُحُفُ المُطَهَّرة» سمّاه أوّلاً بـ«العِلّيّين» يحتوي على فصلين: أورد في فصله الأوّل: فضل العلم وتدوينه، وفي فصله الثاني: نُصوص الإجازات الصادرة إليه من مشايخه، وختمه بذكر مؤلّفاته، وقد بدأتُ بإخراجه وتحقيقه بعون الله.

يروي عن شيخ الشريعة الأصفهاني، والسيّد حسن الصدر، وعن الشيخ آقا بزرك الطهراني بالمدبّجة.

ويروي عن الراوي إبراهيم بن محمّد البغدادي الشافعي الرفاعي، من علماء العامّة، وهو الذي قال في حقّه: «أشهد أنّه أعلم بالمذاهب الأربعة من أئمّتها».

وعنه آقا بزرك الطهراني، والسيّد محمّد صادق بحر العلوم، والسيّد علي نقي اللكهنوي، والسيّد شهاب الدين المرعشي النجفي.

وأنا الجلالي أروي عن هؤلاء كلّهم عنه».

وفي «المسلسلات في الإجازات» ٢: ٤٠٨ ـ ٤١٢ جَمعُ السيّد محمود المرعشي، قال: «ولد في كربلاء سنة ١٢٩٧هـ ، تتلمذ على السيّد محمّد كاظم الطباطبائي اليزدي، والمولى محمّد كاظم الآخوند الخراساني، وشيخ الشريعة الأصفهاني.

وفي سنة ١٣٢٠هـ انتقل إلى سامراء وحضر أبحاث الميرزا محمّد تقي الشيرازي، جمع بين المعقول والمنقول، والأدب والحكمة والكلام، كما كانت له اليد الطولى في الرياضيات والطبيعيّات.

وأصبح في السنوات الأخيرة من عمره من زعماء كربلاء، ورجع إليه جماعة في التقليد.

كان متّصفاً بالزهد والتقوى وطول التهجّد، كما أنّ داره كانت محفلاً لأهل العلم وطلاب الحقيقة، وكان شاعراً بالعربيّة والفارسيّة، له ديوان «دعوة دار السلام»، وله مؤلّفات كثيرة منها «رسالة في الشعائر الحسينيّة» طبعت بمطبعة النجاح ببغداد سنة ١٣٤٨هـ

توفّي في كربلاء ١١ ربيع الأول سنة ١٣٦٨هـ ، ودفن في الصحن الحسيني».

المؤلَّف:

نسلطّ الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأُولى: ذكر المصنّف سبب تأليفه لهذه الرسالة، وهو منام رأى فيه الإمام زين العابدين عليه السلام، إذ قال في آخرها: «وسمعت جدّي الإمام زين العابدين عليه السلام يقول لي بلا واسطة راو ـ وإن كان في المنام ـ ما معناه: أخبروا المؤمنين بمصائبنا حتّى يبكوا فتجب لهم الجنّة.

فقلت له: سيّدي قل: حتّى تجب لك الجنّة.

فقال: حتّى تجب لك أيضاً الجنّة.

وكان ذلك بين النوم واليقظة، ولأمره عليه السلام نشرت هذا البلاغ المبين، والحمد لله ربّ العالمين».

الثانية: لم يذكر المصنّف السيّد الأمين ولا رسالته «التنزيه»، ولا السيّد الموسوي القزويني ورسالته «الصولة»، بل ردّ عليهما وعلى الذين يشكلون على بعض الشعائر الحسينيّة دون ذكر أسمائهم.

الثالثة: وصف في أوّل رسالته المستشكلين على بعض الشعائر الحسينيّة بقوله: «ولا أرى أخفّ كلم ولا أدقّ قلم على خلاف شيء من هذه الدعوة الإسلاميّة والتظاهر الديني، إلّا نفثة من السموم الأمويّة، ونزعة مروانيّة، شوشت بعض الآراء الراكدة والأوهام الجامدة».

الرابعة: هذه الرسالة في الواقع عبارة عن منشور صغير عبّر عنه كاتبه بـ«البلاغ المبين»، وأوضح رأيه في الشعائر الحسينيّة، وبيّن فيه كون البكاء والإبكاء والمواكب والتشابيه من أفضل القربات الإلهيّة، والوسائل المطلوبة إلى الفوز العظيم، والمثوبة الخالدة في العاجلة والآجلة.

ثمّ ردّ الاستدلال بقاعدتي «حرمة اللهو» و«لا ضرر» على منع بعض الشعائر، وحثّ على تجديد العهد في كلّ عام بهذه الشعائر الحسينيّة.

الخامس: الظاهر أنّ المصنّف لم يضع لها اسماً معيّناً، ففي النسخة المطبوعة التي وقفنا عليها كتب: «هذه رسالة شريفة ومقالة منيفة في جواز التشابيه وضرب القامات والطبول في عزاء سيّد الشهداءعليه السلام» وهذا العنوان لا ينطبق على محتوى هذه الرسالة، والظاهر أنّه من وضع الذي قام بطبعها.

وفي «المسلسلات في الإجازات» ٢: ٤٠٨ سمّاها «رسالة في الشعائر الحسينيّة».

السادسة: ألّفها في التاسع من شهر صفر، كما هو مثبت في آخرها، وطبعت في مطبعة النجاح في بغداد سنة ١٣٤٨هـ، كما هو مثبت في الصفحة الأولى منها.

السابعة: ترجمها إلى الفارسيّة الربّاني الخلخالي بأمر أُستاذه السيّد مهدي الحسيني اللاجوردي، وطبعت الترجمة مع الأصل العربي.

الثامنة: اعتمدنا في تصحيحنا لها على الطبعة الأُولى لها، والتي كتب في أولها: «هذه رسالة شريفة ومقالة منيفة في جواز التشابيه وضرب القامات

والطبول في عزاء سيّد الشهداءعليه السلام، بقلم حضرة آية الله في العالمين فقيه الشيعة السيّد ميرزا هادي الخراساني الحائري دام ظلّه، سنة ١٣٤٨هـ ـ مطبعة النجاح ـ بغداد».

(٢٦) الحسين والإسلام

للسيّد جليل الطباطبائي

المؤلِّف:

هو السيّد جليل ابن السيّد عبد الحيّ الطباطبائي النجفي اليزدي، يرجع نسبه الشريف إلى السيّد إبراهيم الملقّب بـ«طباطبا» من أحفاد الإمام الحسن السبط ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام.

لم أعثر على ترجمة له في المصادر المتوفّرة لدينا، سوى ما ذكره شيخنا في الرواية وأُستاذنا في فنّ التحقيق المرحوم المغفور له المحقّق الطباطبائي السيّد عبد العزيز (ت١٤١٦هـ) بأنه تلمذ عليه في علم المنطق، إذ قال في ترجمته التي كتبها بيده، المنشورة في كتابه «الغدير في التراث الإسلامي» ص٢٣٣، وكذلك في كتابه الآخر «مكتبة العلامة الحلّي» ص١٠، إذ قال: «وقرأتُ في المنطق على السيّد جليل ابن السيّد عبد الحيّ الطباطبائي اليزدي، المتوفّى في ١٠ ربيع الآخر سنة ١٤١٣هـ».

وكُتب على غلاف هذه الرسالة ـ الحسين والإسلام ـ عبارة: «من تأليفات حضرة مستطاب مروّج الأحكام والدين، ثقة الإسلام والمسلمين، السيّد الجليل السيّد جليل نجل المرحوم المغفور حجة الإسلام والمسلمين مروّج شريعة جدّه أشرف المرسلين الحاج السيّد عبد الحيّ الطباطبائي النجفي اليزدي طاب ثراه».

المؤلَّف:

ونسلّط الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأُولى: هي رسالة فارسيّة صغيرة، ردّ فيها مؤلّفها على بعض آراء السيّد محسن الأمين في رسالته «التنزيه» دون ذكر اسمه صريحاً. لم أجد فيها بحثاً علميّاً، أو استدلالاً في الردّ على السيّد الأمين.

الثانية: نقل المؤلِّف فتاوى بعض الأعلام الذين جوّزوا إقامة الشعائر الحسينيّة وأيّدوا فتوى الميرزا محمّد حسين الغروي النائيني، من المعاصرين له والمتأخّرين عنه، مثل: السيّد أبو القاسم الخوئي، والسيد عبد الهادي الشيرازي، والسيد محسن الحكيم، والشيخ محمّد حسن المظفّر، والسيد حسين الموسوي الحمّامي، والشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء، والشيخ محمّد كاظم الشيرازي، والسيد محمود الحسيني الشاهرودي، والسيد جمال الدين الكلبايكاني، والسيد علي مدد القائني.

الثالثة: انتهى من تأليفها في السابع عشر من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٧٤هـ وطبعت في المطبعة العلميّة في النجف الأشرف.

(٢٧) الفتاوى والتقارير في جواز العزاء والتشبيه والسلاسل والتطبير للسيّد مهدي السويج الخطيب

المؤلِّف:

خطيب حسينيّ، أديب شاعر، فاضل، له مجموعة من الآثار مطبوعة، ولد في البصرة سنة ١٣٤٩هـ وتوفّي في الشام سنة ١٤٢٣هـ ودفن عند السيّدة زينب عليها السلام.

له ترجمة في «معجم خطباء المنبر الحسينيّ» ٤: ١٥٥ ـ ١٦٩، للسيّد داخل السيّد حسن (معاصر)، وذكر كوركيس عواد (ت١٤١٣هـ) بعض مؤلّفاته في «معجم المؤلّفين العراقيين» ٣: ٣٤٣، وذكره أيضاً الدكتور صباح نوري مرزوق (ت١٤٣٦هـ) في «معجم المؤلّفين والكتّاب العراقيين».

وترجم له الدكتور محمّد هادي الأميني (ت١٤٢١هـ) في كتابه «معجم رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف خلال ألف عام» ٢: ٦٩٧، قائلاً:

«مهدي ابن السيّد محمّد البصري، النجفي، ولـد ١٣٤٩/ ١٩٢٩، خطيـب مفوّه جليل، شاعر فاضل، مؤلِّف متتبّع، وأديب متضلّع، برع في الخطابة فبلغ ما أراد، وتفوّق في الشعر فنال منه المراد، صافي الطويّة، صادق النيّة، حسـن المعاشرة.

ولد في البصرة، وقرأ المقدّمات وأحبّ الدرس والدراسة، فقدم النجف وسكنها، وحضر الحوزات العلميّة وأخذ من شـيوخها، ودخـل درس السـيّد الخوئي واستفاد الكثير منه، وكـان يغـادر النجـف الأشـرف كبقيّـة الخطبـاء للوعظ والإرشاد، ويواصل التأليف والتردّد على المكتبات، ويدفع المجتمع بمحاضراته إلى الإسلام والصراط المستقيم ورسالة أهل البيت عليهم السلام.

اُصيب بنكبة من قبل السلطة الحاكمة الغادرة في العراق، فتوجّه حـدود ١٩٨٠م إلى الشام وسكنها.

من تآليفه المطبوعة: أمّ البنين سيّدة نساء العرب، أولاد الإمام علي عليه السلام، بين الجدران في التفسير، الروضة المهديّة، الروض النضـير، كفايـة الطالـب، مائة مسألة مهمة.

وله تآليف قيد البحث منها: ديوان شعر كبير، منظومات في الفقه واللغـة وعلومها».

المؤلَّف:

ونسلّط الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأُولى: رسالةٌ صغيرةٌ، غير علميّة، صاحبها خطيب حسينيّ، كتبها وعمره ثلاثون عاماً، جمع فيها فتاوى مراجع الدين والعلماء حول الشعائر الحسينيّة، وردّ فيها على السيّد محسن الأمين (ت١٣٧١هـ) في رسالته «التنزيه»، والسيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني (ت١٣٥٨هـ) في إشكاليهما على تمثيل واقعة الطف وإن لم يذكر اسميهما صريحاً.

الثانية: دافع أوّلاً عن بعض الشعائر الحسينيّة كالتطبير، وتمثيل واقعة الطفّ، وإقامة المواكب العزائيّة التي تتضمّن البكاء والصراخ والعويل، ثمّ ذكر جواب الميرزا النائيني الشيخ محمّد حسين الأصفهاني (ت١٣٥٥هـ) لأهل البصرة حينما استفتوه عن إقامة الشعائر الحسينية سنة ١٤٣٥هـ وذكر أيضاً فتاوى الأعلام الذين أيّدوا ما ورد في فتوى الميرزا النائيني.

الثالثة: لم يكتف المؤلّف بما صدر من الأعلام حول إقامة الشعائر الحسينيّة، بل قام بنفسه بتوجيه استفتاءٍ للأعلام المعاصرين ونشر إجاباتهم في رسالته هذه، وهم: السيّد محسن الحكيم، السيّد عبد الهادي الشيرازي، السيّد جمال الدين الكلبايكاني، السيّد محمّد جواد التبريزي، الشيخ مرتضى آل يس، الشيخ علي كاشف الغطاء، السيّد إبراهيم الإصطهباناتي، الشيخ عباس الرميثي.

الرابعة: ينقل عن عدّة رسائل أُلّفت تأييداً للشعائر الحسينيّة، وطُبعت في تلك الفترة التي أثار فيها السيّد محسن الأمين إشكالاته على بعض الشعائر الحسينية، وهي: المواكب الحسينيّة (المطبوعة ضمن الآيات البيّنات في قمع

البـدع والضـلالات) للشـيخ محمّـد حسـين كاشـف الغطـاء (ت١٣٧٣هــ)، والأنوار الحسينيّة للشيخ عبـد الرضـا كاشـف الغطـاء (ت١٣٨٧هــ)، ونصـرة المظلوم للشيخ حسن ابن الشـيخ عبـد المهـدي المظفّـر (ت١٣٨٨هــ)، ورنّـة الأسى (نظرة في رسالة التنزيه لأعمال الشبيه) للشيخ عبد الله السُبيتي العاملي (ت١٣٩٧هـ)، وهذه كلّها مطبوعة ضمن هذه المجموعة.

الخامسة: يذكر المؤلّـف أنّ أوّل مـن أسّـس تمثيـل واقعـة الطـف عنـد الشيعة، هو العلاّمة المجلسيّ (ت١١١١هـ)، وكان ذلـك زمـن الشـاه سـليمان الصفوي.

ويذكر أيضاً أنّ العالم الكبير الشيخ جعفـر الشوشـتري (١٣٠٣هــ) كـان (يتطبّر) يوم عاشوراء، وذلك عنـدما سـأله النـاس عـن حكـم التطبيـر، فكـان جوابه عمليّاً؛ إذ أخذ سيفاً وشرع يضرب رأسه يوم العاشر من محرّم، ويقول لمستفتيه: هذا جوابكم.

السادسة: طُبعت هذه الرسـالة فـي مطبعـة الغـري الحديثـة فـي النجـف الأشرف سنة ١٣٧٦هـ

(٢٨) فقيه الشعراء وشاعر الفقهاء

نبذة عن سيرة «الشيخ عبد الحسين صادق العاملي»

للسيّد أحمد زكي تفاحة الحسيني

المؤلِّف:

بما أنّ المؤلِّف من الأعلام المعاصرين، ولازال في بيروت يُمارس عمله ونشاطه الديني، لذلك لم نعثر على ترجمة حياته في كثير من المصادر المتأخّرة المتوفّرة لدينا، سوى ما ذكره الأخ العزيز الدكتور السيّد جودت القزويني، في كتابه «تأريخ القزويني، في تراجم المنسيّين والمعروفين من أعلام العراق وغيرهم».

فقد أفرد له ترجمة خاصّة في المجلّد الأول، ابتداءً بصفحة ٤٠٢، وانتهاءً بصفحة ٤٣٧، معتمداً على ما كتبه السيّد أحمد بقلمه، إذ ذكر اسمه، ونسبه، ومراحل حياته، وهجرته إلى النجف الأشرف، وعمله وجهاده في الدعوة إلى الله، وما عاناه من أجل ذلك.

وفيها أيضاً عدّة رسائل كتبها المترجم إلى مرجع الطائفة آنذاك السيّد محسن الحكيم، إحداها سنة ١٣٨٣هـ وأخرى سنة ١٣٨٥هـ تتعلّق بوضع العلويين ـ إذ كان منهم سابقاً ـ في سوريا ولبنان، وكيفيّة العمل التبليغي معهم.

ورسالة أُخرى وجّهها إلى الإمام الخميني، بعد نجاح الثورة الإسلاميّة في إيران سنة ١٣٩٩هـ.

وفيها أيضاً مصوّرات لإجازات وتوثيق من مراجع الدين وشخصيّات إسلاميّة كبيرة، للسيّد أحمد، ودعوة العلويين لمؤازرته في عمله التبليغي، مختومة بأسماء: السيّد محسن الحكيم، السيّد محمود الشاهرودي، السيّد عبد الهادي الشيرازي، السيّد عبد الحسين شرف الدين، الشيخ حبيب آل إبراهيم.

ونذكر هنا نبذة مختصرة عن حياة المترجم، مأخوذة ممّا كتبه السيّد جودت القزويني في تأريخه، إذ قال:

السيّد أحمد ابن السيّد زكي بن محمّد بن يونس الحسيني.

ولد في قرية عزيت ناحية السوداء (قضاء طرطوس) سنة ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م، وتعلّم القرآن عند ولدي عمّه حسن حبيب تفاحة، ومحمّد إبراهيم تفاحة، والخط على يد والده، ثمّ درس في المدرسة الرسميّة حتّى المرحلة الابتدائية بمدينة قرقفتي.

وعندما زار الشيخ حبيب آل إبراهيم بلاد العلويين في سوريا سنة ١٩٤٨ (محافظة اللاذقية)، كتب إلى الإمام الحكيم حول الوضع العام بها، فانتدبه

السيّد الحكيم لإرسال جملة من الطلبة العلويّين للدراسة في النجف، وكان من بينهم السيّد أحمد.

وكان الشيخ حبيب آل إبراهيم قد أرجع أمر الطلبة المقرّر إرسالهم إلى النجف للشريف عبد الله آل الفضل، الساكن في اللاذقية بعد نفيه من الحجاز.

ووصل مدينة النجف في شهر ذي القعدة ١٣٦٨هـ / أيلول ١٩٤٩م، وسكن بمدرسة الجزائري، مع مجموعة من الطلبة في إحدى غرفها الضيقة، ثمّ نُقل إلى غرفة في الصحن الحيدريّ، لكنّه عانى من حياته الجديدة التي لم يعتد عليها من قبل.

ورغم شدّة ولعه لطلب العلم ورغبته الجامحة، إلّا أنّه فكّر بالعودة إلى بلده، بعدما تيقّن أنّ بقاءه أصبح من المستحيلات، فهو كما حدّثني قائلاً:

«عندما ذهبتُ إلى النجف لم أكن أتصوّرها بالصورة التي كنت أتخيّلها، فشاء الله أن يغلق كلّ الأبواب إلّا باب البقاء فيها، خصوصاً وقد اقترنت رغبة العودة بمعارضة أبيه الذي كتب لولده قائلاً:

مَنْ يذهب إلى النجف ولا (يطلع بيه خير)، فلن (يطلع) منه خير في مكان آخر، وإذا رجعتَ فلن أعلمك في المدارس الحديثة، وسأسلمُكَ (الكابوسة)، وهي آلة من آلات الحراثة، إشارة إلى العمل الذي سوف ينتظره في المستقبل.

بقي السيّد أحمد في النجف، لكنّه عاد سنة ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م إلى سوريا بتوجيه من آية الله الحكيم، وتجوّل في بلاد العلويين، قرى قضاء

طرطوس، وقرى قضاء بانياس، وقرى قضاء جَبْلة، وقرى قضاء صافيتا وبعض قرى قضاء اللاذقية، وقاضاء الحافة.

وبعد أنْ قضى مدّة أربعة أشهر أو خمسة، رجع إلى النجف، فمُنع من العودة من قبل مديرية التجنيد العامة بسبب مطلوبية الخدمة العسكرية، وقد ساعده بدفع البدل النقدي السيّد عبد الحسين شرف الدين والشيخ حبيب آل إبراهيم، وكان المبلغ خمسمائة ليرة سوريّة، وهو يومذاك مبلغ كبير، حيث دفع السيّد شرف الدين (٤٥٠)، والباقي دفعه الشيخ حبيب.

عاد السيّد أحمد إلى النجف وبقي فيها سنتين، ثمّ عاد إلى سورية سنة ١٩٥٤م، ورجّح له السيّد الحكيم استشارة الشيخ حبيب في العمل بلبنان وسوريا، فرجّح الشيخ حبيب أنْ يمكث في طرابلس، فمكث فيها وأقام بحيّ التبّانة، والتقى بكثير من الشخصيّات ودعاهم لبناء مسجد، فوافق بعضهم، وتمنّع آخرون، وكانوا جميعهم من العلويّين.

وذهب إلى النجف للاستعانة بالسيّد الحكيم لبناء المسجد، فقال: لِمَ لم يكتبوا لي، فكيف نبني لهم مسجداً، وهم لم يطلبوا مني ذلك؟!

فقال السيّد أحمد: طلبتُ منهم أن يكتبوا للسيّد الحكيم، ولكن أجابوا: إنّ كتابتنا له يدلُّ على جهلنا.

فأجابهم: إنَّ ديدن الشيعة في كلّ أقطار الدنيا يكتبون للمرجع ويستشيرونه، وأنتم لستم بدعاً من الناس، ولكنْ أصرّوا على ما هم عليه.

فذهب السيّد أحمد إلى قم، ومعه كتاب من السيّد عبد الحسين شرف الدين، وطلب من السيّد حسين البروجردي المساعدة، فوعده أنَّه سيرسل

مبلغاً إلى الحاج مهدي بهبهاني بالشام، وحيث لم ينشأ المسجد في طرابلس، وأنشأ مسجد في طرطوس، طلب السيّد أحمد من خاله القاضي الشيخ محمّد حامد أن يتصل بالحاج مهدي ويطلب منه المساعدة التي وعد بها السيّد البروجردي، إلّا أنّ شيئاً من هذه المشاريع لم يتمّ.

وخلال سنتين من العمل خارج النجف، رصد السيّد أحمد زكي تفاحة آفاق العمل ضمن دائرة العلويين وزوّد الإمام الحكيم بها.

وفي غضون تلك الأيام عاد السيّد أحمد إلى النجف بعد أن تمّ زواجه سنة ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م من أسرة ياسين من دير إنصار في جبل عامل (ناحية تبنين).

وقد تفرّغ هذه المرّة للدراسة، فدرس الألفيّة والمنطق على يد الشيخ محمّد التنكابني (والد الشيخ محمّدرضا آل صادق)، والمعاني والبيان عند الشيخ عبد المنعم الفرطوسي، وأصول الفقه عند الشيخ محمّد رضا المظفر في كليّة الفقه وخارجها، والرسائل على يد الشيخ محمّد تقي بحر العلوم، والمكاسب على السيّد محمّد حسين سعيد الحكيم، والكفاية الجزء الأول عند الشيخ محمّد طاهر آل الشيخ راضي، والجزء الثاني عند الشيخ محمّد تقي الأيرواني.

وحضر البحث الخارج عند السيّد محسن الحكيم في الفقه، وفي الأصول عند السيّد أبو القاسم الخوئي، كما دخل كليّة الفقه أول سنة تأسيسها سنة ١٩٥٨م، وتخرّج منها سنة ١٩٦٢م.

وقد مارس الخطابة الحسينيّة، وقرأ في العديد من المدن العراقيّة، كمدينة الحمزة الشرقي، والعمارة، والحلّة، وبغداد (كرادة مريم)، والطهمازية، ومثّل السيّد الحكيم فيها بين سنوات ١٩٥٨ ـ ١٩٦٥م.

ثمّ ذهب بأمر السيّد الحكيم إلى مدينة الذهب الأبيض، وبقي فيها خمس سنوات، وكانت له جهود في منطقة كرادة مريم ببغداد حيث وسّع المكتبة العامّة التي أسّسها السيّد حسين الهندي، كما وسّع بناءها في حسينية كرادة مريم.

أمّا مشاريعه الأخرى، فعند عودته عام ١٩٧٣ إلى لبنان أسّس (جميعة البرّ والإرشاد الخيريّة)، وبنى مجمعاً في ستة أدوار. وقد زرتُه أواخر عام ٢٠٠٤م، وكان مبنى منظماً تُستغلُّ فيه إحياء المناسبات الدينية، وفيه مكتبة عامة.

وللسيّد أحمد مؤلّفات عديدة وكتابات، وأوّل كتاب ألَّفه هو «أصول الدين وفروعه». وله كتاب في التفسير سمّاه «دروس في القرآن» رأيته بخطّه، وله تقريرات علم الأصول، وله مذكّرات كتبها عن سيرته وما لاقاه في مسيرته من المشاق والمتاعب، تقع ضمن مائة صفحة بخط اليد.

ومن مؤلّفاته المنظومة: أصل العلويين وعقيدتهم، ١٩٥٦م، وفسلفة التشريع الإسلامي، وحوار بين الفكر الدينيّ والفكر الماديّ، النفس البشريّة ونظرية التناسخ، أعلام الهدى، وفي رحاب الإسلام، وغيرها.

والسيّد أحمد شخصيّة إجتماعيّة مرموقة، تركنُ إليه القلوب والأرواح، وهو صريح واضح في علاقاته، وله فهم إجتماعيّ عميق للشخصيّات التي أدركها ومن عاش معها، أو اطلّع على شيء من تفاصيلها .ورغم ذلك فهو صبور كتوم لا يذكر الآخرين إلّا بالرحمة لمن مضى منهم، والحسنى لمن بقي، وعلى السيّد أحمد يزدهر تاج المهابة، ويشعّ نوره بالبهاء.

وقد تجلّت في حياته نقطتان:

الأُولى: إندفاعه نحو النجف؛ لاكتساب العلم، والرجوع إلى طائفته العلويّة للتبليغ فيها، وإرجاعها إلى الأصل.

والثانية: ما لاقاه في مسيرته نحو النجف، من مصاعب نفسيّة وماديّة، مازال أثرها إلى الآن لم ينمح عن نفسه، رغم مرور الأعوام الطوال عليها.

فقد أُهمل العلويون الذين اندفعوا للدراسة في النجف إهمالاً كلياً، ولم يبقَ منهم إلّا هو وشخص آخر، بينما رجع الآخرون إلى قراهم دون أن يعيروا رغبتهم الأُولى إهتماماً آخر.

كان اندفاع السيّد أحمد نحو التبليغ في أيام شبيبته قد تحصن برعاية مرجع الطائفة السيّد محسن الحكيم، الذي كان يحمل وعياً جدّياً نحو طائفة العلويّين، والاهتمام بتنشئتها فكرياً بعد الإهمال المتعمّد الذي رافقهم طوال عقود طويلة من الزمن.

وقد كتب السيّد أحمد عدداً من الرسائل إلى الإمام الحكيم وإلى طائفة العلويين، وهي أشبه ما تكون بدراسة ميدانيّة عنهم».

المؤلَّف:

ونسلّط الضوء عليه من عدّة نقاط:

الأُولى: هو عبارة عن رسالة، كتبها مؤلِّفها كبحث للتخرّج من كليّة الفقه، إذ كان على الطالب أن يقدّم بحثاً عند الانتهاء من الدراسة في تلك الكلّية، وهو في الصف الرابع والآخير من دراسته فيها.

وكانت كتابة هذا البحث باقتراح من عميد الكليّة والمشرف عليها آنذاك، العلامة الشيخ محمّد رضا المظفّر، إذ كلّفه بالكتابة عن الشيخ عبد الحسين صادق العامليّ ورسالته «سيماء الصلحاء»، كما كلّف المرحوم الشيخ محمود الكوثراني (ت ١٤٢٥هـ) بالكتابة عن السيّد محسن الأمين (ت ١٣٧١هـ) ورسالته «التنزيه».

الثانية: تأريخ الانتهاء من كتابة هذا البحث، كان ٢٠ جمادى الأُولى سنة ١٣٨٢هـ ٢٠ تشرين الأوّل سنة ١٩٦٢م، أي بعد وفاة الشيخ عبد الحسين صادق العامليّ بإحدى وعشرين سنة، وبعد وفاة السيّد محسن الأمين العامليّ بإحدى عشرة سنة.

الثالثة: يتحدّث المؤلّف في رسالته هذه عن المراحل الثلاث لحياة الشيخ عبد الحسين صادق العامليّ: في مسقط رأسه، وهجرته إلى النجف، ثمّ عودته إلى لبنان. ويتطرّق فيها إلى دراسته، وأساتذته، وتلامذته، ومؤلّفاته، ومنزلته العلميّة، وأقوال الأعلام في حقّه.

ويفرد فصلاً خاصاً عن ملكته الأدبيّة، التي يقسّمها إلى: شعره، ونثره. ويستشهد بمقاطع شعرية في أغراض وأنواع مختلفة، على مقدرته الشعريّة العالية.

الرابعة: يعقد فصلاً خاصاً لتقييم «سيماء الصلحاء» من الناحية الأدبيّة النثريّة من وجوه ثلاثة: جودته، وسجعه، ونقده. ثمّ يبدأ بنقد هذا الكتاب، وبيان وجوه قوّته وضعفه من الناحية الأدبيّة.

الخامسة: يعقد فصلاً كاملاً، احتلّ من الرسالة مساحة واسعة، يتحدّث فيه عن المعركة الثقافيّة العلميّة التي جرت بين السيّد محسن الأمين والشيخ عبد الحسين صادق العامليّ، سمّاه «معركة التنزيه».

يعرض فيه آراء الرجلين ـ الأمين والصادق ـ ويناقشهما مناقشة علميّة، وقد يصوّب رأيّ أحدهما ويُخطّئ الآخر، ويبدي رأيه في نهاية المطاف.

وقد بدأ بحثه هذا بعرض إشكالات السيّد الأمين عن بعض الشعائر الحسينيّة، وردّ الشيخ عبد الحسين صادق العاملي عليه، إلّا أنّه لم يستوعب الإشكالات التسعة التي أثارها السيّد الأمين، بل ذكر بعضها، وترك الأخرى، ولعلّه لم يرها مهمة لذلك تركها دون مناقشة.

وفي ختام هذا الفصل ذكر سبع فوائد علميّة، بُنيت عليها أكثر الخلافات العلميّة بين الرجلين، منها: معنى الحسن والقبح العقليّين، وبيان الحرج الشخصي، وأقسام الضرر، وبيان معنى التجرّي، والمصلحة والمفسدة.

السادسة: اعتمدنا في تحقيق هذه الرسالة، على النسخة الخطيّة لها، التي بخطّ مؤلّفها، أطال الله في عمره ووفّقه لخدمة الإسلام والمسلمين، والتي بعث مصوّرتها لنا من بيروت الأخ العزيز السيّد جودت القزويني، بعد أن اتصلّ بالمؤلّف واستجازه تصويرها وإرسالها لنا، فللّه درّه وعليه أجره.

علماً بأنّ للمؤلّف بعض التعليقات في الهامش، وضعناها كما هي، مختومة بكلمة «المؤلّف» تمييزاً لها عن عملنا في الهامش.

(٢٩) ثورة التنزيه

لمحمّد القاسم الحسيني النجفي

هذه ثالث رسالة عثرت عليها مؤيّدة لآراء السيّد محسن الأمين في رسالته «التنزيه»، طبعت سنة ١٩٩٦م في بيروت «دار الجديد»، ولم أتعرّف على مؤلّفها ـ أو الذي أعدّها ـ محمّد القاسم الحسيني النجفي.

علماً بأنّ أكثر أبحاث هذه الرسالة ليس له علاقة بمتن «التنزيه»، بل هي تتحدّث كثيراً عن مؤلّفها السيّد الأمين وما ورد في مدحه والثناء عليه.

ذكر مؤلّفها ـ محمّد القاسم ـ أولاً الحركات الأصلاحية عند الشيعة، خصوصاً حركة ابن إدريس الحلّي وابن زهرة والسيّد هبة الدين الشهرستاني، ثمّ وصف حركة السيّد الأمين الإصلاحية بـ«الحركة الاصلاحية العالمية الكبرى»، وأشار إلى مبدئها وتطوّرها، ومن وقف معها من العلماء والمثقفين والصحفيين والشعراء بشكل مختصر.

ثمّ أورد النصّ الكامل لهذه الرسالة، معتمداً الطبعة الثانية المحرّفة لها، لذلك نحن لم نورد هذا النصّ هنا، اكتفاءً منّا بالنصّ الكامل الصحيح الذي طبعناه ضمن هذه المجموعة.

ثمّ أفرد بحثاً بعنوان «مواقف من الرسالة» ذكر فيه مقالات بعض الصحف، وبعض الأبيات الشعرية المتعلّقة بهذا الموضوع.

وختم رسالته بفصل «آراء في السيّد محسن الأمين» أورد فيه ما قاله بعض المؤيّدين له، مثل: الأستاذ جعفر الخليلي، والدكتور حكمت هاشم، والدكتور محمّد سعيد الرحيل، والدكتور وجيه بيضون، ومقالة لمجلّة العرفان.

ونحن إنّما قمنا بإيراد هذه الرسالة في هذه المجموعة، وفاءً بعهدنا بإيراد كلّ ما يتعلّق برسالة التنزيه من رسائل مؤيّدة ومعارضة لها، على الرغم من أنّ كلّ ما ورد فيها لا يمثّل رأينا، وقد وضعنا متن الرسالة وهامشها كما وجدناه في طبعتها الأولى ولم نجرِ عليه أيّ تغيير.

(٣٠) اختلاف آراء العلماء في بعض أنواع العزاء في شهر محرّم للمستشرق الألماني ورنر انده

المؤلِّف:

ولد المؤلّف في ٢٢ سبتامبر سنة ١٩٣٧م في مدينة ويتنرك، ودرس فيها، وبعد حصوله على شهادة الدكتوراه بين سنة ١٩٦٩م و١٩٧١م، سافر إلى بيروت وعمل في المعهد الألماني هناك.

درّس في عدة جامعات ألمانية، وكان مختصّاً بالدراسات التأريخيّة المتعلّقة بالمذهب الشيعي والسلفيّة والوهابيّة.

كما منحته جامعة هامبورك شهادة الدكتوراه أيضاً.

وإلى وقت قريب كان يُدرّس في جامعة فريابورك كأُستاذ للدراسات الإسلاميّة.

وهو أحد أعضاء اللجنة التحريريّة في مجلّة (عالم الإسلام) التي أُسّست سنة ١٩٥١م.

له دراسة مبسوطة عن النخاولة في الجزيرة العربيّة.

كما له عدّة مقالات تتعلّق برجال الأُسر الشيعيّة المتأخرة، نشرها في «دائرة المعارف الإسلاميّة» الإصدار الثاني، منها ترجمة مبسوطة عن السيّد هبة الدين الشهرستاني.

سافر إلى العراق وسوريا ولبنان، باحثاً ومنقّباً عن الآثار القديمة التي تخصّ بحوثه التاريخيّة، كما ألقى عدّة محاضرات في هذه الدول، وشارك في بعض المؤتمرات العلميّة المهمّة، منها المؤتمر العالمي لأبحاث المستشرقين الذي عقد في فرنسا سنة ١٩٧٦م، إذ قدّم هذه الرسالة كبحث علميّ فيه.

لازال على قيد الحياة يعيش في ألمانيا.

علماً أنّ هذه الترجمة تفضّل علينا بها الأخ الكريم المحقّق محمّد كاظم رحمتي، فللّه درّه وعليه أجره.

المؤلَّف:

نسلّط الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأُولى: رسالة صغيرة كتبها المؤلِف المستشرق الألماني بلغته الألمانية، تناول فيها بعض الشعائر الحسينيّة كـ«ضرب الصدور والإيلام بالسلاسل والقامات» ـ كما ذكر في أوّلها ـ ثمّ تعرّض إلى اختلاف علماء الشيعة في هذه الشعائر، وما قام به السيّد محسن الأمين العاملي (ت١٣٧١هـ) والسيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني (ت١٣٥٨هـ) في رسالتيهما ظ من إصلاح، ثمّ ذكر الرسائل التي أُلّفت في تأييد أو ردّ آراء السيّد الأمين، فهذه المقالة يمكن أن نطلق عليها «ببليوغرافيا».

الثانية: يصرّح المؤلّف في أوّلها بأنّها «اُلقيت في مؤتمر المستشرقين، الذي عقد في فرنسا سنة ١٩٧٦م، وهي جزء من نتاج مشروع تحقيقي حول النمو الفكريّ والاجتماعيّ والسياسيّ في المجتمع الشيعي الإمامي في العالم العربي المعاصر».

ثمّ يُضيف المؤلّف قائلاً: «وقد جمعتُ القسم الأعظم من المطالب الأوليّة التي استفدتُ منها في هذه المقالة، خلال سفري إلى لبنان والعراق وسوريا سنة ١٩٧٤م، حيث كان على أثر دعوة وجّهت لي من قبل إحدى المؤسسات».

الثالثة: المؤلّف، شأنه شأن باقي المستشرقين الذين كتبوا عن الشعائر الحسينيّة، ينظرون إليها من منظار غربي، لا يخلو عن ريبة، إذ يُعبّر عن الاختلاف في الشعائر الحسينيّة آنذاك بـ«الفتنة الكبرى»، ويصوّر هذا الاختلاف بأنّه ناشئ من الاختلافات بين مراجع الدين والأُسر العلميّة، بل يصرّح بأنّه «صراع المرجعيّات»، وأنّ الذين أيدوا الشعائر الحسينيّة وعارضوا السيّد الأمين، كان هدفهم كسب المال وتأييد الناس لهم.

ومن المعلوم أنّ هكذا قول لا يصدر إلّا من جاهل بهذه الشعائر، إذا أحسنا الظنّ به، و إلّا هو كلام وراؤه أهداف أخرى.

الرابعة: يصرّح بأنّه لم يعثر على الرسائل التي اُلّفت ردّاً على السيّد الأمين، والعجيب أنّه يعلّل ذلك: بأنّ الشيعة لا يسمحون لأيّ أجنبيّ أن يطّلع على هذه الرسائل، ويتأهبون منه.

وهذا أيضاً قول مجانب للحقيقة، فإنّ مكتبات الشيعة تفتح أبوابها للجميع وتستقبل الجميع، بغضّ النظر عن إنتمائه الديني والمذهبي.

الخامسة: يدّعي بأنّ رسالة «نصرة المظلوم» المطبوعة باسم مؤلّفها الشيخ عبد المهدي المظفّر (١٣٨٨هـ)، الذي كتبها دفاعاً عن الشعائر الحسينيّة، هي ليست للمظفّر، بل كتبها باسمه الشيخ عبد الحسين الحلّي (ت١٣٧٥هـ)، علماً بأنّ للحلّي رسالة مفصّلة في الردّ على السيّد الأمين، سمّاها «النقد النزيه لرسالة التنزيه»، مطبوعة ضمن هذه المجموعة.

السادسة: قام جعفر جعفريان بترجمة هذه الرسالة إلى اللغة الفارسيّة، وطبعت في مجلّة «آينه پژوهش» ـ مرآة التحقيق ـ في عددها ٨٤ وقد وجدتُ أخطاءً كثيرة في أسماء الأعلام والمؤلّفات في هذه الترجمة، ولا أعلم هل هي من الأصل الألماني، أو الترجمة الفارسيّة؟ قمنا بتصحيح هذه الأخطاء ووضع الصحيح بين معقوفتين كبيرتين.

(٣١) وقوف رجال الدين الإصلاحيين في لبنان
أمام تحريف واقعة عاشوراء
للمستشرقة الفرنسيّة سابرينا مرون

المؤلِّفة:

محقّقة فرنسيّة، حاصلة على شهادة الدكتوراه في البحوث العربيّة.

أقامت سنوات عديدة في لبنان وسورية.

عضوة فعّالة في «انيستيتو» الفرنسيّة في دمشق للبحوث العربيّة في السنوات ١٩٩٣م ـ ١٩٩٦م.

في سنة ١٩٩٨م ح صلت على شهادة الدكتوراه في اللغة والأدب والحضارة العربيّة من المؤسسة العالميّة للّغات والحضارة الشرقيّة.

في سنة ٢٠٠٤م أصبحت عضوة محقّقة في المركز العالمي للأبحاث العلميّة في فرنسا في موضوع الشؤون الإيرانيّة، وفي هذه السنّة أيضاً حصلت على مدالية برونزيّة من هذا المركز.

ثـمّ انضـمّت كمحقّقـة فـي «انيسـتيتو» الفرنسـيّة فـي الشـرق الأوسـط فـي بيروت.

درّسـت لعـدّة سـنوات فـي مدرسـة الأبحـاث العاليـة للعلـوم السياسـيّة فـي باريس، في قسم الأبحاث الإسلاميّة «الاستشراق».

ترجمت حياة السيّد محسن الأمين من العربيّـة إلـى الفرنسـيّة، وطبعـت فـي باريس سنة ١٩٩٨م.

وفي سنة ١٩٩٩م طُبع لها كتاب بالفرنسيّة عن سيرة السيّد الأمين.

في سنة ٢٠٠٠م ألّفت بالفرنسيّة كتاب «تاريخ الإسلام: المبـاني والنظريّـة»، وطبع في باريس.

في سنة ٢٠٠٧م طبع لها كتاب «عالم الشيعة وإيران».

في سنة ٢٠٠٨م طبع لها كتاب عن حزب الله في لبنان.

إضافة لما تقدّم، لها عشـرات المقـالات المطبوعـة فـي الشـؤون الإسـلاميّة الشيعيّة، ومقالات كثيرة منتشرة في الانترنيت.

وعلـى العمـوم، فـإنّ اختصـاص هـذه المؤلّفـة هـو فـي التـأريخ الإسـلاميّ الشيعيّ في القرنين التاسـع عشـر والعشـرين عمومـاً، وحركـة الإصـلاح الشـيعيّ خصوصاً.

لازالت على قيد الحياة، تعيش في فرنسا حالياً.

علماً أنّ ترجمتها التي أثبتناها هنا، اقتبسناها ممّا كتبه مترجم كتابها هذا مـن الفرنسيّة إلى الفارسيّة الدكتور حسن فرشتيان، المطبوعة في مقدّمته له.

المؤلَّف:

نسلّط الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأُولى: كتاب باللغة الفرنسيّة، مؤلّفته مستشرقة فرنسيّة، لها بعض الآثار المتعلّقة بالتأريخ الإسلاميّ الشيعيّ وحركة الإصلاح التي نادى بها بعض العلماء. سلّطت الضوء فيه على آراء السيّد محسن الأمين (ت١٣٧١هـ) والسيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني البصري (ت١٣٥٨هـ)، التي أوردها في الصحف ورسالتيهما «التنزيه» و«الصولة».

أجرت المؤلّفة استطلاعاً كاملاً عن هاتين الرسالتين الاصلاحيتين ـ كما قالت ـ وما خلفناه من آثار وصراعات شملت عموم طبقات المجتمع الشيعي آنذاك، وذكرت بعض الرسائل التي أُلّفت تأييداً أو رداً لهما، وكذلك الأشعار التي قيلت فيهما.

الثانية: بما أنّ المؤلّفة مستشرقة، فمن الطبيعي أن تكتب وتحلّل الأحداث حسب رؤيتها البعيدة عن الواقع لهذه الشعائر الحسينيّة، فتصوّر الخلاف الدائر بين العلماء حول بعض الشعائر الحسينيّة بأنّه خلاف أُسريّ، وصراع المرجعيات، وأنّ الذين عارضوا السيّد الأمين وحركته الإصلاحيّة كان لهم مطامع ماديّة.

بل صوّرت المجالس الحسينيّة بأنّها مجالس لقضاء الوقت، يسودها التفاخر بين الأُسر وأصحاب المواكب، أيٌّ منهم يكون مجلسه أكبر؟! وأيٌّ منهم يقدّم أفخر الأطعمة وأجودها؟! وفي تلك المجالس يجتمع الشباب والشابات لينظر بعضهم للآخر، بل أنّ المرأة التي تبحث عن عروس لولدها

عليها أن تذهب لهذه المجالس؛ كي تختار الفتاة الجميلة من بين الفتيات الحاضرات اللواتي ظهرنَ بمظهر جميل لجذب الخاطبة لهنّ.

نحن إذا حملنا المؤلِّفة على محمل حسن، نردُّ كلامها إلى الجهل بهذه الشعائر المقدّسة، أو أنّ التي ذكرته ربّما حصل قليلاً في بعض المجالس، ولا يمكن تعميمه على جميعها، وإلّا يكون وراء كلامها أهداف أُخرى، شأنها شأن بعض المستشرقين الذين حاولوا بكتاباتهم تشويه هذه المقدسات.

الثالثة: هذا الكتاب هو الفصل السادس من كتاب كبير للمؤلّفة يقع في تسعة فصول، يتعرّض للإصلاحات التي قام بها علماء جبل عامل من أواخر الإمبراطوريّة العثمانية إلى استقلال لبنان، طبع باللغة الفرنسيّة سنة ٢٠٠٠م، وفاز بجائزة أفضل كتاب في الدراسات المشتركة الفرنسيّة واللبنانيّة. وقد اضطرت المؤلّفة من أجل إكمال كتابها هذا للإقامة في سوريا ولبنان عدّة سنوات.

الرابعة: اعتمدت المؤلّفة على مصادر عربيّة مهمة تتحدّث عن هذا الموضوع، واستعانت بالوثائق السرّيّة المحفوظة في السفارة الفرنسيّة في بيروت، واطلعت على التقارير التي كانت تُرفع آنذاك للسفارة المتعلّقة بالشعائر الحسينيّة، وكذلك أجرت عدّة لقاءات مع بعض الأشخاص الذين لهم علاقة بهذا الموضوع، مثل السيّد حسن ابن السيّد محسن الأمين، وغيره.

الخامسة: تنقل المؤلِّفة عن رسالة المستشرق الألماني ورنر آنده ـ الذي تحدّثنا عنها قبل صفحات ـ قائلةً: «وكان له الفضل علينا، حين بدأ البحث عن المفكّرين من الشيعة العرب، وأرشد تلامذته نحو هذا الأمر، حيث لم

يكن لقضيّة الاصلاحيين والروفورميهم [المجددين] من الشيعة لها وجود قبله إلّا قليلاً، فلابدّ إذن من التحقيق في هذا الإهمال».

السادسة: لمترجم هذا الكتاب إلى الفارسية حسن فرشتيان، توضيحات وإضافات في المتن والهامش، وضعناها بين معقوفتين كبيرتين، هكذا [..].

وتعليقاتنا وتصحيحاتنا في المتن والهامش، أيضاً وضعناها بين معقوفتين كبيرتين مع حرف حاء ـ تمييزاً لها عن كلام المترجم ـ هكذا [ح].

السابعة: وجدنا في الكتاب أخطاء كثيرة في أسماء الرسائل والكتب، لا نعلم هل هي من المؤلّفة أو المترجم، والظاهر أنّها من المترجم، قمنا بتصحيحها، مثلاً:

رنّة الأسى = رنّة العصا

إقالة العاثر = إقالة الأثير

عفر الظباء = عفر الذباء

الراية الحسينيّة = رايات الحسين

عبد الله السبيتي = عبد الله السبيطي

المجالس السنيّة = المجالس الثنيّة

الفوائد المدنيّة = الوافد المدينة

سيماء الصلحاء = سيماء الصالحين

عليّ تقي اللكهنوي = عليّ تقي اللاخندي

الثامنة: في آخر الكتاب ذكرت المؤلّفة ترجمة لبعض الأعلام الذين لهم علاقة بالبحث، مثل: السيّد محسن الأمين، الشيخ يوسف الفقيه، الشيخ

علي جمّال، أحمد رضا، الشيخ عبد الحسين صادق، الشيخ محسن شرارة، الشيخ موسى شرارة، أحمد عارف الزين.

مُقتطفات من رسائل الشعائر الحسينية

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر مؤلّفو هذه الرسائل المطبوعة ضمن هذه المجموعة، عدّة فوائد علميّة وتأريخيّة، ذات أهميّة كبيرة. لكنّها متفرّقة وموزّعة في طيّات هذه الرسائل، لو جُمعت في مكان واحدٍ، وتحت عناوين معيّنة لأعطت للقارئ فكرة واضحة متكاملة عن موضوع واحد، فقهيّ أو تاريخيّ، يتعلّق بالشعائر الحسينيّة، مُنذ تأسيسها وإلى يومنا هذا.

لذلك جمعتُ هذه الفوائد والتعليقات ـ الواردة من مؤلّفي هذه الرسائل في المتن، والتي كتبناها كتعليقات وتوضيحات في الهامش ـ في فصلٍ خاصٍ بها، ووضعتُ لها عناوين مأخوذةً من مادّتها العلميّة والتاريخيّة، فأصحبت ـ بحمدالله تعالى ـ حاويةً لمعلومات جيّدة، قد تكون جديدة، لم يطّلع عليها القارئ من قبل، وهي موزّعة حسب العناوين التالية:

تاريخ التطبير وكيفيّته «ضرب الرؤوس بالسيوف والقامات».

الحكم الشرعيّ للتطبير.

خروج مواكب التطبير من بيوت العلماء.

دعوى موت جماعة من المتطبّرين في كلّ سنة.

ضرب زينب (سلام الله عليها) جبينها بالمحمل.

هل حرّم السيّد أبو الحسن الأصفهاني التطبير؟

الشيخ محمّد باقر الدهدشتي البهبهاني وكتابه «الدمعة الساكبة».

حَمام الهدى «حَمام الرسائل».

معجزة فتح باب الصحن العلويّ.

جواز الهلع على الحسين عليه السلام.

تاريخ تمثيل واقعة الطفّ وحكمه الشرعيّ.

فوائد تمثيل واقعة الطفّ.

محمل النبّي صلى الله عليه وآله وهودج عائشة.

حادثة البصرة.

تاريخ خروج المواكب العزائية في الشوارع والأزّقة، وهل يُعدّ عامل تفرقة بين المسلمين؟

السيّد الطباطبائي مؤسّس موكب العطّارين في كربلاء المقدّسة.

كلام الدكتور جوزف الفرنسي والمسيو ماربين الألماني.

شهداء الوطن، وجان دَرْك.

اعتراض ابن باشا العسكر على المواكب العزائيّة.

استعمال الآلات الموسيقيّة في المواكب العزائيّة.

العلاّمة المجلسي أحدث استعمال الصنج (الطوس) في إيران.

تاريخ التطبير وكيفيّته

«ضرب الرؤوس بالسيوف والقامات»

قبل سنوات عديدة، كتبتُ مقالة عن «التطبير» وهيئته وأرجعتُ تاريخه إلى ما لا يزيد على قرنين من الزمن ـ تقريباً ـ معتمداً على بعض المصادر، منها مقالة للكاتب طالب علي الشرقي، الذي استند في كلامه إلى سماعه من المعمّرين عن أبائهم و أجدادهم.

وعند شروعي بكتابة هذا المجلّد من هذه المجموعة، بحثتُ عن تلك المقالة ـ لأستعين بها ـ فلم أجدها، لكنّي وجدتها ـ مع بعض التعليقات والردود عليها ـ منشورة في موقع «شبكة هجر الثقافية»، نقلاً عن مجلّة «الموسم»، فأوردتها كاملة؛ لما فيها من معلومات كثيرة عن تاريخ التطبير وهيئته:

طالب علي الشرقي.

مجلّة الموسم (مجلة فصلية تُعنى بالآثار والتراث لأهل البيت عليهم السلام).

العدد الثاني عشر.

المجلد الثالث (١٤١٢هـ ١٩٩١م).

الصفحة: ٢١٢.

أولاً: أهمل الكتّاب والمؤرّخون تثبيت تاريخ ممارسة عملية التطبير في العراق، وكلّ ما قيل فيه لايتعدّى التقدير، وهناك من يربط بين التطبير في العراق وبين العبادات الدمويّة القديمة، وهذا أمر يحتاج إلى دليل بعد افتقاره للسند التاريخي.

إضافة إلى أنّ الدين الإسلامي يخلو من الحثّ على مثل تلك العبادة، بل وينهي عن كلّ ما يؤذي الجسد، ويذهب إلى أبعد من ذلك فيسقط بعض الواجبات الدينية عند الخوف من حصول الأذى.

كلّ ما يُعرف عن التطبير في النجف هو الشائع على ألسنة معمّري البلدة، وهو أنّ الشيعة من القفقاسيّين عندما يأتون إلى زيارة الأئمة في كربلاء والنجف،كانوا يستخدمون ظهور الحيوانات في سفرهم، وأسلحتهم السيوف، وتستغرق مدّة السير من ثلاثة إلى أربعة أشهر حتّى يصلوا إلى العتبات المقدسة، وكلّهم لهفة لرؤية قبور الأئمة، ونفوسهم مفعمة بالحبّ لآل البيت.

فصادف أن دخلت إحدى قوافل الزائرين القفقاسيّين إلى كربلاء يوم العاشر من المحرّم، وكانت المدينة صورة صادقة للحزن، ولقد سوّدت المساجد والجوامع وواجهات المحل، والبكاء واللطم على أتمّه.

ومقتل الحسين يُقرأ في الشوارع، أو في الصحن الحسيني الشريف.

واتفق أن يكون أحد القفقاسيّين جاهلاً بهذه الأمور، فشرح له أحد العارفين باللغة التركية معركة الطف، وأظهر له بشكل لايطيقه قلب محبّ،

الصورة المؤلمة التي مرّت على الحسين ومن معه، فأثّر ذلك في نفسه، وأفقده صوابه، فسلّ سيفه وضرب رأسه ضربة منكرة مات على أثرها، وتحوّلت مواكب العزاء الى تشييع ذلك الرجل الزائر.

استحسن أحد رؤساء مواكب العزاء (وكان تركياً) هذه العمليّة، فنظّم في السنة التي تلت تلك الحادثة عزاءً، مكوناً من مجموعة صغيرة من الأفراد، يلبسون الأكفان ويحملون السيوف.

ذهب بهم إلى المكان المعروف اليوم بالمخيم (خيمكاه) وجاء بحلّاق فحلق شعر رؤوسهم، وجرح كلّ فرد منهم جرحاً بسيطاً في رأسه، وخرجوا بهذه الهيئة متّجهين إلى مرقد الحسين، وهم يندبون (ياحسين) حتّى وصلوا إلى الصحن الشريف،وبعد عويل وبكاء تفرّقوا.

ثمّة رواية أُخرى تفيد أنّ الشيعة من أتراك آذربايجان وتبريز وقفقاسية، قدموا العراق لزيارة العتبات المقدّسة، وذلك في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، فدخل جماعة منهم في العاشر من محرّم الحرام إلى صحن الحسين عليه السلام، واجتمعوا قرب الباب المعروف اليوم بالزينبية، ومعهم القامات، وهو سلاحهم التقليدي الذي يلازمهم خلال سفرهم.

ثمّ أقاموا مجلساً للتعزية في المكان المذكور، وأخذ مقرؤهم يشرح لهم واقعة الطف باللغة التركية، بشكل أهاج مشاعرهم، فاخرجوا قاماتهم وأخذوا يضربون رؤوسهم من دون أن يحلقوها وبشكل عنيف، حول صخرة بارزة في المكان المذكور.

وقد توفّي اثنا عشر شخصاً من هؤلاء الأتراك بعد عملية التطبير المذكورة مباشرة، حيث لم تسعفهم الجهات الصحية في حينها، لأنّها لم تتوقّع إقدامهم على مثل هذا العمل، ولم تتهيأ له.

نستخلص من الروايتين: أن التطبير لم يكن معروفاً قبل حادثة الزوار الأتراك، وإنّما هو حدث طاريء فرضته الظروف النفسيّة التي مرّ بها أولئك الزوار.

وأرى أن الرواية الأولى أقرب إلى القبول من الثانية، مع وجود التشابه الكبير بينهما، حيث تظهر العفويّة في الأولى وشيء من التنظيم في الثانية.

ثمّ إنّ موت اثنا عشر شخصاً في يوم واحد، وبسبب واحد، يندر أن يهمله التاريخ، فلا يدوّن الحادث، أو يصف المشاعر على الأقل.

ثانياً: قلنا: إنّ بعض رؤساء المواكب استحسن العمليّة فاخرج موكباً صغيراً للتطبير، واقتفى أثره جماعة من الأتراك الموجودين في النجف، فشكّلوا عزاء في النجف قبل ما يقارب من مائة وخمسين سنة، حسب ما رواه بعض معمّري البلدة.

وكان العزاء الأول والوحيد، وكان مقتصراً على الأتراك أنفسهم، فلم يسمحوا لأيّ شخص غير تركي بالاندماج معهم، وكذلك لم يسمحوا لشبابهم بالاشتراك في العزاء في الغالب.

وكانوا يخرجون ليلة العاشر من المحرّم، وهم يلبسون الملابس القفقاسيّة، وهي (كلاو) من الفرو على الرأس، وعلى الصدر (دميري) يصل إلى حدّ الركبة ويكون أسود اللون، وبنطلون يسمّى (كمرجين)، والحزام خيط

(خراطة)، وفي الأرجل (بوتين)، ويعلّق في الحزام مسدس يقال له: (يشتو)، وكذلك القامة، أو القليج أو الجنتيانه أو اليغطان أو السيف، وهذه كلّها آلات جارحة تختلف فيما بينها بالشكل والحجم، ويحمل بعضهم الشموع للانارة.

إنّ هذه الصورة وقبل إخراج الدم من الرؤوس يسمّونها (مشق) أي تدريب، وفي أثناء المشق يرّددون بعض العبارات باللغة التركية وهي:

بكن كربوبلا ويران البدي.

وتعني: اليوم كربلاء أصبحت مبعثرة.

حسين أزكونا غلتان البدي.

وتعني: الحسين مضرجاً بدمه.

نجه كان أغلا ماسوق داش بكن.

وتعني: كيف لا يبكي الحجر دماً هذا اليوم.

كسلب يتمشى ايكي باش بكن.

وتعني: في هذا اليوم ذبح ٧٢ رأساً.

وفي صبيحة اليوم العاشر، وقبل بزوغ قرص الشمس، يذهبون إلى بيت بحر العلوم وعليهم الأكفان، ويجرحون رؤوسهم جروحاً بسيطة، ويأتون على صورة موكب منظم إلى الصحن الشريف.

ويعتبر كل من «القهواتي كل محمد» و «مشتي باقر الزورخانجي» وشخص ثالث كان طبّاخاً من الأعضاء البارزين أو المؤسّسين لعزاء الترك.

واستمر هذا العزاء الوحيد مدّة طويلة، ولكنّه لم يبق وحيداً، بل انبرى جماعة من النجفيّن لتنظيم مواكب مشابهه، فشكّل خليل الأعمى الإيراني الأصل موكباً.

وشكّل ميري ابن أبو الدلال الإيراني موكباً آخر.

ونظّم ناجي خشة من آل السيّد سلمان عزاءً.

وانشق السيّد عباس على الأتراك وشكّل عزاءً مستقلاً عرف باسمه.

وكان علي أكبر التركي من الأشخاص البارزين في عزاء التطبير، يذكره كلّ مَن يتحدّث عن التطبير في النجف، لتحديه أوامر الأتراك واقتحامه (القلّق) سراي الحكومة، وإخراج السجناء واشراكهم في التطبير، حتّى صار في كلّ سنة يطلق سراح بعض المحكومين بمدد قصيرة تكريماً للعزاء.

وخلاصة ما تقدم:

أنّ التطبير ليس عربيّاً ولا فارسيّاً ولا تركياً، إنّما هو محض مصادفة كانت على يد تركي، فتبنّاها الأتراك، وشجّعها الفرس، وساهم فيها العرب.

ثالثاً: العوامل التي ساعدت على توسيع مواكب التطبير:

الناس في مختلف بقاع المعمورة، يختلفون في معتقداتهم وأديانهم، وفي سلوكهم ودرجة إدراكهم للأمور الخاصة والعامة، وكيفيّة تعاملهم مع الأحداث والمناسبات.

وفي كلّ مجتمع فئات متباينة، وبالتالي لا يخلو مجتمع من فئة يغلب عليها طابع البساطة في التفكير وفي التعبير عن المشاعر.

فإذا فئة أخرى توجّه تلك الفئة توجيهاً يتناول العواطف ويؤثّر فيها تأثيراً نفسياً يرتبط بعقيدتها، ويساهم الزمن في ترسيخ ذلك وتعميقه، يصعب على الآخرين التغيير، لكن لابدّ لمن يريد الكشف عن السلبيات أن يرجع إلى العوامل والمسببات:

١ـ العامل الديني:

ترى الشيعة الولاء لآل بيت الرسولﷺ من أركان الإيمان، ويطمع الجميع بشفاعتهم يوم لاينفع مال ولا بنون، وعلى هذا المبدأ يُقيمون هذه الشعائر.

٢ـ الصراع الطائفي:

المسلمون مذاهب وفرق، ونتيجة لذلك اختلفوا في بعض الأمور، وكان من جملة اختلافهم إقامة بعض الممارسات والشعائر الخاصة بكلّ فئة؛ للتعبير عن معتقداتها، ومن جرّاء اختلاف الظروف بقي كثير من هذه الممارسات بين الظهور والاختفاء.

٣- العامل السياسي:

يدخل العامل السياسي مدخلاً مؤثّراً في إطلاق أو كبت حرّية الطوائف المسلمة في إقامة شعائرها، تبعاً للظروف السياسية التي يمرّ بها البلد.

فقد ورد أنّ داود باشا أكثر الولاة العثمانيين ـ المماليك ـ تضييقاً على ممارسات اللطم وإقامة التعزية من قبل الشيعة إّلا أنهُ فسح المجال لإقامتها في مدن الشيعة كالنجف وكربلاء، بمناسبة وقوع الصلح بينه وبين حكومة إيران عام ١٨٢١ م ـ ١٣٣٦هـ

حيث أنّ الاساءة إلى الشيعة في العراق والتجاوز على شعائرهم، يعني التجاوز ضمناً على شعائر الإيرانيين.

ولمّا عظم خطر محمّد علي باشا والي مصر، وبدأ الدعاة له في العراق وخاصة في الأوساط الشيعية، خشي الوالي مغبة ذلك، فتساهل مع الشيعة في إقامة شعائرهم؛ للحدّ من تأثير دعاة محمد علي فيهم.

وظهر العامل السياسي أكثر جلاءً في فترة التسلّط الإنكليزي على العراق لأسباب أهملها:

أ ـ إنّ الانكليز لايهمهم الوضع الاجتماعي للبلد، بقدر ما يهمهم الكسب الاقتصادي وتكريس الاحتلال.

ب ـ تصوّر الانكليز أنّ تشجيع الشعائر سيكون سبباً في حصولهم على تأييد الطائفة الشيعية للاحتلال والسكوت عنه، ما دام المحتلّ يسمح ويشجّع إقامة شعائرهم.

ج ـ أراد الانكليز من تشجيع شعائر الشيعة ومساعدتهم الماديّة، كسب جانب مجتهدي الشيعة الذين كان لهم الدور الأول في الجهاد ضد الانكليز، والفتاوى التي دفعت العراقيين لمواجهة المحتلين.

وقد نتج عن مساعدة السلطة بشكل رسمي لإقامة الشعائر الشيعيّة، ومنها التطبير، إقبال الناس عليه، لما فيه من تحقيق رغبة في إحياء ما يرونه شعائر دينية، إلى جانب المساعدات المادية.

واستغل سياسيو الأربعينات والخمسينيات الطائفيّة للوصول إلى الحكم، فلم يتعرّض لهذه الشعائر سياسيو الشيعة، لأنّهم أعتبروا أنفسهم الناطقين باسم هذه الطائفة والمدافعين عن شعائرهم، أملاً في الكسب السياسي.

كما تجنب التعرض لها سياسيو الطوائف الإسلامية الأخرى؛ خشية اتهامهم بالطائفية، التي تأثر على شعبيتهم في الأوساط الشيعية.

٤- نزعة حبّ الظهور والتزعّم:

من النوازع النفسية التي جبلت عليها طبيعة الفرد الإنساني، نزعة الوجاهة والتزعّم، فالفرد السوي المتميز بالديناميكية والحيوية، يعمل بكلّ طاقاته للوصول إلى المركز الذي يجعله أمام الأنظار، ويشار له بالبنان، فيحتل مركزاً علمياً أو سياسياً أو عسكرياً أو مالياً أو ما شابه ذلك، وقد لا يجد الفرد صاحب النزعة مارة الذكر قدرةً في نفسه ليتبوّأ مركزاً من تلك المراكز، فيلتجئ إلى مجال آخر.

ففي مجال العزاء والتطبير يتبوّأ رئيس الموكب مركزاً اجتماعياً مرموقاً، ممّا دفع العديد إلى تأسيس مواكب جديدة، ويتعدّى الأمر رؤساء المواكب، إلى أصحاب البيوت التي تستقبل مواكب (المشق)، فإنّ في ذلك شرفاً لها.

كما أن المشاركين في عمليّة التطبير أنفسهم تخامرهم نزعة حبّ الظهور، فيظهرون أمام الجمهور وهم في أعلى درجات البطولة والتضحية.

٥- العادة:

أضفى المجتمع على عمليّة التطبير لبوساً دينياً فأصبح من الشعائر، ثمّ تقليداً اجتماعياً موروثاً، وبالتالي أصبح عادة متأصّلة في نفوس ممارسيها، حتّى أنك لا تجد الكثير ممّن يزاولون عملية التطبير يفهمونها على أساس أنّها عاداتهم منذ الطفولة ولايمكنهم تركها.

٦- الجانب المادي:

إنّ تنظيم مواكب العزاء ومنها التطبير، يحتاج إلى أموال ومواد عينية، تمكّن الأفراد من أداء المراسيم الخاصة بالعزاء، وقد جرت (العادة) أن تُجمع التبرعات من الناس باسم الحسينعليه السلام، وتختلف طُرق تجميع المال والمواد العينية.

فهناك التبرعات النقدية، حيث يذهب رئيس الموكب أو من يخوّله من الأفراد البارزين ليجمع التبرعات من التجار والكسبة في الأسواق.

وهناك النذور التي يقدّمها الناس عندما تتحقّق أمانيهم.

ويصنع البعض (دخل) ـ بتضخيم اللام ـ وهو صندوق صغير من خشب أو حديد محكم السدّ، في أعلاه شقّ تدخل فيه النقود، ويكتب عليه اسم الحسينعليه السلام أو أيّ اسم من أسماء الأئمة وأبنائهم، ولايفتح إلّا بمرور حولٍ كاملٍ، أي من المناسبة إلى المناسبة.

وقد يكون الدخل خاصاً بصنف من الأصناف كالحدادين أو النجّارين أو القصّابين أو الصاغة أو ما شاكل ذلك، وتتجّمع فيه مبالغ كبيرة.

للمواكب (عادة) على بعض بيوت البلدة، فيذهب أفراد الموكب على هيئة (مشق)، فيدخلون الدار تكريماً لصاحبها، فيقدّم لهم مبلغاً من المال، أو يعدهم بتقديم بعض المواد كالأكفان أو الطعام أو غير ذلك.

إنّ المواد المتجمعة لدى قيادة الموكب موارد لايستهان بها، ويترك أمر التصرف بها لقيادة الموكب.

يحضى رئيس العزاء بثقة جمهور العزاء، وهو حرّ في كيفيّة صرف الواردات، مادامت تصرف باسم الحسين عليه السلام.

ومرّت على الناس ظروف معاشية حرجة، ونقص في بعض المواد وأهمها (القميص الأبيض)، وكانت حاجة الناس إليه ظاهرةً، فكان البعض ينتمون إلى مواكب التطبير لغرض تحصيل الكفن، الذي كان يوزّع لرؤساء مواكب التطبير بكميات كبيرة، وكان الدعاة يحملونه على أكتافهم لتوزيعه على المشاركين.

كان ذلك بعد الحرب العراقية البريطانية في (مايس) ١٩٤١م ١٣٦٠ هـ حيث اتخذ الانكليز سياسة التقرّب من الشيعة ومجتهديهم، واعتقدوا في تشجيع شعائر هذه الطائفة خير وسيلة للحصول على التأييد فقدموا ـ في الأماكن المقدسة للمواكب الحسينية وخاصة التطبير ـ الأموال النقدية والزيت للمشاعل، والرز لإقامة الولائم الحسينية، والأكفان للمتطبرين.

إنّ تلك الهبات كان لها أثر في توسيع ظاهرة التطبير وغيرها، ولا غرابة في إقبال السذّج والمعوزين على ممارسة عمل قد لا يؤمنون بصلاحيته، ولكن بدافع الحاجة الآنية .وليس بعيداً عن هؤلاء قول الامام الحسين عليه السلام «الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم، يحيطونه مادرت معائشهم، فإذا محّصوا بالبلاء قل الديانون».

٧- المنع بالقوة:

العقيدة الدينيّة أبطأ تغيّراً من سائر العقائد، والشعائر الدينيّة أبطأ تغيّراً من العقائد نفسها.

ثمّ إنّ المجتمع الذي ترعرع فيه الفرد، يسلّط عليه ـ منذ الطفولةـ إيحاءً مكرراً في مختلف العقائد والقيم، تماماً كما يسلّط المنوم المغناطيسي إيحاءاته المتكرره نحو الفرد الذي يريد تنويمه.

ونتيجة لذلك يوضع تفكير الانسان في قوالب خاصّة يصعب التحرّر منها، وهذا ما يجعل الإنسان الذي ينشأ في بيئة مغلقة ينطبع تفكيره بما في تلك البيئة من قيم اجتماعيّة وشعائر دينية، فهو يظنّ أنّه اتخذ تلك العقائد والقيم بإرادته وإختياره، ولو أنّه نشأ في بيئة أخرى لكان تفكيره على نمط آخر، وممارسة التطبير اكتسبت صفة الشعائرية. فأمر معالجتها بأسلوب القوة يعرّض ممارستها ومن يرى رأيهم إلى الحالة التي يسميها الاجتماعيون (الصدمة الاجتماعيّة)، وفي أغلب الأحيان تكون النتائج سلبية.

لقد حدث أن قوبلت الشعائر العاشوريّة بأسلوب القوّة، فكان بعضها يقام في الخفاء، والبعض الآخر يسبت، ولم يتمكن هذا الأُسلوب من إنهائها.

إنّ التوعية العلميّة الموجّهة والتثقيف السليم يولدان تكامل النضج الاجتماعي، والوصول إلى هذه الصيغة كفيل بإسدال الستائر على كثير من الموروث الذي لاينسجم وروح العصر.

رابعاً: وصف موجز لعزاء التطبير:

يحسّ المرء بوضوح منذ اليوم الأول من المحرّم بتغيّر في سلوك الأفراد وأزيائهم.

ففي أيام العشرة الأولى، وفي الساعات الأولى من العصر، يزحف الناس رجالاً ونساءً صغاراً وكباراً إلى الشوارع التي تمرّ بها مواكب العزاء، أو لرؤية

المعالم البارزة في واجهات الجوامع والتكاية، من صور وتماثيل وأنوار وأعلام وأشياء غير ذلك.

وأغلبهم يرتدي الملابس السود، ويضع بعضهم فوق رأسه غطاءً لم يكن يضعه في الأيام الاعتيادية.ويلبس (الدشداشة) وهي ليست لباسه الرسمي أو التقليدي، وينشر بعضهم على كتفيه (شالة) خضراء أو صفراء، ويعلّق في حزامه سيفاً أو قامة أو خنجراً، ويسهرون إلى ما بعد منتصف الليل، ويسهرون في ليلة العاشر إلى الصباح ويقال في ذلك (حجّة).

ويغيّر بعضهم شيئاً من زيّه الاعتيادي، إشعاراً بالحزن، فلابس العقال يضع عقاله جانباً ويكتفي بلبس (اليشماغ)، وبعضهم يسير حافي القدمين زيادة في الأجر، ويُسقي بعضهم الماء من صفيحة أو (قربة) يعلقها في كتفه. ويساهم بعضهم في خدمة أفراد المواكب، حيث يحمل إبريقاً فيه شراب حلو يسقي المتطبرين، أو يضع في أفواههم بعض قطع الحلوى، أو يساعد في حمل من يسقط نتيجة الإعياء والضعف.

ولو أراد المرء أن يقارن الأيام السابقة واللاحقة بالعشرة الأولى من المحرّم في النجف، لوجد بوناً شاسعاً جداً، من حيث مظهر البلدة، وتحرّك سكانها، والأنشطة الخاصة بالمناسبة.

أمّا منظّمو مواكب التطبير، فيبدأ عملهم الفعلي في اليوم الثالث من المحرّم، حيث يظهرون في الشوارع بهيئة (مشق)، ويتألّف عزاء المشق من مجموعة من الشباب والأطفال وبعض الكهول، يحملون السيوف والقامات والخناجر والعصي والهراوات، وينتظمون على شكل شريط طويل، ماسكاً كلّ واحد منهم بحزام الآخر.

ويتقدم المشق أكبر الموجودين سناً، أو رئيس التكية أو أحد السادة (العلويون). ويتقدم الموكب ضاربو الطبول والصنوج والبوقات.

ويجوب العزاء أطراف البلدة ماراً بالبيوت، وقد يدخل إلى فناء الدار إن كانت له (عادة) عليه، ويأخذ رئيس العزاء من تلك البيوت النذور والتبرعات.

ويبدأ المشق بالدخول إلى الصحن الشريف من ليلة الثامن من المحرّم إلى يوم العاشر منه، وفي اليوم العاشر يتبدّل الحال ويتغيّر الزي، فتلبس الأكفان البيض، وتحلق الرؤوس إمّا كلاً أو جزءاً، وخاصّة مقدّم الرأس أو دائرة في القمة، ويبدأ التطبير وإراقة الدماء.

وممّا يلاحظ في المشق الكثرة، وفقدان النظام، وظهور بعض الشباب بمظاهر لاتليق بالمناسبة، ويحمل بعضهم بدلاً من السيف والقامة (جسر كاروك)، أو (ميجنة)، أو زجاجة مصباح (نيون)، وأشياء غير ذلك، ممّا يضفي على جوّ الموكب نوعاً من التصرّف البعيد عن القصد الشعائري الذي نظّم الموكب من أجله.

ويحدث أن يتطبّر بعض المشاركين في المشق في اليومين السابقين ليوم التطبير.

أمّا الطبول والصنوج التي تتقدّم المشق، فلا يسمح لها بالدخول إلى الصحن الحيدري، إلّا في صبيحة اليوم العاشر أمام موكب التطبير، أما البوقات فلا تمنع.

يرددّ المشاركون في المشق كلمة (حيدر)، ويرددّها المتطبرون أيضاً، أمّا كلمة (شخصين)التي حرّفت من كلمة (شاه الحسين) الفارسية، فقد اندثرت وبقية كلمة (حسين) وحدها.

والتطبير يبدأ عند بزوغ فجر اليوم العاشر من محرّم (يوم الطباك)، والمتطبّرون لا يتقيّد بعضهم بمكان الانطلاق، فمنهم من يتطبّر في بيت من بيوت النجف الكبيرة، أو في الصحن الحيدري، أو حسب رغبة الشخص نفسه.

وتتقدّم الموكب الجوقة الموسيقية كاملة (الطبول والصنوج والأبواق) وتدخل الصحن.

وأمام العزاء فرس تمثّل فرس الحسين، عليها قماش أبيض ملطّخ بالدماء، وقد غرزت فيه مجموعة من النبال، وأمام الموكب راية من القماش الأبيض وقد نثر عليها الدم أيضاً، وقد يستعاض عن الدم بالأصباغ.

ويشترك في التطبير الشيوخ والشباب والأطفال، بدوافع كثيرة يغلب عليها جميعاً ـ في الظاهر ـ دافع التقرّب إلى الحسين والأمل بنيل شفاعته.

وتهتمّ السلطات الصحيّة في ذلك اليوم، فتهيء سيارات الإسعاف لنقل المغمى عليهم إلى المستشفى، وتضمّد الباقين داخل الصحن، وتهيء حمامات المدينة العامة لاستقبال المتطبّرين في ذلك اليوم.

مستقبل ظاهرة التطبير:

هناك حقيقة تقول: إنّ كلّ ظاهرة اجتماعيّة تولد، لابدّ من تمرحلها وخضوعها لنظرية العضويّة في تفسير الظواهر الاجتماعية، فتمر بعد الولادة بأدوار الحياة المعروفة، حتّى تصل إلى الهرم والموت، وقد يموت بعضها في المراحل المتقدّمة أو في بدء ولادتها.

والأدلة على ذلك كثيرة، فكم من عادات وتقاليد كانت في عهد آبائنا قد اضمحلت وأصبحت أثراً بعد عين.

ويتوقّف مصير العادات والتقاليد وطول أو قصر عمرها، على درجة الوعي والتقدّم العلمي والحضاري للبلد، وعليه فإنّ مستقبل التطبير كظاهرة اجتماعيّة يخضع لنفس النظرية المارة الذكر، إلّا أنّ طول الفترة وقصرها منوط بدرجة النضج الاجتماعي وقوة تأثير التوعية الموجهة».

انتهى ما كتبه كاتب هذه المقالة طالب علي الشرقي، الذي نُشر في موقع «شبكة هجر الثقافية»، فانبرى لردّه شخص لقّب نفسه بـ(الموسوي)، فقال:

١- يقول طالب علي الشرقي:

«إضافة إلى أن الدين الإسلامي يخلو من الحثّ على تلك العادة، بل وينهى عن كلّ ما يؤذي الجسد».

أقول:

تحديد أنّ الإسلام يحثّ أو لا يحثّ متروك للفقهاء، وهم مختلفون في هذا الشأن، والبعض يرى الرجحان والاستحباب في مثل هذا العمل، الذي يصرّ البعض على تسميته دموياً، لإظهاره بصورة العمل البشع.

وكذلك القول إنّ الإسلام ينهى عن كلّ ما يؤذي الجسد، لايمكن القبول به على إطلاقه، فالفقهاء تناولوا المسألة، وذهب جمع غفير منهم إلى أن ليس كلّ ضرر محرّماً، بل خصوص الضرر المؤدّي إلى الهلاك أو فقدان العضو أو الحاسة، وليس كما يقول البعض: إنّ مَن يتعرّض لهواء المكيف البارد، الذي يتسبب في إصابته بالزكام، فقد ارتكب حراماً؛ لأنه أضرّ بنفسه!!

ومن الأمثلة على تحمّل الأذى من أجل ما هو مستحبّ، ما نقل عن تورّم قدم النبي صلى الله عليه وآله وكذلك الزهراء عليها السلام والإمام السجاد عليه السلام في عبادتهم، وأنّ النبي صلى الله عليه وآله كان يربط حجر المجاعة على بطنه، وعدم تناول أهل البيت عليهم السلام الطعام ثلاثة أيام كما في سورة الإنسان.

٢- يقول طالب علي الشرقي:

«كلّ ما يعرف عن التطبير في النجف هو الشائع على ألسنة معمّري البلدة».

أقول:

إنّ مسألة التوثيق السندي في قضية كثر فيها القيل والقال أمر ضروري، ومن المؤسف أنّنا نشهد الكثير من التناقضات في حياتنا اليومية المعاصرة، بسبب المحاولات الإعلامية الكثيرة لطمس الحقائق وتشويهها، وكما نشهد أنّ كلّ طرف ينقل الخبر بطريقة مخالفة للآخر، فكيف يمكن الركون على روايات حول قضية مضى عليها ١٥٠ سنة!!!

ومع كلّ هذا (أي عدم التوثيق السندي الذي تطمئن له النفس) فهناك روايتان مختلفتان حول منشأ التطبير في النجف، طبعاً هما ماخوذتان عن معمّري البلدة أيضا!!!

تقول الرواية الأولى (والتي استبعدها طالب الشرقي لاستمزاجات معيّنة): إنّ الذين نشأت منهم الفكرة هم الشيعة القفقاسيون، بينما تقول الثانية: إنّهم الشيعة من أتراك آذربايجان وتبريز وقفقاسية. (بلاد القوقاز أو القفقاس تطلق على جمهوريات أرمينيا وجورجيا وأذربايجان، التي كانت منضوية تحت الاتحاد السوفييتي المنحل).

الرواية الأولى تقول: إنّه توفّي شخص واحد أثر سماعه بمقتل الحسينعليه السلام، بعد ترجمته بالتركية وتأثره بذلك، ممّا حدى به لضرب نفسه بسيفه ضربة منكرة قاتلة، بينما الرواية الثانية تقول: إنه توفّي عشرة أشخاص بعد ترجمة المقتل بالتركية نتيجة ضرب رؤوسهم بالحجارة.

وكلا الروايتين تتفقان أنّ الحادثة كانت في كربلاء يوم العاشر من المحرم!!!

ويخلص طالب الشرقي للقول:

«نستخلص من الروايتين أنّ التطبير لم يكن معروفاً قبل حادثة الزوار الأتراك، وإنمّا هو حدث طارئ فرضته الظروف النفسيّة التي مر بها أولئك الزوار»

ولكن هناك رأياً ثالثاً للشهيد المطهّري يتنافى مع مبدأ العفويّة، ويتنافى أيضاً مع المذهب الذي يؤمن به المطبرّون الأوائل (المؤسّسون)، فقد قال في كتابه (الجذب والدفع في شخصية الإمام علي ـ بالفارسية ـ ص ١٦٥): «إنّ التطبير والطبل عادات ومراسم جائتنا من ارثذوكس القفقاز، وسرت في مجتمعنا كالنار في الهشيم». (الشعائر الحسينية بين الوعي والخرافة ص ١٣٨).

وبناءً على هذا الرأى، فالقضية لم تكن عفويّة، بل كانت عادة، ولم تكن من الشيعة، بل من الارثذوكس!!

فأيّ الروايات الثلاث هي الصحيحة، وهل هذا إلّا الخبط وعدم الدّقة في تناول المسألة بشكل تاريخي موثق!!

أحياناً عندما لا تتوفّر المادة التاريخية لحدث ما، يبدأ البعض بطرح كلّ ما هو لديهم في تفسير ظاهرة معيّنة، بغض النظر عن الغثّ والسمين، ويهمهم أن تفسّر الظاهرة بشكل ما مهما كان، بالرغم من إمكانية القول أنّ منشأ هذه الظاهرة مجهول، أو أن هناك روايات مختلفة حولها لايمكن الاعتماد عليها، وهذا ما تقتضيه الأمانة؛ لأن عدم الطرح الأمين سيجعل الأجيال اللاحقة تتلقى التفسير على أنّه قضية مسلّمة، مع أنّها ليست كذلك.

٣- يقول طالب علي الشرقي:

«و خلاصة ما تقدّم أنّ التطبير ليس عربياً ولافارسياً ولا تركياً، إنّما هو محض مصادفة كانت على يد تركي فتبناها الأتراك، وشجّعها الفرس، وساهم فيها العرب».

أقول:

سواء كان التطبير محض مصادفة ثمّ صار عادة، أم كان انعكاساً لعادة منتشرة، فهذا لا يضرّ في صدق تعبير الحزن عليه. وبناءً على ما نقله طالب الشرقي، فإنّ الروايتين تحكيان تعبيراً صادقاً عن تأثير الحزن على بعض من حضر يوم عاشوراء في كربلاء، وسمع مصيبة الامام الحسين عليه السلام، فلم يتمالك نفسه من الحزن والجزع، فأخذ يضرب نفسه بالسيف أو الحجر، وإن كنّا لا نختلف أنّ أيّ فعل عمدي يؤدي إلى قتل النفس هو حرام.

والتطبير الذي حصل في العراق؛ إمّا يكون محض مصادفة ثمّ صار عادة، أو أنّه استمرار لعادة، وفي كلا الحالتين لابدّ أن يكون منشؤها الصفر، فالعادة لا

تصير عادة إلّا بعد أن يقوم شخص أو جماعة بعمل معيّن، ويتأصل ذلك العمل بينهم ويشيع فيصير عادة، وهكذا تنشأ جميع العادات من قبيل الاحترام للقادم بالقيام، أو التصفيق للتشجيع أو غير ذلك، فلا يضرّ في التطبير أن يكون محض مصادفة أو عادة.

٤ـ وهنا أحبّ أن أتوقّف عند نقطة معيّنة، وهي أنّه لو قبلنا بالرواية الثالثة المنقولة عن الشهيد المطهّري، بأنّ منشأ التطبير مسيحي، فهل يضرّ ذلك في هذه الشعيرة؟

الجواب: كلا، لأنّ الفعل المعبّر عن الحزن يتبع العرف، وهو لا علاقة له بالدين والمذهب، وخذ مثلاً على ذلك لبس السواد، قد لا نعلم ما هو منشؤه، ولا يستبعد أن يكون منشؤه من غير المسلمين، ومع ذلك لا يضرّ الشيعي أن يلتزم به كتعبير عن الحزن، لأنّ التزام هذا الفعل ـ أي لبس السواد ـ لم ينشأ من معتقد ديني، بل من عادة عرفيّة. والمعتقد الديني هو نفس رجحان الحزن على الإمام الحسين عليه السلام.

أمّا بمَ يكون التعبير عن الحزن؟ فهذا مرجعه العرف والعادة. والأعراف قد تتفاوت، فقد يكون فعل ما معبّراً عن الحزن في بعض الأماكن؛ لشيوع العرف بذلك، وقد لا يكون معبّراً؛ لعدم وجود عرف في البين.

٥- يقول طالب علي الشرقي:

«وفي كلّ مجتمع فئات متباينة، وبالتالي لا يخلو مجتمع من فئة يغلب عليها طابع البساطة في التفكير وفي التعبير عن المشاعر. فإذا فئة أخرى توجّه

تلك الفئة توجيهاً يتناول العواطف ويؤثّر فيها تأثيراً نفسياً يرتبط بعقيدتها، ويساهم الزمن في ترسيخ ذلك وتعميقه، يصعب على الآخرين التغيير».

أقول:

التعبير العرفي عن الحزن يعتمد أساساً على البساطة والصدق في التعبير، ولايحتاج إلى عقول عبقريّة. فلا يضرّ التطبير ولا لبس السواد ولا اللطم أن لا يساهم في أصل ظهوره ذوو العقول الجبارة؛ لأنّها تعابير عن المشاعر، والمدار فيها على العاطفة وليس العقل، والخلط بين العاطفة والعقل يعني نسف معظم التعبيرات العاطفية.

وإن لم أخطأ الفهم فإنّ الأخ طالب الشرقي يلمح إلى أنّ البعض استغلّ سذاجة وبساطة البعض، فوجّههم لممارسة التطبير!! وهذا ما يتنافى مع منشأ الروايتين اللتين ذكرهما، والمتفقتان على العفوية في حصول التطبير وصيرورته بعد ذلك عادة.

٦- يقول طالب علي الشرقي:

«لكن لابدّ لمن يريد الكشف عن السلبيات أن يرجع إلى العوامل والمسببات.

١ــ العامل الديني:

ترى الشيعة الولاء لآل بيت الرسولﷺ من أركان الإيمان، ويطمع الجميع بشفاعتهم يوم لا ينفع مال ولابنون، وعلى هذا المبدأ يقيمون هذه الشعائر».

أقول:

اعتبار التطبير من السلبيات، ومن ثمّ إرجاعه إلى العامل الديني، يعني أنّ العامل الدينيّ المتمثّل في الولاء لآل الرسول والطمع بشفاعتهم له نتائج سلبية، وهل يمكن لعامل مقدّس أن ينتج نتيجة سلبية؟!

قد يقال: نعم، إذا لم يقيّد بالضوابط الشرعية.

والجواب: إنّ الضوابط الشرعيّة يحدّدها مراجع التقليد، وإن كان هناك من يقول بحرمة التطبير فإنّ الأغلب يرى جواز التطبير أو استحبابه، وهذا يعني أنّ من اندفع نحو التطبير وقد حركه الولاء لآل الرسولﷺ لم يتخلّ عن الضوابط الشرعية، بل كان مقيّداً بها.

والصحيح أن يقال: إنّ العامل الدينيّ هو الباعث للقيام بالشعيرة، ومنها التطبير، ولكن مع وجود الفتوى الشرعيّة من الفقيه، أما مجرّد وجود باعث لا يدعمه مستند شرعي فلايمكن أن يعوّل عليه.

٧- يقول طالب علي الشرقي:

«٢ـ الصراع الطائفي:

المسلمون مذاهب وفرق، ونتيجة لذلك اختلفوا في بعض الأُمور، وكان من جملة اختلافهم إقامة بعض الممارسات والشعائر الخاصة بكلّ فئة للتعبير عن معتقداتها،ومن جراء اختلاف الظروف بقي كثير من هذه المُمارسات بين الظهور والاختفاء».

أقول:

من الطبيعي أن يميل الشيعي إلى ما يفرضه عليه الالتزام والتعبّد بمذهبه مذهب أهل البيت، وهذا أمر طبيعي من كلّ متبّع لمذهب معيّن، أمّا أن يعتبر

الالتزام بأحكام المذهب وفقاً لما يراه مراجع التقليد صراعاً طائفياً مع أهل السّنة، فهذا أمر يفتقر إلى الواقعية؛ لأنّ الذي يقوم بالتطبير أو اللطم مثلاً، لم يقم بهذا العمل من منطلق طائفي، فهو لايهدف إثارة السنّة أو تحديهم، بل جلّ همّه التعبير عن حزنه وإحياء ذكر أهل البيت بالطريقة التي يؤمن بها، ولهذا لاتختلف طريقة إحياء الشعائر الحسينية عند الشيعة، سواء كان ذلك في بلاد تسودها أغلبية شيعية أو أقلية شيعية، فالشعائر التي تقام في إيران هي نفسها التي تقام في باكستان.

كما أنّ نفس إقامة الشعيرة لا يمثّل عملاً طائفياً استفرازياً، ومن أجمل ما قرأته في هذا الصدد ما قاله آية الله الشيخ حسن آل مظفر في رسالته «نصرة المظلوم» ص ٩٩: «وذلك أنّ تلك المواكب وهاتيك الأعمال ليست مفرّقة بين المسلمين، نعم هي مظهر للفرق بين فرقهم، والفارق جلّي بين المفرق (بتشديد الراء) بينهم وبين وجود الفارق.أجل التمثيل (التشبيه) فارق، المواكب فارق، الزيارة فارق، لبس السواد فارق، فوارق وأيّ فوارق شابت عليها اللمم والمفارق، واعترف بفوائدها المصاحب والمفارق، فإن تكن هذه رموزاً فهي رموز لامتياز الشيعة عمن سواهم.

إنّ المطلوب من المسلمين إزالة التعصّب المذهبي فيما بينهم، لا ترك الرسوم المذهبيّة عندهم، وشتان بين الأمرين، ومن اختلاطهما وقع الاشتباه، التعصّب المذهبي مظهر وقوع الشقاق بين المسلمين شقاقاً مذهبياً، ويقابله التساهل المذهبي المقتضي لإطلاق الحريّة لكلّ ذي مذهب من المسلمين، أن

يأتي بمراسم مذهبه بلا استياء ولامنازعة من أرباب المذهب الآخر، لا ترك الرسوم المذهبية، وثمرة هذا التساهل علوّ الإسلام باتجاه كلمة المسلمين، وأين هذا من كون الفوارق المذهبية مفرقة؟!».

٨- يقول طالب علي الشرقي:

«**٣ـ العامل السياسي:**

يدخل العامل السياسي مدخلاً مؤثّراً في إطلاق أو كبت حريّة الطوائف المسلمة في إقامة شعائرها، تبعاً للظروف السياسية التي يمرّ بها البلد.

فقد ورد أنّ داود باشا أكثر الولاة العثمانيين ـ المماليك ـ تضييقاً على ممارسات اللطم وإقامة التعزية من قبل الشيعة، إلّا أنّه فسح المجال لإقامتها في مدن الشيعة كالنجف وكربلاء بمناسبة وقوع الصلح بينه وبين حكومة إيران عام ١٨٢١ م ـ ١٣٣٦هـ حيث إنّ الإساءة إلى الشيعة في العراق والتجاوز على شعائرهم، يعني التجاوز ضمناً على شعائر الإيرانيين.

ولما عظم خطر محمد علي باشا والي مصر، وبدأ الدعاة له في العراق وخاصة في الأوساط الشيعية، خشي الوالي مغبة ذلك، فتساهل مع الشيعة في إقامة شعائرهم؛ للحدّ من تأثير دعاة محمد علي فيهم».

أقول:

ولعلّ هذا العامل هو أخطر ما جاء في كلام طالب الشرقي، فهو أراد أن يطرح أنّ الشعائر الحسينيّة كانت بين مدّ وجزر، بسبب التجاذبات السياسية بين

أطراف متنازعة، وهو يعني من وجهة نظره أنّ العامل السياسي كان له دور في تحريك التطبير وغيره من الشعائر الحسينية.

ولكن طالب الشرقي أخفق في تضخيم هذا العامل، فالشعائر الحسينية كانت تنطلق من دافع شعبي ديني، وليس من دافع سياسي، وكل ما في الأمر أنّ الأوضاع السياسية كانت تقف حائلاً أمام الدافع الديني أو لا تقف أمامه، لا أنّها التي تحرّكه وتشجّعه.

وطالب الشرقي وإن قال عند تعرّضه لهذا العامل: «يدخل العامل السياسي مدخلاً مؤثراً في إطلاق أو كبت حريّة الطوائف المسلمة في إقامة شعائرها تبعاً للظروف السياسية التي يمرّ بها البلد». أي أنّه جعل العامل السياسي ذا تأثير في الإطلاق والكبت، فقد يفرض الظالم المنع وقد يزيله، وهذا أمر لا أنفيه، ولكنّه عند ذكره الشواهد، وخاصّة فيما يرتبط بدور الإنكليز، يطرح المسألة على أنّها من باب التشجيع، أي أنّها تتجاوز مسألة الإطلاق ورفع المنع.

عندما كنت أقول: إنّ هناك نيات سوء تضمر الشر بالشعائر الحسينية، وجعلت من الطعن في التطبير طريقاً لتحقيق غايتها، اعترض عليَّ الأخ الفاضل الخزاعي وقال: إنّ هذا من محاكمة النوايا، والآن نجد في كلام الأخ طالب الشرقي الطعن في غير التطبير من اللطم وبقية أنماط الشعائر الحسينية، بذريعة أنّها انطلقت استجابة لعوامل سياسية!!!

وكما هو ظاهر من كلام طالب الشرقي، فهو لم يقصر الأمر على التطبير في تأثير العامل السياسي فيه، بل عممّ لكلّ الشعائر، وفي هذا يقول:

«فقد ورد أنّ داود باشا أكثر الولاة العثمانيين ـ المماليك ـ تضييقاً على ممارسات اللطم وإقامة التعزية من قبل الشيعة، إلّا أنّه فسح المجال لإقامتها في مدن الشيعة كالنجف وكربلاء بمناسبة وقوع الصلح بينه وبين حكومة إيران».

٩ ـ يقول طالب علي الشرقي:

«٤ـ نزعة حبّ الظهور والتزعّم:

من النوازع النفسية التي جبلت عليها طبيعة الفرد الإنساني نزعة الوجاهة والتزّعم،... ففي مجال العزاء والتطبير يتبوأ رئيس الموكب مركزاً اجتماعياً مرموقاً ممّا دفع العديد إلى تأسيس مواكب جديدة،... كما أنّ المشاركين في عملية التطبير أنفسهم تخامرهم نزعة حبّ الظهور، فيظهرون أمام الجمهور وهم في أعلى درجات البطولة والتضحية».

أقول:

من المعلوم أنّ هذه النوازع شيطانيّة المشرب، وطرح تأثيرها في مسألة العزاء الحسيّني لهو من أبرز مظاهر الإخبار عن النيات والسرائر.

والأخ طالب الشرقي لم يقصر الأمر على التطبير، بل طرحه كمثال، ولذا نجده يعطف التطبير على العزاء ويقول:

«ففي مجال العزاء والتطبير يتبوأ رئيس الموكب مركزاً اجتماعياً مرموقاً، ممّا دفع العديد إلى تأسيس مواكب جديدة».

ومثل هذا الطرح سيفتح الباب للتشكيك في جميع المؤمنين في معظم أعمالهم، إذ إذا كان الأمر مرتبطاً بالظنون، فمن حقّ أيّ ظانّ أن يقول:

إنّ إنشاء الصحف والمحطّات الإسلاميّة تأثّر بعامل الوجاهة وحبّ الظهور، وإنشاء المبّرات الخيرية تأثّر بذلك، وطرح المؤمن الفلاني نفسه كمرشح نيابي كان خاضعاً لهذا العامل، وقبول العالم الفلاني لإمامة الجماعة منشؤة تأثير هذه النزعة وحبه للظهور، وهلم جرا من الأمثلة التي قد لا تقف عند حدّ.

أنا لا أنفي أصل وجود العامل، ولكن عند من يوجد وعند من لايوجد، وفي أيّ مورد يوجد وفي أيّ مورد لايوجد، هذا أمر لايعلم به إلاّ الله عزوجل، ولايمكن أن نبني علاقاتنا مع الآخرين أو تحليلنا للأمور على تأثير هذا العامل، لأنّه سيزرع الشكّ في كلّ الأمور، ولايمكن أن يستقرّ معه حجر على حجر.

١٠ـ يقول طالب علي الشرقي:

«٥ـ العادة:

أضفى المجتمع على عملية التطبير لبوساً دينياً فأصبح من الشعائر، ثمّ تقليداً اجتماعياً موروثاً، وبالتالي أصبح عادة متأصلة في نفوس ممارسيها، حتّى أنك لا تجد الكثير ممّن يزاولون عملية التطبير يفهمونها على أساس أنّها عاداتهم منذ الطفولة ولايمكنهم تركها».

أقول:

اعتاد الكتّاب في مجال العلوم الإنسانية وخاصة في مجال التاريخ، أنّهم عندما يبحثون عن العوامل المشتركة الموجبة لقوة العرب، أن يذكروا من بينها عامل الدين وعامل العادات والتقاليد، أي يتّم الفصل بينهما من قبل الباحثين. فهل التطبير داخل ضمن القسم الأول وله لبوس ديني، أم هو تقليد إجتماعي؟

وفي كلام طالب الشرقي مزج بين العاملين، فما له لباس ديني يدخل ضمن الإطار الديني، واعتياد الأفراد على أمر ديني لا يجعله من قسم العادات، وعلى سبيل المثال: اعتياد المسلم للصلاة كلّ يوم لا يجعل الصلاة عادة.

لا أنكر أنّ المسلم بسبب كثرة ممارسته للصلاة وعدم التفاته إلى خالقه، وإلى ما في الصلاة من أسرار، قد يغفل عن الجانب المعنوي للصلاة في أثناء صلاته، ولكن هذا لا يكفي لاعتبار الصلاة عادة، إذ لو قبلنا ذلك فلن يمكن الفصل بين الجانب الديني والعادة في أيّ أمر، ويمكن أن يأتي أيّ شخص ويدّعي أنّ أيّ أمر ديني يمارسه المسلمون هو نتيجة تأثّرهم بالعادة فيه لا بالدين.

وفيما نحن فيه، اعتياد البعض على التطبير لايجعله عادة أو تقليداً اجتماعياً منسلخاً عن الباعث الديني، فهو المحرّك له، وهو الذي أوجده، ولو افترضنا أنّ البعض يمارس التطبير غافلاً عن الباعث الديني (وأظن أنّ هذا يدخل في باب الكشف عن النوايا) فهذا سيوجد الخلل في فعله هو وليس في أصل الممارسة والفعل.

وهنا ملاحظة أخرى على كلام طالب الشرقي، حيث أنّه اعتبر المجتمع هو الذي أضفى اللبوس الديني على التطبير، وهذا وإن كان صحيحاً من جهة، ولكنّه موجب للبس من جهة ثانية!!

فإنّ من الواضح أنّ العرف له دور في اعتبار أمر ما من شعائر الحزن، فالعرف هو الذي اعتبر لبس السواد علامة للحزن، وهو الذي جعل اللطم وجز الشعر وشقّ الثوب وغيرذلك من علامات الحزن، فهو له دور تحديد مصداق

الحزن والجزع، ونحن لاننكر أنّ التطبير أمر حادث، وأن العرف هو الذي أوجده وجعله مصداقاً للشعائر، ولكنّه لا يصير لبوساً دينياً إلاّ إذا جاء ندب من الشريعة في الحزن على الإمام الحسينعليه السلام، فلو أراد المجتمع أن يلبس السواد على موت فنّان أو رياضي، فلن يكون ذلك لبوساً دينياً وإن كان لبس السواد من علامات الحزن.

١١ـ يقول طالب علي الشرقي:

«٦ـ الجانب المادي:

إنّ تنظيم مواكب العزاء ومنها التطبير، يحتاج إلى أموال ومواد عينية تمكّن الأفراد من أداء المراسيم الخاصة بالعزاء للمواكب (عادة) على بعض بيوت البلدة، فيذهب أفراد الموكب على هيئة (مشق) فيدخلون الدار تكريماً لصاحبها، فيقدّم لهم مبلغاً من المال، أو يعدهم بتقديم بعض المواد كالأكفان أو الطعام أو غير ذلك.

إنّ المواد المتجمعة لدى قيادة الموكب موارد لا يستهان بها، ويترك أمر التصرف بها لقيادة الموكب.

يحضى رئيس العزاء بثقة جمهور العزاء، وهو حرّ في كيفيّة صرف الواردات مادامت تصرف باسم الحسينعليه السلام».

أقول:

الملاحظة التي ترد في هذا العامل، هي نفس الملاحظة التي ذكرتها حول عامل نزعة الظهور وحبّ الترغّم، فهي إخبار عن النيّات والسرائر، فكيف يمكن

أن نطمئن ونضمن بأنّ من يقود زمام التطبير من أصحاب المواكب، يفعل ذلك من أجل جمع المال والاستفادة المادية كما يفعل التجار.

كما أنّه ينبغي الالتفات إلى أنّه لو سلّمنا بتأثير هذا العامل على توسيع دائرة التطبير، فإنّه لاينبغي الخلط بينه وبين مشروعيّة التطبير؛ لأنه من الخلط بين شرعيّة العمل وبين نية العامل، وما ينبغي الاهتمام به هو مدى شرعيّة العمل في حدّ ذاته، وإلاّ فإنّ أهم التشريعات الإسلامية ـ أي الصلاةـ ستقع محلاً للرفض، باعتبار أن البعض يأتي بها لأغراض دنيوية!! وإذا ما اختلت نية العامل فإنّ الخلل سيتوجه نحو العامل وليس العمل.

وهذا الاعتراض يشبه اعتراض البعض على التطبير من جهة أنّه يكثر عدد المطّبرين غير الملتزمين دينياً في البلدة التي يقطنونها (إن قبلنا صحة النقل)، ومن ثمّ يريدون سراية الحكم للتطبير واعتباره منبوذاً، فإنّ منشأ الخلط في الاعتراضين واحد، وإذا ما رفضنا التطبير؛ لأنّ عدداً لايستهان به من المطّبرين غير ملتزم دينياً، فلماذا لا نعارض البكاء أيضاً (وهو شكل من أشكال الشعائر الحسينية لا خلاف في رجحانه) بحجّة أنّ هناك عدد الباكين غير الملتزمين أكثر بكثير من عدد المطّبرين غير الملتزمين.

١٢ـ يقول طالب علي الشرقي:

«ومرّت على الناس ظروف معاشية حرجة، ونقص في بعض المواد وأهمها (القميص الأبيض)، وكانت حاجة الناس إليه ظاهرة، فكان البعض

ينتمون إلى مواكب التطبير لغرض تحصيل الكفن الذي كان يوزّع لرؤساء مواكب التطبير بكميات كبيرة، وكان الدعاة يحملونه على أكتافهم لتوزيعه على المشاركين.

كان ذلك بعد الحرب العراقية البريطانية في (مايس) ١٩٤١ م ١٣٦٠ هـ حيث اتخذ الانكليز سياسة التقرّب من الشيعة و مجتهديهم، واعتقدوا في تشجيع شعائر هذه الطائفة خير وسيلة للحصول على التأييد فقدموا ـ في الأماكن المقدسة للمواكب الحسينية وخاصة للتطبيرـ الأموال النقدية والزيت للمشاعل، والرز لإقامة الولائم الحسينية، والأكفان للمتطبرين».

أقول:

الملاحظة هي الملاحظة، فدخول بعض الناس للتطبير للحصول على قميص واحد أبيض، لايمكن الاعتماد عليه إلاّ أن يثبت طالب الشرقي أنّ بعض المطبّرين أخبر بذلك.

وإذا كان هذا العامل هو المحرّك للبعض في العراق، فلماذا استمر التطبير في العراق بعد ارتفاع الظروف المعاشية الحرجة؟! وزوال الحاجة الآنية!!

ولماذا يقام التطبير اليوم في بلاد كلبنان والكويت من قبل غير المعوزين ومن غير السذج والبسطاء، ويحتفظ فيها بعض المطّبرين بالكفن ملطخاً بالدم، لا لحاجة بل كتذكار حسيني؟

وأمّا موقف الانكليز، فإن صحّت الرواية بتقديم الأموال النقدية وغيرها، فينبغي التأمّل في أنّ هذا الدعم لن يؤثر في أمر الشعائر الحسينية شيئاً، ففعل

الانكليز ينبع من دوافعهم، وهي التقرّب للشيعة بحثاً عن وئام سياسي مع قادة الشيعة، الذين أحرجوا الانكليز بمواقفهم غير المهادنة،أو فلنقل من باب التنزّل أنّ الانكليز تقرّبوا تجنباً لأجواء التشنج مع الشيعة، وليس من أجل الحبّ في الشعائر الحسينية، وإلاّ فإنّ عميلهم في ايران رضا شاه (والد الشاه) كان من أشدّ المحاربين للشعائر الحسينية، وهذا يكشف أنّ العملية كانت تخضع لظرف سياسي طارئ، ولا أظنّ أنّ أيّاً من الاتجاهين المؤيد أو المعارض للتطبير يلغي دور الشعائر الحسينية في ترسيخ جهة المقاومة للمعتدين والمحتلّين والظالمين.

كما ينبغي التأمل أيضاً أنّ الأخ طالب الشرقي نقل أنّ الانكليز قدّموا الدعم لجميع أنواع الشعائر الحسينية، وليس للتطبير فقط، فإن كان أحد مستعداً للطعن في جميع الشعائر الحسينيّة؛ لأنّ الانكليز قدّموا الدعم المادي للشعائر الحسينيّة، فليتفضل ويعلنها!!

وأنا عندما قلت: إن صحت الرواية بتقديم الانكليز للدعم المادي، فلا يعني هذا تكذيباً لما ينقله الشرقي، فقد يكون أمراً ممكناً، ولكن عندما اُلاحظ بعض الخبط في التوثيق التاريخي لظاهرة التطبير، فمن حقي التحفظ أيضاً على باقي نقله، وخصوصاً أنني لمست نقلاً آخر مثيراً للغرابة ويتعلق بدعم الانكليز للتطبير وعن طريق تقديم الأكفان أيضاً!!

ففي نهاية كتاب «الشعائر الحسينية بين الوعي والخرافة»، (وهو كتاب مخصّص لتناول ظاهرة التطبير وتحتوي على مقالة طالب علي الشرقي أيضاً) جاءت المعلومة التالية نقلا عن مقيمين في بريطانيا!!!:

«كما سمحت الحكومة البريطانية للأجانب المسلمين المقيمين في أراضيها بخروج مواكب التطبير في هذا العام ١٩٩٤ م، بعد أن كانت قد منعتهم في الأعوام الماضية، وكما قد قدّمت لهم الأكفان».

لاحظوا فقصة تقديم المساعدة بالأكفان تتكرّر اليوم أيضاً، وليس في العراق فقط حينما كان العراقيون يمرّون بأزمة معيشية حرجة!!!

١٣ـ يقول طالب علي الشرقي:

«٧ـ المنع بالقوّة:

العقيدة الدينية أبطأ تغيّراً من سائر العقائد، والشعائر الدينية أبطأ تغيّراً من العقائد نفسها...وممارسة التطبير اكتسبت صفة الشعائرية.فأمر معالجتها بأُسلوب القوة، يعرض ممارستها ومن يرى رأيهم الى الحالة التي يسميها الاجتماعيون (الصدمة الاجتماعية)، وفي أغلب الأحيان تكون النتائج سلبية.

لقد حدث أن قوبلت الشعائر العاشورية باسلوب القوة، فكان بعضها يقام في الخفاء والبعض الآخر يسبت، ولم يتمكن هذا الأُسلوب من انهائها.إنّ التوعية العلمية الموجّهة والتثقيف السليم يولدان تكامل النضج الاجتماعي، والوصول إلى هذه الصيغة كفيل باسدال الستائر على كثير من الموروث الذي لاينسجم وروح العصر».

أقول:

مشكلة من لهم موقف مخالف للتطبير أنّهم لم يفلحوا في التأثير عليها من خلال ما يسمّونه بالتوعية العلمية والتثقيف، فلجأوا إلى القوة، فلم تنفعهم، أي أنّهم خسروا الرهانين.

فاستعمال القوّة أو التسقيط الاجتماعي كانت لها نتائج سلبية، كما يقول الأخ طالب الشرقي، وسواء صدقت نظرية الصدمة الاجتماعية أم لا، فإنّ التطبير استفحل أمره واخضر عوده أكثر، وها نحن اليوم بعد أن لم تجد القوة شيئاً في منع التطبير، نجد أنّ الشعور الحسيني في محرّم يتنامى نحو المزيد من الإقبال على الشعائر الحسينية بما فيها التطبير.

وأحبّ التنويه أن البعض ممّن كان له رأي مخالف للتطبير يؤكد على مبدأ (صدم الواقع) عند تناوله الموروث الديني، وبالأخص العقائدي منه!!! وهذا على عكس منهج طالب علي الشرقي، وإن كنت لا أستبعد أن يكونا من مدرسة واحدة!!

أمّا مدى انسجام الشعائر الحسينية مع روح العصر، فينبغي أن نلاحظ فيه جهة التعبير الإنساني والعاطفي للحزن، وهذا لا يتغيّر لتطوّر الحياة في بعدها الآلي والصناعي، فالبكاء واللطم وإقامة المآتم على سبيل المثال، هي صور لن تغيّرها تقدّم العلوم والبشرية؛ لأنّها نابعة من الوجدان المشترك للإنسانية، ويرجع إلى التكوين الروحي للإنسان وليس التكوين المادي.

١٤ـ يقول طالب علي الشرقي:

«٨ ـ مستقبل ظاهرة التطبير:

هناك حقيقة تقول: إنّ كلّ ظاهرة اجتماعية تولد لابدّ من تمرحلها وخضوعها لنظرية العضويّة في تفسير الظواهر الاجتماعية، فتمر بعد الولادة

بأدوار الحياة المعروفة، حتّى تصل إلى الهرم والموت، وقد يموت بعضها في المراحل المتقدّمة أو في بدء ولادتها.

والأدلة على ذلك كثيرة، فكم من عادات وتقاليد كانت في عهد آبائنا قد اضمحلت وأصبحت أثراً بعد عين.

ويتوقّف مصير العادات والتقاليد وطول أو قصر عمرها على درجة الوعي والتقدّم العلمي والحضاري للبلد، وعليه فإنّ مستقبل التطبير كظاهرة اجتماعية يخضع لنفس النظرية المارة الذكر، إلا أنّ طول الفترة وقصرها منوط بدرجة النضج الاجتماعي وقوة تأثير التوعية الموجهة».

أقول:

لعلّ الكاتب يكون محقّاً في نظريته، إذا لم تكن العادة ذات صبغة دينيّة كما في الشعائر الحسينية؛ لأنّها منطلقة من دافع وباعث ديني، وأمر هذه الشعائر وتناميها عبر العصور يجعلني أشكّ حتّى في أصل صحة نظرية الكاتب.

الشعائر الحسينية لا تموت ولن تموت، إلاّ إذا ثبت تحريم بعضها من الشرع، وأمر ذلك منوط باجتهاد الفقهاء، وبما أنّ الشعائر ارتبطت بالإمام الحسين عليه السلام وبها يتمّ إحياء ذكراه، ولم يرد منع شرعي في حقّها، فمن الطبيعي أن تزداد مع الأيام ظهوراً، وينطبق عليها قول زينب عليها السلام: «والله لا تمحو ذكرنا».

ورغم أنّ العلم قد خطا خطوات كبيرة نحو الأمام، وازداد عدد المثقفين والواعين، ولكنّنا نلمس عملياً أنّ التطبير يلقى قبولاً واسعاً من مختلف الطبقات

الاجتماعية، وانقلبت ثقافة التوعية على أصحابها، وما تطبير النبطية هذا العام عنّا ببعيد، وإنني ألمح في الأفق القريب مواكب التطبير منتشرة في حسينيات قم وطهران بإذن الله تعالى.

١٥ـ هناك أمور لطيفة لفتت انتباهي فيما نقله طالب الشرقي، وهي تمّثل اعترافات منه، وهي من باب إلزامه بما يرويه، لا الالتزام بما يرويه فيعترض على أحد: لم قبلت قسماً من الرواية وشككت في الآخر.

ومن تلك الأمور الملفتة:

أ- أنّ المطّبرين يلبسون الأكفان، وفي هذا دلالة سامية ومعبّرة، كما أنّهم يبدأون بالتطبير في منزل أحد أبرز العلماء، أي السيّد بحر العلوم، ولم يتسنّ لي معرفته بالضبط من كلام طالب الشرقي، وإن كان الأرجح أن يكون المقصود به السيد علي بحرالعلوم.

يقول آية الله الشيخ حسن آل العلاّمة الشيخ إبراهيم مظفر، في رسالته التي كتبها رداً على مقالة السيّد مهدي القزويني، وهو في مقام تعداد الفقهاء الذين كانت تقام الشعائر الحسينية بمرأى منهم بل بدعم منهم:

«وكذا العلاّمة المتقن المتبحّر السيّد محمّد آل بحر العلوم الطباطبائي، تقام في داره أعظم وأفخم مآتم النجف، ويحضره جميع أهل العلم، ويقع فيه التمثيل الذي يقع في دار الشيخ (يقصد الشيخ محمد طه نجف) وزيادة.

هذا غير كون الدار المذكورة موئلاً لجميع المواكب، وبها تضرب أرباب السيوف رؤوسها من لدن أيام السيّد علي بحرالعلوم أو قبله حتّى اليوم، ومنها

تخرج إلى الشوارع والبيوت والجواد (أي السكك والطرق) العموميّة وإليها تعود بلا إنكار ولا إستيحاش».نصرة المظلوم ص ٨٧

ب ـ إنّ الحكومة العثمانيّة كان لها موقف مخالف من التطبير، وكان علي أكبر التركي من الأشخاص البارزين في عزاء التطبير، وقد تحدّى الأتراك واقتحم حصن الأتراك وأخرج السجناء وأشركهم في التطبير.

ج ـ حجم المشاركة الشعبية في دعم التطبير، والثقة التي يوليها الناس بأصحاب الموكب، وفي هذا يقول طالب علي الشرقي:

«إنّ المواد المتجمعة لدى قيادة الموكب موارد لايستهان بها، ويترك أمر التصرف بها لقيادة الموكب، يحضى رئيس العزاء بثقة جمهور العزاء، وهو حرّ في كيفيّة صرف الواردات مادامت تصرف باسم الحسين عليه السلام».

الحكم الشرعيّ للتطبير

من الأمور التي يقوم بها بعض أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، هو ضرب الرؤوس بالسيوف والقامات، يوم عاشوراء، حزناً على الإمام الحسين عليه السلام، وطلباً للأجر والثواب من الباري عزّوجلّ.

وقد اختلف علماؤنا في حكم هذا العمل بين مَن: أباحه، أو استحبّه من باب الجزع والهلع، أو حرّمه بعنوانه الأوليّ أو الثانوي. ولكلّ واحدٍ منهم أدلّته الخاصة به، التي أقامها على صحّة رأيه.

ونحن نذكر هنا الأراء التي وردت متفرّقة في هذه المجموعة، مع بعض الأدلّة بشكل مختصر، ومن رام المزيد فعليه مراجعة رسائل هذه المجموعة كاملة.

(١) قال الشيخ عبدالله المامقاني (ت١٣٥١هـ) في رسالته «المواكب الحسينيّة»:

«لاينبغي الشبهة في جواز الأمور المذكورة في السؤال، بل وإدماءُ الرأس بالسيف، بل لو أفتى فقيه متبحّر بوجوب ذلك كفاية في مثل هذه الأزمنة ـ التي صممّ جمع فيها على إطفاء أنوار أهل البيت عليهم أفضل الصلوات والسلام ـ لم يمكن تخطئته»[1]

(٢) قال الشيخ خضر بن شلال (ت ١٢٥٥هـ) في مزاره «أبواب الجنان وبشائر الرضوان»:

«قد يُستفاد من النصوص التي منها مادلّ على جواز زيارته ولو مع الخوف على النفس[2]، جواز اللطم عليه والجزع لمصابه بأيّ نحو كان ولو علم أنّه يموت من حينه، فضلاً عمّا لايخشى منه الضرر على النفس التي قد تكون عند كثير من الناس أهون من المال، الذي قد قامت ضرورة المذهب على مزيد فضل في مصابه وزيارته». [3]

(٣) قال الشيخ مرتضى الأنصاري (ت١٢٨١هـ) في رسالته العمليّة المسمّاة بـ«سرور العباد» ما ترجمته:

«إذا جرح شخص نفسه في تعازي الحسين عليه السلام بسيف ونحوه، بحيث يوجب الضرر ببدنه، فهو حرام. أمّا إذا كان بدرجة يرتفع ضرره وألمه،

---

(١) المواكب الحسينيّة (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢:٢٠٨.

(٢) انظر: كامل الزيارات ٢٢٧، الباب ٤٠ «دعاء رسول الله وعليّ وفاطمة والأئمة لزوّار الحسين عليه السلام».

(٣) انظر: رسالة نظرة دامعة حول مظاهرات عاشوراء، للشيخ مرتضى آل ياسين الكاظمي (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢:٢٧٩.

كالضرب على الصدر، على النحو المتعارف بين الناس، ولو أوجب الحمرة أو سواد البشرة، فلا ضرر في ذلك».[١]

وعلّق الشيخ محمّد جواد الحجّامي (ت ١٣٧٦هـ) في رسالته «كلمة حول التذكار الحسيني» على عبارة الشيخ الأنصاري قائلاً:

«ومقتضى هذا الكلام جواز إدماء الشخص عضواً من أعضائه بمقدار يأمن من الضرر، كما يفعله أهل القامات».[٢]

(٤) قال الشيخ حسن المظفّر (ت ١٣٨٨هـ) في رسالته «نصرة المظلوم»:

«إنّ أشدّ الأخبار العامّة مساساً بهذا الموكب وأتمّ اعتلاقاً به، الأخبار الكثيرة المستضيفة الدالّة على أنّ الجزع مكروه ومحظور، ما عدا الجزع على الحسين عليه السلام فإنّه مندوب إليه ومرغب فيه.[٣]

ففي رواية معاوية بن وهب ـ التي رواها المفيد والشيخ وابن قولويه ـ عن الصادق عليه السلام: «كلّ الجزع والبكاء مكروه سوى الجزع والبكاء على الحسين»[٤].

---

(١) سرور العباد: ٣٤.

(٢) كلمة حول التذكار الحسيني (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢:٣٠٥.

(٣) انظر: أمالي الصدوق: ١١١ حديث ٢.

(٤) أمالي الشيخ الطوسي: ١٦٢، كامل الزيارات: ٢٠٢ حديث ٥، وانظر وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٥ حديث ١٠ باب ٦٦ من أبواب المزار وما يناسبه «باب استحباب البكاء لقتل الحسين وما أصاب أهل البيت عليهم السلام...».

بل في خبر مسمع بن عبدالملك البصري عن الصادق عليه السلام أنّه قال له ـ يعني الصادق ـ «أما تذكر ما صُنع به؟» يعني الحسين عليه السلام.

قلت: بلى.

قال: «فتجزع؟».

قلت: إي والله، واستعبر لذلك حتّى يرى أهلي أثر ذلك عليّ، فامتنع من الطعام والشراب حتّى يستبين ذلك في وجهي.

قال: «رحم الله دمعتك، أمّا إنّك من الذين يعدّون من أهل الجزع لنا، والذّين يفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا، ويخافون لخوفنا، ويأمنون إذا أمنّا» الحديث[١].

وهذه وما بعدها بنظري عمدة الأدلّة على جواز إدماء الرؤوس بالسيوف، بل واستحبابه، وذلك أنّ كلّ ما يفعله الشيعة من الضرب بسلاسل الحديد وبالقامات وغيرها هو دون الجزع المرغّب فيه.

إنّ الضرب بالسيوف والقامات على الرؤوس هو مظهر من مظاهر الجزع، وليس بجزع حقيقة، فإنّ الجزع أمر معروف في اللغة والعرف، وهو ضد الصبر[٢]، نحو أن ينتحر الرجل العاقل أو يلقي نفسه من شاهق، لحادثة تحدث تغلب صبره و تورد الهلاك.

---

(١) كامل الزيارات: ٢٠٣ حديث ٧.

(٢) الجَزَعُ بالتحريك:نقيض الصبر.الصحاح ٣: ١١٩٦.

وأين هذا من جرح الرأس بسكين أو سيف جرحاً خفيفاً يوجب خروج الدم، ولايؤلم إلاّ بمقدار ما تؤلم الحجامة وغيرها ممّا يرتكب لأغراض عقلائيّة سياسيّة أو طبيّة؟!» [1].

(٥) قال الميرزا محمّد حسين الغرويّ النائينيّ (ت ١٣٥٥هـ) في رسالته التي وجهّها إلى أهل البصرة سنة ١٣٤٥هـ ـ كما حكاه عنه الشيخ حسن المظفّر (ت ١٣٨٨هـ) في رسالته «نصرة المظلوم»ـ:

«لا إشكال في جواز اللطم بالأيدي على الخدود والصدور حدّ الإحمرار والإسوداد، بل يقوى جواز الضرب بالسلاسل أيضاً على الأكتاف والظهور إلى الحدّ المذكور، بل وإن أدّى كلّ من اللطم والضرب إلى خروج دم يسير على الأقوى.

وأمّا خروج الدم من الناصيّة بالسيوف والقامات، فالأقوى جواز ما كان ضرره مأموناً، وكان من مجرّد إخراج الدم من الناصية بلا صدمة على عظمها، ولايتعقّب عادة بخروج ما يضرّ خروجه من الدم ونحو ذلك، كما يعرفه المتدرّبون العارفون بكيفيّة الضرب.

ولو كان عند الضرب مأموناً ضرره بحسب العادة، ولكن اتّفق خروج الدم قدر ما يضرّ خروجه، لم يكن ذلك موجباً لحرمته، ويكون كمن توضّأ أو اغتسل أو صام آمناً من ضرره ثمّ تبيّن تضرّره منه.

لكن الأولى بل الأحوط أن لا يقتحمه غير العارفين المتدرّبين، ولاسيما الشبّان الذين لا يُبالون بما يوردونه على أنفسهم؛ لعظم المصيبة

(١) نصرة المظلوم (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢: ٢٩٥-٢٩٦.

واملاء قلوبهم من المحبّة الحسينيّة، ثبّتهم الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة»[١].

(٦) قال الميرزا محمّد عليّ الأُردوبادي (ت ١٣٨٠هـ) في رسالته «الكلمات التامّات في المظاهر العزائيّة لسيّد الشهداء عليه السلام» في معرض كلامه عن موكب السيوف «التطبير»:

«وقد جرت بتنضيد هذه المواكب عادةُ الشيعة في سائر الأمصار، بمشهدٍ من علمائها ومرأىً، من غير نكير يُعزى إلى أحدهم.

أفتى بإباحة ذلك ـ ممّن عقد للمسألة ذكراً ـ آية الله الأنصاريّ في «سرور العباد»[٢] حيث لا يؤدّي إلى التلف.

وأمضى هذه الفتوى؛ الكافلُ لزعامة الشيعة أجمع الميرزا محمّد حسن الشيرازيّ قدس سره في الهامش.

وتلميذه[٣] العلاّمة الخراسانيّ.

وكان في «سامرّاء» من داره يخرج هذا الموكب، وهو الذي يبذل أثمان أكفانهم.

وقد أفتى بذلك الرئيس الكبير الميرزا محمد تقيّ الشيرازيّ.

وسيّد فقهاء عصره السيّد محمّد كاظم اليزديّ.

---

(١) نصرة المظلوم (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢: ٤٤٤-٤٤٥

(٢) سرور العباد: ٦١.

(٣) الضمير يعود للشيخ الأنصاري، فإنّ الشيخ محمّد كاظم الخراساني صاحب «الكفاية» من أجلّ تلامذته.

وكذلك الفاضل المحققّ الدربنديّ قدّس سرّه في «أسرار الشهادة»[(١)].

وكان فقيه العترة الطاهرة عليهم السلام السيّد عليّ بحرالعلوم في داره تضربُ أهلُ هذه المواكبِ رُؤوسها.

ولم تُخرَم هذه العادة على عهد العلاّمة السيّد محمد بحرالعلوم، وإلى اليوم.

وكان آية الله الوالد قدّس سرّه قد عمل فيه رسالتين: عربيّة وفارسيّة، أصرّ فيهما بالجواز؛ ببراهين ساطعة.

وفي «الدعاة الحسينيّة» [(٢)] شيءٌ من ذلك غير يسير.

ومن المبيحين لذلك ـ من حسنات الدهر، أكبر آيات العصر، وأقوى حججه ـ «الميرزا عليّ آغا» خلف آية الله العظمى الشيرازيّ.

فقد أثبت ذلك في أجوبة استفتاءاته، وأقرّ فاعليه بسامراء أيّام إقامته بها، وهو يومئذٍ غُرَّةُ جبينها، وكان رَهْنَ إشارته بسطُها وقبضُها.

وهو نوع من التشبيه الذي مرّ حكمه، فإنّهم يشبّهون ـ عندئذٍ ـ أنفسهُم بشهداء الطّفِّ، صافّين في حومة الحرب تحت مشتجر السيوف، ومشتبك الرماح، وقد سالت الدماء على وجوههم، ونحورهم، وثيابهم.

---

(١) أسرار الشهادة ٣: ٣٣١.

(٢) «الدعاة الحسينيّة في حكم بعض أنواع التعزية» للمولى محمّد علي بن خداداد النخجواني النجفي، المتوفّى بالحائر وحُمل طرياً إلى النجف في أوائل ليلة الجمعة ١٧ شهر ربيع الثاني /١٣٣٤، وقد طبع على الحجر سنة ١٣٣١.انظر: الذريعة ٨: ١٩٨/ الرقم ٧٧٦.

ولذلك ترى أنّهم يتجوّلون في الأزقّة صفّاً غير مختلطين؛ بصفةٍ هي للحال الحربيّة والزَّحْفِ العسكريّ أشبه منه بغيرهما.

يفعلون ذلك تسجيلاً لما هُنالكَ من حقائق ومزايا، وإيقافاً للناس على خصوصيّات موقف يوم الطفّ، واستدراراً للدُّمُوع، وتثبيتاً للقلوب، كما عرفت ويأتي إن شاء الله تعالى.

إذاً، فلا أحسب أن تتخطّاه أصالةُ الإباحة، بل المقامُ ممّا لا يعدوه الرجحانُ»[١].

(٧) قال الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (ت١٣٧٣هـ) في رسالته «المواكب الحسينيّة»:

«وأمّا الضرب بالسيوف أو الخناجر والإدماء، فهو كسابقه مباح بمقتضى أصل الإباحة، بل راجح بقصد إعلان الشعار للأحزان الحسينيّة. نعم إلّا أن يعلم بعروض عنوان ثانوي يقتضي حرمة شيء من تلك الأعمال الجليلة، مثل كونه موجباً للضرر بتلف النفس، أو الوقوع في مرض مزمن.

أمّا الألم الذي يزول بسرعة، فلا يوجب الحرمة»[٢].

وقال في موضع آخر من هذه الرسالة:

«لاريب أنّ جرحَ الإنسان نفسه وإخراج دمه بيده في حدّ ذاته من المباحات الأصليّة، ولكنّه قد يجب تارةً، وقد يحرم أخرى، وليس وجوبه أو حرمته إلّا بالعناوين الثانويّة الطارية عليه وبالجهات والاعتبارات.

---

(١) الكلمات التامات في المظاهر العرائيّة لسيّد الشهداء عليه السلام (المطبوعة ضمن هذه المجموعة):٣: ٧٤-٧٦.

(٢) المواكب الحسينيّة (المطبوعة ضمن الآيات البيّنات في هذه المجموعة):٣: ١٣٦-١٣٧

فيجب كما لو توقّفت الصحّةُ على إخراجه، كما في الفصد والحجامة.

وقد يحرم، كما لو كان موجباً للضرر والخطر من مرض أو موت.

وقد تعرضُ له جهة تُحسّنه ولا تُوجبه، وناهيك بقصد مواساة سيّد أهل الإبا وخامس أصحاب العبا، وسبعين باسل من صُحبه وذويه، حسبُكَ بقصد مواساتهم وإظهار التفجّع والتلهّف عليهم وتمثيل شبح حالتهم مجسّمة أمام عيون محبّيهم، ناهيك بهذه الغايات والمقاصد جهاتٌ مُحسّنة وغايات شريفة ترتقي بتلك الأعمال من أخسّ مراتب الحطّة إلى أعلى مراتب الكمال.

وإنّ الأُولى بالطفّ من آل هاشم   تأسّوا فسنّوا للكرام التأسّيا[1]

أمّا ترتّب الضرر أحياناً بنزف الدم المؤدّي إلى الموت، أو إلى المرض المقتضي لتحريمه، فذاك كلام لا ينبغي أن يصدر من ذي لبّ، فضلاً عن فقيه أو متفقّه:

أمّا أوّلاً: فلقد بلغنا من العمر ما يناهز الستّين، وفي كلّ سنة تقام نصب أعيننا تلك المحاشد الدمويّة، وما رأينا شخصاً مات بها أو تضرّر، ولا سمعنا به في الغابرين.

وأمّا ثانياً: فتلك الأُمور على فرض حصولها إنّما هي عوارض وقتيّة، ونوادر شخصيّة، لا يمكن ضبطها ولا جعلها مناطاً لحكم أو ملاكاً لقاعدة، وليس على الفقيه إلّا بيان الأحكام الكليّة، أمّا الجزئيات فليست من شأن الفقيه ولا من وظيفته، والذي علينا أن نقول: إنّ كلّ من يخاف الضرر على نفسه من عمل من الأعمال يحرم عليه ارتكاب ذلك العمل.

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٦، أحداث سنة إحدى وسبعين، والبيت لمصعب الزبيري حينما خذله قومه، فوقف وقال هذا البيت.

ولا أحسب أنّ أحد الضاربين رؤوسهم بالسيوف يخاف من ذلك الضرب على نفسه ويقدم على فعله، ولئن حرم ذلك العمل عليه فهو لا يستلزم حرمته على غيره.

وأمّا ما ورد في الأخبار(١)، وذكره الفقهاء في كتاب الحدود والدّيات(٢)، من أقسام الشجاج كـ«الحارصة»: وهي التي تقشر الجلد(٣)، وفيها بعير، و«الدامية»: وهي التي تأخذ من اللحم يسيراً(٤) وفيها بعيران، وهلم جرا إلى «الهاشمة»(٥) وفيها عشرة، أنّ المراد ما لو جناه إنسان على آخر عدواناً، لا ما إذا فعله الإنسان بنفسه، ضرورة أنّ الإنسان لا يملك على نفسه شيئاً، وهذا ممّا لا أظنّه يخفى على جاهل فضلاً عن فاضل.

هذا، وأنّ بالأصل الذي شيّدناه من أنّ المباح قد تعرض له جهات محسّنة، يتّضح لك الوجه في جميع تلك الأعمال العزائيّة في المواكب الحسينيّة»(٦).

وقال في موضع آخر من هذه الرسالة:

«إنّ واقعة الطفّ وما جرى فيها من زوابع الفجائع، واقعة خرقت النواميس الطبيعيّة والغرائز البشريّة، فضلاً عن الشرائع الإلهية.

---

(١) الكافي ٧: ٣٢٦، باب (دية الجراحات والشجاج).

(٢) راجع على سبيل المثال جواهر الكلام ٤٣: ٣١٧، (المقصد الثالث ـ في الشجاج والجراح)، وقد ذكر أحكام كلّ منها على وجه التفصيل.

(٣) قال الجوهري: الحارصة: الشجة التي تشقّ الجلد قليلاً، الصحاح ٤: ١٠٣٢ «حرص».

(٤) قال الجوهري: الدامية: الشجة التي تدمي ولا يسيل، الصحاح ٦: ٢٣٤١ «دما».

(٥) الهاشمة: شجة تهشم العظم، أو التي هشمت العظم، تاج العروس ١٧: ٧٥٥ «هشم».

(٦) المواكب الحسينيّة (المطبوعة ضمن الآيات البيّنات في هذه المجموعة) ٣: ١٥٢-١٥٤.

وما رأت عين الدهر ولا سمعت واعية الأزمان بواقعة مثلها، ولا تسمع بمثلها أبداً، وكما أنّها أخذت بمجامع الغرابة والتفرّد في بابها، فكذلك أحكامها غريبة الشكل، عديمة النظير، بديعة الأُسلوب، متفرّدة في بابها.

الجزع والبكاء في المصائب ـ مهما عظمت ـ قبيح مكروه، ولكن صادق أهل البيت سلام الله عليه وعليهم يقول في حديث معتبر: «البكاء والجزع كلّه مكروه إلّا على الحسين صلوات الله عليه»[(١)].

شقّ الجيوب على الفقيد وخمش الوجوه محرّم في الأشهر، ولكن صادق أهل البيت سلام الله عليه يقول في حديث وثيق: «على مثل الحسين فلتُشقّ الجيوب ولتُخمش الوجوه ولتلطم الخدود»[(٢)].

إيذاء النفس وإدماء الجسد مرغوب عنه مذموم، سيّما من الأعاظم وأرباب العزائم، والحجّة عجّل الله فرجه يقول في زيارة الناحية: «فلأندبنّك صباحاً ومساءً، ولابكينّ عليك بدل الدموع دماً»[(٣)].

وقد سبقه إلى ذلك جدّه زين العابدين عليه السلام، ففي بعض روايات المجلسي ـ على ما يعلق ببالي من زمن متقادم ـ أنّ زين العابدين كان أحياناً إذا قدّم إليه قدح فيه ماء بكى حتّى يملاؤه دماً[(٤)].

---

(١) ونصّ الحديث: قال عليه السلام: «إنّ البكاء والجزع مكروه للعبد في كلّ ما جزع ما خلا البكاء والجزع على الحسين بن علي عليهما السلام فإنّه فيه مأجور»، كامل الزيارات: ٢٠١، حديث ٢٨٦.

(٢) قال عليه السلام: «وقد شققن الجيوب، ولطمن الخدود الفاطميّات على الحسين بن علي عليهما السلام، وعلى مثله تلطم الخدود وتشقّ الجيوب»، تهذيب الأحكام ٨: ٣٢٥، حديث ١٢٠٧.

(٣) المزار: ٥٠١، زيارة أخرى في يوم عاشوراء صدرت عن الناحية.

(٤) بحار الأنوار ٤٦: ١٠٦، حديث ١، الباب السادس (حزنه وبكاؤه على أبيه)، نقلاً عن مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٣: ٣٠٣، باب إمامة علي بن الحسين عليه السلام. وفي كلا المصدرين يملأها «دمعاً» لا «دماً».

وعلى هذه الوتيرة فاسحب وجر سائر الأعمال التي يؤتى بها بقصد الحزن والتوجّع لفاجعة الطفّ، وأنّها لعمر الله باب الرحمة الواسعة، وسفينة النجاة من كلّ هلكة. ومَن ذا يقدر على سدّ باب رحمة الله، أو يقطع أعظم الذرائع والوسائل إلى الله؟!

ولكن رغبتي إلى إخواني المؤمنين ووصيّتي إليهم ومسألتي منهم أمران:

الأوّل: تنزيه تلك المواكب المقدّسة من كلّ ما يشينها ويدنّسها، ممّا يوجب إلقاح الفتنة والفساد من المقابلة والتفاخر وحبّ الغلبة وتفوّق قبيل على قبيل، وأمثال ذلك من الأخلاق الذميمة.

فإنّ تلك الأعمال أعمال إلهيّة، ولها غايات روحية، فلا تدعو للشيطان سبيلاً إلى إحباط أجرها ومحو أثرها وغاياتها.

الثاني: وهو أهم وأعظم، ألا وهو المحافظة على اتّفاق الكلمة، ونبذ الخلاف والتفرّق، ولتكونوا يداً في حفظ هذه الجامعة المقدّسة التي أوشكت أن تنحل عراها وتضمحلّ قواها.

ومَن تدبّر في حالة الشيعة الحاضرة يجدها وخيمة العاقبة ذميمة المغبّة، تكاد تقضي على حياتها وتؤدّي إلى هلاكها، يعرف ذلك أهله من ذوي التدبّر والمعرفة.

وهذه حادثة المدينة وفاجعة أئمّة البقيع، كفى بها ذلاً وهواناً لنا معشر الإماميّة، وكان يجب أن تكون هي الشغل الشاغل لنا عن كلّ خلاف ونزاع، وتنابذ وافتراق.

فالله الله يا عباد الله المؤمنين في جمع الكلمة، ولم الشعث[١]، ورتق الفتق، ووحدة العدّة والقوّة، فإنّها أربح وأنجح وأفضل وأجمل في الدنيا والآخرة، وما أُريد إلّا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلّا بالله عليه توكّلت وإليه أُنيب»[٢].

(٨) قال الشيخ محمّدحسين كاشف الغطاء (ت ١٣٧٣هـ) في كتابه «الفردوس الأعلى»، في جوابه على المسائل القندهارية التي وردت إليه، والتي طبعت سنة ١٣٣٩هـ ثمّ قام الشهيد السيّد محمّدعلي القاضي الطباطبائي (ت١٣٩٩هـ) بترجمتها إلى العربيّة وطبعها سنة ١٣٧١ هـ في النجف الأشرف، وسنة ١٣٧٢ هـ في تبريز، مع تعليقات له في الهامش:

السؤال الثاني

إلى سماحة الإمام حجّة الإسلام أدام الله ظلّكم العالي:

هل يوجد دليل على استحباب أو جواز لطم الصدور في عزاء أبي عبدالله الحسين أرواحنا فداه، أو لا؟ فإنّ بعض مَن ليسوا من أهل نحلتنا ينكرون الجواز، وبعض آخر يقولون: إنّا نستكشف الجواز من لطم الفاطميات، فتفضّلوا ببيان الجواب ولو على نحو الإجمال.

الجواب:

«مسألة لطم الصدور ونحو ذلك من الكيفيّات المتداولة في هذه الأزمنة، كالضرب بالسلاسل والسيوف وأمثال ذلك، إن أردنا أن نتكلّم فيها

(١) الشعث بالتحريك: انتشار الأمر، يقال: لمَّ الله شعثك، أي جمع أمرك المنتشر. الصحاح ١ : ٢٨٥ «شعث».

(٢) المواكب الحسينيّة (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٣: ١٦٠-١٦٣.

على حسب ما تقتضيه القواعد الفقهيّة والصناعة المقرّرة لاستنباط الأحكام الشرعية، فلا تساعدنا إلّا على الحرمة، ولا يمكننا إلّا الفتوى بالمنع والتحريم؛ فإنّه لا مخصّص للعمومات الأوليّة والقواعد الكلّية من حرمة الإضرار وإيذاء النفس وإلقائها في التهلكة، ولا دليل لنا يخرجها عنها في المقام.

ولكن الذي ينبغي أن يُقال بالقول الصريح: إنّ من قطعيّات المذهب الإمامي، ومن مسلّمات هذه الفرقة الحقّة الاثنا عشريّة، أنّ فاجعة الطفّ والواقعة الحسينيّة الكبرى واقعة عظيمة، ونهضة دينية عجيبة، والحسين عليه السلام رحمة الله الواسعة، وباب نجاة الأُمّة، ووسيلة الوسائل، والشفيع الذي لا يردّ، وباب الرحمة الذي لا يسدّ[1].

---

(١) وقد خدم عليه السلام الدين بنهضته المقدّسة، وأحيى التوحيد في العالم بتلك التضحية العظيمة، ولولا شهادته لم تقم للإسلام قائمة؛ فإنّ الأحقاد القديمة من بني أميّة وتلك الضغائن الخبيثة من تلك الشجرة الملعونة، نهضت على محو الدين الإسلامي الذي ظهر من أسرة عريقة بالمجد والشرف، أعني البيت الهاشمي البازغ منهم شمس الرسالة والنبوّة.

فلو أرخينا عنان القلم نحو الوجهة التاريخية وما كان للأمويين من النيّات الممقوتة في هدم الإسلام، لخرجنا عن الغرض المقصود في هذه الرسالة، وهي ترجمة الكلمات المترشحة من قلم سماحة الإمام دام ظلّه.

ولكن أستطيع أن أقول أيها القارىء العزيز على الإجمال: إنّ بني أمية سلكوا في سياستهم الغاشمة في هدم الإسلام ونسفه المسلك والشرعة التي علّمها لهم رئيسهم ورئيس المنافقين والزنادقة أبو سفيان، في تلقينه لهم تعاليمه الجاهليّة ونزعاته الأمويّة، حين ⇦

وإنّي أقول: إنّ حقّ الأمر وحقيقة هذه المسألة إنّما هو عند الله جلّ وعلا، ولكن هذه الأعمال والأفعال إن صدرت من المكلّف بطريق العشق الحسيني والمحبّة والوله لأبي عبدالله عليه السلام نحو الحقيقة والطريقة المستقيمة، وانبعثت من احتراق الفؤاد واشتعال نيران الأحزان في الأكباد بمصاب هذا المظلوم ريحانة الرسول صلى الله عليه وآله المصاب بتلك الرزيّة، بحيث تكون خالية ومبرّأة من جميع الشوائب والتظاهرات والأغراض النفسانيّة، فلا يبعد أن يكون جائزاً، بل يكون حينئذ من القربات وأجلّ العبادات.

وعلى هذا يُحمل ما صدر من الأعمال ونظائر هذه الأفعال من أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، مثل ما نقل عن العقيلة الكبرى والصديقة الصغرى زينب سلام الله عليها من «أنّها نطحت جبينها بمقدّم المحمل حتّى سال الدم من تحت قناعها»(١).

⇨

دخل على عثمان بعد أن ولي الخلافة وخاطبهم بكلامه المعلن بكفره ونفاقه وقال: «يا بني أميّة، تلقّفوها تلقّف الكرة، والذي يحلف به أبو سفيان مازلت أرجوها لكم، ولتصيرنّ إلى صبيانكم وراثة»..

وقال لعثمان: «أدرها كالكرة، واجعل أوتادها بني أميّة، فإنّما هو الملك، ولا أدري ما جنّة ولا نار».

وأتى قبر حمزة سيّد الشهداء(رضي الله عنه) فركله برجله، ثم قال: «يا حمزة، إنّ الأمر الذي كنت تقاتلنا عليه بالأمس قد ملكناه اليوم، وكنّا أحق به من تيم وعدي».

(١) البحار، للعلاّمة المجلسي: ج ١٠ / ٢٢٠، طبع أمين الضرب باختلاف يسير في العبارة [بحار الأنوار ٤٥: ١١٥ الباب التاسع والثلاثون] ويكفي في الاعتماد بهذا الخبر نقل المجلسي له عن بعض الكتب المعتبرة، ولهذا اعتمد سماحة شيخنا الإمام ـ دام ظلّه ـ

⇦



عليه أيضاً في المقام، فدع عنك ما يظهر من كلمات بعض من يدّعي التتبّع من المناقشة في هذا الخبر، فإنّها مناقشة واهية لا وجه لها سوى الاستبعاد المحض الذي لا يعبأ به بعد ما عرفت من كلام سماحة الإمام ـ دام ظلّه ـ الوجه في فعل الصديقة الصغرى زينب سلام الله عليها.

وزينب الكبرى هي عقيلة بني هاشم، وهي الصديقة الصغرى، عالمة أهل البيت عليهم السلام، وكريمة أميرالمؤمنين عليه السلام، وأمّها الصديقة الكبرى سيّدة نساء العالمين، وهي شريكة الحسين عليه السلام في إبادة كبرياء الظالمين وإطفاء نائرة سلطتهم الجائرة، ولولاها لانقرضت سلالة العترة الطاهرة، وهي وحيدة عصرها في الصبر والثبات وقوّة الإيمان والتقوى والعفاف، وفي الفصاحة كأنّها تفرغ عن لسان أميرالمؤمنين عليه السلام، وأوصى أخيه إليها بجملة من وصاياه، وأنابها السجاد عليه السلام نيابة خاصة في بيان الأحكام، وكان ما يخرج عن علي بن الحسين عليه السلام من علم ينسب إلى زينب عليها السلام تستراً على الإمام السجاد عليه السلام.

وذكرها علماء الرجال من الفريقين في كتبهم، وأفرد بعضهم في حقّها مؤلّفاً خاصّاً ككتاب «السيّدة زينب» وكتاب «زينب الكبرى» للعلامة النقدي(رحمه الله).

وكتاب «الطراز المذهب» بالفارسية لولد صاحب ناسخ التواريخ، وقد خلط مؤلّفه فيه الصحيح بالسقيم، ولا ينبغي الاعتماد عليه من غير تثبّت وتحقيق.

وصنّفت الدكتورة بنت الشاطىء كتاب «بطلة كربلاء زينب بنت الزهراء»، وهو عدد ١١ لسنة ١٣٧١ هـ من كتب الهلال التي هي سلسلة شهرية تصدر عن دار الهلال بالقاهرة.

وكتاب «زينب عقيلة بني هاشم».

وغير ذلك من المؤلّفات الخاصة في حقّ هذه العقيلة، التي هي في المُقدّمة بين الأتقياء المجاهدين والطيّبات والطيّبين من آل البيت النبوي الذين ضحّوا في سبيل الحقّ والعدالة وإصلاح زيغ البشرية، واحتملوا من المآسي ما كان له أثره الخالد ووقعه العظيم في التاريخ الإسلامي.



⇦

وفي مدفنها وتأريخ وفاتها آراء وأقوال شتى لم أهتدِ إلى تحقيقها والتحرّي الدقيق فيها كي تطمئن النفس بإحداها؛ لقلّة المصادر؛ ولأسباب أخرى. قيل: إنّها ولدت في حياة النبي صلى الله عليه وآله من غير ذكر سنة الولادة كما في الإصابة وغيرها.

وقيل: ولدت في الخامس من جمادى الأُولى في السنة الخامسة للهجرة، وهو الراجح في نظري.

وقيل: في السنة السادسة.

وقيل: في الرابعة.

وتوفّيت نحو سنة ٦٥ هـ كما ذهب إليه الزركلي في الأعلام: ج ١ / ص ٣٥١، وعمر رضا كحالة في أعلام النساء: ج ١ / ص ٥٠٨، وفي الأخير أنّها دفنت بمصر، وإليه ذهب جمع من علماء أهل السنة.

وذهب العلاّمة الشهرستاني في نهضة الحسين عليه السلام إلى أنها توفّيت في نصف رجب سنة ٦٥.

وقيل: إنها لم تمكث بعد أخيها إلاّ يسيراً، وتوفّيت بعد ورودها المدينة بثمانين يوماً، وأنّ قبرها بها، كما في تنقيح المقال: ج ٣ / فصل النساء ص ٨٠.

واستظهر صاحب كتاب أعيان الشيعة: ج ٣٣ / ص ٢٠٧ ـ ٢١٠ ط. بيروت أيضاً أن قبرها بالمدينة.

وقيل: إنّها توفّيت في النصف من رجب سنة ٦٢ هـ بمصر، كما ذهب إليه العبيدلي في رسالة «الزينبات» المنسوبة إليه.

وقيل: إنّها توفّيت في إحدى قرى الشام ودفنت بها، وهذا القول بعيد عن الصواب؛ فإنّ الألسن تلهج في سبب ذلك بحديث (حديث المجاعة ومجيء عبدالله بن جعفر مع زينب عليها السلام إلى الشام) لا أثر له في صفحات التاريخ والسير، وما ذكره العبيدلي من تاريخ وفاتها ومدفنها بمصر بعيد أيضاً للقرائن التي لا يسعنا المجال ولا المقام لذكرها، والحقّ أنّ لهذه السيّدة شباهة تامّة بأمها الصديقة الطاهرة عليها السلام في اختفاء قبرها ومدفنها، سلام الله عليهما.

ومثل ما ورد في زيارة الناحية المقدّسة في وصف مخدّرات أهل البيت سلام الله عليهم: «للشعور ناشرات وللخدود لاطمات»[١].

ولكن المعنى الذي أشرنا إليه لا يتيسّر لكل أحد، وليس شرعة لكلّ وارد، ولا مطمع لكلّ طامع، ولا يحصل بمحض الادّعاء والتخيّل؛ فإنّه مرتبة عالية ومحلّ رفيع، ومقام شامخ منيع، وأغلب الأشخاص الذين يرتكبون هذه الأُمور والكيفيّات لا يأتون بها إلّا من باب التظاهر والمراءات والتحامل والمداجات.

مع أنّ هذا المعنى بغير القصد الصحيح والنيّة الصادقة لا يخلو من إشكال، بل حرام، وحرمته تتضاعف لبعض الجهات والعوارض الحالية والطوارىء المقامية.

وأحسن الأعمال وأنزهها في ذكرى الحسين السبط صلوات الله عليه هو النياحة والندبة والبكاء لريحانة الرسول ﷺ والمظلوم الموتور، والسلام عليه والزيارة له، واللعن على أعدائه، والتبرّي من ظالميه والمشاركين في دمه وقاتليه، والراضين بقتله، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين، وأولاده الميامين المنتجبين»[٢].

ملاحظة:

يظهر أنّ عبارات هذا الكتاب «الفردوس الأعلى» تخالف ما ورد عن المؤلّف في رسالته عن الشعائر الحسينيّة المطبوعة مع «الآيات البيّنات»، فما

---

(١) المزار: ٥٠٥، زيارة أخرى في يوم عاشوراء خرج عن الناحية.

(٢) انظر: «قطعة من كتاب الفردوس الأعلى» المطبوعة ضمن هذه المجموعة ٤: ٣٨٣-٣٨٨.

هو الرأي الأخير للمؤلّف عن الشعائر الحسينيّة، خصوصاً ضرب الرؤوس بالسيوف؟ وقد أجبنا عن هذا التساؤل في كلامنا عن «الفردوس الأعلى» في عدة نقاط، فقلنا:

الأُولى: حَكَمَ المصنّف على بعض الشعائر الحسينيّة كلطم الصدور والضرب بالسلاسل والسيوف، بالمنع والتحريم بناءً على حرمة الإضرار وإيذاء النفس.

وحكم أيضاً بكونها جائزة إذا صدرت من المكلّف بطريق العشق الحسيني، وانبعثت من احتراق القلب واشتعال النيران في الأكباد بمصاب الحسين عليه السلام، بل تكون حينئذٍ من القربات وأجلّ العبادات.

ثمّ علّق على حكمه بقوله: ولكنّ هذا المعنى لا يتيسّر لكلّ أحدٍ، وأغلب الأشخاص الذين يرتكبون هذه الأمور والكيفيّات لا يأتون بها إلّا من باب التظاهر والمراءات والتحامل والمداجاة.

الثانيّة: الذي يظهر من كلامه في هذا الكتاب، أنّه يعارض ما ذهب إليه في كتابه الآخر «الآيات البيّنات» من جواز تلك الشعائر، بل جعله أمراً حسناً. فما هو الرأي الصحيح للشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء في هذه الشعائر؟ وأيّ كتاب مقدّم: «الآيات البينات» أو «الفردوس الأعلى»؟

ومن الواضح أنّ جوابه في المسائل القندهارية كان قبل سنة ١٣٣٩هـ وهي سنة طبعها، بينما كلامه في «المواكب الحسينيّة» المطبوعة مستقلاً ومع «الآيات البينات» كان سنة ١٣٤٥هـ فيقدّم ما في الأخيرة من جواز تلك الشعائر؛ لأنّها متأخّرة تاريخيّاً.

لكنّ يمكن الجواب على هذا الكلام بأنّ كتاب «الفردوس الأعلى» تُرجم إلى العربيّة وطبع سنة١٣٧١هـ بإجازة من المصنّف وبعد مراجعته له وتقريضه له أيضاً، وأنّه رحمه اللّه جعل «الفردوس الأعلى» و«جنّة المأوى» ختام مسك حياته، أي أنّه أقرّ ما ورد في «الفردوس».

وبهذا يكون الرأي الأخير له رحمه اللّه هو ما في «الفردوس» من حرمة تلك الشعائر.

الثالثة: ذهب المصنّف رحمه اللّه إلى أنّ أحسن الأعمال وأنزهها في ذكرى الحسين عليه‌السلام هو النياحة والندبة والبكاء عليه والزيارة له، واللعن على أعدائه، والتبري من ظالميه والمشاركين في دمه وقاتليه والراضين بقتله.

(٩) قال الشيخ عبدالرضا كاشف الغطاء (ت ١٣٨٧هـ) في كتابه «الأنوار الحسينّية»:

«وبالجملة: إنّ أولئك المدمين لرؤوسهم والضاربين على ظهورهم، والمدمين باللطم صدورهم، لايعترفون بدخول الضرر عليهم من قبل ذلك الإدماء وغيره، فلا وجه للإنكار عليهم بعمل لا يكون ضرراً بالقياس إليهم، ولو قدّر أنّ فيهم مَن يتضرّر بإدماء رأسه وظهره وصدره، أختصّت الحرمة به دون غيره»[١].

(١٠) قال الشيخ عبدالحسين صادق العاملي (ت ١٣٦١هـ) في رسالته «سليماء الصلحاء»، ردّاً على المستشكلين على ضرب الرؤوس بالسيوف:

---

(١) الأنوار الحسينيّة والشعائر الإسلاميّة (المطبوعة ضمن هذه المجموعة)٣:٣٥٣.

«قالوا: ما بال شرذمة من الشيعة يحيق بها السفه ويستخفّها الحمق، فتلبس يوم عاشوراء ثياباً بيضاء غير مخيطة بزي قمصان الأكفان، وتخرج متكاتفة جائلة بالشوارع، ومن مكان زعيم إلى مثله، بأيديها المدى[1] الماضية، والسيوف المشحوذة[2]، تضرب بها رؤوسها المكشوفة، ذلك الضرب المبرح، وتنبعث دماؤها كالشآبيب[3]، فما يأتي على أبعاضها بضعُ دقائق حتّى تستولي عليها سورة الإغماء من نزيف الدم والتهاب الجراح، فتحمل لمستشفيات أعدّت لها كما تنقل الموتى إلى مقابرها، ومنهم من يُقضى عليه ومنهم من لا تندمل جراحته حتّى حين، وهو يعاني ما يعانيه من مضاضة الألم، ومعالجة الجراحة.

أليس هذا العمل مضاداً للفطرة الإنسانية، مخالفاً للعقل والدين الإسلامي الذي لم يجعل اللّه فيه من حرج ولا ضرر؟!

أليس إبراز هذا العمل أمام الملأ العام بصبغة أنّه من شعائر الدين الأحمدي الحنيف يستوجب التنديد على الإسلام والمسلمين والطعن عليهم بسخافة مذهبهم، وذمامة ديانتهم وطيش عقولهم؟!

أقول: ما الذي نقموه على هذه الفئة، وسفّهوا لأجله أحلامها، أخرجوها به عن دائرة الإنسانية؟!

---

(١) المُدية: الشفرة، والجمع المُدى. كتاب العين ٨: ٨٨، «مدي»

(٢) الشحذ: التحديد، شحذت السكين أشحذه شحذاً فهو شحيذ ومشحوذ. كتاب العين ٣: ٩١، «شحذ».

(٣) الشؤبوب: الدفعة من المطر وغيره، والجمع الشآبيب. الصحاح ١: ١٥٠، «شأب».

ألبسها لباس الموتى؟ فهذا عمل غير معيب عقلاً، وهو مشروع ديناً في إحرام الحجّ، ومندوب في كلّ آنٍ تذكرةً للآخرة، وتأهّباً للموت، وكفى واعظاً[١]، ومن الغرور بالدنيا محذّراً ومنذراً.

أكشفها عن رؤوسها؟ وهذا أيضاً مستحسن طبّاً مشروع بالإحرام ديناً[٢].

أم بضعها[٣] أرؤسها بآلة جارحة، وهذا أيضاً مسنون شرعاً، إذ هو ضرب من الحجامة[٤].

والحجامة تلحقها الأحكام الخمسة التكليفية: مباحة بالأصل[٥]، والراجح منها مستحب[٦]، والمرجوح مكروه[٧]، والمضرّ محرّم، والحافظ للصحّة واجب.

---

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام: وكفى بالموت واعظاً. الكافي ٢: ٢٧٥، حديث٢٨، باب الذنوب.

(٢) حيث يجب على المحرم كشف رأسه، بل عدم التظليل.

(٣) بضع الشيء يبضعه: شقّه. لسان العرب ٨: ١٣، «بضع».

(٤) وتسمّى المغيثة أو المنقذة. وسائل الشيعة ١٧: ١١٤، حديث٢٢١٢١.

(٥) والدليل عليه من الكتاب قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً**﴾البقرة ٢: ٢٩، وقوله تعالى: ﴿**كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً**﴾ البقرة (٢): ١٦٨، ومن السنّة كقول الصادق عليه السلام : «كلّ شيء هو لك حلال حتّى تعلم أنّه حرام بعينه» الكافي ٥: ٣١٣، حديث٤٠، باب النوادر.

(٦) كما لو أجريت الحجامة في أوقات معينة كالاثنين وبآداب خاصّة، راجع وسائل الشيعة ١٧: ١١٢، باب استحباب الحجامة ووقتها وآدابها.

(٧) وسائل الشيعة ١٧: ١٠٨، باب كراهة الحجامة يوم الثلاثاء والأربعاء والجمعة عند الزوال.

فقد تمسّ الحاجة إلى عملية جراحية تفضي إلى بتر عضو أو أعضاء رئيسية حفظاً لبقية البدن، وسدّاً لرمق الحياة الدنيوية، والحياة الدنيا بأسرها وشيكة الزوال والاضمحلال، أتباح هذه الجراحة الخطرة لأجل فائدة ما دنيوية ولا تباح جراحة ما في إهاب[1] الرأس لأعظمها فائدة، وأجلّها سعادة أخروية وحياة أبدية، وفوز بمرافقة الأبرار في جنة الخلد؟!

لا يقال: إنّ السعادة والفوز غداً لا يترتّبان على عمل ضرري غير مجعول في دين اللّه.

لأنّا نقول: أوّلاً: غير المشروع في الإسلام من الأمور الضررية هو ما خرج عن وسع المكلّف ونطاق طاقته، لقبح التكليف حينئذٍ بغير مقدور، أمّا ما كان مقدوراً فلم يقم برهان عقلي ولا نقلي على منع جعله.

ثانياً: وكونه شاقّاً ومؤذياً لا ينهض دليلاً على عدم جعله؛ إذ التكاليف كلّها مشتقّة من «الكلفة» وهي المشقّة[2]، وبعضها أشدّ من بعض، وأفضلها أحمزها[3]، وعلى قدر نشاط المرء تكليفه، وبزنة رياضة المرء نفسه وقوّة صبره وعظمة معرفته يكلّف بالأشقّ فالأشقّ؛ زيادة للأجر، وعلوّاً للرتبة، ومزيداً للكرامة.

ومن هاهنا كانت تكاليف الأنبياء أشقّ من غيرها، ثمّ الأوصياء، ثمّ الأمثل فالأمثل، وفي الخبر أنّ «عظيم البلاء يكافأ به عظيم الجزاء»[4].

---

(١) الإهاب: الجلد. كتاب العين ٤: ٩٩، «أهب».

(٢) كلّفه تكليفاً، أي: أمره بما يشقّ عليه. الصحاح ٤: ١٤٢٤، «كلف».

(٣) النهاية في غريب الحديث ١: ٤٤٠، «حمز»، بحار الأنوار ٦٧: ١٩١.

(٤) الكافي ٢: ٢٥٣، حديث٨، باب شدّة ابتلاء المؤمن.

وفـي آخـر أنّ «أشـدّ النـاس بـلاءً الأنبيـاء، ثـمّ الأوصـياء، ثـمّ الأمثـل فالأمثل من المؤمنين وعباد اللّه لصالحين»[١].

وهكذا إلى الطبقة السفلى وهي طبقة المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يجدون حيلة ولا يهتدون سبيلاً[٢]، فهم أخفّ تكليفاً مـن سائر الطبقات.

ولو كان الشاقّ مـن الأعمـال علـى الـنفس ــ وإن كـان داخـلاً تحـت القدرة والطوق[٣] ــ غير مشروع ما فعلته الأنبياء والأولياء.

ألم يقم النبيّ صلى الله عليه وآله للصلاة حتّى تورّمت قدماه وعاتبه اللّـه علـى ذلـك عتاب حنان عليه ورأفة به، فقال تعالى: «**طه * مَـا أَنزَلْنَـا عَلَيْـكَ الْقُـرْآنَ لِتَشْقَى**»[٤]؟!

ألم يضع حجر المجاعة على بطنه أسوة بأفقر أمّته وأعدمها مع اقتداره على الشبع[٥]؟!

ألم تحجّ الأئمّة بعده مشاة حتّى تورّمت أقدامهم مع تمكّنهم مـن الركوب[٦]؟!

---

(١) انظر: الكافي ٢: ٢٥٢، حديث ١ و٢ و٤، ٢، ٢٥٩، حديث٢٩، باب شدّة ابتلاء المؤمن.

(٢) إشارة إلى الآية ٩٧ من سورة النساء.

(٣) الطوق: الطاقة. الصحاح ٤: ١٥١٩، «طوق».

(٤) طه ٢٠: ١ ـ٢.

(٥) الأمالي للصدوق: ٧٣٣، حديث١٠٠٤.

(٦) الكافي ١: ٤٦١، حديث١، باب مولد الحسين بن علي عليه السلام، الإرشاد في معرفة حجج اللّه على العباد ٢: ١٤٤.

ألم يتخذ علي بن الحسين عليه السلام البكاء على أبيه دأباً، والامتناع من تناول الغذاء من الطعام والشراب حتّى يمزجها بدموع عينيه[١]، هذا ويغمى عليه في كلّ يوم مرة أو مرتين من فرط الكآبة والحزن؟!

أيجوز للنبي صلى الله عليه وآله وآله إدخال المشقّة على أنفسهم طمعاً بمزيد الثواب، ولا يجوز لغيرهم مع أنّهم هم القدوة للمسلمين وبهم للمؤمنين أسوة؟!

أيباح لزين العابدين أن يُنزل بنفسه ما يُنزله من الآلام تأثّراً وانفعالاً من مصيبة أبيه ـ مع كونه أصبر الصابرين ـ ولا يباح لوليّه أن يُؤلم نفسه لمصيبة إمامه ورزيته الفظيعة؟!

أينفض العبّاس الماء من يده وهو على ما هو عليه من شدّة الظمأ تأسياً بعطش أخيه الحسين[٢] ـ والعبّاس خير ولد لأبيه بعد الإمامين الحسنين ـ ولا نقتصّ أثره؟!

أيُقرح الرضا جفون عينيه من البكاء[٣] ـ والعين أعظم جارحة نفيسة ـ ولا نتأسّى به، فنقرّح على الأقل صدورنا ونجرح بعض رؤوسنا، أسوة به وبآبائه؟!

أتبكي السماء والأرض تلك بالحمرة وتلك بالدم العبيط ـ حسبما استفاضت بذلك الأخبار ـ[٤] استعظاماً واستكباراً للرزية، ولا يبكي الشيعي

---

(١) الخصال: ٢٧٣، حديث١٥، باب الخمسة و٥١٨، حديث٤، أبواب العشرين وما فوقه.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ١٧٩، بحار الأنوار ٤٥: ٤١.

(٣) الأمالي للصدوق: ١٩٠، حديث١٩٩

(٤) تاريخ مدينة دمشق ١٤: ٢٣٠، سير أعلام النبلاء ٣: ٣١٢، تهذيب التهذيب ٢: ٣٠٥.

بالدم المهراق من جميع أعضائه وجوارحه تأسّفاً وتحيّفاً وإجلالاً للخطب واستنكاراً لأمره؟!

ولعل الإذن من اللّه لسمائه وأرضه أن تنزف على الحسين دماً يُشعر بترخيص الإنسان الشاعر لتلك المصيبة الراتبة أن ينزف من دمه ما استطاع نزفه إجلالاً وإعظاماً.

وهب أنّه لا دليل على الندب فلا دليل على الحرمة، فيبقى العمل مباحاً لحكم الأصل العملي[1] وفاعل المباح لم يكن فاعلاً قبيحاً، مع أنّ الشيعي الجارح نفسه لا يعتقد بذلك الضرر، ومن كان بهذه المثابة من العقيدة لا يُلزم بالمنع من الجرح وإن حصل له منه الضرر اتّفاقاً كالذي يصوم معتقداً عدم الضرر فتضرر.

ودعوى أنّ الأغيار تندد على الإسلام بهذا العمل فهي دعوى مستطرفة، فإنّ غير المسلمين يستقبحون تعفير الجبين بالرغام[2] في سجود الصلاة، ويستقبحون أن تعلو أُستاهُهم[3] رؤوسهم فيها[4]، ويستقبحون

(١) الأصل العملي هو ما يرجع إليه لتحديد الوظيفة العملية عند فقد الدليل الشرعي المحرز الأعم من القطعي والظني المعتبر.

(٢) الرغام، بالفتح: التراب. الصحاح ٥: ١٩٣٤، «رغم».

(٣) الاست: العجز، وقد يراد به حلقة الدبر. الصحاح ٦: ٢٢٣٣، «سته». والمراد أنّهم يستقبحون السجود.

(٤) في الصلاة.

الطواف حول البيت، والهرولة بالسعي وكشف الرؤوس وظاهر الأقدام في الإحرام، وحرمة إزالة الهوام عن أبدانهم، وغير ذلك من الأعمال المشروعة في دين الإسلام، أفنرفع اليد عنها ألأنّ الأغيار تشمئز منها؟!

ومن المعلوم أنّ كلّ أمّة مغايرة لأمّة ثانية في دينها، لا ترى أعمالها المغايرة لأعمالها بحسنة قط؛ لكونها لا تمدّ لها إلّا طرف المقت والكره، والكاره لا يرى إلّا المساوئ، كما أنّ الراضي لا يرى إلّا المحاسن:

فعين الرضى عن كلّ عيب كليلة   كما أنّ عين السخط تبدي المساويا[1]

ولو نظرت الأغيار بعين البصيرة غير متجافية ولا متجانفة ولا عاصبة رأسها بعقيدتها إلى من يجرحون رؤوسهم بخناجرهم حماساً وتلهّفاً على حرمانهم نصرة إمامهم المستوجب النصرة والإطاعة، وتأثّراً وانفعالاً من عظيم رزئه، لما نبست ببنت شفة ملاماً وتفنيداً، ولرضخت لقبول معذرتهم، واستحسنت مُثلى طريقتهم، الدالة على أنّها بمكان عليّ، تُشكر وتُحمد عليه، لا تُهجى ولا تُذم.

ولعلّ إمساك النكير من علماء الشيعة عن هذه الفئة التي شعار حزنها على الإمام الشهيد تبضيع[2] رؤوسها، وإهراق دمائها، إمّا لأنّهم يرون أعمالها مستحبة تعظيماً لشعائر الدين الذي هو من تقوى القلوب[3]، أو لم يقم عندهم

---

(١) أنساب الأشراف: ٦٣، تاريخ مدينة دمشق ٣٣: ٢١٩، رقم٣٥٨١، والشعر لعبد اللّه الطالبي ابن معاوية بن عبد اللّه ابن جعفر بن أبي طالب، المتوفّى سنة١٢٩هـ

(٢) بضع الشيء يبضعه: شقّه. لسان العرب ٨: ١٣، «بضع».

(٣) إشارة إلى الآية ٣٢ من سورة الحج: ﴿**ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾.

دليل على حرمتها، وإلّا لما أمسكوا النكير وهو النهي عن المنكر الواجب على كلّ مقتدر عليه ومؤثّرٍ نهيُه فيه، وكثير من أولئك العلماء الأعلام مُقلّد عام، تنقاد لفتواه العوام، مثل أستاذنا العلاّمة الشيرازي الشهير[١] الذي بمجرد أن حرّم على الفُرس شرب الدخان عمّ الامتناع جميع مملكة إيران، فسكوته كغيره من الأساطين المُقلّدين يُعدّ منهم إجماع سكوتي[٢] كاشف عن رضى المعصوم.

على أنّ جلّ أساطين علمائنا المتأخرين كشيخ الطائفة الشيخ جعفر في (كشف الغطاء)[٣] والميرزا القمي في كتابه (جامع الشتات)[٤] والحجّة الكبرى الشيخ مرتضى الأنصاري في رسالته (سرور العباد)[٥] والفقيه المتبحر الشيخ زين العابدين الحائري في كتابه (ذخيرة المعاد)[٦] والعالم الناسك المتورّع الشيخ خضر شلاّل في كتابه (أبواب الجنان)[٧] وحجّة الإسلام الميرزا حسين

---

(١) هو السيّد محمّد حسن بن محمود بن محمّد الحسيني الشيرازي، ولد في شيراز عام ١٢٣٠هـ وتوفّي سنة ١٣١٢هـ في سامراء ودفن في النجف الأشرف.

(٢) الإجماع السكوتي: هو سكوت العلماء على فعل محظور أو ترك واجب وقع أو فتوى صدرت، وفي حجّيته كلامٌ واسع.

(٣) كشف الغطاء ١: ٢٧٠، المقصد الثاني في القواعد المشتركة بين المطالب الفقهية، المطلب الثالث.

(٤) جامع الشتات ٢: ٧٥٠.

(٥) سرور العباد: ٣٤.

(٦) ذخيرة المعاد: ٣٦٨.

(٧) أبواب الجنان، الفصل الرابع من القسم السادس.

النائيني في أجوبته لأهل البصرة، وجميع علمائنا المعاصرين على ذلك[١] خلا بصرياً[٢] وعاملياً[٣] خالفا الأئمّة وعلماء الأمّة، فنسأل اللّه الهداية لنا ولهم إلى سواء السبيل والحقّ المبين إنّه أرحم الراحمين».

(١١) قال الشيخ عبدالله السُبيتي العاملي (ت ١٣٩٧هـ) في رسالته «رنّة الأسى»: «يا سبحان الله! أيعدُّ إدماء الرؤوس، وضرب الظهور، ولدم الصدر على سيّد الشهداء عليه السلام لإحياء الدين، وإعلاء كلمة المسملين، من إيذا النفس المحرّم؟!

ويعدّ ركوب البحار، والتقحّم في الأهوال والأخطار، والسعي وراء جمع المال، ولأجل عرض الحياة الدنيا من الراحة المباحة؟! إنّ هذا شيء عجاب.

ما أدري ـ وليتني دريت ـ أي ضرر يحصل من إدماء الرؤوس، وضرب الظهور، ولدم الصدور؟! أو أيّ إيذاء يتحمّله أُولئك الضاربون؟!

وليتني أطّلع على الغيب، فأعلم أيّ ضرر هو حرام: الضرر الذي يراه الأستاذ ولفيفه، أو الضرر الذي يراه أولئك الضاربون؟!

دونك حضرة الأُستاذ فاستحفّ السؤال، واستخبر الحال من أُولئك الضاربين، فهل ترى من مدّع للضرر أو محتمل له؟

---

(١) أي: على السكوت عن هذه الفئة.

(٢) هو السيّد مهدي ـ محمّد مهدي ـ الموسوي القزويني البصري ت١٣٨٥هـ صاحب رسالة «صولة الحقّ على جولة الباطل» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة)٢:١٦٥.

(٣) هو السيّد محسن الأمين العاملي ت١٣٧١هـ صاحب رسالة «التنزيه لأعمال الشبيه» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥:٧.

كلاّ وألف كلاّ، لاتجد منهم إلّا من يدّعي النفع، ويحسّ النشاط، وتلك دعوى مَنْ خامر قلبه حبّ الحسين عليه السلام وذاق حلاوته.

ولذلك تراهم في كلّ سنة يهرعون زرافات ووحداناً لعملهم هذا، من دون دعوة حاكم أو تلبية أمير، وإنّما يلبّون دعوة ذلك البطل المجاهد، الذابّ عن دين جدّه والحامي للحقيقة، فيمثّلون للملأ البسالة الحسينيّة والشجاعة الحيدريّة، ويلقون بتكاتفهم هذا وتلازمهم على الأُمة درس المفادات في سبيل استخلاصها من أيدي الطغاة، ويظهرون بعملهم الشريف فظائع الأمويين في عترة الرسول صلى الله عليه وآله وتمثيلهم بفلذة كبد الزهراء البتول.

أجل لو أمعنّا النظر في هذه المظاهر الشريفة، وأعطينا البحث حقّه فيها، لأوقفنا السير على أسرار عظيمة، يرمي إليها أولئك الضاربون من وراء تلك المظاهرات وتشفّ عنها تلك التمثيلات، لاتقلّ عن أسرار شهادة الحسين عليه السلام، لا كما يظنّ من لا خبرة له من ذوي الأنظار السطحيّة، أنّه ليس المراد من هذه التمثيلات إلّا مجرد إيلام النفس و إدماء الرأس، وقد تنبّه لذلك فلاسفة الغرب».[1]

ونقل الشيخ عبدالله السُبيتي في مكان آخر في رسالته هذه، قولَ الشيخ عبدالكريم الحائري (ت١٣٥٥هـ) قائلاً:

«وأمّا ضرب القامات، فإن كان لايضرّ بحال فاعله فلا بأس به، فليس لأحدٍ أن ينهى عن ذلك» [2].

---

(١) رنّة الأسى (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥:١٣٥.

(٢) رنّه الأسى (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥:٢١٣.

ونقل فيها أيضاً قول الشيخ محمّد حسين الأصفهاني النجفي (ت ١٣٦٢هـ):

«ليس في شيء من تلك الأعمال المعمولة في المواكب العزائيّة دليل قويّ على حرمته، حتّى الضرب بالقامات، مالم يؤدّ إلى تلف النفس وشبهه، كما هو دأب العارفين به، فالأقوى جوازها جميعاً، بل رجحانها في سبيل تعزية سيّد الشهداء أرواحنا له الفداء»[(١)].

(١٢) قال الشيخ محمّد الگنجي (ت ١٣٦٠هـ تقريباً) في رسالته «كشف التمويه عن رسالة التنزيه»:

«قال الشهيد في القواعد ص ١٠٣: «قاعدة نهي الإنسان عن جرح نفسه وإتلافها، ويكفي في التحريم عدم علم إباحة الجرح وإشكال جوازه، فمن ثمّ قيل: لا يختن الخنثى، لأنّه جرح مع الإشكال، فلا يكون مباحاً» إلى آخره[(٢)].

وقال العلاّمة الكبير السيّد محمّد الحسيني[(٣)] في حاشيته على هذه العبارة:

«وذلك لأنّ الجرح من جملة الأذى، وهو محرّم، خرج منه ما خرج ختان الرجل وفصد المحتاج إلى إخراج الدم وبقي الباقي تحت العموم».

---

(١) رنّه الأسى (المطبوعة ضمن هذه المجموعة)٥: ٢١٦.

(٢) القواعد والفوائد ١: ٢٣١.

(٣) السيّد محمّد ابن السيّد محمود الحسيني اللواساني الطهراني، توفّي في المشهد الرضوي ١٣٥٦ هـ وكان يتخلّص بـ «عصار»، وله حاشية على القواعد والفوائد للشهيد الأوّل، طبعت مع القواعد في إيران سنة ١٣٠٨ هـ

الذريعة ٣: ٧٢٤ و ج ١٧: ١٩٣.

وهنا نذكر لك بعض فتاوى العلماء في هذا الباب: فمنها فتوى حجّة الإسلام السيّد محمّد كاظم اليزديقدّس سرّه في غاية القصوى ص ٦٩، قال ما نصّه بالفارسيّة:

«مسأله ٥٥: در تعزيه‌دار حضرت سيّد الشهداء أرواحنا فداه شخصى زخمى مثل تيغ وغيره برخود بزند جايز است يانه؟

وعلى التقديرين اگر شخصى بربدن ديگرى چه بالغ باشد و چه غير بالغ، چه مميّز و چه غير مميّز، زخمى زند، باذن خودش اگر خودش اگر بالغ باشد، وباذن ابويش اگر غير بالغ باشد، چه حكم دارد وضعا و تكليفا نسبت بزنند وزده شده و اذن دهنده؟

وعلى تقدير جواز اگر كسى در جميع صور متقدّمه اين افعال را بقصد مشروعيت و بعنوان عبادت بجا اورد چه حكم دارد؟

وريا در تعزيه حضرت حسينعليه السلام حرام و مبطل عمل است يا نه؟

و بر تقدير جواز در جميع شقوق سابقه مقتضاى احتياط فعل اين عمل است يا ترك؟

جواب: تعزيه‌دارى حضرت سيّد الشهداء ارواحنا فداه بايد بنحوى باشد كه از خود أئمّه هدى صلوات اللّه عليهم رسيده، وبمثل زخم زدن اذن از ايشان نرسيده است، و سابقين از علماء رضوان اللّه عليهم هم رخصت نداده بدهد مگر در مقام علاج اوجاع، و بر فرض زدن ديه ثابت نيست چون عمد است، و در عمد قصاص است نه ديّه، و ثبوت قصاص هم چون باذن بوده معلوم نيست، مگر در غير بالغ كه اذن او مؤثّر نيست،

و اذن ولى هم ثمر ندارد، پس از براى غير بالغ حق القصاص ثابت است، و اتيان باعمال مذكورة بقصد مشروعيت و بعنوان عبادت تشريع است، و رياء حرام است در جميع عبادات».[١]

وتعريبها: «المسألة ٥٥: في تعزية سيّد الشهداء أرواحنا فداه لو جرح شخص نفسه بالسيف وبغيره، هل يجوز له ذلك أم لا؟

وعلى التقديرين لو أنّ شخصاً يجرح بدن غيره، سواء كان بالغاً أو غير بالغ، مميّزاً أو غير مميّز، بإذن منه إن كان بالغاً، وبإذن أبويه إن كان غير بالغ، فما حكمه وضعاً وتكليفاً بالنسبة للجارح وللمجروح وللمرخّص؟

وعلى تقدير الجواز إذا كان أحد في جميع الصور المتقدّمة يقصد المشروعيّة في هذه الأفعال ويأتي بها بعنوان العبادة، فما حكمه؟

والرياء في تعزية سيّد الشهداء حرام ومبطل للعمل أم لا؟

وعلى تقدير الجواز في جميع الشقوق السابقة فبمقتضى الاحتياط فعل هذا العمل أم تركه؟

الجواب: تعزية سيّد الشهداء أرواحنا فداه لابدّ وأن تكون بنحو وارد من أئمّة الهدى صلوات اللّه عليهم، وبمثل الجرح ما وردت الرخصة منهم، والسابقون من العلماء رضوان اللّه عليهم أيضاً لم يرخّصوا، ولم يجوّزوا جرح بدن الغير وإن أذن المجروح للجارح، إلّا في مقام علاج الأوجاع،

(١) الغاية القصوى ٢: ٣٢٨.

وعلى فرض الجرح لا تثبت الديّة، لأنّه عمد، وفي العمد القصاص لا الدية. وثبوت القصاص إلّا بالإذن ليس معلوماً إلّا في غير البالغ، لكون عدم تأثير الإذن منه. وإذن الولي لا ثمرة فيه، فلغير البالغ حقّ القصاص ثابت، والإتيان بالأعمال المذكورة بقصد المشروعيّة وبعنوان العبادة تشريع، والرياء حرام في جميع العبادات[1].

(١٣) استدلّ المانعون للتطبير بعدّة أدلّة، منها: إيذاء النفس وإدخال الضرر عليها، وقاعدة العسر والحرج.

وقد أجاب عن هذا الاستدلال بعض الأعلام في رسائلهم المطبوعة ضمن هذه المجموعة، ونحن نكتفي بما قاله الشيخ عبدالحسين قاسم الحلّي (ت ١٣٧٥هـ) في رسالته «النقد النزيه لرسالة التنزيه» إذ قال:

الثالث

إيذاء النفس وإدخال الضرر عليها

قال ص٣: «وكثيراً ما يؤدي ذلك إلى الإغماء بنزف الدم الكثير، وإلى المرض، أو الموت، وطول برء الجرح[2] وبضرب الظهور بسلاسل الحديد، وغير ذلك.

---

(١) كشف التمويه عن رسالة التنزيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٦:٣٠١.

(٢) دعوى وقوع الإغماء والمرض والموت وبطء البرء فريّة بلا مريّة، نعم قد يتحقّق نزف الدم بلا ضرر، لكن نزف الدم نفسه عند الكاتب ضرر.

وتحريم ذلك ثابت بالعقل، والنقل، وما هو معلوم من سهولة الشريعة وسماحتها الذي تمدّح به رسول اللّهﷺ بقوله: «أتيتكم بالشريعة السمحة السهلة»(١)، ومن رفع الحرج والمشقّة في الدين بقوله تعالى: ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾(٢).

النقد: إضرار النفس شيء، وحملها على الأمر الشاقّ شيء آخر، لا دخل على رأي الكاتب لأحدهما بالآخر موضوعاً وحكماً، كما يفهم ممّا ذكره في ص١٧ وص١٨ من رسالته، وقد صرّح في الموضعين بأنّ الكلفة إذا بلغت حدّ العسر والحرج أسقطت التكليف، وإذا بلغت حدّ الضرر أوجبت حرمة الفعل.

---

(١) هذا اللفظ ما أظنّ وروده في حديث، والذي ذكره العلاّمة بحر العلوم والفاضل النراقي [عوائد الأيام: ١٨١] والمحقّق الآشتياني هكذا: «بعثت بالحنيفيّة السهلة السمحة».

وفي قواعد شيخنا الشهيد [١: ١٢٤] تقديم «السمحة» على «السهلة»، وأظنّ الكاتب نقله بالمعنى.

[في الكافي ٥: ٤٩٤ باب: كراهية الرهبانية وترك الباه، الحديث الأوّل: «بعثني بالحنيفيّة السهلة السمحة».

[وفي مسند أحمد بن حنبل ٥: ٢٦٦، وتفسير القرطبي ١٩: ٣٩، والطبقات الكبرى ١: ١٩٢ «بعثت بالحنيفيّة السمحة»].

(٢) الحج ٢٢: ٧٨.

وانظر: رسالة التنزيه لأعمال الشبيه(المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥:١٤.

ولذلك فإنّي أُطارحه الكلام في مقامين ـ العسر والضرر ـ وبالرغم على ما أخذته على نفسي من الاختصار وابتذال التعبير، لا أشك أنّي قد أخرج عن الشرط؛ لأنّ الكاتب ـ سامحه اللّه ـ قد خلط في الاستدلال بين دليلي القاعدتين اللذين يعترف بتغايرهما حكماً وموضوعاً، وخبط في كلّ واحدة منهما بما لم يعهد من أحد قبله.

العسر والحرج

الكلام في باب العسر والحرج في أمرين:

الأوّل: في أنّهما أوجبا وقوع التخفيف في أصل شرعيّة الأحكام، بمعنى أنّ ما ثبت في الشرع من تكليف لا حرج فيه ولا عسر، وهذا المعنى إن ثبت في نفسه[1] كما هو مقتضى قوله صلّى اللّه عليه وآله: «بعثت بالحنيفية السهلة السمحة» وغيره، لا ينفع في مقام الاستدلال على رفع الأحكام المشروعة الثابتة إذا عرض العسر عليها من باب الاتفاق، على ما يحاوله الكاتب في مواضع من رسالته[2].

(١) هذا إشارة إلى وجود التكاليف الشاقّة في الشريعة كالجهاد والحجّ في حقّ البعيد، وتمكين النفس من الحدود والقصاص والتعزيرات، ومجاهدة النفس بترك الأخلاق الرديّة المرتكزة فيها، والصبر على المصائب والبلايا العظيمة، ونذر الأمور المتعسّرة كالمشي إلى بيت اللّه الحرام، وصوم الدّهر عدا العيدين، وإحياء الليالي على ما عليه جماعة من انعقاده، والحجّ متسكّعاً لمن زالت استطاعته بالتقصير بعد استقراره عليه، وغير ذلك.

(٢) منها ما في ص٢٠ من عدم وجوب الوضوء عند خشونة الجلد وتشقّقه من استعمال الماء. ومنها في ص١٧ من الحكم بسقوط المباشرة عمّن يعسر عليه الركوب للحجّ، وعدم ⇦

الثاني: في أنّ العسر والحرج يوجبان الحكم بالتخفيف لوطرأ العسر والضيق على تكليف من التكاليف التي هي في نفسها وفي أصل شرعيّتها لا عسر فيها، كما هو مقتضى قوله تعالى:﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾[(١)] و﴿**يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾[(٢)].

وهذا هو الذي ينفع في مقام الاستدلال، وباعتباره حكموا بسقوط وجوب مباشرة أفعال الحجّ عمن يكون عليه عسر وحرج في الركوب، والغسل بالماء البارد عمّن يؤذيه أو يوجب مرضه أو بطئه، وأمثال ذلك كثير في أبواب العبادات من كتب الفقه.

وسواء أراد الكاتب أنّ بعض الشعائر الحسينيّة فيه عسر، فلا يكون ممّا له حكم شرعي مجعول في المذهب من أصله، أو أراد أنّ حكمه الثابت له ولو لطروء عنوان كونه إبكاء أو جزعاً أو حزناً أو إسعاداً أو غير ذلك مرفوعاً؛ لعروض العسر عليه، فيردّ بوجوه نذكر المهم منها:

الأوّل: أنّ قاعدة العسر والحرج بمعنييها السالفين مختصّة ـ على ما

⇨

وجوب الغسل على من يؤذيه استعمال الماء. [انظر: رسالة التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٦٤و٧٤].

(١) الحج ٢٢: ٧٨.

[انظر: رسالة التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥:١٤].

(٢) البقرة ٢: ١٨٥.

صرّح به كثير ـ بالإلزاميات، لا تشمل غيرها، والظاهر أنّ فقهاءنا لا يختلفون في ذلك، ولذلك جزموا بشرعيّة العبادات الشاقّة المستحبّة وصحّتها كصوم الدهر غير العيدين، وإحياء الليالي بالعبادة في تمام العمر إذا لم يوجب ضرراً، والحجّ متسكّعاً لمن ليس عليه فرض الحجّ.

والوجه في ذلك أمور:

أحدها: أنّ رفع الحكم الحرجي إنّما هو للامتنان، ولا منّة في رفع المندوبات والسنن، بل المنّة في ثبوتها.

ثانيها: أنّه لا يعقل تحقّق الحرج مع الترخيص في الترك؛ لأنّ الحرج إنّما يكون من قبل الحكم لا من قبل متعلّقه مهما كان بذاته شاقاً، ولذلك لا تجري القاعدة في الواجب المخيّر إذا تجرّد بعض آحاده عن الحرج[(١)].

الثالث: أنّ الظاهر من أدلّة الحرج عدم كون جعل الشارع سبباً قريباً لإلقاء المكلّف في الحرج، بحيث يستند وقوعه فيه إلى جعله، وهذا إنّما يكون في الإلزاميات فقط، دون ما رخّص الشارع في تركه[(٢)].

رابعاً: أنّ المتتبع للتكاليف أدنى تتبع يعلم أنّ التكاليف بغير الإلزامية، مع كونها أكثر من الإلزاميات أضعافاً مضاعفة، هي أشقّ منها بمراتب، كالصوم ندباً في الصيف، وإحياء الليالي الطوال بالعبادة، وطيّ الوقت

---

(١) هذا الوجه ذكره في الفصول.

(٢) هذا الوجه ذكره المحقّق الآشتياني.

بالجوع، وصلاة ألف ركعة في كلّ يوم وليلة، والوقوف مائلاً بمقدار أن يقرأ ألف سورة ولو مثل التوحيد في ركعة واحدة، والسجود على حجارة خشنة من الفجر إلى ما بعد طلوع الشمس مثلاً، وشبه ذلك من الأمور الشاقّة التي يعلم كلّ من مارس الأدلّة وكيفيّة الاستدلال أنّ شرعيّتها لا تنافي سهولة الشريعة وعدم الحرج فيها؛ لحصول السهولة والخروج عن الضيق بتركها واختيار ما هو أسهل منها وإن لم يلزم ذلك.

والحاصل: أنّ نفس كون المندوبات عسرة بذاتها أو بكثرتها(١) يدلّ على اختصاص القاعدة بالواجبات والمحرّمات، فيسقط قول الكاتب من أصله.

ولو أنّ فقيهاً أجرى قاعدة الحرج في المندوبات لاستراح الناس منها، وحُرموا ثوابها على رأي الكاتب؛ لأنّ الحرج عنده يرفع الحكم، ويكون

---

(١) قد يحصل العسر في بعض المندوبات من نفس كثرتها، كالأعمال المندوبة في ليلة القدر التي لا تفي بها أطول ليلة، وليلة النصف من شعبان، وما بين الزوال وغروب الشمس يوم عرفة، وفي اليوم الخامس عشر من شهر رجب، وغير ذلك.

ولا ريب أنّ نفس تكثر المندوبات وصعوبتها نوعاً، دليل اختصاص القاعدة بغيرها، وكذا المكروهات.

ومن هنا استشكل في استحباب الجميع، حيث إنّه موجب للاختلال، بل الجمع بين المستحبّات الواقعة في الشريعة بحسب إجزاء الزمان ممّا لا يقدر عليه، ولذلك قيل بأنّه من باب التزاحم فيقدم أهمّها أو التخيير، التخيير معاً.

الترك بمقتضى كلامه عزيمة لا رخصة، وإلّا جاء المحذور[(١)].

الثاني: أنّ فقهاءنا مختلفون في أنّ المنفي بعمومات الحرج هل هو الحرج الشخصي، أو النوعي الغالبي؟ ومختار المحقّقين منهم ـ المحقّق الأنصاري[(٢)] وصاحب المستند[(٣)] ـ الأوّل، وهو الحقّ[(٤)].

ومقتضاه عدم ارتفاع الحكم إلّا عمّن يكون الحكم في حقّه عسراً.

ولا ريب في أنّ المشقّة إذا كانت حاصلة في تلك الشعائر المذهبيّة، ليست عامّة لجميع الشيعة قطعاً، فلماذا تعدّ غير مشروعة أو غير مندوبة على الإطلاق بحجّة ارتفاع حكمها للعسر، والعسر لا يقتضي ارتفاع الحكم عمّن لا عسر عليه؟!

وإذا كان الضرب على الصدر باليد أو على الظهر بسلسلة عسراً على الكاتب، فليسقط عن نفسه وأمثاله، ولا ينبغي له أن يتعرّض لحال غيره ممن لا عسر في حقّه أو كان يتحمّل المشقّة والعسر.

---

(١) لأنّ الحرج عنده لا يأتي من قبل الحكم، و إلّا يسقط كلامه من رأس، بل كون الفعل حرجياً يقتضي عدم جعل الحكم له، والفعل حرجي دائماً مهما كان حكمه، فلا يكون جائزاً أبداً إلّا إذا تغيّر تغيّراً تكوينياً بانقلاب حقيقته إلى فعل آخر غير حرجي.

(٢) [فرائد الأُصول ٢: ٢٥٨].

(٣) [عوائد الأيّام: ١٩٤ ـ ١٩٥].

(٤) لأنّ ظاهر خطابات أدلّة الحرج تعلّقها بكلّ مكلّف لا بالمجموع كقوله تعالى ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ**﴾ ولأنّ رفع الحكم الحرجي للامتنان بلا شبهة، ولا يناسب ذلك رفعه عمّن لا يكون الحكم في حقّه حرجياً.

وإذا تسنّى بالوجوه الصحيحة لجماعة كثيرة من فقهائنا[(١)] تقييد «الشين»[(٢)] الذي دلّت الأخبار على جواز التيمّم عند حدوثه من استعمال الماء بالفاحش[(٣)]، وآخرين[(٤)] بما لا يتحمّل في العادة، وثالث[(٥)] بالشديد الذي يعسر تحمّله، ورابع[(٦)] بما إذا غيّر الخلقة وشوّهها، مع إطلاق الأدلّة بالنسبة إلى جميع هذه التقييدات، فإنّ بإمكان كلّ أحد إنكار أن يكون شيء من الشعائر الحسينيّة عدا إدماء الرأس عسراً.

الثالث: أنّ المعروف بين أصحابنا مشروعيّة العبادات الحرجيّة وصحّتها كالصوم الحرجي، والطهارة الحرجيّة من الوضوء والغسل للغايات الواجبة، والصلاة قائماً لمن كان القيام في حقّه عسراً من جهة مرض أو غيره،

---

(١) منهم العلاّمة في المنتهى [٣: ٢٨] والمحقّق والشهيد الثانيان في جامع المقاصد [١: ٤٧٣] والروضة [وجدناه في روض الجنان: ١١٧] وكشف اللثام [٢: ٤٤٢ ـ ٤٤٣].

(٢) الشين: ما يحدث في ظاهر الجلد من الخشونة، يحصل به تشويه الخلقة. مجمع البحرين ٢: ٥٧٣ «شين».

(٣) [قال في الحدائق ٤: ٢٩٢: «قد تكرر في عبارات الأصحاب عدّ خوف حدوث الشين من أسباب الخوف الموجبة للانتقال إلى التيمّم...، ولم أجد له في أخبار التيمّم مع كثرة نصوصه ذكراً ولا أثراً، والشين ـ على ما ذكره في الروض ـ ما يعلو البشرة من الخشونة المشوهة للخلقة وربما بلغت تشقق الجلد وخروج الدم].

(٤) حكى عنهم ذلك صاحب الجواهر [الجواهر ٥: ١١٤].

(٥) وهو صاحب الجواهر نفسه [الجواهر ٥: ١١٣].

(٦) هو الفاضل السبزواري في الكفاية [١: ٤١].

وغير ذلك من الموارد، بل لا أعرف أحداً حكم بعدم مشروعيّتها للحرج، إلاّ كاشف الغطاء؛ إذ قاسها على العبادات الضرريّة.

وشتان بينهما، فإن الضرر ببعض مراتبه ينتفي معه جواز الفعل، وليس كذلك الحرج بأيّ مرتبة منه باعتراف هذا الرجل.

وإلّا بعض مشايخنا، لكن فيما له بدل اضطراري كالوضوء لا مطلقاً[(١)].

وقد اختلفت كلمة الأصوليين منّا في وجه ذلك[(٢)]، ولسنا بصدد بيانه.

وعلى هذا لو توضّأ من يكون الوضوء عليه عسراً بقصد رجحانه الذاتي، يرتفع حدثه ويسقط عنه وجوب التيمّم؛ لارتفاع موضوعه.

وكذا من يكون الصوم في حقّه حرجيّاً مع عدم تضرّره به، لو تحمل العسر وصام بلحاظ حسنه ورجحانه ذاتاً، كان صومه جائزاً ومسقطاً للقضاء.

فلماذا يا ترى كانت الشعائر الحسينيّة إذا فرض رجحانها لذاتها، أو

---

(١) لزم تساوي البدل الاضطراري ومبدله في الرتبة، وذلك خلاف ما يستفاد من أدلّة البدليّة الاضطراريّة، وهذا من الشواهد عند هذا القائل على ارتفاع الحكم عند الحرج ملاكاً وخطاباً في ذلك المورد لا الإلزام به فقط.

(٢) الذي استقرّ عليه الرأي الأخير لهم، هو أنّ المرفوع بأدلّة الحرج حسبما يستفاد منها ومن الخارج، هو الإلزام بالفعل، رعاية لعنوان التسهيل الذي هو أهم بنظر الشرع مع بقاء الفعل على ماهو عليه من رجحانه وحسنه الذاتي.

وهذا المقدار من الرجحان الذاتي يكفي في صحّة الفعل العبادي إذا أتى به المكلّف لداعي كونه كذلك عند المولى، ولا تتوقف صحّته عند المحقّقين على أزيد من ذلك، ولذلك حكموا بصحّة العبادة في موارد خالية عن الطلب في بعض الفروض.

بعنوان كونها من الإبكاء وإظهار الحزن والجزع على سيّد الشهداء، غير مشروعة أو غير محكومة بالاستحباب؛ لمجرّد دعوى كونها متعسّرة، ذلك الأمر الذي يشاركها فيه سائر المتعسّرات؟!

وهلاّ وسع ذلك الضرب على الصدر ما وسع غيره من المستحبّات والواجبات الشاقّة التي أفتى الأصحاب بشرعيّتها ومع المشقّة وحصول الثواب عليها؟! وها هو الكاتب في ص٢ يقول في شأن الشعائر الحسينيّة: دخلت فيها المنكرات لإفسادها وإبطال منافعها(١).

وفي ختام هذا الفصل يجب الالتفات لدقيقتين:

الدقيقة الأولى: إنّ كلام أصحابنا في نفي الحرج مختصّ بما إذا كان الحرج علّة لرفع الحكم أو عدم جعله ابتداء، أمّا إذا استند رفعه إلى دليل خاصّ وإن لوحظ فيه الحرج حكمة، فليس ذلك من محلّ كلامهم في رفع الحكم بأدلّة الحرج.

ولذلك ترى الفقهاء يحكمون بجواز التيمّم عند حصول الشين أو تشقّق الجلد وخشونته، ولا يحكمون به في ما هو أشدّ من ذلك تعسّراً كالوضوء والغسل مثلاً في البرد الشديد، والصلاة في حرّ الظهيرة إذا لم يجد الظلّ، والصوم في شدّة الحرّ وطول النهار، وسفر الحجّ للبعيد في الأهوية غير

---

(١) [انظر: رسالة التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١٢:٥، وفيها: «توسّلوا إلى إغواء الناس بحملهم على أن يُدخلوا فيها البدع والمنكرات وما يشينها عند الأغيار قصداً لإفساد منافعها وإبطال ثوابها»].

المعتدلة، وغير ذلك.

وما هذا الفرق إلّا لأنّ ارتفاع وجوب الوضوء في الموارد السالفة لدليلها المختصّ بها، وكون الحكمة فيها هي التخفيف لا يقضي بالتسرّي إلى غيرها؛ لأنّ الحكمة لا يلزم اطرادها.

ومن سبر مواضع وقوع مثل تلك الموارد من رسالة الفقيه الشامي(١) يجده يهول بارتفاع الحكم في موردين أو ثلاثة(٢) لا أزيد من ذلك، يكون الفعل فيها أقلّ مشقّة من لدم الصدور بالأيدي وضرب الظهور بالسلاسل، وأنّه إذا كان الحكم مرتفعاً في الأهون الأخفّ كان ارتفاعه في الأصعب الأشقّ أولى.

وقد فاته أن يعلم أنّ ارتفاع الحكم في ما ذكره من الفروع إنّما هو لدليله المختصّ به، والحرج فيه حكمة لا علّة، فكيف يصح التهويل به وقياس غيره عليه، لولا عدم التمييز بين الموردين؟!

وإذا كان ذكر موضعين أو ثلاثة من ذلك القبيل، فإنّ الشهيد الأوّل في القواعد ذكر نيّفاً وستّين فرعاً جميعها ممّا بني على التخفيف ولوحظ الحرج

---

(١) [يقصد به السيّد محسن الأمين].

(٢) مذكورة في ص٢٠ من الرسالة وهي خوف المكلّف حصول الخشونة في جلده وتشقّقه من استعمال الماء في الوضوء.

وفي ص١٧ من سقوط مباشرة الحجّ عمّن يتعسّر عليه الركوب [انظر رسالة التنزيه لأعمال الشبيه المطبوعة ضمن هذه المجموعة ٥: ٦٤و٧٤].

فيها حكمة لا علّة.

ولذلك لم يعتبر اطرادها، بل يوخذ بالإطلاق في موارد كلّ منها، ولا يجوز في قواعد الفنّ وأصوله الأخذ بالفحوى والأولويّة في غيرها.

الدقيقة الثانية: إنّ الأصوليين منّا ذكروا أنّه إذا تحقّق في فعل مقدار من المشقّة ومرتبة من الشدّة، لا يعلم صدق مفهوم لفظ العسر عليها بحسب الحقيقة العرفيّة، من حيث غموض معناه وكثرة مراتبه ضعفاً وقوّة، كان المرجع في المصاديق المشكوكة إلى العمومات المثبتة للتكاليف[1]، ولا وجه للتمسّك على رفع الحكم فيها أو عدم جعله ابتداءً بعمومات نفي العسر والحرج[2] أصلاً، ومقتضى ذلك جواز الإتيان بكلّ مشكوك الحرجيّة ورجحانه إذا كان أمراً عبادياً.

وقد يكون صاحب الرسالة يعتقد بأنّ الحرج في لدم الصدور وضرب الظهور قد بلغ في المشقّة حدّاً يقطع معه بتحقّق العسر فيهما والحرج لكلّ أحد، وأنّه لا شكّ عنده في ذلك، وإلّا انقلب الأمر عليه.

واليقين حالة قهريّة ينبغي أن نساهله فيها من حيث نفسه، ولكن اعتقاده

---

(١) لأنّها مخصّصة بمنفصل مجمل مفهوماً، مردّد بين قلّة الخارج وكثرته، والمتعيّن في ذلك ـ على ما برهن عليه ـ الرجوع إلى العمومات المثبتة في غير المتيقّن خروجه منها، لا إلى أصالة البراءة.

(٢) إلّا على المذهب المتروك عند المحقّقين من التمسّك بالعموم في الشبهة المصداقيّة.

بتحقّق الموضوع لا يكون حجّة على الشاكّ فيه أو المعتقد خلافه حتّى لو كان عاميّاً يرجع في الأحكام إليه؛ لأنّ أمثال هذه الموضوعات لا تقليد فيها.

وعلى هذا، كان اللازم عليه عندما يطرق هذا الموضوع أن لا يتعرّض للمسألة بنحو كلّي، بل يخصّ كلامه بمن عرف معنى العسر واعتقد تحقّقه في تلك الشعائر الحسينيّة، ومع ذلك عليه أن يعرّفه بأنّ فعله يكون مباحاً؛ لأنّ المرفوع بأدلّة الحرج استحبابه فقط.

الإيذاء والإضرار

يوجد في كلمات شيخنا الشهيد أنّ الإنسان منهيّ عن جرح نفسه وإتلافها[1].

والظاهر أنّه يريد بالجرح ما يوجب الضرر بحدوث مرض لا يتحمّل عادة أو بطء برئه، ومع ذلك لا دليل من العقل والنقل على حرمة ذلك مالم يؤدّ إلى إتلاف النفس.

وقد جوّز أصحابنا أن يختتن الخنثى المشكل اعتماداً على أصالة البراءة، مع كون ذلك إيلاماً وإيذاءً وجرحاً يبقى ألمه أيّاماً، وربّما يوجب مرضاً.

ولم أعثر على قائل معلوم صرّح بحرمته، وإنّما اختلفوا في وجوبه، والمعروف بينهم ـ وهو الذي تقتضيه القواعد ـ العدم.

---

(١) [القواعد والفوائد ١: ٢٣٢].

نعم، نسب الشهيد التحريم إلى القيل، ولعلّ القائل ليس منّا، وهو مع ذلك لا وجه له حتّى على ما يقوله بعض العظماء[١] من حرمة الإضرار بالنفس عقلاً ونقلاً، لعدم كون ذلك إضراراً.

والفرق جليّ بين الإضرار والإيذاء المؤقّت، نظير وشم الأيدي وغيرها من الأعضاء المتعارف قديماً وحديثاً، والأدلّة ناصّة على حرمة إيذاء الغير وإضراره، والمطلق الشامل بذاته منها للنفس لو كان هو منصرف إلى ذلك.

وربما كان في وجوب الختان على المسلم ولو طعن في السنّ[٢]، واستحباب ثقب أُذني الغلام الذي اتّفق عليه النصّ والفتوى[٣]، وثقب آذان

---

(١) منهم المحقّق الأنصاري في رسالة «الضرر» [قاعدة لا ضرر: ١١٦] إلّا أنّه لا يعرف الوجه في ذلك، وهو أعرف بما قال، ولا يبعد أنّه على هذه الدعوى بنى في كتاب «الغاية القصوى» حرمة ضرب الرؤوس بالسيوف في العزاء الحسيني، ولكن في كون ذلك إضراراً بالنفس وفي حرمة الإضرار بجميع مراتبه كلام ستعرفة.

(٢) في خبر السكوني عن أبي عبد اللّه عليه السلام، قال: قال علي عليه السلام: «إذا أسلم الرجل اختتن ولو بلغ ثمانين» [الكافي ٦: ٣٧ حديث ١٠] قال في الجواهر [٣١: ٢٦١]: ولا قائل بالفصل» بين المسلم وبين الكافر إذا أسلم.

(٣) لا خلاف في استحباب ثقب أذني الغلام، وفي الجواهر [٣١: ٢٦٣] الإجماع بقسميه عليه، مضافاً إلى السيرة والنصوص الكثيرة، منها خبر ابن خالد عن الرضا عليه السلام: أنّه لما ولد الحسن عليه السلام أمر النبيّ صلى الله عليه وآله بثقب أُذنيه، وكذلك لمّا ولد الحسين عليه السلام. وكان الثقب في اليمنى في شحمة الأذن للقرط، وفي اليسرى في أعلاها للشنف [لاحظ الكافي ٦: ٣٣ ـ ٣٤ حديث٦].وفي خبر مسعدة بن صدقة: أنّ ثقب أذن الغلام من السنّة.

ومن هذا الباب خفض الجواري، فقد جاء في الأخبار أنّ الختان سنّة وأنّه من الحنيفية، وأنّ ⇦

النساء وأنوفهن لتعليق الأقراط والشنوف والخزائم، والوشم لهنّ على القول المعروف بجوازه على كراهيّة[١]، وغير ذلك ممّا ستعرف دلالته على شرعيّة الإيذاء والإضرار في الجملة.

لم يقع في الكتاب والسنّة لفظ إيذاء النفس وإضرارها وما يؤدّي معنى ذلك موضوعاً لحكم ما، حتّى يصحّ لأحد أن يجاهر بدعوى دلالة النقل، فضلاً عن حكم العقل الذي لا يستبهم أمره على العقول.

وكلّ ما رمز إلى دلالة الأدلّة العقليّة والنقليّة على حرمة إيذاء النفس وإضرارها، لم يحلّ تلك الرموز حلّاً تفصيليّاً ولا إجماليّاً.

ومن فحص الأدلّة الشرعيّة لا يجد سوى ما تضمّن حرمة إيذاء الغير وإضراره نصّاً أو انصرافاً، ومن أمعن النظر في أحكام العقول لا يجد فيها سوى قبح ظلم النفس[٢].

وهو لو صلح دليلاً على الحرمة الشرعيّة لا يعمّ بلا شبهة كلّ ما ينزله الإنسان بنفسه من أنواع الأذى والإضرار مالم يكن إتلافاً لها، أو موجباً لفقد

⇨

خفض النساء مكرمة وليس بواجب.

(١) ممّن جوّزه المحقّق الأنصاري في المكاسب وأكثر محشّيها، وصرّح بعضهم بعدم الفرق بين وشم الكبير والصغير المتوهم كون وشمه إيذاء لا لمصلحة.

(٢) سيأتي أنّ المحقّق الأنصاري ذكر في رسالة الظن الأمر الفطري الجبلي الطبيعي وسمّاه حكماً عقلياً، وذكر من النقل الآيات التي لا تدلّ على الحرمة الشرعيّة، لأنّ النهي فيها للإرشاد.

طرف أو حاسّة على إشكال في هذا، لولا الاتّفاق المدّعى على تحريمه.

وأنا في هذه النبذة التي لابدّ من تحريرها، أفصّل حكم العقل عن النقل، وأفصّل الكلام في ما يقضي به كلّ منهما.

الدليل العقلي على حرمة الإضرار

إنّ جعل العقل شارع إيجاب وتحريم، إنزال له في أرفع من منزله، بداهة أنّه يحكم على الأشياء تبعاً لما يدرك فيها من حسن أو قبح لذاتها، أو لما يطرأ عليها من العناوين المحسّنة والمقبّحة بمدح فاعلها أو ذمّه، ولا يحكم البتة بأنّ حكمها الوجوب أو الحرمة عنده ولا عند الشرع، بمعنى استحقاق فاعلها أو تاركها الجزاء الأخروي، إلّا إذا كان مدركاً واجدية الشي لملاك التحريم شرعاً، بمعنى كونه على الصفة التي تكون علّة تامة لحكم الشرع عليه بالحرمة.

ولكن هذا باب منسد غالباً، بل دائماً في وجه العقل؛ لأنّ دعوى إدراكه ذلك في قوةّ دعوى إدراكه حكم اللّه تعالى.

أمّا حكمه الإيجابي أو التحريمي لا بالمعنى المذكور، بل بمعنى إلزامه بفعل شيء أو تركه لملاكات شتّى[1]، لا يعلم بثبوت الملازمة بينها وبين حكم

---

(١) بعضها لا يبتني على التحسين والتقبيح العقليين، كحكمه في باب المقدّمة بوجوبها، وفي الضدّ بحرمته، وشبه ذلك من الملازمات التي ليس ما نحن منها قطعاً، ومن هذا الباب حكمه باتّباع الظنّ الانسدادي على القول بالحكومة كما لا يخفى.

الشرع بالوجوب والتحريم المصطلحين، ككون الشي ملائماً للطبع أو منافراً له، فذلك ممّا لا ريب فيه.

لكنّه لا يجدي شيئاً في ما يحاوله مدّعي حرمة الإيذاء والإضرار عقلاً؛ لأنّ حقيقة هذا المعنى المسمّى حكماً عقليّاً لا يزيد على مجرّد إدراك العقل حسن الشي أو قبحه، بمعنى كونه على الصفة التي لو خلت عن الموانع والمزاحمات واقعاً لجهة حسنه أو قبحه المدركين عقلاً لكان واجباً أو حراماً شرعاً، وهذا المعنى من حكم العقل قاصر عن إثبات الحرمة المصطلحة.

إذاً فما معنى حرمة الإضرار عقلاً؟ وما هو الملاك لحكم العقل بحرمته؟

إنّ العقل لا يحكم على الأشياء بعناوينها العارضة عليها حكماً جزافيّاً، بل لابدّ له في حكمه من ملاك يتبعه.

وإذا كان هو لا يدرك في مطلق ما يؤذي النفس واجديته لملاك التحريم شرعاً، وكان نفس كونه منافراً للطبع أو مؤذياً أو مضرّاً لا يستتبع حرمته عقلاً ولا شرعاً، بمعنى استحقاق العقاب عليه[1]، فما هو الملاك لحكمه على عنوان المضرّ للنفس بلزوم تركه حتّى لو بلغ الضرر إلى درجة هلاك النفس، فضلاً عما دونه[2]؟

أجل، إنّ دفع الضرر عن النفس أمر جبلي فطري، وليس بحكم عقليّ يتبع

(١) قد تقرّر في الأُصول أنّ الحسن والقبح العقليين بمعنى كون الشيء ملائماً للطبع أو منافراً له، لا يستتبع حكماً عقلاً ولا شرعاً بوجوب الملائم وحرمة المنافر، بمعنى استحقاق الجزاء الأخروي عليهما.

(٢) وفذلكة الأمر أنّ حكم العقل القطعي المستقل مفقود قطعاً، وغير المستقل إن ثبت لا يجدي شيئاً، ودعوى كون الضرر من الظلم ستعرف ما فيها.

ملاكاً يخصّه أو يعمّه تبعية المعلول لعلّته، ولذلك يشترك فيه الإنسان العاقل وسائر الحيوانات العجم، فإنّها بما أودع في طباعها بأصل الخلقة تتحرّز عن مظانّ الوقوع في الضرر.

وهذا في الضرر المقطوع والمظنون مما لا تعتري العقول فيه شبهة.

وعلى كلّ حال، فإنّ إدماء الرأس بمجرّده ليس ضرراً، ولا ممّا يقطع أو يظنّ بكونه ضرراً، نعم لا ريب في كونه إيذاءً للنفس وإيلاماً، والإيذاء غير الضرر.

وربما يدّعي أنّه لا فطرة ولا جبلة تقضي بالفرار إلّا عن الضرر، أعني الموجب لخطر الهلاك، لا عن مطلق إيذاء النفس وإيلامها(١).

ولو فرض تساويهما في لزوم الدفع بالفطرة، لم يجد ذلك في دعوى حكم العقل المزعوم؛ لأنّ النفرة عن شيء بالطبع غير حكم العقل بلزوم الفرار عنه.

وآية ذلك أنّك تجد الإنسان عند تسليم نفسه للفصد أو الحجامة أو لعمليّة جراحيّة، يرضى بذلك ويريده بعقله، ولكنّه كاره له بطبعه حينما هو راض به،

---

(١) قيل: ولعلّ الخلاف في كون وجوب دفع الضرر المظنون إلزامياً كما عليه الأكثر، أو استحسانياً كما عليه الحاجبي مبنيّ على توهّم تعميم المضرّ للمؤذي، وإلّا فلا ريب في أن دفع المؤذي، كإدماء الرأس إذا لم يكن فيه ضرر، أي تعريض النفس لخطر الهلاك ليس إلزامياً، والتحرّز عن مظنونه احتياط مستحسن، ولذلك يقدم عليه العقلاء ولو لا لغرض معتدّ به بلا تحاش ومن دون مراغمة للفطرة.

فهو يفضّل الحكم العقلي ترجيحاً للمنفعة على الدافع الجبلي.

وأخرى أنّ العقلاء مع فطرتهم وجبلتهم يقتحمون موارد الضرر المقطوع، فضلاً عن المظنون والمحتمل؛ لأغراض لهم لا تقع تحت الحصر، ومع ذلك لا يرون في تجاوزهم حدّ الفطرة والجبلة قبحاً عقلاً، ولا مراغمة إلّا لحكم الفطرة الذي يكون مغلوباً كثيراً لحكم العقل.

كما أنّهم في بعض الموارد يحجمون عن الاقتحام في الضرر المحتمل، فضلاً عن المظنون والمقطوع، حسبما يتجلّى لهم أهميّة أحد الأمرين: السلامة والخطر[(١)].

ومعلوم أنّ مخالفة الأمر الجبلي، بما هو أمر يندفع إليه أو عنه الإنسان بطبعه، لا تستدعي حرمة شرعيّة ولا عقاباً أخروياً.

وبلحاظ الأهميّة التي أشرنا إليها تقدم النساء على الوشم المتعارف وعلى قلع الأسنان الخلقيّة، ويقتحم الرجال خطر المهالك في المفاوز وغمرات البحار للتجارة إزاء منافع دنيويّة ينالونها، ويرتكبون المهن المجهدة الشاقة والمضرّة

---

(١) إنّ دفع الضرر لكونه جبلياً لا حكماً عقلياً لا يقف بالعقلاء على حد الجبلة بحيث لا يتجاوزون إلّا بقاسر، بداهة أنهم يلقون بأيديهم إلى الموذيات والإضرار حسب تفاوت مراتبها، حتّى مرتبة الهلاك فإنّهم يتخطون إليها اختياراً لأغراضهم المتنوعة، ولا يرون في ذلك قبحاً عقلاً ولا استهجاناً، ولا يجدون مراغمة إلّا للفطرة والجبلة التي تتبع أهم الأمرين، وكثيراً ما تفضل الهلاك على السلامة لرجاء الفوز بعاقبة تهون الأخطار دونها، أو للخلاص عن بؤس الحياة وتعاستها.

بالبدن.

ولعلّه بلحاظ هذه الأهميّة أفتى الشهيدان في القواعد وتمهيدها[1] بجواز أن يسلّم الإنسان نفسه للقتل إذا أجبر على إظهار كلمة الكفر، كما يدلّ على ذلك تعليلهما بأنّ في القتل إعزازاً للإسلام وتثبيت عقائد العوام.

ومع أنّ إظهار كلمة الكفر جائز إجماعاً، ونصّاً كتاباً وسنّة إن لم يكن واجباً حفظاً للنفس، وما ذلك إلّا لأهميّة إظهار عزّ الإسلام وتثبيت عقائد العوام على السلامة عن أعظم الأضرار والآلام.

وإذا كان المحسوس لعرفاء الجعفريّة، أنّ إعزاز طريقتهم وتثبيت عقائد عوامهم، بسموّ مراتب أئمّتهم، واجتماع كلمتهم، وتميّزهم عن سائر الشيع، وظهورهم للملأ بمظهر أكبر الفرق، يكون بإشهار مصيبة الحسين عليه السلام بمظاهرها المتنوّعة، التي منها تمثيله عليه السلام وأصحابه مثخّنين بالجراح وقد سالت دماؤهم على ثيابهم المتخذة أكفاناً لهم.

فلماذا ينكر عليهم إذا فضّلوا ذلك ـ بما فيه من تعب وألم ـ على الراحة والدعة، وهم على كلّ حال ناجون من الخطر واثقون بالسلامة؟

لماذا ينكر عليهم إذا وقفوا يمثّلون إمامهم مفادياً بروحه العزيزة في سبيل نصرة الدين على قلّة الناصر، ووفور العدوّ عدة وعدداً، يرون الناس ـ أو كأنّهم

---

(١) [القواعد والفوائد ١: ١٢٤].

يخاطبونهم بلسان الحال ـ بأنّ رجلاً تكون هذه حاله في المفاداة، مع كونه أقرب الناس إلى الرسول والبقيّة من أهل البيت الطاهر، هو الذي ينبغي أن يكون إمام الحقّ وهو الذي يلزم اتّباعه والاقتداء بأفعاله البارّة دون سائر المنتحلين اسم الزعامة الدينية في الإسلام؟

الدليل النقلي على حرمة الإضرار

ظنّ شيخنا الأعظم في رسالة الظنّ دلالة بعض الآيات[1] على حرمة تعريض النفس للمهالك والمضارّ الدنيويّة والأخرويّة المظنونة.

وهي على تقدير دلالتها على حكم التعريض المذكور لا تدلّ إلّا على الطلب الإرشادي لا التحريم الشرعي[2]، وأكثرها يدلّ على الإيعاد على

(١) وهي آية النبأ [الحجرات ٤٩: ٦] بمقتضى التعليل الموجود فيها.

وقوله تعالى ﴿وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة (٢): ١٩٥].

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور (٢٤): ٦٣].

﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال (٨): ٢٥].

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران (٣): ٢٨].

﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُواْ السَّيِّئَاتِ﴾ [النحل (٦): ٤٥].

(٢) التحريم الشرعي لا يتصوّر بالنسبة إلى الضرر الأخروي المقطوع، فضلاً عن غيره. وأمّا الدنيوي فإنّه وإن كان قابلاً لتعلّق الحكم الشرعي بالمظنون منه أو المقطوع من باب ⇦

ترتّب لوازم مخالفة الشارع.

وأمّا الكاتب فإنّه لم يذكر من الأدلّة النقليّة سوى أدلّة نفي الحرج كما في ص٣، وهذه لو تمّت دلالتها لا تقتضي على مذهبه المصرّح به في ص١٧ و١٨ و٢٠[1] إلّا رفع الحكم في مورد تحقّق الحرج، فأين ما يدلّ على ارتفاع الحكم عند الضرر، عمّا يدلّ على ثبوت الحرمة؟

ولو أنّه ادّعى رفع الحكم عند حصول الضرر بالفحوى بقي ما يدّعيه من ثبوت الحرمة بغير دليل؛ لأنّ أدلّة نفي الحرج لا تفي بذلك قطعاً باعترافه في المواضع المشار إليها.

أمّا إذا تمسّك بما دلّ على سهولة الشريعة وسماحتها، وعدم جعل الحكم الحرجي فيها بأصل التشريع، لوتمّ ذلك[2] من حيث دلالته بالفحوى

⇨

الموضوعيّة إلّا أنّ ذلك خلاف ما ذكر من الآيات؛ لأنّها على تقدير دلالتها على حكم تعريض النفس للأضرار، لا تدلّ إلّا على الطلب الإرشادي بالتحذّر عن الوقوع في المضار لما أنّها غير ملائمة للطباع.

(١) في ص١٧ «الموذي والشاق غيران حكماً وموضوعاً».

وفي ص١٨ و٢٠ «الكلفة إذا بلغت حدّ العسر أوجبت رفع الحكم، وإذا بلغت حدّ الضرر أوجبت حرمة الفعل».

(٢) إشارة إلى نقوض كثيرة موردة على القاعدة المذكورة تدلّ على عدم تماميتها، وقد ذكرها بحر العلوم، وكاشف الغطاء، وصاحب الفصول، والفاضل النراقي، وشيخنا المرتضى وكثير من تلامذته وتكلّفوا في الجواب عنها.

⇦

على عدم جعل الحكم الضرري كذلك كان:

أوّلاً: محجوجاً بمثل الجهاد والختان وغيرهما، فإنّ الحكم الإيجابي متعلّق بهما في أصل التشريع مع كونهما مضرّين.

وتخصيص مثل قاعدة الحرج، المفروض استفادة حكم الضرر منها، مع سوقها مساق الامتنان، في غاية البعد.

ولو أنّه تخلّص عن النقض بالجهاد بما لا حاجة إلى ذكره الآن فلا مخلّص له في مسألة الختان وثقب الآذان والأنوف والوشم وخصوص ختان الخنثى المشكل، إلا الالتزام بمشروعيّة الموذي في الجملة.

وهذا مضافاً إلى ما سيمرّ عليك مفصّلاً من الإيذائات الاختياريّة الواقعة من الأئمّة عليهم السلام لأنفسهم في العبادات وغيرها[1].

⇨

وتخصيص القاعدة بها مع ورودها في مورد الامتنان بعيد.

وتوجيهها بأنّ ملاحظة كثرة الثواب المترتب عليها يوجب عدم الضرر والحرج فيها كماترى؛ لأنّ الملاحظة المذكورة وإن صحّ أن تكون داعياً لبعض النفوس إلى الإقدام على الضرر والمشقة، إلّا أنّ ذلك لا يوجب انقلاب الحكم عما هو عليه من كونه شاقاً أو ضررياً.

ولعل تأويل ما دلّ على عدم جعل الحكم الحرجي بالأصل إلى إرادة رفع ما يعوض عليه الحرج من الأحكام المشروعية أسلم من التوجيه المذكور وغيره.

(١) كتحمّلهم الجوع المفرط ثلاثة أيام، وتورم أقدامهم من القيام للصلاة، ومن المشي وانخرام آنافهم وإثفان جباههم من السجود، وغير ذلك ممّا ستعرفه مفصّلاً.

وثانياً: أنّ مقتضى تلك الأدلّة أنّ اللّه تعالى لم يجعل في أصل التشريع حكماً ضرريّاً، بمعنى أنّه لم يشرع حكماً يأتي من قبله الضرر.

والحكم الاستحبابي مهما كان متعلّقه مضرّاً بذاته ـ كالقتل فضلاً عن إدماء الرأس ـ ليس بحكم ضرري، إذ المراد بالضرري ما يجيء الضرر من قبله، ويكون هو الموقع للإنسان في الضرر.

والحكم إنّما يكون كذلك إذا كان إلزاميّاً غير مرخّص بتركه، كما سيأتي تفصيل ذلك في قاعدة الضرر.

وقول الكاتب في مواضع من رسالته: «الجرح ضرر وإدماء الرأس ضرر»، من التمويهات أو الأوهام.

نعم، هو ضرر، أي أمرٌ هو بذاته مضرّ، ولكن ما ذا يترتّب على كونه ضرراً بالمعنى المذكور إذا كان الشرع لم يرفع الضرر رفعاً تكوينياً، ولا نهى أن يضرّ أحد نفسه بالفرض، وإنّما نفى بفحوى أدلّة الحرج أو بقاعدة الضرر الآتية أن يجي من قبله الضرر المنحصر، ذلك في كون حكمه الذي بيده رفعه ووضعه ضررياً.

ولا ريب أنّ كونه كذلك إنّما يتحقّق إذا كان حكمه إلزامياً، سواء كان موضوعه مضرّاً بذاته أم لا، ولا أثر للمضريّة للشيء بمجرّدها إذا كان حكمه مرخصاً في تركه.

حرمة المؤمن عند اللّه

قد يتوهّم متوهّم أنّ ما دلّ على عدم جواز إيذاء الغير وإضراره لاحترامه عند اللّه تعالى، يدلّ على عدم جواز إيذائه لنفسه وإيلامها؛ لأنّه كغيره في الاحترام، وليس احترامه لنفسه موكولاً إليه وداخلاً تحت اختياره حتّى يكون له إسقاطه.

وهذا من المغالطات؛ لأنّ احترام المؤمن بعدم إيذائه قد أوجبه اللّه، إذ أمر به.

أمّا احترامه لنفسه، بمعنى عدم إدخال الأذى عليها، فلم يوجد في الأدلّة ما يقضي بلزومه، ولا ملازمة بين لزوم احترام الناس له وبين لزوم احترامه لنفسه[1].

---

(١) قول القائل: «المؤمن محترم عند اللّه، له معنيان:

أحدهما: أنّه تعالى لم يهنه ولم يخذله ولم يكله إلى غيره، بل وقّره وقرّبه، وجعل له على ⇦

وغاية ما يوجد في الأدلّة الشرعيّة أنّه لا يظلم نفسه ولا يلقي نفسه في التهلكة، أي لا يتلفها ولا يعرّضها لخطر الهلاك. وأين هذا من مسألة إيذاء النفس المدّعى حرمته مطلقاً؟!

وأما قضيّة دخول احترام الإنسان لنفسه تحت اختياره، فهي إثباتاً ونفياً تتوقّف على البرهان، ولا برهان على النفي إلّا الدعوى نفسها.

وأمّا الإثبات، فيكفيه مع قطع النظر عن كلّ شيء، أصالة الجواز والإباحة[1].

⇨

نفسه حقوقاً أن يجيب دعوته ويرفع عمله مضاعفاً ويجزيه عليه أوفى جزاء. وهذا لا دخل له بما يريده المتوهّم.

ثانيهما: أنّه تعالى أمر الناس باحترامه فيما بينهم بعدم إيذائه وإضراره وإهانته، وهذا هو الذي يراد التشبّث به على حرمة إيذاء نفسه واضرارها.

ولا يخفى أنّه لا ملازمة بين لزوم احترام الناس له، وبين لزوم احترامه لنفسه. ومع فرض عدم الملازمة، لا دليل يدلّ بخصوصه على لزوم احترامه لنفسه.

(١) بل ما يدلّ على أولوية الإنسان بنفسه من كلّ من عدا النبيّ صلّى الله عليه وآله والأئمّة يقتضي إطلاقه سلطنته عليها نحو سلطانه على ماله في تصريفه كيف شاء إلّا ما علم عدم جوازه.

قاعدة الضرر

قد تبلغ الفقاهة بأحدٍ إلى حدّ الاستدلال على حرمة إيذاء النفس وإضرارها بقاعدة نفي الضرر[1] المستفادة من قولهﷺ: «لا ضرر ولا ضرار في الإسلام»، وهذا الاستدلال مردود بوجوه:

الأوّل: أنّ القاعدة المذكورة ـ على ما استظهره المحقّقون من أدلّتها على اختلاف تعبيراتهم ـ إنّما تنفي ما يوجب الضرر من الأحكام، بمعنى أنّ ما يكون منها ضرراً على أحد من اللّه أو من العباد منفي شرعاً وغير مجعول للّه، ولا ممضى عنده في أصل التشريع وبعده.

وهذا كما ترى لا يقتضي إلّا عدم جعل الأحكام الضرريّة ورفع الحكم المجهول إذا لزم منه الضرر، وأين ذلك من ثبوت الحرمة في مورد الضرر كما يدّعيه المدّعي؟!

---

(١) لمّا بلغت الفقاهة إلى حدّ الاستدلال على حرمة الضرر بما دلّ على رفع الحكم عند حصول العسر والحرج، فلا بدع أن تبلغ إلى حدّ الاستدلال بقاعدة الضرر على حرمته.

نعم، لو حمل لفظ «لا» في قوله «لا ضرر» على نفي الحقيقة ادعاء بلحاظ نفي الحكم الثابت أو المناسب للضرر المنفي، كما يذهب إليه شيخنا المحقّق صاحب «الكفاية»، كان اللازم الحكم بعدم جواز إدماء الرأس حيث يكون ضرراً لا مطلقاً، وهذا أخصّ من المدّعى إن تمّ مبناه.

ولكن إدماء الرأس لمّا كان نفسه ضرراً عند الكاتب[1]، يلزمه بمقتضى زعمه عدم صحّة الاستدلال بالقاعدة على حرمته، لخروجه عنها موضوعاً، ضرورة أنّ الحكم المنفي بنفي الضرر على هذا الرأي لا يعمّ الثابت للأفعال بما هي أمور ضرريّة كالجهاد والزكاة، فضلاً عن نفس الضرر؛ لأنّ كون الشيء ضرريّاً أو ضرراً علّة لنفي الحكم بالفرض، ولا يعقل أن يكون الموضوع في ظرف تحقّقه مانعاً عن ثبوت حكمه[2].

على أنّ الحكم المناسب أو التوهّم لنفس الضرر هو الحرمة، ونفيها بالقاعدة ينتج ضدّ المدّعى، وليست القاعدة بمثبتة لحكم ما، وإنّما هي من القواعد النافية للأحكام على جميع الآراء، غاية الأمر أنّ نفيها يلزمه الحكم بالحرمة في بعض الفروض، لا أنّ الحرمة هي مؤدّى نفس القاعدة.

---

(١) إذ يقول في ص٢١: الجرح نفسه ضرر وإيذاء محرّم.

وفي١٤: الحجامة محرّمة بالأصل؛ لأنّها ضرر وإيذاء للنفس.

(٢) بل القاعدة على هذا الرأي تنفي الحكم الثابت للأفعال بعناوينها الأوليّة في حال الضرر، ولا تعمّ غيره، وإلّا لوقعت المعارضة بين مادلّ على وجوب الزكاة مثلاً، وبين أدلّة القاعدة، وذلك ممّا لم يقل به أو يتوهمه أحد من العلماء.

نعم، لو حمل لفظ «لا» على النهي، كما تفرّد به البدخشي[1]، وتبعه شاذّ منّا[2]، لكان لما ذكر من التحريم وجه، لكن حمل «لا» على النهي غير وجيه لوجوه مبيّنة في غير هذا الموضع.

الثاني: أنّ القاعدة على المذهب المشهور في مدلولها، وهو الذي يلوح من الكاتب اختياره[3] مختصّة بالإلزاميّات، ولا تشمل المباحات والمندوبات، لما فصّلناه آنفاً من أنّ رفع الحكم الذي يتأتّى من قبله الضرر للامتنان، ولا منّة في رفع المندوبات.

ومن ارتفاع الضرر موضوعاً مع الترخيص في الترك، كما يصرّح بذلك شيخنا المرتضى في رسالة الضرر إذ يقول: «إنّ إباحة الضرر، بل طلبه استحباباً، ليس حكماً ضرريّاً، ولا يلزم من جعله ضرراً على المكلّفين ليكون مرفوعاً بالقاعدة».

ومن أنّ الظاهر من أدلّة القاعدة عدم كون جعل الشارع سبباً قريباً لإلقاء المكلّف في الضرر، وهو إنّما يكون سبباً كذلك إذا كان حكمه إلزامياً؛ لأنّ الإلقاء في الضرر لو كان الحكم غير إلزامي يكون مستنداً إلى اختيار المكلّف،

---

(١) [مناهج العقول في شرح منهاج الوصول].

(٢) [وهو شيخ الشريعة الأصفهاني في نخبة الأزهار ١٦٤ ـ ١٦٥].

(٣) إذ يقول في ص١٧ من رسالته: إنّ اللّه لم يجعل حكماً ضرريّاً بمقتضى قوله صلى الله عليه وآله: لا ضرر ولا ضرار.

لا إلى جعل الشرع.

ومن وقوع المندوبات الضرريّة بكثرة فائقة في الشرع[١]، وذلك آية اختصاص القاعدة بغيرها.

وربما يزاد هنا وجه آخر، وهو أنّ كون عدم جعل الحكم الضرري إحداثاً وإبقاءً للامتنان يقتضي جواز أن يؤذي الإنسان نفسه ويضرّها بغير القتل، فإنّ منعه عن ذلك خلا الامتنان بخلاف إضرار الغير، فإنّ في رفعه كمال المنّة بانتظام أمر النوع[٢].

الثالث: أنّ مذهب أصحابنا كافة ـ كما يعلم من تتّبع كلماتهم في الموارد المتفرّقة ـ أنّ المرفوع بقاعدة الضرر في العبادات الضرر الشخصي لا النوعي الغالبي[٣]، بمعنى أن الحكم في مورده الخاصّ إذا لزم منه الضرر على شخص يرتفع عنه دون كلية، ودون كلّي الأشخاص.

---

(١) قد ذكرنا في باب الحرج كثيراً من العبادات الضرريّة فراجعها، ويأتي في توابع هذا الفصل أضعافها.

(٢) لا يقال: جواز إضرار الإنسان نفسه يختلّ به أمر النوع أيضاً.

لأنّا نقول: إنّ هذا تمنع من وقوعه الفطرة والجبلّة، فهو مهما جاز شرعاً يكون نادر الوقوع أو معدوماً خارجاً لا محالة، فلا يحصل اختلال النظام بخلاف إضرار الغير، فإنّه لا رادع عنه من طبع أو غيره، بل هو من شيم النفوس، والمناسب للامتنان كمال المناسبة رفعه.

(٣) لأنّ لازم هذا ارتفاع الحكم عمن لا يكون في حقّه ضررياً إذا كان ذلك موجباً لضرر الأغلب، وهذا مالا يلتزم به أحد في باب العبادات الضرريّة، مع أنّ فيه تفويت مصلحة الفعل بلا تدارك، وهو خلاف الامتنان الذي شرعت لأجله قاعدة الضرر.

ولاريب في أنّ إدماء الرأس ليس مضرّاً للكافة، فلماذا يكون محرّماً على الإطلاق؟! بل اللازم ـ لو استفيد التحريم من القاعدة ـ أن يكون محرّماً حيث يكون ضرراً لا مطلقاً.

لكن الكاتب في ما أسلفنا نقله عن رسالته يقول: «الجرح نفسه ضرر»، وهذا ليس من كلام الفقهاء، بل من كلام طبيب غير حاذق، فالحاذق يأبى له حذقه من الحكم على البتّ بأنّ الجرح ضرر؛ لأنّه في واقع الأمر وبحكم الوجدان قد يكون ضرراً وقد لا يكون. إنّ حصول الضرر بالجراح من العوارض الاتّفاقية التي لا يمكن ضبطها، ولا يصلح للفقيه جعلها مناطاً للحكم وملاكاً لقاعدة مطردة في جميع الموارد الشخصية.

وأخرى أنّ على الفقيه بيان الأحكام، وليس من شأنه تنقيح الموضوعات الصرفة الجزئيّة، فضلاً عن الحكم على جزئياتها غير المحصور(١).

ثمّ إذا كان الجرح ضرراً ـ كما يقول ـ لا يتّجه أصلاً إثبات حرمته إلّا

---

(١) ولذلك لم يحدّ في شيء من الأخبار شيء من الإضرار الموجبة للإفطار أو ترك القيام في الصلاة أو غيرهما، بل أوكل إلى الإنسان نفسه، ففي خبر عمر بن أذينة، قال: كتبت إلى أبي عبد اللّه عليه السلام أسأله: ما حدّ المرض الذي يفطر فيه صاحبه، والمرض الذي يدع فيه صاحبه الصلاة من قيام؟ فقال عليه السلام: «بل الإنسان على نفسه بصيرة»، وقال: «ذلك إليه هو أعلم بنفسه» [تهذيب الاحكام ٤: ٢٥٦ حديث١ باب حد المرض الذي يجب فيه الإفطار].

وفي خبر سماعه قال: سألته ما حد المرض الذي يجب على صاحبه فيه الإفطار كما يجب عليه في السفر؟ قال: «هو مؤتمن عليه مفوّض إليه فإن وجد ضعفاً فليفطر، وإن وجد قوّة فليصم» [الكافي ٤: ١١٨ حديث٣ باب حدّ المرض الذي يجوز للرجل أن يفطر فيه].

بدليل غير قاعدة الضرر، كنحو لا تضروا أنفسكم أولا تؤذوها.

أمّا القاعدة، فقد تقدّم أنّ موردها لا يندرج فيه الحكم الثابت للموضوع الضرري على رأي شيخنا صاحب «الكفاية».

وأمّا المذهب المشهور، فخروج ذلك أبيَن؛ لما مرّ من أنّ المدار في شمول القاعدة لشيء على كون الحكم المجعول شرعاً يلزم منه الضرر، لا كون الشيء مضرّاً بذاته، والحكم لا يكاد يكون كذلك إلّا إذا كان إلزاميّاً؛ لأنّ المرخّص في تركه مهما كان متعلّقه مضرّاً، لا يكون ضرراً من قبل الشرع.

وفي ختام هذا الفصل يجب أيضاً الالتفات إلى دقيقتين:

الدقيقة الأُولى: أنّ كثيراً من أصحابنا[1] صرّحوا بصحّة العبادات الضرريّة الضرريّة إذا كان الضرر غير مؤدّ إلى الموت أو سرعته، أو إلى مرض مزمن مثلاً، وشبه ذلك من الأضرار التي يعلم من الخارج عدم جواز تحمّلها.

ولا يخفى أنّ البطلان في هذه الصورة ينثني على امتناع اجتماع الأمر والنهي، وترجيح جانب النهي لا على قاعدة الضرر، ولذا يختصّ البُطلان بصورة العلم بالضرر، كما هو المقرّر في تلك المسألة من اختصاص الحرمة والفساد بصورة العلم.

---

(١) منهم الشيخ العلاّمة الفقيه الشيخ آقا رضا الهمداني في كتابه «مصباح الفقيه» في باب التيمّم [١: ٣٦٥] وفي تعليقته على رسائل المحقّق الأنصاري في آخر رسالة أصالة البراءة.

ومنهم المحقّق الأنصاري والفاضل الآشتياني، ولكن لهذين تفصيلاً آخر تعرفه ممّا أشرنا إليه في المتن.

وأمّا صحّتها في ما إذا لم يكن الضرر مؤدّياً إلى مثل ذلك، وبعبارة أخرى: إذا كان الضرر ممّا علم من الخارج جواز تحمّله، فلأنّ نفي الضرر لا يقتضي إلّا رفع وجوب الشيء المضرّ؛ لأنّ الضرر يتأتّى من قبله لا من قبل شرعيّته، ورفع الإلزام لا ينافي ثبوت المصلحة المقتضية للتكليف غير الإلزامي في مورده، وذلك كافٍ في عباديّة الشيء وصحّة التقرّب به للّه تعالى.

وسيأتي في خاتمة هذا الباب أنّ شيخنا المحقّق الأنصاري يحكم بصحّة جميع العبادات الضرريّة التي يعتقد المكلّف عدم التضرّر بها مع كونها مضرّة في نفس الأمر.

وتبعه على ذلك المحقق الآشتياني في رسالة الحرج، لكن في غير الضرر الذي كان تجويزه منافياً لحكم العقل.

وإذا صحّت العبادات المضرّة واقعاً مطلقاً، أو على بعض الوجوه عند هؤلاء المحقّقين، وكانت راجحة عندهم ومقرّبة للّه، فلماذا يكون مثل إدماء الرأس وضرب الظهر بسلسلة محرّماً أو غير مندوب لمجرّد دعوى كونه ضرريّاً، وهو أمر يشاركه فيه سائر العبادات الضرريّة؟!

فهلاّ وسعه عند الكاتب ما وسع غيره من الضرريّات عند المحقّقين إذ أفتوا بشرعيّتها في الجملة مع الضرر؟!

مع أنّ دعوى كون شديد جرح الرأس المتعارف في العزاء الحسيني ـ عن خفيفه ـ ضرراً، ممنوعة جدّاً.

نعم، هو إيذاء، والإيذاء غير الضرر، ولا دليل من عقل أو نقل على حرمته

وفساد التعبّديّة لأجل الضرر.

الدقيقة الثانية: أنّ الكاتب في ص١٧ من رسالته هوّل على قول القائل: «لم يقم برهان على عدم جواز أن يكلّف اللّه بما فيه ضرر» بأنّه: «أين قول الفقهاء: دفع الضرر المظنون واجب؟ وأين اكتفاؤهم باحتمال الضرر الموجب لصدق خوف الضرر في إسقاط التكليف؟ وأين قولهم بوجوب... وقولهم ببطلان...» وذكر مواضع[1] يفتي الفقهاء فيها ببطلان العبادة مع خوف الضرر.

وهذا من غرائب الفقه، فإنّ لأصحابنا في اعتبار ظنّ الضرر وخوفه في

---

(١) وهي حكمهم بوجوب الإفطار لخائف الضرر في الصوم، وبطلان غسل من يخاف الضرر باستعمال الماء، وبوجوب الصيام وإتمام الصلاة على المسافر الذي يخاف على نفسه الضرر بسفره، وبسقوط وجوب الحجّ عمّن يخاف الضرر بالسفر.

ومن راجع كلمات الفقهاء في هذه الموارد يعلم تصريح بعضهم بصحّتها مع حصول الضرر في الواقع إذا اعتقد المكلّف السلامة.

ومع الغضّ عن ذلك فقد فات الكاتب أن يعلم أن الضرر الدنيوي الذي علّقت عليه الأحكام المذكورة، ليس هو كلّ ما يعرض للإنسان من العوارض المؤذية، بل هو ما يخاف معه على النفس أو على الأطراف من التّلف، أو يخاف معه حدوث مرض أو بطؤه.

وأين ذلك من الإيذاء الحاصل بإدماء الرأس وضرب الظهر بسلسلة؟!

ولما ذكرنا قيّد في «مجمع البرهان» [مجمع الفائدة ١: ٢١٤ ـ ٢١٥] المرض المسوّغ للتيمّم بما يضرّ معه استعمال الماء ضرراً بيّناً بحيث يقال عرفاً: إنّه ضرر، وقيد الأكثر الخوف بكونه على النفس في باب إتمام الصلاة على المسافر الذي يخاف الضرر، وصرّح في الجواهر [٥: ١٠٦] بأنّ ملاك الإفطار بالمرض شديده.

الموارد المعدودة وغيرها مذاهب شتّى، تُعلم من متفرّقات كلماتهم في أبوابها.

والكلام في حكم أنيط بالضرر لا بظنّه أو خوفه، كما هو الشأن في موارد النقض المذكورة.

والظاهر أنّ اعتبار أكثرهم للظنّ والخوف في تلك الموارد من باب الموضوعيّة، ولذلك لم يختلفوا على الظاهر في أنّ سلوك الطريق المظنون الحظر يوجب إتمام الصلاة فيه وإن انكشف عدم الضرر.

وقد حكي عن المحقّق في «المعتبر» الحكم بعدم وجوب إعادة الصلاة بوضوء على من ظنّ مخوّفاً يمنع من استعمال الماء، فتيمّم وصلّى، ثمّ بان فساد ظنّه[1].

وببطلان الغسل إذا ظنّ الضرر باستعمال الماء فاغتسل، ثمّ بان فساد ظنه.

وإذا كان ظنّ الضرر أو خوفه في تلك الموارد تمام الموضوع أو جزئه، سقط الاستدلال به، ولم يصحّ أن يجعل آلة تهويل على ما هو محلّ الكلام من إدماء الرأس بسيف مثلاً أو ضرب الظهر بسلسلة، إلّا إذا كانا مظنوني الضرر أو مقطوعيه، وذلك أخصّ ممّا يدّعيه.

ولو تنزّلنا عن ذلك وقلنا باعتباره من باب الطريقيّة، نظراً إلى أنّ انسداد باب العلم بالضرر الواقعي يوجب إناطة الحكم بالظنّ به بلا مدخليّة له في الموضوعيّة للحكم، فغاية ما يقتضي ذلك ثبوت الحرمة عند تحقّق الضرر واقعاً

---

(١) [المعتبر ١: ٣٦٦].

وإن لم يكن مظنوناً.

وهذا لا أثر له في ما يراد إثباته ونفيه في المقام؛ لأنّ الانسداد المذكور ـ ولو بنينا على طريقية الظنّ ـ يوجب تبعيّة الحكم الفعلي للقطع بالضرر اتّفاقاً أو ظنّه.

ولا ريب في أنّ بطلان العبادة بالنهي عنها يتّبع النهي الفعلي المنجز، ولا أثر للحكم الواقعي إلّا الإعادة أو القضاء عند انكشاف الحال، ولكن في دعوى القطع أو الظنّ بالضرر في مثل إدماء الرأس من المجازفة والمكابرة ما يشهد الوجدان بخلافه.

أمّا قول القائل: «أين قول الفقهاء: دفع الضرر المظنون واجب، وأين اكتفاؤهم باحتمال الضرر»؟ فهو أشدّ غرابة ومجازفة، فإنّا لم نجد أحداً من الفقهاء أفتى بوجوب الصوم وإتمام الصلاة في السفر المحتمل فيه الضرر، ولا سقوط وجوب الحجّ عمّن يحتمل في سفره ذلك، ولا وجوب التيمّم مع احتمال الضرر بالوضوء أو الغسل، إلى غير ذلك من موارد احتمال الضرر الدنيوي.

نعم، قد علّق الحكم في بعض الموارد على خوف الضرر المساوق للظنّ به، وهو إن شمل الشكّ كان حكماً تعبّدياً في مورده، لا يصحّ النقض به ولا يصلح لاستفادة قاعدة منه.

وقول العلماء بوجوب دفع الضرر المظنون لعلّه يراد به الضرر الأخروي، وهو في موارد قيام الأمارات الشرعيّة في الموضوعات والأحكام ممّا لا ريب فيه، وفي غير تلك الموارد ملحق بالضرر المحتمل، وقد تطابق العقل والنقل على

عدم الاعتناء به في الشبه البدوية مطلقاً أو في الجملة.

أمّا الضرر الدنيوي ـ مظنوناً ومحتملاً ـ فقد أسلفنا القول بأنّ دفعه أمر فطري جبلي، وليس بحكم عقلي ولا شرعي،إلّا ما كان منه نحو إلقاء النفس في مهلكة، أو موجباً لفقد طرف أو حدوث مرض أو شبه ذلك، وذلك لخصوص ما علق فيه الحكم على خوف الضرر أو ظنّه، على تفصيل سلف في صحّة العبادة منه وعدمها.

إذاً فما هو موقع القول؟ وأين «اكتفاؤهم باحتمال الضرر الموجب لصدق خوف الضرر في إسقاط التكليف»؟ فإنّا لا نعرف فقيهاً ولا أصوليّاً اكتفى في الضرر الدنيوي بالاحتمال في سقوط تكليف ولا ثبوته، كيف والأضرار المحتملة في الأفعال نفساً ومالاً وبدناً ممّا لا تكاد تنتهي، ولا يمكن التحرّز عنها، إذ ما من فعل إلّا ويحتمل الضرر فيه من جهة أو جهات.

نعم، ذكر متكلّمونا ذلك في مقام الاستدلال على وجوب شكر المنعم؛ إذ قالوا: بأنّ في تركه احتمال المضرّة، وجعلوا ثمرة وجوب دفعه استحقاق تارك الفحص عن صحّة دعوى مدّعي النبوّة العقاب، والاكتفاء به من خصوصيات ذلك المقام المعلوم مصادفة الاحتمال فيه للواقع، وذلك في الحقيقة دفع لأعظم الأضرار المقطوعة لا المحتملة.

خلاصة القول في الإيذاء والضرر

لنرجع إلى مسألة إيذاء النفس وإدخال الضرر عليها، ونبحث عنهما من طريق آخر لا يعسر على العامّة فهمه، يكون نصفاً بين الجميع، فنقول:

لاريب في أنّ لإيذاء النفس وإدخال الضرر عليها مراتب، أعلاها ماليس فوقه إلّا إزهاق النفس، وأدناها ماليس تحته إلّا العدم المحض، والمراتب المتوسّطة بينهما كثيرة لا تقف على حدّ.

وليس في الأدلّة الشرعيّة ما يقضي بحرمة غيرما يكون إلقاءً للنفس بالتهلكة أو الجناية عليها بقطع عضو أو حدوث مرض لا يتحمّل في العادة وشبه ذلك.

ولا نجد في أحكام العقول ما يوجب قبح غيرما يكون ظلماً للنفس، وليس جميع المراتب المتوسطة من الظلم القبيح إذا خلت عن الأعواض الأخرويّة باعتبار انطباق العناوين الراجحة عليها شرعاً، فكيف إذا انطبق عليها نحو عنوان الإبكاء والحزن والجزع لمصاب سيّد الشهداء؟!

والحاصل، أنّ الفعل الذي ينزله الفاعل بنفسه ويسمّيه هذا الكاتب إيذاءً وإضراراً، إذا وقع لغرض عقلائي ولو كان هو النفع الأخروي، لا يصدق عليه

اسم الظلم قطعاً، وإلّا كان عليه أن يلتزم بحرمة ارتكاب المهن المجهدة للنفس والبدن من حرفة أو صنعة[١]، ومع عدم صدقه فأيّ دليل من العقل والنقل ـ كما يقول ـ على حرمته؟! بل أيّ دليل على الحرمة إذا تجرّد عن كلّ غرض عقلائي؟! إذ غاية الأمر صيرورته حينئذٍ فعلاً عبثيّاً.

ولا برهان من العقل والنقل يدلّ على أنّ كلّ فعل ليس للعقلاء فيه فائدة مقصودة معتدّ بها قبيح عقلاً ومحرّم شرعاً، فإنّ العناوين القبيحة العقلية معلومة، وليس العبث منها، وموضوعات الأحكام التحريميّة معروفة حسبما يستفاد من الأدلّة الشرعيّة، وليس هو أحدها. لكنّي لا أستبعد من بعض أهل الأذواق اللطيفة أن يقول حينئذٍ هو فعل «همجي وحشي جنوني» إلى غير هذه الألفاظ من أمثالها، ونحن نلقي إليه بكلّ صراحة هذا الجواب:

إنّ هذه السفاسف الرائجة لا يعتني بها الفقهاء، إلّا أن يقوم البرهان عندهم على حرمة عنوان الوحشية والهمجية وإن لم يكن فيه خروج عن الحدود الشرعيّة.

ولعلّ من هذا كلّه يحصل اليقين بالفرق بين الإيذاء والإضرار، وأنّ الإيذاء بجميع أنواعه لا دليل على حرمته، ومنه جرح الإنسان رأسه بسيف أو مدية، وضرب ظهره بسلسلة، ولدم صدره حتّى يسود وحتّى يسيل منه الدم.

---

(١) كالعمل في المعامل الحديدية وأتونات البواخر والحمامات، وقس على ذلك حرث الأرض بالآلات العادية القديمة، وطرق الحديد بالمطارق الثقيلة، ومزاولة عمل البناء في حماوة القيظ وصبارة القرّ، وغير ذلك ممّا يوجب إيذاء النفس وإدخال الضرر عليها.

وأمّا الإضرار، فما يكون منه ظلماً للنفس بإلقائها في مهلكة وتعريضها للأمراض والآفات والعاهات، فلا ريب في قبحه عقلاً وحرمته شرعاً[(١)]. ومالم يكن كذلك، فلا دليل على حرمة المعلوم كونه ضرراً، فضلاً عمّا يشكّ في كونه مضرّاً[(٢)]».

(١٤) ذكر السيّد مهدي السويج الخطيب (ت ١٤٢٣هـ) في رسالته «الفتاوى والتقارير في جواز العزاء والشبيه والسلاسل والتطبير» فتاوى مجموعة من الأعلام عن الشعائر الحسينيّة، نوردها هنا تعميماً للفائدة، إذا قال:

فتاوى حجج الإسلام علمائنا الأعلام رحم الله الماضين وأيّد الباقين

هذا أوّلاً نصّ ما جاء في المنشور البصري عام ١٣٤٥هـ وأوّله جواب عالم العلماء، سماحة الإمام الميرزا النائيني رحمه الله، ثمّ أتبعه بما أخرجته من بطون الكتب، ثمّ الفتاوى التي وصلتني من الموجودين الآن، قال قدس سره:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى البصرة وما والاها

بعد السلام على إخواننا الأماجد العظام أهالي القطر البصري ورحمة الله وبركاته.

---

(١) لعموم حرمة الظلم كتاباً وسنّة.

(٢) الموارد المشكوك كونها ضرراً من جهة الشبهة المفهومية يرجع فيها إلى العمومات المثبتة للتكاليف، ولا يرجع البتّه إلى ما يدلّ على حرمة الإضرار بالنفس لو كان له عموم أو إطلاق إلّا على القول بجواز التمسّك بالعموم عند اشتباه المصداق.

أنظر النقد النزيه لرسالة التنزيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٦:٥٨.

قد تواردت علينا في الكرادة الشرقيّة ببغداد برقياتكم وكتبكم، المتضمّنة للسؤال عن حكم المواكب العزائيّة وما يتعلّق بها، وإذ رجعنا بحمد الله سبحانه إلى النجف الأشرف سالمين، فها نحن نحرّر الجواب عن تلك السؤالات ببيان مسائل:

١ـ خروج المواكب في عشرة عاشوراء ونحوها إلى الطرق والشوارع ممّا لا شبهة في جوازه ورجحانه، وكونه من أظهر مصاديق ما يُقام به عزاء المظلوم، وأيسر الوسائل لتبليغ الدعوة الحسينيّة إلى كلّ قريب وبعيد.

لكن اللازم تنزيه هذا الشعار العظيم عمّا لايليق بعبادة مثله من غناء أو استعمال آلات اللهو أو التدافع في التقدّم أو التأخّر بين أهل محلّتين ونحو ذلك، ولو اتّفق شيء من ذلك فذلك الحرام الواقع في البين هو الحرام، ولا تسري حرمته إلى الموكب العزائي، ويكون كالنظر إلى الأجنبيّة حال الصلاة في عدم بطلانها به.

٢ـ لا إشكال في جواز اللطم بالأيدي على الخدود والصدور حدّ الإحمرار والإسوداد، بل يقوى جواز الضرب بالسلاسل أ يضاً على الأكتاف والظهور إلى الحدّ المذكور، بل وإن أدّى كلّ من اللطم والضرب إلى خروج دم يسير على الأقوى.

وأمّا إخراج الدم من الناصية بالسيوف والقامات، فالأقوى جواز ما كان ضرره مأموناً، وكان من مجرّد إخراج الدم من الناصية بلا صدمة على عظمها، ولايتعقّب عادة بخروج ما يضرّ خروجه من الدم ونحو ذلك، كما يعرفه المتدرّبون العارفون بكيفيّة الضرب.

ولو كان عند الضرب مأموناً ضرره بحسب العادة، ولكن اتّفق خروج الدم قدرما يضرّ خروجه، لم يكن ذلك موجباً لحرمته، ويكون كمن توضّأ أو اغتسل أو صام آمناً من ضرره ثمّ تبيّن تضرّره منه.

لكن الأولى بل الأحوط أن لا يقتحمه غير العارفين المتدرّبين، ولاسيّما الشبّان الذين لايُبالون بما يوردونه على أنفسهم؛ لعظم المصيبة، وامتلاء قلوبهم من المحبّة الحسينيّة، ثبّتهم الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

٣ ـ الظاهر عدم الإشكال في جواز التشبيهات والتمثيلات، التي جرت عادة الشيعة الإماميّة باتّخاذها لإقامة العزاء والبكاء والإبكاء منذ قرون، وإن تضمّنت لبس الرجال ملابس النساء على الأقوى، فإنّا وإن كنّا مستشكلين سابقاً في جوازه وقيّدنا جواز التشبيه في الفتوى الصادرة عنّا قبل أربع سنوات بخلوّه عن ذلك، لكنّا راجعنا المسألة ثانياً، واتّضح عندنا أنّ المحرّم من تشبيه الرجل بالمرأة هو ما كان خروجاً عن زيّ الرجل رأساً وأخذاً بزيّ النساء، دون ما إذا تلبّس بملابسها مقداراً من الزمان بلا تبديل لزيّة، كما هو الحال في هذه التشبيهات، وقد استدركنا ذلك أخيراً في حواشينا على العروة الوثقى، نعم يلزم تنزيهها عن المحرّمات الشرعيّة وإن كانت على فرض وقوعها لاتسري حرمتها إلى التشبيه كما تقدّم.

٤ـ الدمّام المستعمل في هذه المواكب ممّا لم يتحقّق لنا إلى الآن حقيقته، فإن كان مورد استعماله هو إقامة العزاء، وعند طلب الاجتماع، وتنبيه الركب على الركوب، وفي الهوسات العربيّة، ولايستعمل في ما يطلب فيه اللهو والسرور ـ كما هو المعروف عندنا في النجف الأشرف ـ فالظاهر جوازه والله العالم.

٥ ربيع الأوّل ١٣٤٥

حرّره الأحقر محمّد حسين الغروي النائيني

٥- «ما أفاده شيخنا الأستاذقدس سره في أجوبة هذه الأسئلة البصريّة هو الصحيح، ولابأس بالعمل على طبقه، ونسأل الله تعالى أن يوفّق جميع إخواننا المؤمنين لتعظيم شعائر الدين والتجنّب عن محارمه».

الأحقر أبوالقاسم الموسوي الخوئي [(١)].

٦- «ما ذكره قدس سره في هذه الورقة صحيح إن شاء الله».

الأقل عبدالهادي الشيرازي الحسيني.

٧- «ما سطّره أستاذناقدس سره في نهاية المتانة وفي غاية الوضوح، بل هو أوضح من أن يحتاج إلى أن يُعضد بتسجيل فتوى الوفاق، والمظنون أنّ بعض المناقشات إنّما نشأت من انضمام بعض الأمور من باب الاتّفاق التي ربّما تنافي مقام العزاء ومظاهر الحزن على سيّد الشهداءعليه السلام، فالأمل بل اللازم الاهتمام في تنزيهها من ذلك، والمواظبة على البكاء والحزن من جميع من يقوم بهذه الشعائر المقدّسة، وما توفيقي إلّا بالله، عليه توكلت وإليه أُنيب».

محسن الطباطبائي الحكيم

٨- «ما أفاده قدس سره صحيح لا إشكال فيه، والله الموفق».

محمّد حسن ابن الشيخ محمّد المظفر.

٩- «ما أفتى به الشيخ قدس سره صحيح شرعاً إن شاء الله».

الأحقر حسين الموسوي الحمامي

---

(١) كنتُ قد كتبتُ إلى سماحة الإمام الخوئي بهذا الخصوص، فأجابني أيّده الله برسالة في طيّها نسخة من المنشور البصري المذكور وتحت فتواه الكريمة توقيعه المبارك «المؤلّف».

١٠- «ما أفاده أعلى الله مقامه من ذكر فتواه صحيح إن شاء الله».

محمّد الحسين آل كاشف الغطاء

١١- «ما أفتى به أعلى الله مقامه صحيح».

الأحقر محمّد كاظم الشيرازيّ

١٢- «ماحرّره شيخنا العلامة قدّس الله تربته الزكيّة من الأجوبة على المسائل المندرجة في هذه الصحيفة هو الحقّ المحقّق عندنا، ونسأل الله أن يوّفقنا وجميع المسلمين لإقامة شعائر مذهب الإماميّة، والرجاء من شبّان الشيعة وفّقهم الله تعالى أن ينزّهوا أمثال هذه الشعائر الدينيّة من المحرمات التي تكون غالباً سبباً لزوالها، إنّه ولي التوفيق».

محمود الحسينيّ الشاهروديّ

١٣- ما حرّره شيخنا الأستاذ أعلى الله مقامه في هذه الورقة صحيح ومطابق لرأيي.

وأنا الأحقر جمال الدين الموسوي الگلبايگاني

١٤- «ما رقمه الأستاذ الأعظم طاب ثراه هو الحقّ الذي لايشكّ فيه إلاّ المرتابون».

وأنا الأحقر الجاني علي مدد القاينيّ

انتهى المنشور البصري بعد أن وردت خلاله إشارة إلى:

١٥- فتوى لسماحة الإمام الشيخ محمّد رضا آل ياسين قدس سره في «رنّة الأسى»(١) جاءت مفصّلة في جواز ما تقدّم.

---

(١) رنّة الأسى (المطبوعة ضمن هذه المجموعة)٥:١١٩.

وهذه فتاوى عثرت عليها في كتب الفقه والأحاديث.

١٦- فتوى سماحة العلامة الإمام الشيخ زين العابدين الحائري رحمه الله:

جاء في كتابه «ذخيرة المعاد» ص ٦١٩ وص ٦٢٠ في جواب السؤال عن حكم استعمال الطبل والصنج في عزاء الحسين عليه السلام، مع كونهما لا يستعملان إلاّ في مقام العزاء ما ترجمته: «لا بأس به، بل هو من الأمور المطلوبة المحبوبة».

١٧- فتوى شيخ الطائفة سماحة الإمام الشيخ جعفر كاشف الغطاء قدس سره:

جاء في كتابه الجليل «كشف الغطاء» بعد أن ذكر الأعمال التي تصنع في مقام عزاء الحسين من دقّ طبل وإعلام أو ضرب نحاس وتشابيه صور ولطم خدود وصدور ما لفظه: «وجميع ما ذُكر وما يشابهه، إن قصد به الخصوصيّة كان تشريعاً، وإن لوحظ فيه الرجحانيّة من جهة العموم فلا بأس به».

١٨- فتوى سماحة الفقيه العّلامة الشيخ خضر بن شلال:

جاء في ص ٧١ من كتاب «الأنوار الحسينيّة» عن كتاب «أبواب الجنان وبشائر الرضوان» للشيخ خضر المذكور، ما نصّه: «يستفاد من النصوص التي منها ما دلّ على جواز زيارته ولو مع الخوف على النفس، جواز اللطم عليه والجزع لمصابه بأيّ نحو كان ولو علم أنّه يموت من حينه، فضلاً عمّا لا يخشى الضرر»[1].

١٩- فتوى الفاضل القمّي:

جاء في كتاب «جامع الشتات» ص ٨٥٢ طبع طهران لمولّفه العّلامة الكبير والفقيه الشهير أبي القاسم، الملقّب بالفاضل القمّي، في الجواب عن مسألة البكاء واللطم والتشبيه ما نصّه: «إنّي لا أرى وجهاً للمنع عن ذلك».

(١) الأنوار الحسينيّة (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٣:٣٥٣.

قال قدس سره: «وأمّا التشبيه بإمرأة خاصّة في زمان قليل لغرض خاصّ، فهو خارج عن منصرف الأخبار ـ إلى أن قال رحمه الله ـ: إنّ تشبيه الرجل نفسه بالشمر قاتل الحسين من أعظم المجاهدات، وفيه تحقير النفس وتذليل لها، وفعل ذلك لجلب مراضي الله تعالى من أعظم جلب الفيوضات الإلهيّة».

٢٠- فتوى أخرى لسماحة الشيخ زين العابدين الحائري قدس سره في ص ٦١٨ في كتابه «ذخيره المعاد» المطبوع في بمبئ، قال ـ بعد ذكره للسؤال الوارد عليه عن حكم التمثيل بما يشتمل عليه من تشبيه الرجل بالمرأة ـ ما ترجمته: «لا بأس بذلك، بل هو من المرغوب فيه مالم يشتمل عليه محرّم خارجي كالغناء ونحوه».

وقال أيضاً رحمه الله في ص ٧٨٦ في جواب السؤال الوارد عليه في بناء الضرائح وتشبيهها وحملها في الشوارع والأزقة ورميها في البحر بعد العشرة الأولى من محرّم، أو دفنها أو إبقائها على حالها للسنة المقبلة، قال رحمه الله ما نصّه:

«يجوز بناء صورة ضريح الحسين، بل سائر الأنبياء والأولياء والعلماء، وغيرهم من الأخيار، لوجوه ممدوحة، وكذا يجوز نقلها في الشوارع والأسواق وغيرها؛ لأنّه موجب للإبكاء والبكاء والتبري من أعدائه، وتذكّر أيام الطف. واستهزاء البعض من الكفّار وغيرهم لا يوجب الضرر والمنع، بل الضرر يرجع إليهم، و «إنّما الأعمال بالنيّات، لكل أمرىءٍ ما نوى»[1]. ﴿**قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى**

(١) صحيح البخاري ١:٦ كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

شَاكِلَتِهِ﴾[١]، وكذا يجوز طرحه في البحر أو دفنه أو إبقاؤه إلى السنة الآتية والأحسن الإبقاء».

٢١- فتوى سماحة الإمام الكبير المرحوم الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء.

جاء في كتابه «المواكب الحسينيّة» ص ١٩، و «الأنوار الحسينيّة»[٢] ص ٦٠ تأليف شيخ العراقين، وكتاب «نصرة المظلوم[٣]، لفضيلة العلامة الشيخ حسن آل الشيخ إبراهيم مظفر رحمه الله، وفي كتاب «الآيات البينات»[٤] للإمام كاشف الغطاء نفسه، قال ما نصّه:

«أمّا الحكم الشرعيّ في تلك المظاهرات والمواكب العزائيّة، فلا إشكال في أنّ اللطم على الصدور والضرب بالسلاسل على الظهور وخروج الجماعات في الشوارع والطرقات مباحة مشروعة، بل راجحة مستحبّة.

وأما ضرب الطبول والأبواق غير مقصود بها اللهو، فلا ريب أيضاً في مشروعيّتها لتعظيم الشعار.

وأما الضرب بالسيوف والإدماء، فهو كسوابقه مباح بمقتضى أصل الإباحة، بل راجح بقصد إعلام الحزن، إلّا أن يعلم بعروض عنوان ثانوي

---

(١) الإسراء (١٧): ٨٤.

(٢) الأنوار الحسينيّة (المطبوع ضمن هذه المجموعة) ٣: ٣٤١.

(٣) نصرة المظلوم (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢: ٣٧٢.

(٤) الآيات البيّنات (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٣: ١٣٦.

يقضي حرمة شيء من تلك الأعمال الجليلة، كمن خشى على نفسه التلف أو الوقوع بمرض دائمي ـ إلى أن يقول رحمه الله ـ إنّ استلزام بعض هذه الصور فساداً أحياناً لايوجب تحريماً مطلقاً».

ويقول رحمه الله ما نصّه «أمّا الألم الذي يزول بسرعة، فلا يوجب الحرمة، وأما الشبيه فلا ريب أنّ أصل تشبّه شخص بشخص مباح».

ويقول في نهاية الموضوع ما نصّه: «نعم، خروج النساء سوافر محرّم، سواء كان في التشبيه أو غيره، وهذا لا يقتضي حرمة الشبيه ـ حتّى قال رحمه الله ـ ولو أنّ كلّ راجح يستلزم محرّماً أو يقع فيه محرّم تركناه لبطلت سنن الشريعة، وقوّضت دعائم الدين» انتهى.

وهذه صورة ما كتبته إلى أعلام المراجع بالحرف الواحد: «ما يقول مولانا ضرب القامة في عاشوراء أيثاب عليه أم يُعاقب؟ وهل هو جائز أم حرام أم مستحب؟ أفتونا مأجورين، وكذلك عن ضرب الظهور بالسلاسل أفتونا مأجورين».

وقد وصلني عدد من أجوبتهم دامت فيوضاتهم، فهم مصابيح الظلمة وأعلام علماء الأمّة، ووكلاء المعصومين الأئمّة، وها أنا أنشر ما وصلني من فتاويهم الكريمة، وما يصلني بعد هذا فأنشره في الطبعة الثانية إن شاء الله.

٢٢– فتوى سماحة الإمام آية الله السيّد محسن الحكيم دام ظلّه:

«جناب الفاضل المهذّب الزكي السيّد مهدي السويج الخطيب المحترم دام تأييده.

إذا كان ضرب القامة فيه ضرر على الفاعل أو يتخوّف منه الضرر فهو حرام، وإذا كان مأموناً من الضرر فهو جائز، وإذا كان بقصد إظهار المصاب فهو مستحبّ وفيه الأجر والثواب، والله سبحانه العالم.

التوقيع: محسن الحكيم الطباطبائي

٢٣- فتوى سماحة الإمام آية الله السيّد عبدالهادي الشيرازي دام ظلّه:

جناب السيّد الأجلّ المعظّم السيّد مهدي السويج الخطيب دام تأييده وعزّه.

إذا كان مأمون الضرر فلا بأس به إن شاء الله تعالى وهو جائز، بل يستحب إذا كان بعنوان العزاء للحسين عليه السلام، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

التوقيع: عبدالهادي الحسينيّ الشيرازيّ

٢٤- فتوى سماحة الإمام آية الله السيّد جمال الدين الگلبايگانيّ دام ظلّه:

لحضرة السيّد الجليل العلامة السيّد مهدي السويج الخطيب المحترم سلمه الله تعالى وحفظه.

لا بأس بهما، بل يثاب عليهما إذا كان بنحو المتعارف، كما أفتى به شيخنا النائني قدس سره تفصيلاً في منشوره المطبوع، وعليه إمضاؤنا والله العالم.

التوقيع: جمال الموسوي الگلبايگانيّ

٢٥- فتوى سماحة الإمام آية الله السيّد محمّد جواد التبريزيّ دام ظلّه:

بمطالعة ولدنا العزيز، عالم الخطباء وخطيب العلماء، فضيلة السيّد مهدي السويج الخطيب المحترم.

نعم فعلهما سائغ شرعاً، بل مندوب وفاعلهما مثاب ومأجور.

التوقيع: محمّد الجواد الطباطبائي التبريزيّ

٢٦- فتوى سماحة الإمام آية الله الشيخ مرتضى آل يس دام ظلّه:

فضيلة السيّد الشريف الخطيب البارع السيّد مهدي السويج المحترم دام عزّه.

ليس في الكتاب ولا في السنّة ما ينهى عن القيام بشيء من هذه الأعمال الوارد ذكرها في السؤال، اللهمّ إلّا ما كان منها مستوجباً لضرر القائم به، حيث إنّ الإضرار بالنفس حرام على المشهور، أمّا مَن لا يخاف على نفسه الضرر من جرّاء القيام بعمل من تلك الأعمال فلا سبيل شرعاً إلى نهيه عنها إطلاقاً.

التوقيع: مرتضى آل يس.

٢٧- فتوى سماحة الإمام آية الله الشيخ عليّ كاشف الغطاء دام ظلّه:

حضرة الخطيب السيّد مهدي السويج الخطيب المحترم.

لا إشكال في جواز ذلك واستحبابه، ما لم يبلغ حدّ الإضرار المحرّم بالنفس، كما هو الحال في سائر المستحبّات، والسلام.

التوقيع: عليّ كاشف الغطاء

٢٨- فتوى سماحة الإمام آية الله السيّد إبراهيم الاصطهباناتيّ دام ظلّه:

السيّد الجليل الخطيب البارع السيّد مهدي السويج المحترم وفقه الله تعالى.

لمّا كان المتصدّي لها لا يخاف الهلكة لا بأس فيهما، ويُثاب ويُؤجر عليهما إن شاء الله ﴿**وَ مَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهَّ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾[1].

التوقيع: إبراهيم الشيرازيّ الإصطهباناتيّ.

---

(١) الحجّ (٢٢): ٣٢.

٢٩- فتوى سماحة الإمام آية الله الشيخ عباس الرميثيّ دام ظلّه:

الكامل المهذّب الفاضل الأديب السيّد مهدي السويج الخطيب المحترم سلّمه الله.

أمّا الضرب بالسلاسل على الأكتاف والظهور، فضلاً عن اللطم على الخدود والصدور، فممّا لا ينبغي الإشكال فيه لمن لا يخاف الضرر على نفسه، فيجوز له ذلك وإن استلزم إحمرار الجلد وإسوداده، بل وإن استلزم خروج الدم اليسير، بل يمكن أن يقال برجحانه شرعاً واستحقاق الثواب لفاعله؛ لما فيه من تعظيم الشعائر وكونه من مظاهر الحزن والجزع لأجل تلك المصيبة الفادحة العظمى، التي تصغر عندها كلّ مصيبة وإن جلّت وعظمت.

وأمّا إخراج الدم من الرأس والناصية بالسيوف والقامات، فالأقوى أيضاً جواز ما كان ضرره مأموناً، ولكن الأحوط الاجتناب لمن كان عصبيّ المزاج، فإنّه يُخشى عليه من شدّة التأثير أن لا يقوى على إمساك نفسه، لاسيّما الشبّان الذين لا يُبالون بما يوردونه على أنفسهم؛ لعظم المصيبة وإمتلاء قلوبهم من المحبّة الحسينيّة، سدّدهم الله وثبّتهم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

التوقيع: عباس الرميثيّ

٣٠- وأخيراً فتوى سماحة الشيخ جعفر الشوشتري رحمه الله وكانت فعليّة تَناولَ القامة صباح عاشوراء وشرع يضرب ويقول لمستفتيه: هذا جوابكم.

هذه ٣٠ فتوى لأبرز حجج الإسلام وآيات الله في الأنام، العلماء الذين هم كأنبياء بني إسرائيل بنصّ الحديث الشريف[١]، وقد اشتملت كما تراها على

---

(١) حديث مرفوع، ذكره العجلوني في كشف الخفاء ومزيل الإلباس،والقارئ في الأسرار المرفوعة في الأحاديث الموضوعة، وابن حجر في فتح الباري، وغيرهم.

جواز التطبير (ضرب القامة)، والضرب بالسلاسل (الزنجيل)، كما اشتملت على جواز اللطم، والبكاء، والإبكاء، والشبيه والتمثيل، والخروج إلى الشوارع والأسواق»[1].

(١) الفتاوى والتقارير (المطبوعة ضمن هذه المجموعة)٦:٥٢٩.

خروج مواكب التطبير من بيوت العلماء

يستدلّ المجوّزون للتطبير، بأنّ الكثير من المؤمنين كانوا يضربون رؤوسهم بالسيوف والقامات في بيوت العلماء ومراجع الدين وبحضورهم أيضاً، فلو كان هذا العمل محرّماً لحرّمه مراجع التقليد، وهم أنذاك قادرون على تحريمه، والناس سامعون ومطيعون لهم.

بل إنّ الكثير من مراجع الدين يومذاك كانوا يشجّعون المتطبّرين ويبذلون لهم أموال ملابسهم البيضاء، التي كانوا يلبسونها وقت قيامهم بهذا الفعل، الذي يسمونه «الكفن».

وإليك ما ورد في هذه المجموعة من الرسائل، من عبارات المؤلّفين لها، المختصّة بهذا الأمر:

(١) نقل الشيخ حسن المظّفر (ت١٣٨٨هـ) في رسالته «نصرة المظلوم» عن العلّامة الشيخ محمّد جواد البلاغي النجفي (ت١٣٥٢هـ) قوله:

«كان الشبيه يترتّب يوم العاشر في دار الميرزا (السيّد الشيرازيّ ت ١٣١٢هـ) قدّس سرّه، ثمّ يخرج إلى الملأ مرتّباً، وكذلك موكب السيوف، كان أهله يضربون رؤوسهم في داره ثمّ يخرجون، وكانت أثمان أكفانهم، تُوخذ منه، وما كان أفراد الشبيه سوى الفضلاء من أهل العلم؛ لعدم معرفة غيرهم بنظمه في قول وفعل.

ودام هذا كلّه بجميع ما فيه إلى آخر أيّام خلفه الصالح الورع الميرزا محمّد تقي الشيرازيّ (ت١٣٣٨هـ) قدّس سرّه، وكان الشبيه يترتّب أيضاً في داره، ومنه تخرج المواكب وإليه تعود، بيد أنّ موكب السيوف لم يتألّف غيره مرّة؛ لأنّ القائمين به ـ وهم الأتراك لا غيرهم ـ كانوا يومئذٍ قليلين، ولقلّتهم استحقروا موكبهم فتركوه من تلقاء أنفسهم»[(١)].

ثمّ يعقّب الشيخ حسن المظفّر على كلام العلّامة البلاغي بقوله:

«وإن بعد عليك عهد الشيخ الأنصاري والسيّد الشيرازيّ، فهذا بالأمس الأفقه الأورع الشيخ محمّد طه نجف (ت١٣٢٣هـ) قدّس سرّه، يرى في النجف بل العراق جميع الأعمال المشار إليها، وهو أقدر على المنع فلا يمنع.

إنّ المواكب جميعاً حتّى موكب القامات تدخل إلى داره ـ وهي بتلك الهيئات المنكرة على ما يقول (أي السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني في رسالته «الصولة»ـ وهو لا يحرّك شفته بحرف من المنع، بيد أنّه يلطم معهم ويبكي وهو واقف مكانه.

---

(١) نصرة المظلوم (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢:٤٣٦.

وكذا العلّامة المتقن المتبحّر السيّد محمّد آل بحر العلوم الطباطبائي (ت١٣٢٦هـ) تقام في داره أعظم وأفخم مآتم النجف، ويحضره جميع أهل العلم، ويقع فيه التمثيل الذي يقع في دار الشيخ وزيادة.

هذا غير كون الدار المذكورة موئلاً لجميع المواكب، وبها تَضربُ أربابُ السيوف رؤوسها من لدن السيّد علي بحرالعلوم [ت١٢٨١هـ] أو قبله حتّى اليوم، ومنها تخرج إلى الشوارع والبيوت والجواد [1] العموميّة، وإليها تعود بلا إنكار ولا استيحاش» [2].

(٢) قال الميرزا محمّد عليّ الغروي الأردوبادي (ت١٣٨٠هـ) في رسالته «الكلمات التامّات في المظاهر العزائية لسيد الشهداء عليه السلام»:

«وكان آية الله العظمى الميرزا محمّد حسن الشيرازيّ [ت١٣١٢هـ] قدّس سرّه، من داره بسامراء تخرج مواكب اللطم والتشبيه والقامات ـ بأمره وإشارته وإعداده ـ ويخترقون الأزقّة، والعُراةُ في موكب اللطم فُضلاءُ أصحابه والعلماءُ بعده» [3].

وقال في موضع آخر من رسالته هذه:

«وكان في سامراء من داره [الميرزا محمّدحسن الشيرازيّ] يخرج هذا الموكب [موكب التطبير] وهو الذي يبذل أثمان أكفانهم...، وكان فقيه العترة

---

(١) الجواد، جمع الجادة: وهي معظم الطريق.الصحاح ٢: ٤٥٢ «جدد».

(٢) نصرة المظلوم (المطبوعة ضمن هذه المجموعة): ٢: ٤٣٧–٤٤٠.

(٣) الكلمات التامّات (المطبوعة ضمن هذه المجموعة): ٣: ٤٠.

الطاهرةعليهم السلام السيّد عليّ بحرالعلوم في داره تضرب أهلُ هذه المواكب رؤوسها، ولم تُخرم هذه العادة على عهد العلاّمة السيّد محمّد بحرالعلوم، إلى اليوم»[1].

(٣) قال السيّد مرتضى ابن السيّد علي الداماد (القرن الرابع عشر) في كتابه الفارسي «الأعلام الحسينيّة» ما ترجمته:

«الثالث: خروج مواكب اللطم والتطبير، وضرب السلاسل والطبل والطاس والبوق، والشعائر المتعارفة في أيام العزاء منذ عصر غيبة الإمام المهديعجّل الله تعالى فرجه الشريف حتّى زماننا هذا».

وكانت هذه المواكب تخرج على عهد الفحول من العلماء، الذين حملوا لواء العزاء المحمّدي، وكلٌّ منهم متّبعاً سيرة مَن قبله من المسلمين.

وإن كانت هذه الأفعال ـ نعوذ بالله ـ غير صحيحة بنظرهم، فلماذا لم ينهوا عنها في برهة من الزمن؟! من قبل عهد آية الله العظمى السيّد ميرزا محمّد حسن الشيرازي[2] (أعلى الله مقامه) حيث كانت المواكب المشتملة على اللطم

---

(١) الكلمات التامّات (المطبوعة ضمن هذه المجموعة): ٣: ٧٤-٧٥.

(٢) هو الميرزا السيّد محمّد حسن الشيرازي، المعروف بالمجدّد الشيرازي، ولد في شيراز سنة ١٢٣٠هـ وحضر درس المحقّق السيّد حسن المدرس والمحقّق الكلباسي، ثم توجّه إلى العراق سنة ١٣٠٩هـ وحضر الأندية العلمية، حتّى نصّ صاحب الجواهر باجتهاده، واختصّ في التلمذه والحضور بأبحاث المحقق الأنصاري، حتّى صار يشار إليه بين تلاميذه، وهاجر إلى سامراء سنة ١٢٩١هـ ثمّ تبعه أصحابه وتلاميذه، فصارت سامراء ⇦

والتطبير والشبيه وغير ذلك تخرج بأمره وإعداده، بل من بيته الشريف، ثمّ تدخل في زقاقات سامراء وأسواقها؟!

ومن بعد وفاة هذا العالم الكبير كانت المواكب ترتب بمعونة آية الله آقا ميرزا محمّد تقي قدس سره (١) كالسابق.

وأمّا المرحوم حجّة الإسلام والمسلمين آقا فاضل الشرابياني(٢) (عليه الرحمة) فقد كان يوكل أجوبة الأسئلة الواردة عليه في قضيّة الشعائر إلى باب الحوائج أبي الفضل العباس عليه السلام، وكان يتصدّر بنفسه المواكب العزائية التي

⇨

مركزاً للعلم والعمل. وهو الذي أفتى بحرمة تدخين التنباك لمّا أعطى امتياز حصره الشاه ناصرالدين للإنكليز، فامتنع عن تدخينه جميع الإيرانيين، واضطر الإنكليز إلى فسخ الامتياز. توفي سنة ١٣١٢هـ وحمل إلى النجف الأشرف، ودفن في أحد حجرات الصحن العلوي المقدّس.

انظر: أعيان الشيعة ٥:٣٠٤، الكنى والألقاب للشيخ عبّاس القمي ٣:٢٢٢.

(١) هو الميرزا محمّد تقي الشيرازي الحائري ابن محبّ علي، توفي ١٣٣٨هـ في كربلاء، حضر على الأردكاني والميرزا الشيرازي، وانقطع إليه حتّى صار من أكبر تلامذته، وبعد وفاة الميرزا بقي في سامراء، ورجع إلى تقليده جماعة كثيرة، وفي أثناء الحرب العالمية، وانسحاب العثمانيين من العراق، واحتلال الانكليز للعراق أعلن الثورة ضدّهم، وكان له بها مواقف مشهودة. انظر: أعيان الشيعة ٩:١٩٢.

(٢) هو الملا محمّد بن فضل علي بن عبدالرحمن بن فضل علي الشرابياني، المعروف بالفاضل الشرابياني وبملا محمّد المقرر، ولد في شرابيان قرية من قرى أذربايجان سنة ١٣٤٨هـ وتوفي في رمضان سنة ١٣٢٣هـ تتلمذ على يد السيّد حسين الترك، والشيخ الأنصاري، له كتب في الفقه والأصول، وقُلّد في آذربايجان وقفقاسية بعد الميرزا الشيرازي. انظر أعيان الشيعة ١٠:٣٦.

يخرج فيها العلماء، حيث تمرّ في الأسواق والشوارع وتجتازها حتّى تدخل صحن أبي الأئمةعليه السلام.

وكان في صدارة موكب السادات العلماء المرحوم حجّة الإسلام السيّد محمّد بحرالعلوم[1]، والسيّد حسين القزويني[2].

---

(١) هو السيّد محمّد ابن السيّد محمّد تقي ابن السيّد رضا ابن السيّد محمّد المهدي بحرالعلوم، ولد في النجف الأشرف ١٢٦١هـ وتوفي فجأة بالنجف سنة ١٣٢٦هـ وتلمذ على علماء عصره أمثال السيّد علي صاحب البرهان، والفقيه الشيخ راضي، والسيّد حسين الترك وغيرهم، وكان محققّاً مدقّقاً عريقاً عريفاً في الفقه، وصنّف بعدما كفّ بصره كتابه المعروف «بلغة الفقيه».

انظر: أعيان الشيعة ٩:٤٠٨.

(٢) هو السيّد حسين ابن السيّد مهدي ابن السيّد حسين ابن السيّد أحمد الحسيني الحلّي النجفي، المعروف بالقزويني، ولد بالحلّة سنة ١٢٦٨هـ وآل القزويني بيت علم وسيادة جليل، من أجلّ البيوتات العلميّة في النجف والحلّة وطويريج، لهم رئاسة علمية دينية ورئاسة دنيوية، والمترجم من أعيانهم وأعيان عصره علماً ورئاسة وجلالة وهيبة وخلقاً، وكانت داره مجمع الفضلاء والأدباء، تلقى فيها المحاضرات، وينشد فيها الشعر.

وهو سبط الشيخ علي بن جعفر الكبير آل كشف الغطاء،درس عند أبيه السيّد مهدي وأخويه السيّد صالح والسيّد محمّد القزويني، وكذا أخذ عن الملا لطف الله المازندراني والملا محمّد الإيرواني والآخوند صاحب الكفاية والميرزا حبيب الله الرشتي. توفي بالنجف الأشرف في ٢١ ذي الحجّة ١٣٢٥هـ ودفن بالنجف في مقربتهم.

انظر: أعيان الشيعة ٦:١٧٦.

كما كان يخرج في المواكب المرحوم حجّة الإسلام آقا شيخ محمّد طه نجفي [١]، والمرحوم آقا ميرزا حبيب الله الرشتي [٢]، وجمع من العلماء الأعلام الذين كانوا يحضرون المواكب المشتملة على التشابيه والتطبير.

فمشاهدة هؤلاء العلماء لهذه الشعائر بالعيان يُعدّ دليلاً واضحاً على جوازها.

وأمّا الوالد المرحوم، حجّة الإسلام والمسلمين، آية الله في العالمين، قدوة أرباب التقى، الطائف بالبيت والساعي في الصفا، سميّ جدّه علي المرتضى، نوّر الله مرقده، فقد كان والهاً بسيّد الشهداء عليه السلام، وكان يهتمّ اهتماماً بالغاً بتشييد وتأييد مواكب اللطم والعزاء والتطبير، خصوصاً في عشرة محرم

---

(١) وهو الشيخ محمّد طه ابن الشيخ مهدي ابن الشيخ محمّد رضا ابن الشيخ محمّد ابن الحاج نجف علي التبريزي، ولد في النجف سنة ١٢٤١هـ وتوفي سنة ١٣٢٣هـ، وهو من الفقهاء والعلماء المحقّقين المدققين، وتتلمذ على الشيخ علي الطفيلي والشيخ محسن خنفر والشيخ الأنصاري، وكانت له رياسة عامّة بعد وفاة الشيخ محسن الكاظمي، ورجع الناس إليه في التقليد.

انظر: أعيان الشيعة: ٩:٣٧٥.

(٢) وهو الشيخ ميرزا حبيب الله ابن الميرزا محمّد علي خان الگيلاني الرشتي، توفي في النجف سنة ١٣١٢هـ، كان أستاذ عصره، فقيهاً أصولياً محققاً، مؤسساً في الأصول، وحيد عصره في أبكار الأفكار، قرأ مبادئ العلوم في رشت وقزوين، ثمّ هاجر إلى النجف وتتلمذ على يد صاحب الجواهر والشيخ الأنصاري، وتخرّج على يده مئات من العلماء.

انظر: أعيان الشيعة ٤:٥٥٩.

الحرام، فكان يستقبل في بيته الشريف جمعاً من المواكب التي تختلف عليه واحدةً تلو الأخرى، وكان هو بنفسه يجمع رؤساء المواكب ويحثهم ويرغّبهم على الاستمرار فيها.

وقد حذوت ـ أنا الأحقرـ حذوه، وسرتُ على منهجه، وسلكت على عادته وطريقه، فلن أتركها، بل أضفت عليها موكب التطبير للسادة الهاشميّين، الذي جمّعته في بيتي، حيث يتوجّه المتطبّرون إلى الله تعالى مع كمال التضرّع والابتهال، ويسألونه أن لايسلب منهم هذه الوسيلة الحسينية، والتوفيقات والتأييدات الغيبيّة بمنّه وفضله فإنّه منعم كريم ورؤوف رحيم»[١].

(٤) قال الشيخ عبدالله السُبيتي (ت١٣٩٧هـ) في رسالته «رنّة الأسى»:

«إنّ رواية ولده [أي ولد الميرزا محمّد حسن الشيرازي] حجّة الإسلام ميرزا علي آغا، بل سائر تلامذته: إنّ أكفان الضاربين كانت من خاصّ ماله، وأنّ طلاب سامراء كانوا يلدمون صدورهم في الحسينيّة إلى فوق حدّ الإحمرار بمحضر منه، لشاهد عدل وناطق حقّ على أنّ ما ذكره الأستاذ [السيّد محسن الأمين] لانصيب له من الحقيقة»[٢].

(٥) قال الشيخ محمّد علي النجفي (من أعلام القرن الرابع عشر) في رسالته «إرشاد النبيه إلى خرافات التنزيه»:

«ولقد كان آية عصره وحجّة أوانه، المولى الأقا الدربندي قدّس سرّه [ت ١٢٨٦هـ]، مادام فيه قوّة كان يشقّ رأسه يوم عاشوراء، ويسيل منه الدم

---

(١) الأعلام الحسينيّة (المبطوع ضمن هذه المجموعة) ٤: ١٤-١٨.

(٢) رنّة الأسى (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥:١٨٧.

المفرط، وهو الذي أشاع جرح الرؤوس في العراق، ولم ينكر ذلك عليه أحد من العلماء، مع كثرة الأساطين الأتقياء يومئذٍ: كآية الله العظمى الشيخ مرتضى الأنصاري، وآيتي الله صاحبي الفصول والضوابط، وغيرهم قدّس سرّهم.

وبعد ماهرم وضعف كان يطيّن رأسه ووجهه وجسده وثيابه، ويخرج بتلك الهيئة إلى الصحن الشريف والأسواق»[١].

(٦) قال الميرزا محمد علي الغرويّ الأردوبادي (ت١٣٨٠هـ) في رسالته «كلمات جامعة حول المظاهر العزائيّة»:

«ونقل خلفه الصالح [أي خلف المجدّد الميرزا الشيرازي] آية الله السيّد ميرزا علي آغا: أنّ اللدم كان يقع أمامه بحسينيّته في سامرّاء بأشدّ مراتبه، وكثيراً مّا كان الدم يتدفّق من الصدور، وبأمره وإشارته كان ينعقد المجتمع، وينضّد الموكب.

وكذلك موكب السيوف كان ينضّد ويتجوّلون أمامه ويضربون؛ بعينه وبعلمه، وبمشهد من الجحاجحة الأساطين من تلمذته، كابن عمّه السيّد إسماعيل، والسيّد محمّد الأصفهانيّ، والميرزا محمّد تقيّ الشيرازيّ، والميرزا إبراهيم الشيرازيّ، والشيخ حسن علي الطهرانيّ،والسيّد إسماعيل الصدر، والميرزا حسين النوريّ، والمولى فتح علي السلطان آباديّ، والسيّد عبدالمجيد الهمداني، والسيّد إبراهيم الدامغانيّ، والسيّد إبراهيم الدرّوديّ الخراسانيّ، والشيخ إسماعيل الترشيزيّ، والشيخ محمّد حسن الناظر الطهرانيّ، والحاجّ ملاّ

---

(١) إرشاد النبيه إلى خرافات التنزيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة)٥:٢٤٠.

أبي طالب السلطان آباديّ، والآخوند ملاّ محمّد تقيّ القميّ، والآخوند ملاّ علي الدماونديّ.

وقد شاركه في هذا النقل العلاّمة آية الله النائينيّ [1]، والشيخ المجاهد الحجّة البلاغيّ، وجماهير من العلماء والمشايخ الذين شهدوا ذلك العهد الكريم.

---

(١) وله منشور مبسوط مثّلته الرسائل المؤلّفة، والنشرات المستقلّة، ومن قوله فيه ما نصّه: خروج المواكب العزائيّة في عشرة عاشوراء ـ ونحوها ـ إلى الطرق والشوارع ؛ ممّا لا شبهة في جوازه ورجحانه، وكونه من أظهر مصاديق ما يقام به عزاء المظلوم، وأيسر الوسائل لتبليغ الدعوة الحسينيّة إلى كلّ قريب وبعيد.

لكنّ الأرجح تنزيه هذا الشعار العظيم عمّا لا يليق بعبادة مثله ؛ من غناء، أو استعمال آلات اللهو، والتدافع ـ في التقدّم والتأخّر ـ بين أهل محلّتين، ونحو ذلك. ولو اتّفق شيء من ذلك ؛ فذلك الحرام الواقع في البين هو المحرّم، ولا تسري حرمته على الموكب العزائيّ، ويكون كالنظر إلى الأجنبية حال الصلاة ؛ في عدم بطلانها.

وقال: لا إشكال في جواز اللطم بالأيدي على الخدود والصدور حدّ الاحمرار والاسوداد، بل يقوى جواز الضرب بالسلاسل أيضاً على الأكتاف والظهور إلى الحدّ المذكور، بل وإن تأدّى كلٌّ من اللطم والضرب إلى خروج دم يسير ؛ على الأقوى.

وأمّا إخراج الدم من الناصية ـ بالسيوف ـ فالأقوى جواز ما كان ضرره مأموناً، وكان من مجرّد إخراج الدم من الناصية بلا صدمة على عظمها، ولا يتعقّب ـ عادة ـ بخروج ما يضرّ خروجه من الدم ونحو ذلك، كما يعرف المتدرّبون العارفون بكيفيّة الضرب.

ولو كان عند الضرب مأموناً ضرره بحسب العادة، ولكن اتّفق خروج الدم قدر ما يضرّ خروجه؛ لم يكن ذلك موجباً لحرمته، ويكون كمن توضّأ، أو اغتسل، أو صام؛ آمناً من ضرره، ثمّ تبيّن تضرّره منه.

⇦

ووافق شيخَه على فتواه هذه؛ الزعيم الكبير آية الله الميرزا محمّد تقيّ الشيرازيّ قدّس سرّه فقد سُئل عن حكم الجرح فأفتى بالإباحة، وقال: إنّ أمثال هذا ممّا تتحمّله العقلاء في سبيل غاياتهم المعقولة، ولا يعدّونه ضرراً.

حدّث بذلك العلاّمة آية الله السيّد الميرزا علي آغا الشيرازيّ ـ دامت إفاضاته ـ وأفتى هو أيضاً به.

وقد جاء تعريب فتواه ـ منذ أعوام ـ في الجواب عن استفتاء بعض التبريزيّين عن حكم الجرح والسلاسل واللدم هكذا: كلّ ذلك ممّا يقرّب العبد إلى الله زلفى.

وله غيرها، غير أنّه لا تحضرني الآن عبارته.

هذا ما عرفناه من فتوى هذا الإمام الكريم، وشيخه، وتلمذته، وخلفه ومن يحذو حذوه.

فلا عبرة ـ إذاً ـ بما عزاه إليه رجل صحّاف كما في الرسالة [1].

⇨

لكنّ الأولى، بل الأحوط أن لا يقتحمه غير العارفين المتدرّبين، ولاسيّما الشباب الذين لا يبالون بما يوردون على أنفسهم لعظم المصيبة، وامتلاء قلوبهم من المحبّة الحسينيّة.

ثبّتهم الله تعالى بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة. (المؤلّف).

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥:٨٦ وتمام العبارة هي: «والذي نعلمه أنّ هذا الإمام العظيم كان يفتي بتحريم اللطم الموجب لاحمرار الصدر، فضلاً عن جرح الرؤوس بالمدى والسيوف، ورأينا فتواه بذلك بخطّه وخاتمه ونحن في النجف الأشرف، وكان المستفتي له الثقة المعروف عند جميع العامليين المرحوم الحاج باقر الصحّاف، الذي كان مقيماً في حجرة صاحب مفتاح الكرامة قدّس سرّه».

إنّ فتيا ـ كمثل هذه ـ تعمّ بها البلوى ـ من رجل له تلك المكانة الكبرى من العرش الإسلامي ـ لا تذهب أدراج الرياح، حتّى لا يعرفها إلّا رجل صحّاف، ثمّ يجدها عنده آخر فحسب.

والناس إلى الآن يلهجون بما رأوه أو سمعوه منه؛ من خصلة حميدة أو كرم باهر، أو حنان على ضعيف، أو عظة بالغة، أو حكمة ناصعة، أو مجاملة حسنة...، إلى غيرها، حتّى الطفائف من أقواله وأطواره.

فلو كان لهذا النقل مقيل من ظلّ الحقيقة؛ لما فاتهم التناقل به.

وإن تعجب؛ فعجب حسبان [١] أنّه منع فلم يُصغَ إلى قوله، مرتّباً ذلك على فتوى الصحّاف.

هب الزاعم لم يدرك ذلك العصر النوريّ، حتّى يدرك من عموم رئاسة الإمام المجدّد ما يرنّ صداه حتّى اليوم.

لم يسمع ما كان له من المقدرة والتمكّن من قلوب الشيعة، ملوكها وسُوقتها ؟!

لم يبلغه من نماذج ذلك النفوذ حديث (الدخان) [٢] الذي كلّما جدّت

---

(١) من أساليب التعبير القرآني ففي قوله تعالى: ﴿**وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾ الرعد (١٣): ٥.

(١) ولد الميرزا محمّد حسن الشيرازي (المعروف بالمجدّد الشيرازي) سنة ١٢٣٠هـ ق في شيراز وتوفّي ليلة الأربعاء ٢٤ شعبان ١٣١٢ هـ ق في سامراء. وحمل جثمانه الشريف على الاكتاف إلى النجف الأشرف ودفن في الصحن العلوي.

⇦

فيه الدولتان [١] لم يقفا على محصّل إلّا التقاعس عمّا طمحت إليه أنفسهما.

و(واقعة سامرّاء) التي احتفل بها ممثّلوا الدول ـ في بغداد ـ والحكومة البائدة [٢]، وقبائل العراق وعلمائها، وماجت الناس موجة واحدة، فكانت نهضة لو لم يسكّنها ـ هو ـ لأتت على رمق حياة المناوئين له.

⇨

وقضية التنباك: سافر الشاه ناصر ا لدين إلى لندن سنة١٣٠٦ هـ ق، وتعاقدوا معه أنّ امتياز التنباك لهم لمدة خمسين سنة بشروط مقابل خمسة عشر ألف ليرة سنوياً، ثمّ كتبوا وثيقة الامتياز في نسختين وختمها ناصر الدين شاه بخاتمه، وجاءت هيئة من لندن باسم الكمبانية، واشتغلوا بشراء الأراضي، وبناء المخازن، وإحضار المكائن والآلات والأدوات.

وانتشر الخبر في الآفاق، ونُشر ذلك في الجرائد، وهتفوا بخطأ هذه المعاملة، وقالوا: إنّ دخانية أصفهان وحدها في سنة واحدة تبلغ عشرين ألف ليرة، وجاء من لندن جماعة من الأجانب لا يقلّ عددهم عن مائة ألف نسمة رجالاً ونساءً، وكثرت الفواحش وشرب الخمور، وفتحوا مدارس لدعوة الناس إلى مذهب المسيح، فاستغاثوا بالمجدد الشيرازي، وكان يمتنع من التدخل في القضايا السياسية، إلّا أنّه بعد المراسلة مع ناصر الدين شاه وعدم رضوخه لفسخ المعاملة، أصدر فتواه الشهيرة ما تعريبه:

«بسم الله الرحمن الرحيم استعمال التنباك والتتن حرام بأيّ نحو كان، ومن استعمله كمن حارب الإمام الحجّة عجل الله تعالى فرجه، حرّره الأحقر محمّد حسن الحسيني».

فترك تدخينه جميع أهل إيران، حتّى أنّ أهل قصر الشاه كسروا جميع ما فيه من النارجيلات.

انظر: حياة المجدّد الشيرازي لمركز المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، أعيان الشيعة ٣: ١٢٠.

(١) يعني: دولتي إيران وبريطانيا.

(٢) يعني: الحكومة الملكية.

إلى غيرها من الوقائع التي نهض بها، وفاز بالفلج، وكان دونها شِقُّ الأنفس.

إنّ زعيماً هذا مقامه ؛ لا يعزّ عليه أن يمنع عن مثل الجرح، فيمتنع عنه.

هب أنّه لم يقف الزاعم على ذلك كلّه، فلِمَ غاب عن وجدانه أنّه ـ على الأقلّ ـ كان يمكنه أن يمنع في (سامراء) من يرتزق بجراياته، ومسانهاته، ويعنو له، فلا يعدو إشارته ـ قيد ذرّة ـ عمّا يراه محرّماً.

أو أن يمنعهم عن أن يطرقوا حسينيّته، وأن يجرحوا رؤوسهم بها.

فلماذا أصبح ـ عوضاً عن ذلك ـ يمدّهم ويعدّ لهم؟

وكان يوافقه على هذه الفتيا قرينه؛ علم الأُمّة، وعميدها المقدّم، آية الله السيّد حسين الكوه كمريّ التُرك.

حدّث العلاّمة الثقة الشيخ جواد الجواهريّ، عن أبيه حجّة الإسلام الشيخ علي: أنّه استُفتي السيّد المذكور من (تبريز) في مسألة الجرح، قال: فأعطاه للشيخ المذكور، فأجال فيه فكرته من الوجهة العلميّة، فلم يقف على دليل على تحريم الإدماء ـ بمجرّده ـ ما لم يَؤُلْ إلى مشقّة أخرى لا تتحمّل، أو إلى التهلكة.

فكتب فيه الفتوى بالجواز، وأتى به إلى السيّد، وإذ وافق ذلك فتواه وقّع عليه وختمه بخاتمه، فأرسل إلى تبريز.

وحدّثني من شهد عهده: أنّه كان يمدّ الجارحين بالأكفان.

وكان هذا السيّد، وقرينه المجدد الشيرازيّ ؛ زعيمي الأُمّة ـ جمعاء ـ بعد شيخهما العلاّمة الأنصاريّ. وقد سبقهما إلى الفتيا بذلك؛ المحقّق المدقّق

الدَرْبَنْديّ في (أسراره) [١] والرجل من فطاحل أئمّة التحقيق، وإنّ شرحه على (منظومة بحر العلوم) [٢] و(خزائنه) [٣] في الأصول، وغيرهما، لمن أوضح الشواهد على تضلّعه في العلوم.

وكان فقيه العترة الطاهرة السيّد علي آل بحر العلوم صاحب (البرهان القاطع) [٤] في داره يضرب أهل السيوف رؤوسهم، وهو أقدر عالم ـ على عهده ـ في النجف، وفي طليعة الفقهاء، وعلى الأقلّ كان يسعه أن لا يطلق لهم السراح إلى داره ـ بيت العلم، والمجد، والشرف الباذخ ـ وأن يمدّهم بالأكفان؛ إن كان يراه محرّماً.

---

(١) أسرار الشهادة ١: ١٥٠.

(٢) الذريعة ٧: ١٥٢، وفيه:

«(خزائن الأحكام) في شرح الدرة المنظومة التي نظّمها سيّدنا بحر العلوم، للمولى آغا بن عابدين رمضان بن زاهد الشيرواني الدربندي المتوفّي بطهران (١٢٨٦هـ). قال في إجازته لتلميذه... «إنّ خزائن الأحكام يقرب من مائة ألف بيت» أقول هو مطبوع في مجلّد».

(٣) الذريعة ٧: ١٥٣، وفيه:

«(خزائن الأصول) للمولى آغا الدربندي المذكور آنفاً، قال في إجازته... «خزائن الأصول في فنون الأدلّة العقلية والعقائد الدينيّة من المبدأ والمعاد ما يقرب من ثمانين ألف بيت»، أقول: ذكرنا أنّ خزائن الأصول طبع في طهران (١٢٦٧هـ) في مجلّدين: أولهما في أصول الفقه، وثانيهما في أصول العقائد والدراية والرجال وغيرها».

(٤) الذريعة ١٤: ٦٠، وفيه:

«(شرح المختصر النافع) الموسوم بـ«البرهان القاطع» للسيّد علي بن محمّد رضا آل بحر العلوم المتوفّى سنة ١٢٩٨، في ثلاث مجلّدات».

وكان ذلك بمرأىً ومشهد من أخيه عَلَم العلم والهدى والأدب السيّد حسين شارح (درّة) [١] جدّه بحر العلوم، والعلاّمة السيّد محمّد تقيّ صاحب كتاب (قواعد الأصول) [٢].

ولم تخرم العادة ـ بعدهم ـ على عهد العلاّمة الحجّة السيّد محمّد ابن السيّد محمّد تقيّ ـ المذكور ـ صاحب (البُلغة) [٣]. وكان علَم هذا البيت الرفيع، وأحد العمد والدعائم بين العلماء، وله حكمه النافذ، وقضاؤه الفاصل، وفقهه الذي يُقام له ويُقعد، وكانت داره مَوْئلاً للمواكب كلّها، ويقع فيها اللدم الموجع، والجرح، وكثيراً ما كان يدافع عن موكب السيوف إذا حاولت الحكومة البائدة منعهم من الضرب والخروج.

كان في ذينك العهدين في النجف الأشرف أعلام رؤساء روحيّون لهم الصيت والسلطة، تذعن لهم العوام ـ غير من سبقت منهم الفتوى ـ كالعلاّمة

---

(١) الذريعة ١: ٤٧٩ وفيه:

«(أرجوزة) في شرح الدرّة المنظومة لآية الله بحر العلوم، لحفيده العلاّمة السيّد حسين ابن السيّد رضا ابن آية الله بحر العلوم الطباطبائي النجفي المتوفّى سنة١٣٠٦هـ».

(٢) الذريعة ١٧: ١٧٨ وفيه:

«(قواعد الأصول) في القواعد المؤداة لاستنباط الأحكام، للسيّد محمّد تقي ابن السيّد رضا ابن بحر العلوم، المتوفّى ليلة الحادي والعشرين من شهر رمضان في ١٢٨٩».

(٣) الذريعة ٣: ١٤٨، وفيه:

«(بلغة الفقيه) للسيّد محمّد ابن السيّد محمّد تقي ابن السيّد رضا ابن آية الله بحر العلوم الطباطبائي النجفي المتوفّى بها سنة ١٣٢٨هـ طبع في تبريز بقطع الربع سنة١٣٢٥هـ وفي طهران بالقطع الوزيري سنة١٣٢٨هـ

الفاضل الإيروانيّ، والفقيه الشيخ راضي النجفيّ، والحبر الشيخ محمّد حسين الكاظميّ ـ وكان أخشن عالم عربيّ في ذات الله ـ والعلم الهادي السيّد مهديّ القزوينيّ، والمحقّق الميرزا حبيب الله الرشتيّ، ومثال الفقه والتقى الحاج الشيخ جعفر التستريّ، والشيخ المقدّم الحاج ملاّ علي آل الميرزا خليل الطهرانيّ، والأخلاقيّ الكبير المولى حسين علي الهمدانيّ، والعالم الورع المولى لطف الله المازندرانيّ.

ثمّ من بعدهم الأعلام الهداة: الشيخ محمّد طه نجف، والفاضلان: الشيخ المامقاني والشرابياني، ومجتمع التقى والتحقيق الحاجّ آغا رضا الهمدانيّ، والحاجّ الميرزا حسين آل الميرزا خليل الطهرانيّ، وغير هؤلاء من فطاحل الروحيّين والفقهاء.

فكان موكب السيوف ينضّد ويضربون بعينهم، وبعلم منهم، ولم يعهد منهم نكير أو غمز في ذلك، مع أنّهم ما كانوا يغضّون عن المنكرات في أمثاله، غير أنّ جلّهم ـ إن لم نقل الجميع ـ كانوا ينشّطونهم بالمثول في مجلسهم العزائيّ المنعقد في مسجد الشيخ الأنصاري.

فكان صدر ذلك النادي الكريم زاهياً بهذه الأنوار المضيئة، وحشو المسجد ـ على سعته ـ جحاجحة أهل العلم والأفاضل من العلماء.

وكانوا يطلقون لهم السراج، فيطرقون دورهم ـ في ليالي العشرة ـ بسيوفهم، وطبولهم، وأطوارهم المعلومة.

وجملة منهم كانوا يمدّونهم بالأموال، وفيهم من كان يعينهم بالأكفان.

هذا حال النجف.

وأمّا كربلاء، فكان فيها ـ في ذلك العصر الكريم ـ هداة أعلام هم القدوة، وبهم الأسوة، كالعلاّمة الفاضل الأردكانيّ، والفقيه الشيخ زين العابدين المازندرانيّ، والمحقّق الحاج الميرزا علي نقيّ الطباطبائيّ، والزعيم الخطير الشيخ عبد الحسين ـ شيخ العراقين ـ الطهرانيّ.

ثمّ من بعدهم: السيّد الميرزا محمّد حسين الشهرستانيّ، والسيّد هاشم القزوينيّ، والميرزا السيّد أبو القاسم الحجّة، وابنه السيّد محمّد باقر الحجّة الطباطبائيّان، وغير هؤلاء من عمد الدين، وأساطين المذهب.

فكانت تلك الأعمال تقع بين ظهرانيهم، ولا مانع ولا وازع.

وأمّا الكاظمية، فحدّث عنها ـ وعلى عهد آية الله الشيخ محمّد حسن آل ياسين ـ ولا حرج.

كان هذا الشيخ أكبر عالم حظيت به تلك البلدة الطيّبة، وبغداد وما والاهما، فكان الناس إليه أطوع من الظلّ لذيه.

وكان مجلسه العزائيّ أيّام العشرة ـ الحافل بجميع طبقات الناس، المنعقد في الفسحة أمام داره ـ تأتيه المواكب ـ كلّها ـ شرّعاً [1]، ويقع فيه من اللدم المؤلم ما لا يقع في غيره، وهو يبكي ببكائهم، وينتحب لندائهم، ومنها موكب السيوف.

---

(١) شرعت الشيء إذا رفعته جداً، وحيتان شرّع: رافعة رؤوسها كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً﴾ الأعراف (٧): ١٦٣. العين ١: ٢٥٤ «شرع».

كان المؤسّس والمنظّم ـ أوّل عام نضّد فيه ذلك الموكب ـ يحاذر عدم موافقة الشيخ على الجواز، فينتقض عليه الأمر، ولا يوافقه الناس، فنضّد موكبه، وأشار إليهم بالتوجّه إلى المجلس، وتقدّم هو قبلهم ليستكشف الحال، فجلس إليه ليستعلمه، وإذا بالموكب قد أشرف على الدخول ـ والقوم مشحّطون بدمائهم ـ فلمّا نظر إليهم الشيخ، أخذ في النحيب والعويل من دون ردع، ولا مانع، فعرف منه التقرير. وداموا على ذلك أيّام حياته ـ كلّ سنة ـ وحتّى اليوم.

وكان يصدر منه يوم عاشوراء أعمال عزائيّة لو رآها صاحب الرسالة [١] لحرّمها، ولكن...

نقل ذلك ـ كلّه ـ حفيده العلاّمة الشيخ محمّد رضا آل ياسين [٢]

ثمّ كانت تقع هذه الأعمال ـ كلّها ـ من جرح ولدم، وما فيها من طبول وصنوج وأبواق؛ أيّام بطل الأُمّة وشيخها المقدّم آية الله الشيخ مهديّ الخالصيّ، وقد عرف من عرفه ما كان له ـ لاسيّما في أُخرياته ـ من النفوذ والخشونة في ذات الله.

وعلاوةً على أنّه ما كان يمنع عنها ـ مع مقدرته التامّة عليه ـ كان يفتي بالجواز.

وقبله على عهد العلاّمة آية الله السيّد مهدي آل المرحوم السيّد حيدر قدّس سرّه.

---

(١) يعني السيّد محسن الأمين صاحب رسالة (التنزيه لأعمال الشبيه).

(٢) له كلمة مبسوطة حاول تجويز تلك الأعمال كلّها، منشورة في رسالة (رنّة الأسى) (المؤلّف).

وأمّا علماء إيران ـ في هذه العصور الأخيرة التي حدّثنا عنها ـ فكان في عاصمتها (طهران) زعيم إيران الكبير الحاجّ ملاّ علي الكني صاحب (كتاب القضاء) [(١)] وغيره من أبواب الفقه، الذي كان يهابه ناصر الدين شاه، على أُبّهته الملوكيّة.

والحاجّ الميرزا أبو القاسم صاحب (التقريرات) [(٢)].

ثمّ العلم الحجّة العلاّمة الآشتيانيّ صاحب الحاشية وغيرها.

ثمّ شهيد الانقلاب الحاجّ الشيخ فضل الله النوريّ، وأضرابهم.

وفي (تبريز): المجتهد الخطير الميرزا أحمد، ثمّ ولده الأعلام: الحاجّ الميرزا لطف عليّ، والحاج ميرزا جعفر، والحاجّ الميرزا باقر، والحاجّ الميرزا جواد.

ثمّ أحفاده الكرام: الحاجّ الميرزا موسى ابن الحاجّ الميرزا جعفر صاحب الحاشية، والحاجّ الميرزا حسن ابن الحاجّ الميرزا باقر.

---

(١) الذريعة ١٧: ١٤٢، وفيه:

«(القضاء والشهادات) الموسوم بتحقيق الدلائل، للشيخ الحاج مولى علي الكني المتوفّى ١٣٠٦هـ».

(٢) الذريعة ٢١: ١٣٦، وفيه:

«(مطارح الأنظار) في أصول الفقه من مباحث الألفاظ والأدلّة العقلية، من تقرير بحث العلاّمة الأنصاري الشيخ مرتضى، كتبه تلميذه الحاج ميرزا أبي القاسم الشهير بكلانتري ابن الميرزا محمّد علي النوري، ساكن طهران، المولود سنة ست وثلاثين ومائتين وألف (١٢٣٦هـ)».

والواقف على تراجم هؤلاء، في غنىً عن بيان مقدار نفوذهم ومقاماتهم العلميّة والعمليّة.

وفي (أصفهان) حجّة الإسلام السيّد الرشتيّ، وشبله السيّد أسد الله، والعلاّمة الكرباسي، والأعلام من ولده، والعلم الشهير الشيخ محمّد تقيّ صاحب الحاشية، وابنه الشيخ محمّد باقر العلاّمة العلم، وابنه الشيخ محمّد تقي المعروف بـ(آغا نجفي) والأعلام من أسرته.

وفي (خراسان): الحجّة السيّد ميرعليّ اليزديّ، والعالم العارف الميرزا حبيب، وآباؤه الأعاظم، إلى العلاّمة الميرزا محمّد مهدي الشهيد المعاصر لبحر العلوم، ومن في طبقته، والعلاّمة الحاج الشيخ حسن علي الطهراني، والحاج الفاضل الصدخري، والحاج السيّد أسد الله القزويني.

وفي (بروجرد): الحاج الميرزا محمود ـ من بني أعمام آية الله بحر العلوم ـ صاحب (المواهب السنيّة) [1].

وفي (زنجان): صاحب المقامات والكرامات الآخوند ملاّ قربان علي.

وفي (خوي): الحاج الميرزا إبراهيم شارح (نهج البلاغة) [2] وصاحب

---

(١) الذريعة ٢٣: ٢٤٠، وفيه:

«(المواهب السنيّة) في شرح الدرّة الغروية من نظم السيّد مهدي بحر العلوم، في الطهارة والصلاة، للسيّد الحاج ميرزا محمود ابن الآقا ميرزا علي نقي ابن السيّد جواد ـ أخي السيّد مهدي المذكور ـ ابن السيّد مرتضى بن محمّد بن عبد الكريم الطباطبائي البروجردي، صاحب «مسلّى المصابين» والمتوفّى سنة ١٣٠٠».

(٢) الذريعة ٨: ١١٢، وفيه:

⇦

(الرجال) [١] و(الأربعين) [٢].

وفـي (أردبيـل): الحـاج الميـرزا محسـن المجتهـد، وأبنـاؤه الجحـاجح: الميرزا يوسف آغا، والميرزا علي أكبر آغا، صاحب الكتب الممتعة.

وفي (بابل): العلاّمة الحاج الأشرفي.

فكان موكب السيوف ـ أو هو والسلاسل ـ يخترق الأزقّة والجواد بعلم منهم، ويطرقون دورهم برضىً منهم، فإن كان لهم في المسألة رأي غير الرأي المطرد؛ فهلاّ أبدوه؟

وجميع القوم مقلّدون لمجموعهم، وعلى الأقلّ فهلّا أسرّوا إلى من يرجون منه الخير منهم بالارتداع؟

⇨

« (الدرّة النجفيّة) في شرح نهج البلاغة الحيدريّة، للحاج ميرزا إبراهيم بن الحسين بن علي ابن الغفّار الدنبلي الخوئي المولود ١٢٤٧، والشهيد في فتنة الأكراد بخوي في ٦ شعبان ١٣٢٥هـ فرغ منه في ١٢٩١ وطبع في ١٢٩٢، مجلد كبير في (٣٩٤ص)».

(١) الذريعة ٢٢: ٢١٤ وفيه:

«(ملخّص المقال في تحقيق أحوال الرجال) للشيخ إبراهيم بن الحسين بن علي بن الغفار الدنبلي الخوئي...، وعمره يومئذ ثلاثون سنة...، ابتدأ منه بفوائد رجالية، ورتّبه على أقسام الثقات والحسان والموثقين والضعفاء والمجاهيل، ومن لم يبلغ رتبة الممدوحين والمذمومين، وختم بالكنى والألقاب».

(٢) الذريعة ١: ٤٠٩، وفيه:

«الأربعون حديثاً مع الشرح والبيان للعلاّمة ميرزا إبراهيم بن الحسين بن علي بن الغفّار الدنبلي الخوئي...، طبع بإيران سنة ١٢٩٩».

وما عساك أن تقول هاهنا؛ هل كانوا يصانعون الدهماء، وهم زعماء الدين، ونوّاب الأئمّة الطاهرين عليهم السلام؟

أم لم يكن في الضاربين رجل متديّن يردعه الزجر الشرعيّ، وهم آلاف مؤلّفة في سائر بلاد الشيعة؟

وكلّ من القذفين ﴿**تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا**﴾[1]. على أنّ دعوى صدور النهي منهم ـ بأيّ نحو كان ـ غير مسموعة؛ مع عدم الطريق، ولا ناقل له غير التهجّس، والرجم بالغيب.

فإنّ فتوىً مثل هذه تعمّ بها البلوى، وتبعث إلى تطوّر في العالم العزائي ـ وعلى الأقلّ إلى الاختلاف بين الناس، من مُحبّذٍ لها، ومُجابه، سيّما من أمثال من ذكرناهم من أهل السلطات الروحيّة العظيمة، القادرين حتّى على قسرهم على الامتناع ـ توفرت الدواعي لنقلها ـ لو كانت ـ كما ينقل ما هو أهون منها بمرّات.

ولقد قاموا بأمور عظام حفظها لهم التأريخ، فانثالت العامّة وراء أحكامهم، فما بالهم لا يمتثلون في خصوص المورد؛ لو صدقت الأحلام؟

ولقد نهض بعضٌ بتهذيب ما شاهده ممّا لا يناسب قُدس الأعمال العزائيّة، فأزاح غير اللائق منها، وأبقى الباقي، كالعلاّمة الشيخ جعفر التستري، في (طهران) ـ وهو في أثناء طريقه إلى زيارة مولانا الرضا عليه السلام ـ فنهى عن

---

(١) مريم (١٩): ٩٠.

جملة من التشبيهات غير اللائقة الواقعة في الدائرة الملوكيّة، فانتهوا منها إلى الحال الحاضرة، وأبقى الباقي منها ومن غيرها، فدام إلى اليوم.

أترى أنّه لو كان يرى به بأساً لما نهى عنه؟ أم لم يُمتثل فيه؟ ﴿**إِنْ هَـٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ**﴾[1]»[2].

(٧) قال الشيخ محمّد حسين المظفّري (ت١٣٨١هـ) في رسالته «الشعار الحسيني»:

«ولقد كان موكب اللادمين في سامراء يرده إلى داره [أي دار المجدد الميرزا حسن الشيرازي] وأكثرهم من أهل العلم، فيلدمون حتّى ينضح الدم من صدورهم، ولربما أصاب الدم بعض الوقوف، وهو مشاهد لذلك الحال ولا يزيده إلّا بكاءً وشجي، كما رواه الثقات، ومنهم ولده حجّة الإسلام الميرزا علي، وتلميذه حجّة الإسلام النائيني، وغيره من ثقات تلامذته.

وأمّا ضرب الرؤوس بالسيوف فقد كان يأتي موكبه إلى داره، وأوّل ما يضربون رؤوسهم فيها، ولقد نقل حجّة الإسلام النائيني أنّ الأكفان كان يبذلها من عنده، فانظر واعجب.

أفكان لا يستطيع الإنكار على الضاربين واللادمين وقد ألقت الإماميّة في أقطار الأرض إليه أزمة التقليد، وبلغ من عظم المحلّ وعلوّ المنزلة ما لم يبلغه عالم من الشيعة في زمانه، بل ولا قبله ولا بعده إلى اليوم؟!

---

(١) ص (٣٨): ٧.

(٢) كلمات جامعة حول المظاهر العزائية (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٣٠٤-٣٢٠

وهل نسيت فتواه بتحريم الدخان التي امتنع من أجلها جميع أهالي إيران؟!

وكيف تنسى وإلى اليوم يرنّ صداها في الآذان؟!

أفهل من يقدم على تلك الفتوى يحجم عن تحريم اللدم والضرب؟!

ولو سالمناك على أنّه لا يستطيع الإنكار، أو أنّه أنكر ولم يسمع منه، فلم يأذن لهم بالدخول إلى داره والولوج في بيته، وهم على تلك الحالة وتلك الصفة؟!

ولو جاريناك على أنّه لا يستطيع الدفع ولا المنع، فلم كان يغريهم ببذل الأكفان؟!

ولو أغراهم بعمله، فلم يغريهم بفتواه في رسالته؟! فدونك «سرور العباد» الرسالة الفارسية للعلاّمة الأنصاري طاب ثراه، التي علّق عليها الإمام الشيرازي وأمضى منها ما تعريبه:

«إذا جرح شخص نفسه في مصاب الحسين عليه السلام بسيف ونحوه، بحيث يوجب الضرر ببدنه، فهو حرام. أمّا ما كان بدرجة يرتفع ضرره وألمه، كالضرب على الصدر على النحو المتعارف بين الناس ولو أوجب الحمرة أو سواد البشرة فلا بأس في ذلك»[1] انتهى.

إذاً فكيف رأيت أستاذ الكلّ في الكلّ العلاّمة الأنصاري رحمه الله والحجّة الشيرازي يبيحان ذلك الضرب والإدماء؟ فكيف إذاً ينقل الناقل إجماع العلماء على الحرمة، وأنّ العلاّمة الشيرازي حرّم اللدم الموجب للحمرة؟

---

(١) سرور العباد: ٣١.

أو ليس من هذا أو مثله تعرف أنّ العلماء كافّة كانوا يسوّغون تلك الأعمال، بل يرونها في عداد الطاعات؟!

أو هل يخفى على أحد أن ضرب الرؤوس بالسيوف في النجف الأشرف، من أوّل حدوثه وإلى اليوم، أوّل ما يقع في دار العلاّمة السيّد بحر العلوم طاب مرقده؟!

وناهيك بها من دار، وبآله من آل، فإنّ من أبناء ولده العلاّمة السيّد رضا كان ثلاثة علماء أعلام في عصر واحد، وهم: السيّد محمّد تقي، والسيّد حسين، والسيّد علي صاحب «البرهان»، والضرب على الرؤوس بالسيوف يقع في دارهم بمشهد منهم ومرأى، فلم يردعوا عن ارتكابه، وإن لم يستطيعوا فلمَ لمْ يدفعوهم عن الدخول إلى دارهم المنيعة.

وبعد عصر أولئك العلماء المسدّدين انتهت الزعامة في بيتهم إلى العلاّمة البرّ السيّد محمّد نجل السيّد محمّد تقي، وقد عاصره من علماء بيتهم العلاّمة السيّد محسن نجل السيّد حسين، والحال جارٍ على ذلك المنوال، بل كان السيّد محمّد يقف موقفَ المُدافع عنهم إذا حاولت الحكومة في بعض السنين منعهم، وكان يبذل الأكفان من خالص ماله، ولعلّه أخذ ذلك عن السلف من آبائه، كما قد جرى على منواله الخلف من أبنائه».[1]

(١) الشعار الحسينيّ (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٤٨٢-٤٨٤.

دعوى موت جماعة من المتطبّرين في كلّ سنة

من الإشكالات التي وُجهّت على التطبير، هو موت جماعة منهم في كلّ سنة، وهذا عملٌ محرّم؛ لأنّه إلقاء للنفس في التهلكة المحرّم شرعاً.

إلّا أنّ هذا الإدّعاء أنكره العلماء الذين شاهدوا التطبير وسمعوا به من آبائهم وأجدادهم، وأنّهم لم يروا ولم يسمعوا بموت واحد منهم، فضلاً عن موت جماعة.

ونورد هنا عبارات الجانبين: المثبتين والنافين له التي وردت في هذه المجموعة من الرسائل فقط:

(١) قال السيّد محمّد مهدي القزويني البصري (ت ١٣٥٨هـ)، في رسالته «صولة الحّق على جولة الباطل»:

«وأمّا الضرب بالسيوف والقامات على الرؤوس فمحرّم؛ لما شاهدناه وشاهده غيرنا من موت جماعة منهم في كلّ سنة؛ لكثرة نزف الدم.

ولو قطعنا النظر عن هذه الجهة، فهو فعلٌ همجيّ وحشيّ، مثل الضرب بسلسلة من الحديد، ولم يرد دليل شرعيّ على تجويزها، وما من سيرة يستند إليها فيها، بل هي بنظر أرباب العقول والمعرفة أفعال وحشيّة ما فيها من ثمرة في التعزية»[١]

(٢) قال الشيخ حسن المظفّر (ت ١٣٨٨هـ) في رسالته «نصرة المظلوم»:

«قلت: لاريب في أنّ دعوى موت جماعة في كلّ سنة لكثرة نزف الدم فريّة بلا مريّة، فإنّي منذ أدركتُ لليوم[٢] ما رأيتُ ولا سمعتُ أنّ واحداً مات بذلك في أيّ سنة وأيّ بلدة، فضلاً عن جماعة في كلّ سنة، وقد سألت كثيراً ممّن جاوز السبعين والثمانين من سنّي عمره من ثقات أهل النجف وكربلاء والكاظميّة وغيرهم في علماء البلدان وصلحائهم، وكلّ أنكر أن يكون رأى أو سمع أنّ واحداً من أولئك تألّم ألماً يوجب مراجعة الجرّاح أو المضمّد، فضلاً عن موته.

فعسى أن يكون ذلك طيفاً سوّلته له الأحلام، أو خيالاً جسّمته له الأوهام، أو حقيقةً واقعةً في الجيل الواحد مرّةً واحدةً اتفاقاً، كيف لا، وأغلب أفراد موكب السيوف يجرحهم كبراؤهم بسكين دقيقة جروحاً خفيفة يظهر منها الدم بواسطة الضرب على الرأس، لا بالجرح بمجرّده من دون أن يحصل لهم إيلام مزعج؛ لأنّ غرضهم صوريّ، وهو البروز بصورة القتيل والجريح، وليس من أغراضهم الإيلام الحقيقي لأنفسهم.

---

(١) صولة الحقّ على جولة الباطل (المطبوعة ضمن هذه المجموعة): ٢:١٨١.

(٢) أي سنة ١٣٤٥هـ وهو تاريخ تأليف هذه الرسالة.

ومع الغضّ عن هذه الحقيقة، لو تنزّلنا وقلنا: إنّ الجرح يكون بالسيف للإيلام لا غيره، فلا شكّ أنّ ذلك إنّما يوجب التحريم إذا كان مقدّمة لإيجاد الموت، نحو أن يضرب رأسه ليقتل نفسه، وأمّا الضرب لا لذلك، بل لأمرٍ آخر، قد يترتّب عليه في بعض الأحيان لبعض الأفراد الموت من دون أن يكون مقصوداً بالأصالة أو بالتبع، ولا لازماً عادّياً للضرب نفسه، فإنّ قواعد الفنّ لا تقتضي تحريمه البتّة، ومجرّد الإيلام وإخراج مقدار من الدم ـ لا يضرّ بالصحّة ـ لا دليل على حرمته»[1].

(٣) قال الميرزا محمّد عليّ الأردوبادي (ت١٣٨٠هـ) في رسالته «الكلمات التامّات في المظاهر العزائية لسيّد الشهداء عليه السلام».

«وأمّا تأدية ضرب الرؤوس إلى ما ذكر [أي الموت]؛فالحَكَمُ فيها جميع أفراد البشر.

سَلْهم مَن الذي يقول منهم: إنّ أحداً قتله نزف الدم ـ عندئذٍ ـ أو أضرّ بصحته؟

بل المعلوم لدى العامّة ـ من أحوال هؤلاء ـ أنّهم يجرحون الجروح الكبيرة، ويسيل منهم الدم الكثير، حتّى إنّ كثيراً منهم لا يدع الدمُ موضعاً منه إلّا وقد صبغه، وبعضهم يقعون مغمىً عليهم، لكنّهم بمجرّد أن يدخلوا الحمّام يخرجون منه إلى أعمالهم وحاجاتهم، أو إلى مجالس الذكر والعزاء، أو إلى مواكب اللطم، أو نحو ذلك، حتّى كأنّهم لم يصنعوا شيئاً.

---

(١) نصرة المظلوم (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢: ٣٨٧-٣٨٨.

مع أنّ تلك الجراحات لو أصُيب الرجل بواحدٍ منها؛ لاحتاج إلى أن ينام بالفراش أيّاماً، وربّما أهلكه نزيف الدم، لكنّا ـ عوضاً عن ذلك ـ نجدهم ـ نوعاً ـ أقوياء الأبدان، طوال الأعمار.

ولو كنتَ في «أذربيجان» و «قفقاسيا» يوم عاشوراء؛ إذاً لراعَتْكَ هيبة الموقف، وأدهشك ما تراه منهم؛ من تحكّم السيوف في الهامات، وأنّها كيف يغمد فيها، ويشقّ الجلد والعظم، فينفلق انفلاقاً، ثمّ بعد سويعة يطرقون الأزقّة والشوارع كأنّهم نُشِطُوا من عِقال[1]، حتّى إنّ كثيراً منهم لو أنّهم لايفعلون ذلك لأضرّ بصحّتهم.

هذا ما عرفه كلّ أحد من حال هؤلاء، ونتيجة ما سمعناه من الشيوخ مذاكرةً.

وإن اتّفق أنّ واحداً منهم مات في قرنٍ واحدٍ ـ مثلاً ـ فذلك غير ذاتيّ للعمل، ولا مقصود منه، فلا تسري الحرمة منه ـ على فرض صدوره عن عمد ـ إليه.

وهذا مماشاة وتسالم، و إلّا فالحقيقة الناصعة في المقام هو ما أسلفناه.

وبه تعرف مقدار قول القائل «الصائل»: «لكثرة ما شاهدناه وشاهده غيرنا من الأموات في كلّ سنة»[2].

ليته أشار إلى واحدٍ ممّن شاهد معه.

ولَئِنْ كان له ظلّ من الحقيقة؛ فلماذا يقول كلّ من رأيناه وسمع مقالته: إنّه إفك مفترى، ولِمَ لم نسمع بذلك، ولا شاهدناه؟ ولسنا بأقصر من غيرنا باعاً، ولابأقلّ منه اطّلاعاً.

---

(١) كأنّما أُنشط من عقال: أي: حُلّ وأُطلق، يقال للآخذ بسرعة في أيّ عملٍ كان.

(٢) صولة الحق على جولة الباطل (المطبوع ضمن هذه المجموعة) ٢:١٨١.

وليت شعري أيَّ سنةٍ يريدُ بقوله: «كلّ سنة»؟

أهي من سنيّ أعمار هذا العصر، فِلمَ لم يشاهده غيره؟!

أو ممّا قبله من الأجيال الغابرة، فلمَ لم يُنْهَ إلينا خبره، واختصّ به هذا القائل؟!

وإن كان يقدّره في السنين القادمة، فحبّذا لو صَدَقَت الأحلام»[(١)].

(٤) قال الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (ت ١٣٧٣هـ) في رسالته «المواكب الحسينيّة»:

«فلقد بلغنا من العمر ما يناهز الستّين، وفي كلّ سنة تُقام نصب أعيننا تلك المحاشد الدمويّة [أي ضرب الرؤوس بالسيوف] وما رأينا شخصاً مات بها أو تضرّر، ولاسمعنا به في الغابرين»[(٢)].

(٥) قال الشيخ عبدالرضا كاشف الغطاء (ت١٣٨٧هـ) في كتابه «الأنوار الحسينيّة»:

«وقولك أيّها الساذج: «إضرار بالنفس وموت جماعة في كلّ سنة؛ لكثرة نزف الدم»، فريّة بلا مرّية، فبالله عليك إن كنتَ صادقاً هل رأيت في عينك أو سمعت بأذنك أنّ واحداً مات بذلك في أيّ سنة وأيّ بلدة؟! فضلاً عن جماعة في كلّ سنة، وربّما حقيقة واقعة في الجيل الواحد اتّفاقاً، ولاعجب»[(٣)].

---

(١) الكلمات التامّات في المظاهر العزائيّة لسيّد الشهداء عليه السلام (المطبوعة ضمن هذه المجموعة): ٣: ٨٦-٨٧.

(٢) المواكب الحسينيّة (المطبوعة ضمن هذه المجموعة): ٣:١٥٣.

(٣) الأنوار الحسينيّة والشعائر الإسلاميّة (المطبوعة ضمن هذه المجموعة): ٣:٣٤٣.

(٦) قال السيّد محسن الأمين العاملي (ت١٣٧١هـ) في رسالته «التنزيه»:

«ومنها [أي من الأمور المنكرة]: إيذاء النفس وإدخال الضرر عليها بضرب الرؤوس وجرحها بالمدى(١) والسيوف حتّى يسيل دمها، وكثيراً ما يؤدّي إلى الإغماء بنزف الدم الكثير، وإلى المرض أو الموت، وطول برئ الجرح. وبضرب الظهور بسلاسل الحديد وغيرذلك»(٢).

(٧) قال الميرزا محمّد عليّ الغروي الأردوبادي (ت١٣٨٠هـ) في رسالته «كلمات جامعة حول المظاهر العزائيّة»:

«ولو قذف بك السير إلى بلاد أذربيجان أو محاني(٣) (ققفاسيا) ـ يوم عاشوراء ـ ورأيت كيف تتحكّم السيوف في الرؤوس، وتغمد بها، ثمّ بعد سويعة يطرقون الأزقّة كأنّهم أُنشطوا من عقال، لراعتك هيبة الموقف، وأدهشك ما تبصره من عظم الحال، وما ذلك إلاّ معجزة من معاجز الشهيد المظلوم حسين المجد والخطر التي لا تُحصى...

وإليك من نبأ مركز (الناصريّة) بالعراق، في عامنا هذا ـ وكّنا نستطلع أخبارهم من أمم ـ إنّ أهل موكب واحد خرجوا في اليوم التاسع من المحرّم من بعد الظهيرة ضاربين بالسلاسيل إلى حدود المغرب.

وفي الليل خرجوا لادمين على الصدور إلى ما بعد منتصفه.

---

(١) المُدْيَةُ، بالضمّ: الشفرة، وقد تكسر، والجمع مُدْيات ومدى.الصحاح ٦: ٢٤٩٠ «مدى».

(٢) التنزيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة): ٥:١٤.

(٣) المحاني: معاطف الأودية، الواحدة محنية.الصحاح ٦: ٢٣٢١ «حنا».

ثمّ أخذوا في ترتيب أمورهم حتّى خرجوا ـ صباحاً ـ في موكب السيوف، وبعد أن غسلوا رؤوسهم وشدّوا الجرح خرجوا لاطمين.

وفي العصر خرجوا ضاربين بالسلاسل.

والحال كمثل هذه ـ أو ما يقرب منها ـ في أغلب المدن العراقية وغيرها.

ولك العبرة برجل تركيّ بالنجف يدعى (علي أكبر) الخيّاط، المعروف بشدّة الضرب وكثرته، فإنّه ضرب ـ في العام الماضي ـ لكلّ خطوة خطاها في الصحن المقدّس العلوي ضربة.

وكان ناذراً لذلك إن عوفي من داء عضال كان مبتلىً به، فبرىء في أيّام العشرة، فكانت ضرباته مائة وخمسين ضربة، فذهبت الظنون والأوهام فيه كلّ مذهب، وقطع الكثيرون بأنّه يموت في يومه أو بعيده، لكنّه لم يخرج من الحمّام إلّا على ما كان عليه قبل الضرب، ورأيته في اليوم الثاني عشر من المحرّم متعمّماً بعمامته، منكبّاً على مهنته في أشدّ نشاط، وكشف لي عن رأسه فلم أر منه أثراً، إلّا كما تخدش الحكة في البشرة ثمّ تلتئم.

هؤلاء الذين يقول عنهم في الرسالة [1]:إنّه كثيراً مّا يؤدّي عملهم إلى المرض، أو الموت، وطول برء الجرح، فاقرأ واعتبر». [2]

---

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥:١٤.

(٢) كلمات جامعة حول المظاهر العزائيّة (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥:٣٣٣.

(٨) قال الشيخ محمّد حسين المظفّري (ت ١٣٨١هـ) في رسالته «الشعار الحسينيّ» رداً على ادّعاء السيّد محسن الأمين موت جماعة من الضاربين رؤوسهم في كلّ سنة:

«أنّك زعمت أنّ ضرب الرؤوس بالسيوف وجرحها بالمدى كثيراً ما يؤدّي إلى الإغماء بنزف الدم الكثير، وإلى المرض أو الموت وطول برء الجرح.

أمّا ومن ضرب أولئك المتأسّون رؤوسهم من أجله، إنّك قد دافعت حسك ووجدانك، فإن الضاربين للرؤوس بالسيوف في كلّ سنة يعدّون بالمئات في النجف الأشرف، كما شاهدتُ وسمعتُ، فضلاً عمّا سواها من المشاهد المقدّسة، وعداها من البلاد الدانية والقاصية، ولم نشاهد، بل ولم نسمع في ما حضر وغبر أنّ أحداً من هؤلاء قد مرض من تلك الجراح أو عسر برؤها عليه، أو طال وهذا دون الموت بمراحل، فكيف بالموت؟!

بل إنّا نشاهدهم بعد أن يخرجوا من الحمّام كأنّما نشطوا من عقال [1]، لا أثر على وجوههم من نزف ذلك الدم، ولا نحول بأبدانهم من جرّاء تلك الجراح.

---

(١) وأنشطت البعير: حللت أنشوطته، وأنشطت العقال: إذا مددت أنشوطته فانحلت، وكذلك الانتشاط، وهو مدّك شيئاً إليك حتّى ينحل. ويقال: المريض يسرع برؤه، وللمغشي عليه تسرع إفاقته، وللمرسل في أمر يسرع فيه عزيمته: كأنّما أنشط من عقال. كتاب العين ٦: ٢٣٨ «نشط».

ولو أنّ تلك الجراح كانت بأحدهم من مصادمة الأقران لأقعدته في بيته أياماً غير يسيرة، لعدم القوّة على النهوض والاستطاعة على الخروج، وهذا ممّا يرشدك إلى أنّها إحدى معاجز ذلك السبط الشهيد.

وإنّي لقد شاهدتُ ـ وعجيب ما شاهدتُ ـ أنّ بعض أولئك المتأسّين بضرب الرؤوس بعد ما خرجوا من الحمّام، عمدوا إلى سلاسل الحديد، وعادوا يضربون بها ظهورهم مع الضاربين، فكأنّهم لم يكونوا أولئك الذين أدموا نواصيهم بمواضي [١] السيوف وحدود المدى.

ودونك أولئك الضاربين رؤوسهم فأحفهم السؤال، فلا أخال يخفون عليك أمراً يشهد به العيان، فهم مازالوا يعلنون بكلّ صراحة أنّهم لا يحسّون ضرراً أبداً، بل لا يجدون إلّا المنافع الصحيّة.

ولا أدري كيف موقفك معهم، فإنّك تدّعي أنّهم مرضى، وهم يزعمون أنّهم أصحّاء، وتحكم عليهم بالموت وهاهم أحياء؟![٢]

(٩) قال الشيخ عبدالحسين قاسم الحليّ(ت١٣٧٥هـ) في رسالته «النقد النزيه لرسالة التنزيه»:

«فقد بلغنا من العمر ما يناهز الستين، وفي كلّ سنة تقام نصب أعيننا تلك المحاشد الدمويّة، وما رأينا شخصاً مات بها أو تضرّر، ولاسمعنا به في الغابرين»[٣].

---

(١) مضى السيف مضاءً: قطع في الضريبة وله مضاء. تاج العروس ٢٠: ١٩٠ «مضى».

(٢) الشعار الحسينيّ (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥:٤٠٩.

(٣) النقد النزيه لرسالة التنزيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة): ٦:١٦٤.

(١٠) قال السيّد علي نقي النقوي اللكهنوي (ت١٤٠٨هـ) في رسالته «إقالة العاثر في إقامة الشعائر»:

«إنّ الذي سمعناه وتظافرت به الأخبار من الشيبة والمشايخ الذين مضت أعمارهم وطالت عهودهم بمشاهدة المحاشد الدمويّة، ينكرون على هذه النسبة أشدّ الإنكار، ويقولون:

إنّه لم يقع في أيّ جزء من الزمان قديماً وحديثاً أن يموت أحد بضرب السيوف أو المدى في عزاء الحسين عليه السلام، بل المشاهد من حال المباشرين لهذا العمل، أنّهم لايرون لعملهم هذا أثراً في شيء من قواهم وأركانهم.

فبينا كان الرجل يضرب رأسه بالسيف ويخرّ مغشياً عليه، فيحمل على تابوت من خشب، يدخل الحمّام ويغتسل، فلا يرى لذلك الجرح أثراً بادياً في بشرته، فما وجه الاستدلال بآية التهلكة على تحريم مثل هذه العمل؟»[(١)]

وقال في مكان آخر من رسالته هذه:

«وقد سمعنا جملةٌ من الشيوخ وأولي الخبرة بشؤون المواكب الدمويّة ينكرون ترتّب الضرر عليه»[(٢)]

(١١) قال الشيخ عبدالمهدي المظفّر (ت١٣٦٣هـ) في كتابه «إرشاد الأمّة للتمسّك بالأئمة»:

---

(١) إقالة العاثر في إقامة الشعائر (المطبوعة ضمن هذه المجموعة): ٦:٣٧٦.

(٢) إقالة العاثر في إقامة الشعائر (المطبوعة ضمن هذه المجموعة):٦:٣٩٤.

«وإنيّ لأعجب من هؤلاء كيف بلغ بهم العداء لشعائر آل محمّد صلى الله عليه وآله حتّى جعلوا يذكرون ما هو أجلى في الافتراء من مزاعم الناصبة لأهل البيت عليهم السلام، فإنّهم يقولون: إنّه يموت في كلّ سنة جماعة؟!

كأنّهم يخبرون غير خبير، ويشاهدون ما لم يشاهده الناس، فأنا وكلّ ذي بصر وسمع نرى ونسمع أنّ مَن يضربون الرؤوس والظهور بالسيوف والسلاسل في العراق ـ فضلاً عن إيران وغيرها ـ ليعدّون بالآلاف، وما رأينا وما سمعنا أنّ أحداً من أولئك المجاهدين داخله السقم فضلاً عن الموت.

ولو سلّم حصول الموت اتفاقاً فهو لا يوجب الحرمة، وإلّا لحرم ركوب السيّارات والسفن، ولم يقل به أحد»(١)

(١٢) قال السيّد مهدي السويج الخطيب (ت١٤٢٣هـ) في رسالته «الفتاوى والتقارير»:

«يظنّ هؤلاء أنّ الموت كامن في التطبير وضرب السلاسل، وليتهم يعلنون لنا أسماء من ماتوا في التطبير أو اللطم، في حين أنّ المتطبّر هذا الذي لو أصابه بعض تلك الجروح في غير هذا السبيل لاحتاج إلى تضميد وبنسلين، ولتعطّل عن العمل، أو يقف عنده ما يسمّيه الأطباء بـ (التجليط) ويستمر به النزف.

بينما نرى المتطبّر للحسين يضرب القامة يوم عاشوراء، وتسيل منه الدماء، ثم يذهب ويشتغل، فإذا به كأن لم يفعل شيئاً، وإذا بتلك الجروح تلتئم حالاً، وإذا بعدد المتطبّرين يزاد كلّ عام».(٢)

---

(١) إرشاد الأمّة للتمسّك بالأئمة (المطبوع ضمن هذه المجموعة) ٦:٤٤١.

(٢) الفتاوى والتقارير في جواز العزاء والشبيه والسلاسل والتطبير (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٦:٥٠٦.

(١٣) عثرت مؤخّراً على عبارة تدلّ على أنّ شيعة أهل البيتعليهم السلام، كانوا يُدمون أجسامهم في موكب عزائيٍّ حزين، وهم يطوفون في مقام رأس الإمام الحسينعليه السلام في القاهرة.

ذكرَ ذلك الدكتور زكي مبارك في كتابه «المدائح النبوية في الأدب العربي».

والمؤلّف حاصل على شهادة دكتورا في الآداب من الجامعة المصريّة، ومن جامعة باريس، وحائز على ديبلوم الدراسات العليا في الآداب من مدرسة اللغات الشرقيّة في باريس، كما هو مذكور على غلاف كتابه هذا.

ورد في الصفحة ٥٥: «وقد كانت عادة النوح على الحسين في يوم عاشوراء تجري في القاهرة إلى زمن القريب، وكُنتُ أسمع بأخبار ذلك وأنا طالب في الأزهر، فلا أُصدّق؛ لأنّي كُنتُ أقضي يوم عاشوراء بين أهلي في الريف.

فبقيت في القاهرة عمداً في أحد الأعوام، ورأيت المواكب بعيني، وكانت الشيعة يطوفون حول مسجد الحسين رضي الله عنه، وأجسامهم مخضّبة بالدماء.

وقد اختفى هذا المنظر منذ غلبت المدنيّة الحديثة، ولكنّي شهدت منذ أعوام قلائل حفلة في حيّ الحمزاوي، فرأيت الناس يبكون ويصرخون وهم يسمعون سيرة الحسين في ليلة عاشوراء».

علماً أن هذا الكتاب طبع سنة ١٩٣٥م= ١٣٥٣هـ

وهذا يعني أنّ إدماء بعض الشيعة أجسامهم كان منتشراً في القاهرة، في العقد الثاني والثالث من القرن الثالث عشر الهجري.

ضرب زينب عليها السلام جبينها بالمحمل

روى العلاّمة المجلسيّ (ت١١١١هـ) في «بحار الأنوار» رواية مرسلة عن مسلم الجصّاص، أنّه رأى العقيلة زينب عليها السلام، قد ضربت أو «نطحت» جبينها بمقدّم المحمل، عندما رأت رأس أخيها المولى الشيهد الإمام الحسين عليه السلام على الرمح في الكوفة، حتّى سال الدم من تحت قناعها.

وقد جعل بعض الأعلام هذه الرواية من المؤيّدات للتطبير، والبعض الآخر صحّح إرسالها، وآخر استأنس بها لإدماء الرأس بالسيف.

ونحن نذكر أولاً الإشكالات العلميّة على هذه الرواية، ثمّ نورد نصّها، ونعقبه بكلمات بعض الأعلام فيها.

الإشكالات على هذه الرواية:

أوّلاً: إنّ العلاّمة المجلسي نقلها عن «بعض الكتب المعتبرة»، ولم يذكر اسم هذا الكتاب ولا مؤلّفه، حتّى ننظر فيه، فربّما يكون كتاباً معتبراً طبقاً لمبناه، لكنّه غير معتبر عند غيره.

ثانياً: الرواية مرسلة، ومعلوم ضعفها.

ثالثاً: مجهوليّة الراوي لها، وهو مسلم الجصّاص، إذ لم يرد له ذكر في الكتب الرجاليّة.

رابعاً: صرّح بعض الأعلام بأنّهم لم يجدوا لمسلم الجصّاص غير هذه الرواية.

نصّ الرواية:

قال العلاّمة المجلسي في بحار الأنوار ٤٥: ١١٤:

«رأيتُ في بعض الكتب المعتبرة: رُوي مرسلاً عن مسلم الجصّاص قال: دعاني ابن زياد لإصلاح دار الإمارة بالكوفة، فبينما أنا أُجصّص الأبواب، وإذا أنا بالزعقات قد ارتفعت من جنبات الكوفة، فأقبلت على خادم كان معنا، فقلت: مالي أرى الكوفة تضجّ؟

قال: الساعة أتوا برأس خارجي خرج على يزيد.

فقلت: من هذا الخارجي؟

فقال: الحسين بن علي عليه السلام.

قال: فتركت الخادم حتّى خرج ولطمت وجهي حتّى خشيت على عيني أن تذهب، وغسلت يدي من الجُصّ، وخرجت من ظهر القصر، وأتيت إلى الكناس.

فبينما أنا واقف والناس يتوقّعون وصول السبايا والرؤوس، إذ قد أقبلت نحو أربعين شقّة تحمل على أربعين جملاً فيها الحرم والنساء وأولاد فاطمة عليها السلام، وإذا بعليّ بن الحسين عليه السلام على بعير بغير وطاء، وأوداجه تشخب دماً، وهو مع ذلك يبكي ويقول:

يـا أمّـة السـوء لا سـقياً لـربعكم　　يـا أمّـة لـم تـراع جـدّنا فينـا
لـو أنّنـا ورسـول الله يجمعنـا　　يـوم القيامـة مـا كنـتم تقولونـا
تسـيّرونا علـى الأقتـاب عاريـة　　كأنّنـا لـم نشـيّد فـيكم دينـا
بنـي أُميّـة مـا هـذا الوقـوف علـى　　تلـك المصـائب لاتلبـون داعينـا
تصـفّقون علينـا كفّكـم فرحـاً　　وأنـتم فـي فجـاج الأرض تسـبونا
ألـيس جـدّي رسـول الله ويلكـم　　أهـدى البريّـة مـن سُـبل المضـلّينا
يا وقعـة الطـفّ قـد أورثتنـي حزنـاً　　والله يهتـك أسـتار المسـيئينا

قال: وصار أهل الكوفة يناولون الأطفال الذين على المحامل بعض التمر والخبز والجوز، فصاحت بهم أمّ كلثوم، وقالت: يا أهل الكوفة، إنّ الصدقة علينا حرام، وصارت تأخذ ذلك من أيدي الأطفال وأفواههم وترمي به إلى الأرض، قال كلّ ذلك والناس يبكون على ما أصابهم.

ثمّ إنّ أمّ كلثوم أطلعت رأسها من المحمل، وقالت لهم: صه يا أهل الكوفة، تقتلنا رجالكم، وتبكينا نساؤكم؟ فالحاكم بيننا وبينكم الله يوم فصل القضاء.

فبينما هي تخاطبهنّ إذا بضجّة قد ارتفعت، فإذا هم أتوا بالرؤوس يقدمهم رأس الحسين عليه السلام، وهو رأس زهريّ قمريّ أشبه الخلق برسول الله صلى الله عليه وآله، ولحيته كسواد السّبج قد انتصل منها الخضاب، ووجهه دارة قمر طالع، والرّمح تلعب بها يميناً وشمالاً، فالتفتت زينب فرأت رأس أخيها، فنطحت جبينها بمقدّم المحمل، حتّى رأينا الدّم يخرج من تحت قناعها، وأومأت إليه بحرقة وجعلت تقول:

يـا هــلالاً لمّــا اســتتمّ كمــالا   غالـــه خســـفه فأبـــدا غروبـــا
مــا توهّمــت يــا شــقيق فــؤادي   كـــان هـــذا مقـــدّراً مكتوبـــا
يــا أخــي فــاطم الصــغيرة كلّمهــا   فقـــد كـــاد قلبهـــا أن يـــذوبا
يــا أخـــي قلبــك الشــفيق علينــا   مالــه قــد قســى وصــار صــليبا
يا أخي لـو تـرى عليّـاً لـدى الأسـر   مـــع اليـــتم لايطيـــق وجوبـــا
كلّمـــا أوجعـــوه بالضـــرب نـــادا   ك بـــذلّ يفـــيض دمعـــاً ســـكوبا
يـــا أخـــي ضُـــمّه إليـــك وقرّبـــه   وســـكّن فـــؤاده المرعوبـــا
مـــا أذلّ اليتـــيم حـــين ينـــادي   بأبيـــــه ولا يـــــراه مجيبـــــا»

كلمات بعض الأعلام في هذه الرواية:

(١) قال الشيخ عبدالله المامقاني (ت١٣٥١هـ) في رسالته «المواكب الحسينيّه».

«ويمكن الاستيناس لإدماء الرأس بالسيف والسلسلة، بضرب زينب جبينها بمقدّم المحمل، وسيلان الدم من تحت قناعها»[١]

(٢) قال الشيخ حسن المظفّر (ت١٣٨٨هـ) في رسالته «نصرة المظلوم»:

«ولقد كان شيخنا العلاّمة شيخ الشريعة (ت ١٣٣٩هـ) قدّس سرّه، بهذا الاعتبار [٢] وبتلك الأخبار، يُصحّح الخبر المرسل الذي استبعده بعض

---

(١) المواكب الحسينيّة (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢:٢٤٢.

(٢) باعتبار أنّ «كلّ الجزع والبكاء مكروه سوى الجزع والبكاء على الحسين عليه السلام» انظر: أمالي الشيخ الطوسي ١: ١٦٢. كامل الزيارات: ٢٠٢ حديث ٥.

⇦

العظماء، من أنّ عقيلة عليّ الكبرى لمّا لاح لها رأس الحسينعليه السلام وهو على رمح، والريح تلعب بكريمته، نطحت جبينها بمقدّم المحمل حتّى سال الدم من تحت قناعها.

ويقول العلاّمة شيخ الشريعة قدّس سرّه: «إنّه لا استبعاد فيه إلَّا من جهة ظهور الجزع منها وإيلام نفسها، والإيلام غير المؤدّي إلى الهلاك لا دليل على عدم جوازه، والجزع مندوب إليه ومرغب فيه في كثير من الأخبار[1]...»[2].

(٣) قال الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (ت١٣٧٣هـ) في كتابه «الفردوس الأعلى»:

«وعلى هذا [3] يُحمل ما صدر من الأعمال ونظائر هذه الأفعال من أهل بيت العصمة والطهارةعليهم السلام، مثل ما نُقل عن العقيلة الكبرى والصدّيقة

⇨

وباعتبار تحديد أشدّ الجزع بالصراخ بالويل والعويل، ولطم الوجه والصدر، وجزّ الشّعر من النّواصي. انظر: الكافي ٣:٢٢٢ حديث ١.

(١) انظر: وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٠ باب ٦٦ من أبواب المزار وما يناسبه «باب استحباب البكاء لقتل الحسين وما أصاب أهل البيت عليهم السلام...»

(٢) نصرة المظلوم (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢:٤٠٠.

(٣) قال رحمه الله قبل إيراده هذه العبارة: «هذه الأعمال والأفعال إن صدرت من المكلّف بطريق العشق الحسيني والمحبّة والوله لأبي عبداللهعليه السلام نحو الحقيقة والطريقة المستقيمة، وانبعثت من احتراق الفؤاد، وانتقال نيران الأحزان في الأكباد بمصاب هذا المظلوم ريحانة الرسولصلى الله عليه وآله، المصاب بتلك الرزية، بحيث تكون خالية ومبرّأة من جميع الشوائب والتظاهرات والأغراض النفسانيّة، فلا يبعد أن يكون جائزاً، بل يكون من القربات وأجلّ العبادات».

الصغرى زينب سلام الله عليها، من أنّها نطحت جبينها بمقدّم المحمل حتّى سال الدم من تحت قناعها».[١]

(٤) قال الشيخ عبدالرضا كاشف الغطاء (ت ١٣٨٧هـ) في كتابه «الأنوار الحسينيّة»:

«ويمكن ـ لك أيّها الضالع ـ الاستيناس لجواز إدماء الرؤوس بالسيوف والقامات والسلاسل، من أنّ عقيلة عليّ الكبرى زينب عليها السلام، لمّا لاح لها رأس الحسين عليه السلام وهو على رمح طويل، والريح تلعب بكريمته، نطحت جبينها بمقدّم المحمل حتّى سال الدم من تحت قناعها»[٢].

(٥) قال السيّد مرتضى ابن السيّد عليّ الداماد (ت القرن الرابع عشر) في كتابه «الأعلام الحسينيّة»:

«وهذه الصدّيقة الصغرى زينب عليها السلام، التي حملت أسرار آل محمد صلّى الله عليه وآله، وهمّ علماء الشريعة والسلوك، وأئمة أسس الحكمة، وأساطين علماء الحقيقة المتعالية، والمراتب الجليلة، الطاهرة المعصومة، التي جعلوا شأنها كشأن إبراهيم الخليل عليه السلام، وعدّوا قولها وفعلها وتقريرها حجّة كالإمام، نطحت جبينها بمقدّم محملها حتّى سال الدم من تحت المحمل.

وقد توهّم بعض من لا علم له ـ بلا علم ولا تفحّص ـ في أنّ «نطحت» فعل مجهول، ولكّن النطح غير الدقّ؛ لأنّ الدقّ يقع في حالتي الاختيار

---

(١) الفردوس الأعلى (المطبوع ضمن هذه المجموعة) ٤:٣٨٥.

(٢) الأنوار الحسينيّة والشعائر الإسلامية (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٣:٣٥١.

والاضطرار، إضافةً إلى أنّ سياق الخبر يأبى عن وجود مثل هذا التوهّم، كما لا يخفى ذلك على المنصف غير المتعسّف المتأمّل في الخبر»[١].

(٦) قال الشيخ عبدالحسين قاسم الحلّي (ت١٣٧٥هـ) في رسالته «النقد النزيه لرسالة التنزيه»:

«وبهذا الاعتبار كان بعض العُظماء يُصحّح المرسل المتضمّن لكون بعض عيال الحسين عليه السلام ممّن لا يشكّ في عصمتها وعظمتها، لمّا لاح لها رأسه «نطحت جبينها بمقدّم المحمل حتّى سال دمها»، إذ أنّ ذلك لا بُعد فيه إِلّا من جهة ظهور الجزع منها وإيلام نفسها. والإيلام غير المؤدّي إلى الهلاك أو المرض لا دليل على حرمته، والجزع مندوب ومرغب فيه في الأخبار الكثيرة، بل الظاهر من الأخبار جواز الهلع أيضاً، وهو على ما ذكره أئمة اللغة: أفحش الجزع وأشدّه»[٢].

(٧) قال السيّد مهدي السويج الخطيب (ت١٤٢٣هـ) في رسالته «الفتاوى والتقارير»:

«ويحدّثنا أهل المقاتل والسير، أنّ العالمة غير المعلّمة، زينب بنت علي عليه السلام، لمّا رأت رأس أخيها الحسين عليه السلام، نطحت رأسها بمقدّم المحمل، حتّى سال الدم من تحت قناعها، وكان ذلك بمرأى ومسمع من الإمام زين العابدين عليه السلام، فلم ينكر عليها ذلك، بل أيّدها وساعدها في النوح على الحسين عليه السلام، وتحمّل الآلام في سبيله»[٣]

---

(١) الأعلام الحسينيّة (المطبوع ضمن هذه المجموعة) ٢٢:٤.

(٢) النقد النزيه لرسالة التنزيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢١٣:٦.

(٣) الفتاوى والتقارير في جواز العزاء والشبيه والسلاسل والتطبير (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥٠١:٦.

هل حرّم السيّد أبوالحسن الأصفهاني التطبير؟

اختلفت أقوال الأعلام في رأي مرجع الطائفة آنذاك السيّد أبوالحسن الأصفهاني (ت١٣٦٥هـ) حول بعض الشعائر الحسينيّة ـ خصوصاً التطبير ـ فمنهم من نسب إليه القول بالحرمة، وآخرون نسبوا إليه الإباحة، وآخر ادّعى سكوته رحمه الله بخصوص أمر التطبير.

وقد نقلنا قبل صفحات في هذا الكتاب، نسبة السيّد محسن الأمين (ت١٣٧١هـ)، وجعفر الخليلي (ت١٤٠٥هـ) القول بالحرمة للسيّد أبوالحسن الأصفهاني، حتّى عدّوه من المؤيّدين والمناصرين للسيّد الأمين.[1]

ونحن نذكرها أوّلاً نبذة مختصرة تعريفيّة عنه رحمه الله، ثمّ كلمات الأعلام عن رأيه، وأخيراً نضع نصّ الفتوى التي أصدرها المتعلّقة بالشعائر الحسينيّة.

نبذة عن السيّد أبوالحسن الأصفهاني:

السيّد أبوالحسن ابن السيّد محمّد ابن السيّد عبدالحميد الموسوي الأصفهاني، عميد الشيعة في وقته، وحامل لواء الشريعة، الرئيس المطاع،

---

(١) أعيان الشيعة ٢: ٣٣١، هكذا عرفتهم ١: ٢٠٧.

والذي أصبح معاصروه من العلماء والفقهاء العظام لايذكرون في أيامه بالنظر الأولي عند عموم الناس، وكانت تُجبى له الأموال من الحقوق الشرعيّة من جميع الأقطار الشيعيّة الإماميّة، بل من كلّ صقع كالسيل المنحدر من أعلى الجبل.

حضر على أساتذة عصره كالميرزا حبيب الله الرشتي، والشيخ الملاّ محمّد كاظم الآخوند الخراساني.

وله عدّة مؤلّفات، منها: رسالة عمليّة لمقلّديه اسمها «وسيلة النجاة»، وحاشية على العروة الوثقى، وشرح كفاية الأصول، وعدّة رسائل.

توفّي رحمه الله في الكاظميّة المقدسة سنة ١٣٦٥هـ ودفن في النجف الأشرف.

معارف الرجال ١:٤٦.

كلمات الأعلام عن رأيه:

(١) قال الشيخ محمّد جواد الحچامي (ت ١٣٧٦هـ) في رسالته «كلمة حول التذكار الحسينّي»:

«وأمّا حضرة آية الله مولانا السيّد أبوالحسن الأصفهاني دام ظلّه، فالذي نعلمه منه وجداناً سكوته في خصوص مسألة ضرب القامات، ومنشوره على إجماله صريح في الترغيب والحثّ على إظهار الحزن والجزع والهلع، والتظاهر بكلّ ما ينبئ عن عظم المصيبة وجلالة شأن المصاب، بل إنّه

أفضل الطاعات، فراجع، اذن فنسبة التصريح بالمنع إليه غير مطابقة للواقع، وقد نسب إليه بعض المؤلّفين القول بالجواز، والله أعلم».[(١)]

(٢) قال الشيخ حسن المظفّر (ت١٣٨٨هـ) في رسالته «نصرة المظلوم»:

«ولا شكّ أنّ الصحف السائرة والمنشورات الدائرة، أقرأتك فتوى سيّدنا وملاذنا حجّة الإسلام ومرجع الخاصّ والعامّ، العالم العامل الربانيّ، السيدّ أبوالحسن الأصفهاني دام علاه، المتضمّنة لإمضاء جميع التذكارات الحسينيّة على الإجمال».[(٢)]

(٣) قال السيّد محسن الأمين العاملي (ت١٣٧١هـ) في رسالته «التنزيه لأعمال الشبيه»:

«وأمّا نسبة ذلك [القول بالجواز] إلى جميع علمائنا المعاصرين، فنسبة باطلة، فإنّ حجّة الإسلام السيّد أبوالحسن الأصفهاني، الذي يقلّده الكثيرون، قائل بالمنع، صرّح به في رسالته الفارسيّة، وأذاع منشوراً مطوّلاً على الناس يمنع فيه من ذلك، لكنّه لم يتمكّن من المنع في مقابل تيّار العامة».[(٣)]

(٤) قال الشيخ عبدالله السُبيتي (ت ١٣٩٧هـ) في رسالته «رنّة الأسى»:

---

(١) كلمة حول التذكار الحسينيّ (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢:٣٢٦.

(٢) نصرة المظلوم (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢:٤٤١.

(٣) التنزيه الأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥:٩٢.

«وأمّا السيّد أبوالحسن، فإنّه نشر منشوراً، ومنشوره وإن كان مُجملاً، ولكن ها هو دام ظلّه يجيب كلّ من سأله بالجواز والإباحة، ومن شاء الاطّلاع على فتاوى العلماء فليطلب رسالة الشيخ محمّد جواد الحچامي»[(١)].

وقال في مكان آخر من رسالته هذه:

«وأما حجّة الإسلام السيّد أبوالحسن، فلم أرَ له فتوى. نعم، إذا سُئل يجيب بالإباحة، وكلامي هذا بمرأى ومسمع منه.

وأمّا منشوره الذي حرّم فيه المواكب، فلم يره أحد إِلَّا السيّد محسن [الأمين]، ولا سمع به أحد سواه، حتّى إنّ السيّد أبوالحسن لم يره ولم يسمع به»[(٢)]

(٥) قال الميرزا محمّد علي الغروي الأردوبادي (ت ١٣٨٠هـ) في رسالته «كلمات جامعة حول المظاهر العزائيّة».

«وأمّا حجّة الإسلام السيّد أبو الحسن الأصفهاني ـ الذي نسب إلى منشوره في الرسالة [التنزيه] تحريم تلك الأعمال ـ فهذا منشوره قد مثّلته المطابع إلى الملأ، وإن هو إِلَّا كلمة إصلاحيّة بين السيّد البصري [محمد مهدي الموسوي القزويني صاحب الصولة] وخصومه، وليس فيه من التحريم عين ولا أثر، نعم فيه إباحة المظاهر العزائية على إطلاقها وإجمالها.

(١) رنّة الأسى أو نظرة في رسالة التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥:١٩٠.

(٢) المصدر السابق ٥:٢١٧.

وفي (الرسالة العمليّة) أرجع أمر الجرح إلى فتوى من يجوّزه ممّن جمع شرائط الفتوى، وذلك تورّعاً منه عن الاقتحام في الإفتاء، لاجنوحاً إلى المنع...

فقد سُمع من فلق فيه[(١)] ـ على الأعواد ورؤوس الأشهاد ـ في مجلس درسه: نفي البأس عنه من الوجهة العلميّة ـ عند تدريسه لقاعدة الضرر ـ وهو بأعلى هتافه يصارح بكذب من يعزي إليه تحريم شيء من المظاهر العزائية».[(٢)]

(٦) قال الشيخ محمّد حسين المظفري (ت ١٣٨١هـ) في رسالته «الشعار الحسينيّ»:

«وأمّا نسبة المنع إلى أكثر علماء النجف الأشرف والكاظميّة، فهي ـ حسب ما نعلم ـ نسبة لاصحّة لها، بل الكلّ قائلون بالجواز، بل الرجحان، ويعلم حال الجميع من مشاهيرهم ومقدّميهم.

فأمّا السيّد [أبو الحسن الأصفهاني] فقد عرفت أنّه أذاع منشوراً أمضى فيه كافّة تلك الشعائر، وها هو اليوم يصيح معلناً لمن يشافهه بأنّ الشعائر الحسينيّة والمظاهر العزائيّة مباحة، بل راجحة، وهو مستاء جدّاً ممّن ينسب إليه القول بالحرمة».[(٣)]

(٧) ذكر الشيخ محمّد الگنجي (ت١٣٦٠هـ تقريباً) في رسالته «كشف التمويه عن رسالة التنزيه»: اسم السيّد أبو الحسن الأصفهاني من ضمن القائلين

(١) أي من شقّ فمه لسان العرب ١: ٣١٠ «فلق».

(٢) كلمات جامعة حول المظاهر العزائيّة (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥:٣٢٨.

(٣) الشعار الحسينيّ (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥:٤٨٨.

بحرمة بعض الشعائر الحسينيّة، وفي مقدّمتها التطبير، ثمّ ذكر قطعة من منشور السيّد مترجماً إلى اللغة العربيّة.[١]

نصّ فتوى السيّد أبوالحسن الأصفهاني:

ذكرها الشيخ عبدالله السُبيتي العاملي (ت ١٣٩٧هـ) في رسالته «رنّة الأسى»[٢]، والشيخ محمّد الگنجي (ت ١٣٦٠هـ تقريباً) في رسالته «كشف التمويه عن رسالة التنزيه»[٣]، وننقل نصّها عن المصدر الأول، إذ قال:

عثرت أخيراً على منشور حجّة الإسلام السيّد أبو الحسن الأصبهاني، واستخرجت منه ما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

لايخفى على إخواننا المؤمنين، أنّ إظهار الحزن والبكاء والعويل في هذا الرزء الجليل من أحسن القربات وأفضل الطاعات، كما أنّ الجزع والهلع والتظاهر بكلّ ما ينبيء عن عظم المصيبة وجلالة شأن المصاب: من لبس السواد، ورفع الأعلام السود والمشاعل، وسائر مظاهر الحزن كاللطم على الصدور، وغير ذلك من إظهار شعار الإمامية يبتغون بذلك صلة نبيّهم صلى الله عليه وآله وإحياء ذكر أئمّتهم عليهم السلام، ويرجون بذلك شفاعتهم يوم لا ينفع لا مال ولابنون [٤].

---

(١) كشف التمويه عن رسالة التنزيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٦:٣١٣.

(٢) رنّة الأسى (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥:٢١٨.

(٣) كشف التمويه عن رسالة التنزيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٦:٣١٣.

(٤) في «كشف التمويه» توجد هنا جملة لا وجود لها في «رنّة الأسى» وهي:

⇦

نعم، ربّما يستلزم الأمر المشروع أمراً غير مشروع، وينظم إلى الأمر السائغ ما لايسوغه الشرع الشريف، بل لازم على كلّ من يراقب الله ويطلب رضى رسوله يبتغي الأجر والثواب، التجنّب عن أمثال ذلك، حيث إنّه لا يُطاع الله من حيث يُعصى.

عن منشور حجّة الإسلام السيّد أبو الحسن الموسوي الأصبهاني

⇨

«وقد ورد في خبر طويل عن الإمام الصادق عليه السلام: «وقد شققنّ الجيوب ولطمن الخدود الفاطميات على الحسين بن علي عليهما السلام، وعلى مثله تلطم الخدود وتشقّ الجيوب».

الشيخ محمّد باقر الدهدشتي البهبهاني
وكتابه«الدمعة الساكبة»

من الإشكالات التي أثارها السيّد محسن الأمين العاملي (ت ١٣٧١هـ)، على خطباء المنبر الحسيني، أنّهم ينقلون أموراً مكذوبة، ذكر بعضها في رسالته «التنزيه»، وأشار إلى أنّ بعضها وضعها الشيخ حسن آل قفطان على سطح مسجد الكوفة.

ثمّ جاء الشيخ محمّد باقر الدهدشتي البهبهاني وأثبتها ـ وزاد فيها أشياءً كثيرة ـ في كتابه «الدمعة الساكبة في أحوال النبيّ والعترة الطاهرة».

وعند مراجعتي لهذا الكتاب (الدمعة الساكبة) وجدتُ مجموعة من الأعلام قد مدحوه وأثنوا على مؤلّفه وعدوه من الكتب المعتبرة الجيدة، إذ لا يمكن له أن يكذب أو ينقل الأحاديث والوقائع المكذوبة.

لذا فنحن هنا ـ تعميماً للفائدة ـ نثبت أوّلاً نصّ كلام السيّد الأمين، وجواب الشيخ عبدالحسين قاسم الحلّي (ت ١٣٧٥هـ) ثمّ نذكر نبذة مختصرة

عن الشيخ حسن آل قفطان، وأخرى عن حياة الشيخ محمّد باقر الدهدشتي، وتقاريظ كتابه «الدمعة الساكبة».

كلام السيّد محسن الأمين:

قال: «فمنها [من الأمور المنكرة]: الكذب بذكر الأمور المكذوبة، المعلوم كذبها وعدم وجودها في خبر ولانقلها في كتاب، وهي تُتلى على المنابر وفي المحافل بكرةً وعشياً، ولا من منكر ولارادع، وسنذكر طرفاً من ذلك في كلماتنا الآتية إن شاء الله، وهو من الكبائر بالاتّفاق، لاسيّما إذا كان كذباً على الله أو رسوله أو أحد الأئمةعليهم السلام».(١)

وقال معرِّضاً ببعض الخطباء الذين يجهلون ما ينقلونه على المنابر: «ويجهل أو يتجاهل قراءتهم حديث: أين ضلّت راحلتك يا حسّان، الذي اختلقه بعض آل قفطان على سطح مسجد الكوفة، كما هو مشهور عند فضلاء النجف الأشرف وغيرهم».(٢)

ردّ الشيخ عبدالحسين قاسم الحلّي:

قال: «الثالث: إنّ وقائع الطفّ لم تصل إلينا ـ حتّى التي تلقيناها بواسطة المفيد والشيخ والسيّد وأضرابهم ـ إِلَّا مرسلة، وأكثر ما يرسل المؤرخون وأوثقهم ابن جرير الطبري عن أبي مخنف، وهو لم يحضر الوقعة، وكذلك غيره، وكثيراً ما اعتمدوا في النقل على هلال بن نافع، وحميد بن مسلم، وهلال بن معاوية، وغيرهم ممّن شهد حرب الحسينعليه السلام، وكان مقاتلاً له.

---

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥:١٣

(٢) المصدر السابق ٥:٣٨.

وأيّ فرق ـ غير اختلاف مراتب الوثوق ـ بين ما ينقله المفيد ويرسله السيّد، وبين قوله في «البحار» وغيره من الجوامع: «روي مرسلاً»، أو «روى بعض الثقات»، أو «روى بعض أصحابنا» أو «روي في بعض الكتب القديمة» أو «روي في بعض الكتب المعتبرة» وشبه ذلك من العبائر؟

أم أيّ فرق غير ذلك بين ما تضمّنته تلك العبارات، وبين ما يوجد في كتاب العالم الفاضل الأديب الشيخ حسن ابن الشيخ علي السعدي، المكنّى بأبي قفطان من مراسيل تلقّاها من مشايخ أهل الكوفة وصاغ لها ألفاظاً من نفسه؟

وما القصور الذي يكون فيها، بحيث تنحطّ عن درجة سائر المراسيل الموجودة في «المنتخب» وفي «الدمعة الساكبة» إلى حيث تسقط عن درجة الاعتبار من رأس؟

وإذا كان القارئ ـ على ما قلناه ـ إذا نقل مضمون تلك المراسيل المرويّة في تلك الكتب لا يكون كاذباً البتّة، ولا ناقلاً لما هو معلوم الكذب، فما هو إذاً معنى قول الكاتب مشيراً إلى ما يقرأه الذاكرون من الأخبار: «إنّها معلومة الكذب»؟

من ذا يا ترى غير عالم الغيب يعلم أنّ الأخبار مكذوبة؟

نعم، إن تلك الأخبار غير معلومة الصدق، وهكذا جميع الأخبار بلا استثناء، وشتان بين معلوم الكذب وبين غير معلوم الصدق.

ولو لزم الناس أن لا ينقل أحد منهم إلَّا الصادق أو معلوم الصدق،

ولو بالطرق الظاهريّة المعروفة في كتب الأُصول والحديث، لا نسدّ باب نقل الأخبار، وبطل الاحتجاج بأقوال المؤرّخين، وذلك ما لا يلتزم به عالم ولا جاهل.

ولو أنّ الكاتب ـ سامحه اللّه ـ توسّط في الأمر، فتوقّف في الأخبار المزعوم كذبها، وردّ علمها إلى قائلها، لكان أدنى للحزم، وأقرب إلى ما جاء عن الأئمّة الأطهار عليهم السلام من أنّ حقّ اللّه على العباد أن يقولوا ما يعلمون ويقفوا عندما لا يعلمون(١).

وأنّه إذا جاءهم من يقول للّيل: إنّه نهار، وللنهار: إنّه ليل، لم يسعهم إلَّا ردّ علمه إليهم، و إلَّا فإنّه يكون مكذّباً لهم(٢).

وعن أبي بصير عن أحدهما عليه‌السلام: «لا تكذبوا بحديث أتاكم به أحد، فإنّكم لا تدرون لعلّه من الحقّ»(٣).

وعن علي السناني عن أبي الحسن عليه‌السلام: «لا تقل لما بلغك عنّا أو نُسب إلينا، هذا باطل، وإن كنت تعرف خلافه»(٤).

---

(١) [لاحظ: الكافي ١: ٤٣ حديث٧، ووسائل الشيعة ١٧: ٢ حديث٣٣١٠٨].

(٢) [لاحظ: بصائر الدرجات: ٥٥ حديث٣].

(٣) [بصائر الدرجات: ٥٥٨ حديث٥].

(٤) هذه الأخبار مذكورة في بصائر الدرجات، وفي الوسائل أيضاً في أبواب متفرّقة. [المصدر السابق: حديث٤].

الشيخ حسن آل قفطان:

هو الشيخ حسن ابن الشيخ علي بن نجم بن عبدالحسين السعدي الرباحي الدجيلي، الشهير بقفطان.

والسعدي، نسبة إلى بني سعد: وهي عشيرة عربيّة يرجع نسبها إلى بني تميم.

والرباحي، نسبة إلى آل رباح: فخذ من بني سعد.

والدجيلي، نسبة إلى مدينة الدجيل الواقعة بين سامراء وبغداد.

ولد الشيخ حسن في النجف الأشرف حدود سنة ١٢٠٠هـ ـ وقيل غير ذاك ـ ودرس الفقه أوّلاً عند الشيخ علي كاشف الغطاء (ت١٢٥٣هـ)، والأصول عند الميرزا أبي القاسم القمّي (ت١٢٣١هـ) صاحب «القوانين»، ثمّ حضر درس الشيخ محمّد حسن النجفي (ت١٢٦٦هـ) صاحب «الجواهر» حتّى أصبح من أخصّ تلامذته وأفاضلهم وأقربهم إليه.

«اتّخذ المُترجم الوراقة مهنة له، وورث ذلك عنه أبناؤه وأحفاده، إلَّا أنّه كان يمتاز عنهم بإتقان اللغة والبراعة فيها، وهذا ما حدى بأستاذه صاحب «الجواهر» أن يُحيل إليه وإلى ولده تصحيح «الجواهر» ووراقته حتّى قيل: إنّه لولاهما لما خرجت «الجواهر»؛ لأنّ خطّ المؤلّف كان رديئاً، وقد كتبا النسخة الأولى عن خطّ المؤلّف، ثمّ صارا يحترفان بكتابتها وبيعها على العلماء وطلاّب العلم، وأكثر النُسخ المخطوطة بخطّهما، وهذا دليل على أنّ المترجم كان يعرف ما يكتب، وكان جيّد الخطّ والضبط».

وله عدّة مؤلّفات منها: «طب القاموس»، «أمثال القاموس»، «رسالة الأضداد»، «رسالة المثلثات»، «رسالة في الأفعال اللازمة والمتعدّية»، «تعليقات على المصباح المنير»، كتب ورسائل في الفقه، أشعار كثيرة، كتاب في مقتل الإمام الحسين عليه السلام.

وقد مدحه وأطراه ووثّقه كلّ من ذكره وترجم له، منهم:

١) المحدّث الميرزا حسين النوري (ت١٣٢٠هـ)، قال عنه: «العالم العليم، والفقيه الحكيم المقتدى المؤتمن الشيخ حسن».

٢) السيّد حسن الصدر (ت١٣٥٤هـ) قال عنه: «كان من مقدّمي فقهاء الطائفة، مشاركاً في العلوم، فقيهاً أصوليّاً حكيماً إلهيّاً، وكذلك له التقدّم والبروز في الأدب وسبك القريض، وله شعر من الطبقة العليا».

٣) الشيخ محمّد حرز الدين (ت١٣٥٦هـ) قال عنه: «عالم محقّق جليل ضابط، أديب شاعر».

٤) السيّد محسن الأمين (ت١٣٧١هـ) قال عنه: «كما في الطليعة»: كان فاضلاً شاعراً تقيّاً ناسكاً محبّاً للأئمة الطاهرين، وأكثر شعره فيهم، وله مطارحات مع أدباء زمانه، وتواريخ في أغلب الوقائع وتقاريظ.

وفي مجموعة الشبيبي: كان أديباً شاعراً، أصبح من مشاهير الفقهاء الأدباء.

وعن مجموعة الشبيبي أيضاً ـ كما في مجلّة الحضارة ـ أنّه قال في حقّه: فقيه لغوي... وكان أديباً صحيح الطبع وسليم الذوق».

٥) الشيخ الطهراني (ت ١٣٨٩هـ) قال عنه: «أحد مشاهير وأعلام عصره في العلم والأدب».

انظر: معارف الرجال ٣١٩:١، أعيان الشيعة: ١٩٨:٥، طبقات أعلام الشيعة (الكرام البررة في القرن الثالث بعد العشرة): ٣٣٩.

الشيخ محمّد باقر الدهدشتي البهبهاني، وتقاريظ (الدمة الساكبة):

قال السيّد محسن الأمين في «أعيان الشيعة»:

الحاج ملاّ باقر بن عبدالكريم الدهدشتي البهبهاني الكتبي النجفي، صالح ورع، نقيّ محدّث، كان يتجر ببيع الكتب بالنجف الأشرف في الصحن الشريف العلوي، وهو والد الحاج علي محمّد الكتبي الذي عاصرناه في النجف.

جمع المترجم كتاباً ممّا عنده من الكتب المتنوّعة، أسماه «الدمعة الساكبة» فرغ منه في ذي القعدة سنة ١٢٧٩ في النجف الأشرف، وهو في أحوال النبيﷺ والزهراء والأئمة الأحد عشر عدا صاحب الزمانعليه السلام، كبير، طبعه ولده الحاج علي محمّد الكتبي بعد وفاته، ثمّ طبع مرة أخرى.

وله كتاب الغيبة الصغرى، أفرده في أحوال صاحب الزمان، لم يطبع.

وقد قرّظ «الدمعة» علماء ذلك العصر وأدباؤه بعدّة تقاريظ منثورة ومنظومة، فمنها تقريظ وتاريخ الشيخ إبراهيم ابن الشيخ صادق العاملي، قال فيه:

وبعد، فيقول العبد الفقير إلى الله الغني إبراهيم ابن المرحوم الشيخ صادق العاملي، إنّي لما فرقت حواسي الخمس في ستّ جهات هذا التأليف، وأطلقت أعنّة أفكاري الخمس في حلبات هذا الكتاب الشريف، وجدته

أهلاً لأن اُوجه إليه لسان المديح، وأعلق عليه جمان الثناء المليح، فأنشأت هذه الأبيات متقرّباً بنظمها إلى فاطر الأرض والسماوات، ومنه سبحانه وتعالى استمدّ التوفيق للأعمال الصالحات في جميع الحالات:

هــذا كتــاب أشــرقت للهــدى — فــي الأفــق منــه أنجــم ثاقبــه
تغبطــه الكتــب جميعــاً كمــا — قــد غبطــت كتابهــا كاتبــه
ألّفــه بــاقر علــم رقــى — مــن كــلّ طــود للعلــى غاربــه
أطـرى بـه فضـل الهـداة الأُلـى — ذكـر علاهـم طاعـة واجبـه
وبـثّ مـا سـاق الأعـادي لهـم — مـن محـن نائبـة نائبـه
وربمــا أومــأ للقــدح فــي — أئمـة الغـيّ مـن الناصـبه
مؤلّــف أســطر أوراقــه — أمسـت لابـراد الأسـى سـاحبه
وفـي نـواحي الأرض قـد أصبحت — نائحـة ناعيـة ناحبـه
وفـي خطـوب الآل أضحت على — منـابر الـدنيا هـي الخاطبـه
ولـم يقـم مـأتم حـزن لهـم — إِلَّا وقـد كانـت هـي النادبـه
تبكـي وتبكـي النـاس طـراً دمـاً — منهمعـاً كـالمزن الصـائبه
وأدمعــاً صــعدها لاعــج — مـن كبـد مقروحـة ذائبـه
مـن أجـل هـذا يـوم تاريخـه — قـد وسـمت بالدمعـة السـاكبة

سنة ١٢٨٦

ولايخفى أنّه حسب هاء الدمعة تاء وهو خلاف المعروف من أنّ العبرة بما يكتب لا بما يقرأ.

وقال الشيخ أبو سهل أحمد ابن الشيخ حسن ابن الشيخ علي السعدي النجفي المعروف بقفطان مقرظاً ومؤرخاً:

للّـــــــــه أيّ مؤلّــــــــف	قــد حــاز مــن غــرر المناقــب
وأبــان مــن ســبل الهــدى	مــا للعــداة مــن المثالــب
فكأنّــه فرقــان أحـــــ	ـــمد جــامع جــمّ المطالــب
مـــــا ذرّة عنـــــه ولا	مثقــال ذرّة عنــه عــاذب
فكأنّــه الشــمس المنيـــ	ـــرة فــي المشــارق والمغــارب
أو أنّــــــه بدربـــــــه	يهدي الذي فـي الليـل سـارب
أو روضـــة غنّـــاء منـــ	ـــها يجتنــى زهــر الرغائــب
هـــي جنّـــة الأخبـــار مـــا	فيهــا ســوى حــور كواعــب
ومناقـــب لـــو شـــامها	ربّ العنـــاد لجـــاء تائـــب
رغمــت بهــا آنــاف كــلّ	معانـــد لهـــم محـــارب
وغـــدا بـــنهج ضـــلاله	عــن مــنهج الإرشــاد ناكــب
هـــي دمعـــة ســكبت لمــا	نـــال الميـــامين الأطائـــب
مـــن آل فاطمـــة الأولـــى	حاســوا الكتائــب بالكتائــب
فــي الــذكر ذكــرهم أتــى	سـل هـل أتـى عـنهم تجـاوب
هـــذي مصـــائبهم لقـــد	ألفتهـــا بعـــد المناقـــب
تاريخهـــا جـــاء دمعـــة	ســكبت لإمــلاء المصــايب

وقـال الشـيخ عبدالحسـين ابـن الشـيخ أحمـد شـكر النجفـي مقرّظـاً ومؤرّخاً:

لله أيّ كواكـــــب الإشـــــراق   بـــــرزت بغـــــرة هـــــذه الأوراق
وشـموس معرفـة تجلّـى نورهـا   فجــلا الســرار بومضــه البــراق
وكنــوز رشــد لا يضــلّ أليفهــا   يــزداد مــا فــيهن بالإنفــاق
وعــرائس بــرزت بأيــة حلّــة   زفّــت لطالبهــا بغيــر صــداق
جمعــــت لآل الله أيّ مناقــــب   أضـحت لعـين القلـب كالأحـداق
مـاء الحيـاة يفـيض مـن صـفحاتها   يــروي غليــل الوالــه المشــتاق
مدّت لأطناب المعارف والهدى   فــي هامــة الجــوزاء أيّ رواق
ومثالــب ترمــي العــدّو صــواعقاً   عـن ثاقـب أغنـت وعـن إحقـاق
حجـج تـذيق الخصـم مـرّ ذعافهـا   أصـبحن فـي الأعنـاق كـالأطواق
فلكـم رقـى فيهـا مؤلّفهـا مـن الــ   ــعليا مقامــاً لــم ينلــه راقــي
ولكـم بمضـمار الهدايـة قـد حوى   قصــب الســباق بســابح ســباق
ومكارمــاً شــهدت صــريحاً أنّــه   فــرع النجابــة طيّــب الأعــراق
فحبــاه ربّ العــرش مــن آلائــه   وســقاه بالكــاس الإمــام الســاقي
وأصاب فـي أقصـى الرشـاد مـؤرّخ   هــي دمعــة ســكبت مــن الآمــاق

سنة ١٢٧٤

وقال السيّد صالح نجل السيّد مهدي القزويني النجفي:

لله درك جامعــــــاً لمناقــــــب   كشـفت لليـل الجهـل ثـوب ظـلام
لـم تولهـا جمعـاً لحصـر عـدادها   أنّــى وقــد بعــدت عــن الأوهــام
لكـن دعـاك لـذاك صـدق ولائهـا   مــن عــالم الأصــلاب والأرحــام

لـم تـرض قلبـك واللسـان شـهوده   حتـــى أقمـــت شـــهادة الأقـــلام

وقال الميرزا محمّد الطهراني:

صنت شعري عن هوى خدّ مورد   وعشـــيق يتّثنـــى مـــائس القـــد
لا ولا غـــازل فكـــري غـــزل   بغـــزال ســـاحر الألحـــاظ أغيـــد
كـلّ وصـل جـاء هجـر بعـده   أســـفا فـــي مثلـــه شـــعر يخلـــد
إنّمـــا اتبعـــت فكـــري واصـــفاً   رتبـــة مـــن دونهـــا نســـر وفرقـــد
حـــلّ فيهـــا بـــاقر العلـــم ومـــن   بكمـــال الخلـــق والخلـــق تفـــرّد
طالمـا طالـب مـن أهـل الكسـا   جمـــع أخبـــارهم حتّـــى تأيّـــد
كـلّ مـا عـنهم وفـيهم ولهـم   مـــن حســـان ومراســـيل ومســـند
فـــي الرزايـــا والمزايـــا والعطـــا   وصـفات لهـم جـازت عـن الحـدّ
وجلايـا مكرمـات فـي الـورى   وكرامـات لهـم بالفضـل تشـهد
وكـــروب وحـــروب وخطـــو   ب وسـحايا لسـت تحصـيها بعـد
جمـــع الكـــلّ بتـــأليف غـــدا   نظمـــه بالحســـن والنشـــر تفـــرّد
ولعمـــري إنّـــه فـــي جمعـــه   ومعاليـــه بهـــذا العصـــر أوحـــد
ولقـــد قلّـــد جيـــد العلمـــا   بـــدرار خلتهـــا نـــوراً تجسّـــد
أيـــد الـــدين بمـــا جـــاء بـــه   ســـيّد الإســـلام لا زال مؤيّـــد[1]

---

(١) أعيان الشيعة: ٣: ٥٣٥-٥٣٦.

تقاريظ العلماء للكتاب والمؤلّف

في مقدّمة الطبعة الأولى لهذا الكتاب ـ المطبوع سنة ١٤٠٨هـ ـ في ثمان مجلّدات، في مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ وردت عدّة تقاريظ هي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى.

أمّا بعد، فإنّ نفاسة جوهر العلم، وشرف ذاته، وعلوّ مقداره، كتمايز أصنافه، وتفاضل أنواعه، وتفاوت أقسامه، وكتقدّم العلوم المشتركة بين الآخرة والنشأة الدائرة، على فنونه المتشعبة وأجناسه المتفرّقة، ولاسيّما ما يتعلق من هذه الأقسام العالية، والأنواع الغالية، بمعرفة الأئمةعليهم السلام ومناقبهم، ومايعرب عن خفايا مراتبهم ومزايا مناصبهم، ممّا يجلو صدء القلوب، ويروّي صدى الأكباد، وتزيد الطالب بصيرة بمآثرهم وآثارهم، ويفيد الراغب معرفة بخصائصهم وأسرارهم.

كلّ ذلك من الظهور بمثابة الغزالة في الحافورة، ومن الاشتهار بمكانة روح القدس في جنان الضاقورة، فهو من القضايا التي قياستها معها، فلا يحتاج إلى بيان، ولايفتقر إلى إقامة برهان، اللهم إلّا إيقاظاً للرقود، وتنبيهاً للنفوس بالأمر المرتكز المعهود.

وإنّ كتاب «الدمعة الساكبة» الذي ألّفه المحدّث الخبير، والناقد البصير، والزاهد الورع الطاهر الحاج ملاّ باقر قدّس الله روحه، في فضائل الأئمةعليهم السلام ومناقبهم، ممّا قرطس سهامه الأغراض، وقام بحقّ بيان الجواهر من ذلك والأعراض، فيا له من كتاب جامع بسيط، ومؤلّف نافع قميط.

ولله درّ مؤلّفه، فلقد بذل جهده، وأنفذ كدّه في تنقيح الأخبار، وتوضيح الآثار، وعرضه على فضلاء الأنام، وعلماء الإسلام، المجاورين للمشهد الغري، والعاكفين عند المرقد الكريم العلوي، فكانوا ينظرون منه في كلّ أوراق، ويتقون منه كلّ مارق أو راق.

حتى أنّ الإمام المحقق الأنصاري نفعنا الله بركات علومه وآرائه، وحشرنا في الآخرة تحت لوائه، كان قد يعيره ساعة من زمانه، ويشرفه بإجالة نظره المقدس في أوراقه وأغصانه.

حتى برز بحمدالله في حلبة الفضل سابقاً، وترك ما عداه من مصنّفات أقرانه مصلّياً أو لاحقاً، ولو لم يكن من فضل هذا الكتاب إِلَّا ما تراه من التقريظات الإحدى عشر التي سمح بها أقلام العلماء والأعيان، وكتبها أيدي الفقهاء والأركان، الذين فيهم مشايخ الأنام، ورؤساء الإسلام، والحجج الوافية، والجنن الواقية، أساطين الملّة، وعلماء الأمّة، وأساتيد العصر، وصناديد الزّمان، ضاعف الله أقدارهم، ونشر معاليهم وآثارهم، كما سيتلى عليك عبائرهم الشريفة، وألفاظهم الكريمة.

لكان فيه ما يرغب في دونه العاقل اللبيب ويسارع إليه الموفق المصيب، ويحرص عليه الأديب الأريب، كيف وهو بنفسه شاهد على كماله، ودليل على استقامته واعتداله، فإنّه كما سمعت ممّا يشارك في تثقيفه أنظار الأفاضل، وتظاهر على تصحيحه أفكار الأماثل، فشكر الله لمؤلّفه سعيه، وأحسن في نمي جواره سقيه ورعيه.

وكتب بيمناه الداثرة، ويراعته الفاترة، الأحقر الجاني أبوالفضل ابن العلم المحقق أبي القاسم الطهراني، حوسبا حساباً يسيراً، وأوتيا في النشأتين

خيراً كثيراً، هزيع ليلة المولود الأشرف الأسعد الأقدس النبوي، عليه من الصلوات أزكاها ومن التحيّات أسناها وأنماها، سابع عشر ربيع الأول سنة ١٣١٢ من الهجرة.

التقريظ الأول: لجناب المستطاب أستاذ الفقهاء والمحققين رئيس العلماء والمجتهدين، ناصر الملّة والدين، حجّة الإسلام والمسلمين، العالم الرّباني، الحاجي ميرزا حبيب الله الغروي الجيلاني دام ظلّه العالي.

بسم الله الرحمن الرحيم

الذي فضّلنا على جميع البرّية، بأن جعلنا من الاثني عشرية، ومنحنا الولاية الحيدرية، والأنوار المرتضوية، فله الحمد على هذه النعمة العظمى والعطية الكبرى، وعلى سائر آلائه ونعمائه التي لاتحصى.

والصلاة و السلام على أشرف الأنبياء ينبوع المعالي والمفاخر، سيّد كل أوّل وآخر، محمد المبعوث على الثقلين، الفاتر عن إدراك بعض فضائله لطائف الأبصار، والقاصر عن شرح بعض فواضله صحائف الأفكار، ثمّ على أقرب الناس إليه حباً وألصقهم به نسباً وأحقّهم له خلفاً، وصيّه وابن عمّه، ثمّ على ذرّيتهما الأطهار حجج الله على الأشرار والأخيار ما دام الليل والنهار.

ثمّ لايخفى أنّ أربح التجارات وأرفع الصناعات وأنفع القربات إحياء موات الأخبار، وإعلان ما تطرّق إليه أيادي الكتمان من الآثار الواردة في

فضل الأئمة الأطهار، وتجديد ما اندرس منها بظلم الظالمين، وتسديد ما انطمس منها بطغيان الكافرين، لعنة الله عليهم أجمعين.

ومن أوجه وجوه الإحياء وأعلاها، وأفخر حلل النّشر وأغلاها، وأبهى طرق الحمية وأسماها، تأليف الكتاب في مكارمهم، وترتيب الأبواب في مدائحهم، وكتبها وتطبيعها، ثمّ التحدّث بها ومذاكرة مضامينها، فإنّها من الباقيات الصالحات التي رغب فيها في محكم الآيات، وهو أنفع شيء في المحاسبة الكبرى، وأنفس متاع عند الرفيع الأعلى.

ومن هنا قد بالغ العلماء السابقون قدّس الله أرواحهم، والمحدّثون الماضون طيّب الله مرامسهم، في تصنيف كتب الفضائل والمصائب والمعجزات وسائر ما يتعلّق بتلك الذوات عليهم صلوات الله الزاكيات الطيبات.

لكن لما كان غير الزمان غير مأمون، وجب كالقرآن حفظها وتشييد أركانها في تصنيف جديد، وتأليف سديد، خوفاً من تطرق أيادي الهوان واستكثاراً في توضيح طرائق السلوك إلى الجنان، وسبل النجاة من النّيران.

ومن أجل ذلك أقدم بعض صلحاء العصر وأتقياء الزمان و خدّام الشرع، أن يؤلف كتاباً جامعاً لما فيها وزيادة، ويأتي بما لم يأت به غيره من العائدة، فجهد وأجحد وأجاد وأفاد وأتى بما فوق المراد، مع اشتغال باله وقلّة ماله وكثرة عياله، فصنّف كتاباً لم يسمح الزمان بمثله، وبخلت امّهات الأقدار عن توليد عدله، واشتملت على مزايا لاتجدها في زبر الأوائل، وعليه من نفسه وأسلوبه أقوى شواهد ودلائل.

كما لا يخفى على من خاض زواجر بحاره، واطلع على لطائف أسراره، وتطلع على عجائب أطواره، وأبرز حسان مضامينه عن خدره وأستاره فيها لها من نعمة لمن شكر، وعبرة لمن اعتبر، وموعظة بالغة لمن تدبّر، جعله الله ذخيرة يوم حشره، ومنحه وإيّانا جزائل أجره، وهوالمسمّى بالدمعة الساكبة.

فطوبى لمن سعى في ترويجه وتشهيره وكتبه ونسخه وتطبيعه، ثمّ طوبى، فلو علم ما له من الأجر والثواب في يوم الحساب لعمد إليه من كلّ باب، وأقدم عليه إقدام الحريص الكسوب للكتاب.

حرّره العبد الجاني حبيب الله بن محمد علي الجيلاني عفى الله عنهما، وعن جميع المؤمنين آمين، ثمّ آمين.

التقريظ الثاني لحجة الإسلام، خاتم فقهاء الأيّام، المعروف بطنطنة الفضل ابن لائق المشرقين الحاج سيد حسين المحامي طيّب الله مضجعه.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الذي تفرّد بالبقاء، وقهر عباده بالموت والفناء، والصلاة والسلام على خير خلق الله، وخاتم الأنبياء، وعلى ابن عمّه يعسوب الدين، وأبي الأئمة الأمناء، وعلى أولاده الطيّبين الطاهرين النجباء.

وبعد، فإنّي نظرت في هذا المؤلّف الكافي، والمصنّف الوافي، جملة من الزّمان، وبرهة من الأوان، فرأيت أن مؤلّفه الحبر الماهر البصير، والمحدّث العارف الخبير، كوكب الهداية الزاهر، جناب الحاج ملاّ باقر الدّهدشتي البهبهاني النجفي، لم يجمع فيه إِلَّا جواهر الأخبار المأخوذة من

العلماء الأخيار، المعروف أخذها عن الأئمة الأطهار صلوات الله عليهم ما أظلم الليل وأشرق النهار، مع ضيق حاله، وقلّة مجاله، وتفتت باله.

أسأل أن ينفعه به في أولاه وأخراه، وأن يبلغه ما يتمنّاه، إنّه أرحم الرّاحمين.

وفي الحقيقة كتاب لم يكد يرى مثله في زبر الأوّلين، شكر الله سعيه بحق محمد وآله صلوات الله عليهم أجمعين، حرّره الأقلّ حسين الحسيني.

التقريظ الثالث: للمرحوم سيّد العلماء الأعلام حجّة الإسلام، البدر اللامع، صاحب البرهان القاطع، الجامع بين المنطوق والمفهوم، العلاّمة الحجة السيّد علي بحرالعلوم قدّس الله روحه.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الذي أوضح لعباده سبيل الرّشاد، وأبان لهم طرق الهداية والسداد، وصلّى الله على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى ابن عمّه سيد الوصيين، وعلى أولاده الأئمة الطاهرين الطيبين.

أما بعد، فقد نظرت في تضاعيف هذا المؤلّف الشريف الغني عن التوصيف والتعريف، لظهور مزاياه، بأدنى نظر وبدون نكات محاسنه، بأقّل فكر، المسمّى بالدّمعة الساكبة في المصيبة الراتبة، الذي ألّفه الحبر البصير الماهر وكوكب الهداية المنير الزاهر، ذوالفضل الواضح الباهر، والعلم النّاشر المتقاطر، المؤيّد المسدّد الفاخر، الحاج ملاّ محمد باقر البهبهاني الغروي، عامله الله بلطفه الخفي والجليّ.

فرأيته حريّاً أن يكتب بالنور على وجنات الحور، لا بالحبر على صفحات التبر، إذ أورد فيه أخباراً من الكتب المعتبرة، المتداولة لدى الأصحاب عليه رضوان من الله مع التحيّات، وأودع فيه تفاصيل أحاديث لم يودعها غيره ممّن هو ماض أو هو آت وإذ ذاك، فمن حضره هذه المجلدات استغنى بها عن الكتب المتفرقات، بل تجديه ما لا يجده من تلك المطولات.

شكر الله مساعيه، حيث بذل جدّه وأعطى غاية جهده في جمعها وتأليفها، مع عسر حاله وضيق مجاله، وما هو إِلَّا بتأييد من خالقه، وفضل منه يؤتيه من يشاء من خلقه، ويحقّ له على الإخوان أن يساعدوه على بثّ ما كتب، ونشر ما جمعه بحسب ما يحقّ ويجب، أعانهم الله لكلّ خير، فإنّ نشره من أفضل القربات واذاعته من أكمل المثوبات، ونسأل الله أن ينفعنا به وسائر المؤمنين في الدارين، ويحبوه به بما قرّ به العين، إنّه على ذلك لقدير، وبالإجابة لجدير، من الأقل علي آل بحرالعلوم الطباطبائي.

التقريظ الرابع: للمرحوم المغفور، الناقد البصير والفحل النحرير والزاهد الكبير، علاّمة عصره، حجة الإسلام، ناصر شرع النبي الغازي الحاج ملاّ علي ابن الحاج ميرزا خليل الرازي روّح الله روحه.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله المؤيّد المسدد المتأبّد، الذي عجزت عن رسم أوصافه الأقلام، وقصرت دون إدراكه الأفهام والأوهام، الذي ابتدأ بقدرته السماوات والأرضين، ومن فيها ابتداعاً، واخترع على مشيئته اختراعاً، وسلك بهم في طريق إرادته وبعثهم في سبيل محبّته عن سلطانه، عزاً لا منتهى له

بحدّ، واستعلى ملكه علوّاً لا نهاية له، ولا أمد، الذي قصرت عن رؤيته أبصار الناظرين، وعجزت عن نعته أوهام الواصفين، لا يجاوزه رجاء الرّاجين، ولايضيع لديه أجر المحسنين.

والصلاة والسلام على الهادي إلى سبيل الرشاد، والشّافع يوم المعاد، المحمود الأحمد، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمّد، وآله الأمجاد الأوتاد، وشفعاء يوم التناد صلوات الله عليهم أجمعين، ولعنة الله على أعدائهم من الأولين والآخرين إلى يوم الدين.

وبعد، فإنّ في البلاد عباداً دعاهم الله إلى ترويج أحاديث الأئمة الطاهرين، وأعدّ لهم عدة وأمدّهم مدّة، وقد قيل: إذا أراد الله بعبد خيراً هيّأ أسبابه، ولقد سمح الزمان جناب المولى الورع التقي الألمعي صاحب العميم الوافر، والفضل المتكاثر، العالم الرّباني، المولى الحاج محمّد باقر البهبهاني أدام الله توفيقه، بما لم يسمح الزمان بمثله لغيره، وهو تأليف كتاب يليق أن يسمّى بالأنوار اللامعة واللمعات الساطعة، مشتمل على أسلوب سن وترتيب متقن، يليق أن يكتب بالنّور على وجنات الحور، وقد سمّاه بالدمعة الساكبة في المصيبة الراتبة.

ولعمري إنّ ذلك بتوفيق الله وتسديده وبعونه وتأييده، وهو من خوارق العادات، ومن معجزات الأئمة الهداة صلوات الله عليهم أجمعين، ولعنة الله على أعدائهم من الأولين والآخرين إلى يوم الدين، وقد غبطناه على ذلك حيث إنّه من فضل الله يؤتيه من يشآء والله ذوالفضل العظيم.

كتبه العبد الذليل الفاني الجاني علي ابن المرحوم الحاج ميرزا خليل الرازي موطناً ومولداً، والنجفي مسكناً ومرقداً إن شاء الله تعالى.

التقريظ الخامس: للمرحوم شيخ العلماء المحقّقين ملاذ الفقهاء والمجتهدين، حجّة الإسلام والمسلمين، العالم الرّباني الآخوند الملاّ محمد، المعروف بالفاضل الإيرواني قدّس الله سرّه ومضجعه.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الذي أنزل الكتاب لإرشاد ذوي العقول والألباب، وأرسل الأنبياء والمرسلين لإحياء السنّة والدين، والصلاة والسلام على البشير النذير والسراج المنير، وعلى ابن عمّه النبأ العظيم ومحيي الدّين القويم، وعلى أولاده الأبرار الملقين الأخبار والأسرار من عند الملك الجبار.

وأما بعد، فإنّي لما طالعت المجلّدات الخمسة المسمّيات بالدمعة الساكبة في المصيبة الراتبة، التي ألّفها المؤلّف الخبير والمحدّث البصير، وحيد عصره، وعميد مصره، الحبر الرّباني والعالم الصمداني، الحاج ملاّ محمّد باقر النجفي الدهدشتي البهبهاني، وجدتها أخباراً جمعها من الصحاح المشهورة، والنصوص الصريحة المأثورة، والأحاديث المستفيضة المتواترة من المصنفات المعروفة لدى المحاورة.

ولقد بذل جهده في ترويج الشريعة الغرّاء، وجدّ جدّه لإعلاء الحقّ في السرّاء والضرّاء، وتحمّل الشاقّة فوق الوسع والطاقة، جزاه الله عن الإسلام خيراً، ووفّقه لخدمة طريقة آل الرسول وتلقونه بالعزّ والقبول، وأعلاه يوم الأجر في عباده، وجعل كتابه ذخيرة له في معاده.

وقد حرّره الجاني محمّد الإيرواني.

التقريظ السادس: للمرحوم شيخ العلماء الراشدين أُستاذ الفقهاء الماجدين، علم العصر، علاّمة الأيام، الزاهد العابد، والورع الراشد، حجة الإسلام، صاحب هداية الأنام، ملاذ الأعاظم، الشيخ محمّد حسين ابن المرحوم الشيخ هاشم الكاظمي الغروي قُدِّسَ سِرُّه.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله ربّ العالمين، الرحمن الرحيم، وليّ الحمد والنعم، ومنتهى الحلم والكرم، لا تدركه الصفات، ولايحدّ باللغات، ولايعرف بالغايات.

أمّا بعد، فلقد منّ الله تعالى على العباد بإكماله للدين، وإتمامه للنّعمة، بإظهار شريعة سيّد المرسلين، وعلى يد وصيّة وابن عمّه علي أميرالمؤمنين، ومن بعده الأئمة الأحد عشر الطيّبين الطاهرين صوات الله عليهم أجمعين، وحيث أنّه صرنا في الغيبة الكبرى، ولم ندرك تلك الأيام الزاهرة، وفّق الله تعالى عباده وأيّدهم لترويج الأحاديث المرويّة عن أهل العصمة، ليحيي من حيّ عن بيّنة، ويهلك من هلك عن بيّنه.

ومن جملة من وفّقهم الله تعالى لعمل هذا الخير، جناب الورع التقيّ الألمعيّ، صاحب الفهم الوافر، والحلم المتكاثر الماهر، الفقيه المحدّث العارف، الخبير الذي ليس له ثان، جناب ملاذنا ملاّ محمّد باقر الدهدشتي البهبهاني، أدام الله تعالى وجوده وأعلا سعوده، حيث تصدى لتأليف كتاب لم يسمح الزمان بمثله لغيره، المسمّى بالدمعة الساكبة في المصيبة الراتبة.

ولعمري لقد نظرت إليه نظر إعتبار، ونقدته نقد الصيرفي للدينار، فوجدته مشتملاً على صحيح الأخبار عن الأئمة الهداة الأطهار، بأسلوب حسن لطيف، وترتيب متقن منيف، يليق أن يكتب بالنور على وجنات الحور، فحقيق على من تمكّن من ترويجه وتكثيره، أن يسعى بتمام جهده في تكريره، فإنّ كثيره من أفضل القربات لما فيه عن الأئمة الهداة.

جزى الله عنّا المؤلّف خير الجزاء، حيث بذل الجدّ وأعطى غاية الجهد، مع العلم بعسر أحواله وضيق مجاله، نسأل الله تعالى أن ينفعه به في أولاه وأخراه، وأن يبلغه ما يتمنّاه بمحمّد صلّى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين.

كتبه الراجي عفو ربّه الراحم محمّد حسين ابن المرحوم الشيخ هاشم الكاظمي قدّس سرّه.

التقريظ السابع: للمرحوم الشيخ الفقيه الأوحد الأقدس الأعبد، ملاذ الفقهاء ومنار العلماء عماد الإسلام الشيخ راضي رحمه الله تعالى.

بسم الله تعالى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا وشفيعنا النبي الأمين، وآله البررة الميامين.

أمّا بعد، فإنّي لما سرحت نظري في هذا الكتاب الباهر، وأجلبت طرفي في نوره الشعشعاني الزاهر، وجدته حريّ بأن يكون تبصرة للناظرين، وجلاء لعيون المتدبرين، وعماداً يلجأ إليه أهل الدين من العلماء المتعلّمين،

فإنّه قد جمع فيه من الأحاديث التي هي محلّ للاعتماد، ومنهج واضح إلى الرشاد، وسبيل لنهاية السداد، فيه جلاء للصدور، وكشف عن غوامض الأمور، فحقّ له أن يكتب بالنور على جبهات الحور.

قد جمع فيه ما لم تجمعه آحاد كتب الأواخر والأوائل من الأحكام والمعاجز والدلائل، وكان حقيقاً بأن يتمثّل بقول القائل:

وإنّي وإن كنت الأخير زمانهم   لآتي بما لم تستطعه الأوائل

فهنيئاً لمؤلّفه الحبر الباهر، والقمر الزاهر، جناب الملاّ محمد باقر البهبهاني النجفي، عامله الله تعالى بلطفه الخفي.

حرّره خادم الشريعة الغرّاء، راضي ابن الشيخ محمّد قدّس سرّه.

التقريظ الثامن: للمرحوم الشيخ الفقيه السند الوحيد الفريد العلم، العلاّمة، نادرة الأيام، وعماد الإسلام، الشيخ مهدي آل الشيخ الأكبر قدّس سرّه روحه الأطهر.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الذي أوضح لعباده سبل الرّشاد، وأبان لهم طرق الهداية والسداد، وصلّى الله على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى أولاده الطيبين الطاهرين.

أمّا بعد، فإنّي طالما طالعت في هذا المؤلّف الشريف، المستغني عن التعرّيف والتوصيف، الذي قد ألّفه الحبر البصير الماهر، وكوكب هداية الزاهر، جناب الحاج ملاّ محمد باقر الدهدشتي البهبهاني النجفي، عامله الله

بلطفه الخفي، فرأيت إنّه لم يورد فيه إِلَّا الأخبار المشهورة المتواترة من كتب الأخبار، التي جمعها العلماء الأبرار، المعلوم أخذها عن الأئمة الأطهار صلوات الله عليهم ما غسق ليل وأضاء نهار، مع ضيق حاله، وقلّة مجاله، واشتغال باله.

فنسال الله أن ينفعه به في الدارين، ويحبوه بسببه بما تقرّ به العين، إنّه على ذلك لقدير، وبالإجابة جدير.

الراجي عفو ربّه الغنيّ، خادم الشريعة الأحمدية، مهدي ابن المرحوم الشيخ علي ابن المرحوم الشيخ الأكبر الشيخ جعفر قدّس سرّه.

التقريظ التاسع: للمرحوم الشيخ الزاهد والورع العالم العابد، رئيس الأوتاد، وعلم الزهاد، الشيخ نوح رحمه الله تعالى.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رفع قدر العلماء، وفضّل مدادهم على دماء الشهداء، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء محمد وآله الأمناء، الذي أشرقت بأنوار صفاتهم الشريعة الغرّاء، وخلقت لأجلهم الأرض والسماء، لا سيّما وصيّه وابن عمّه وزوج ابنته وكاشف الكرب عن وجهه، حاوي الأمّة ومعدن العصمة، علي بن أبي طالب صلوات الله عليه.

وبعد، فإنّ من فضل الله على العباد، أن سهّل لهم طريق السداد، وبيّن لهم سبيل الرشاد، فجعل لدينه وأحكامه حفظة وعلماء فضلاء مستودعين، فصار يتلقن الخلف منهم عن السلف ما استودعوا من أهل العصمة الشرف،

حفظاً لها عن الضياع والتلف، وصوناً لها عن الانقطاع والحتف، واهتمّ أهل الدين والعلماء في ضبط ما ورد عنهم عليهم السلام، وجعلوه زبراً وكتباً.

وكان من جملة من اقتدى بهم واتّبع أثرهم، جناب العالم الخبير والنّاقد البصير، وحيد العصر، وفريد الدهر، الحبر الرباني والعالم الصمداني، حاجي ملاّ محمّد باقر البهبهاني، فكتب كتاباً سمّاه بالدمعة الساكبة في المصيبة الراتبة، وهو كتاب مشتمل على ما يشفي العليل، ويروي الغليل، ما تقصر عنه كتب المتقدّمين، مجتمعاً من كتب مشهورة، وصحاح ونصوص مأثورة.

ولعمري فهو من خوارق العادات، بل من معجزات السادة الهداة، ولقد بذل جهده وتحمل فوق وسعه وطاقته، جزاه الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء، وجعله مقبولاً مشكوراً عند الأئمة الأمناء، وذخراً ليوم مناه.

كتب بيده الفانية أقل الخلق نوح ابن الشيخ قاسم الجعفري النجفي.

التقريظ العاشر: للمرحوم عماد العلماء الرّاسخين، وسلالة الفقهاء الشامخين، الشيخ عبدالحسين ابن المرحوم الشيخ نعمة الطريحي رحمه الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمستوجب الحمد والثناء، وشكراً لواسع المواهب والعطاء، أحمده في السراء والضراء، وأشكره على تواتر النعماء والآلآء، وأُصلّي وأُسلّم على نبيّنا سيّد الأنبياء، وآله سادة الأوصياء الأصفياء.

أما بعد، فإنّي لمّا سرحت طرف ناظري في أزهار هذه الرّياض، وأوردت طرف نظري عين هذه الحياض، رجعت عنها بما يشفي العليل، ويروي الغليل، ويكفي الطالب، وينعش الرّاغب، من بثّ مناقب الصفوة الأطائب، وعدت منها بما يضرم الأحشاء، ويجري من الأماقي الدماء، من ذكر ما جرى عليهم من النوائب والمصائب.

فللّه درّ محرّرها، فإنّه لعمري قد أبدع فيما أودع فيها، وأجاد فيما أفاء من جميع الآي والنصوص، وتحرير معانيها، بترتيب تستحسنه الطباع السليمة، وتهذيب ترتضيه الأفكار المستقيمة، وتحرير تعجز عن بلوغه همم الأقران، وتحبير تقف من دونه عزائم الأعيان، وتحقيق المسائل المقرون بأحكام الدلائل، وتدقيق المطالب، المشنّع بإسعاف المآرب، ومن هنا تلقته العلماء بالقبول، وشكر مساعيه فحول المعقول والمنقول، حتّى كثر الطالب له والعاكف عليه، والمتشرف له والمتشوّق إليه.

فهو الجامع الكافي، والنافع الوافي، المغني عمّا سواه، والوحيد في بابه ومعناه، الكاشف عن حسن توفيق من أسداه، فأحسن الله تعالى في النشئتين جزاه، ووفّاه في الدّارين مناه، وجعله له وللمنتفعين به من أحسن الذخائر، وأعدّه سروراً له يوم تبلى السرائر، والحمدلله أولاً وآخراً.

وكان تاريخ هذه الملاحظة أوائل صفر المظفّر من شهور السنة السادسة والثمانين بعد الألف والمائتين من الهجرة النبوية، على مشرّفها أفضل صلاة وأكمل تحيّة، وعلى آله الطاهرين، وكان من الشاهد بصحتها

المصدّق بمضمونها الأقل عبدالحسين ابن المحروس بالله الشيخ نعمة الطريحي (ره).

التقريظ الحادي عشر: للمرحوم عماد الفقهاء الأبرار، وسلالة العلماء الأخيار، العالم المعظّم الشيخ جعفر ابن الشيخ محسن الأعسم قدّس الله روحهما.

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله تعالى على منّه بما هدى به العباد، وأبان لهم طرق الرّشاد، وأرشدهم إلى ما به السداد، وقمع الفساد، من نصب أعلام لإرادته، وإقامة أدلّاء على ربوبيته ووحدانيته، وأوضح ذلك بأوضح المسالك، فكان الحقّ أجلى من الأقمار، بل من الشمس في رابعة النهار.

لكن لمّا كان من الناس من خبثت طينته، فقبحت سريرته، وتعامى عن سبل الهداية وعام في بحار الغواية، فأنكر الدلالات، وكذّب الآيات، وبرهن على الأباطيل، وصدّ عن الحق الواضح بالتأويل، وحال جماعة من ذوي الحق جمع كتاب يكون فيه كمال إيضاح باطلهم، وتزييف شبههم، فلم يتأتى لأحد التوفيق بإيتاء كتاب كافي، وفي البيان وافي.

حتى جاءت الألطاف الرّبانية، والنفحات الرّوحانية، بالعلم العلاّمة الملاّ باقر الدهدشتي النجفي، فجمع وكتب هذا السفر العظيم، المحيي للدين، والمحكم لشريعة سيّد المرسلين، والمبين بأوضح التبيين إمامة الأئمة الميامين، فيا له من كتاب حسنت أساليبه، وعمّت شعائبه، إذا وقف

عليه أرباب السير في المعارف يقفون منه على موارد لم يكونوا وردوها، وعلى كشف من حقائق لم يكونوا أوصلوها، وإذا وقف عليه الضالّ عن الهدى والرشاد، هدي إلى صراط المستقيم والسداد.

فهي النور الجالي للغياهب، والواقع لعمي العائمين في ضلال السباسب، فلا عذر لمخالف بعد الوقوف على أبوابه وفصوله، وتحقيقات فروعه وأصوله، فهو الموقظ للجاهل من رقدته، والمنبّه الغافل عن غفلته، والحسام القاطع للمعاند، والصاعقة المحرقة للجاحد.

ولعمري إنّي أراه أنّه آية الآيات، وحجّة المعجزات الباهرة، تقصر الألسن عن تأدية مدح باريه، وتقف الأقلام عن إنهاء فضل دقائق خافيه، فحقيق فيه التمثيل بقول القائل:

تجاوز قدر المدح حتّى كأنّه   أحسن ما يثني عليه يعاب

ولمّا علا قدره على الأقدار صار به لمؤلّفه الافتخار، فأبى إِلَّا أن يكون هدية للسطان حجة ابن الحسن صاحب العصر والزمان، عليه وعلى آبائه سلام الله الملك المنّان، إذ هو الكافي في الإحسان، وهو الحافظ لشريعة سيّد المرسلين، ومن هو عصمة المؤمنين، والرجاء منه القبول والمكافاة في الدنيا ويوم الدين، كما هو لمؤلّفه فيه المأمول، ومنّا الدّعاء بالفرج، والله أرحم الرّاحمين.

الراجي عفو ربه أقلّ أقدام الشريعة الغرّاء، جعفر نجل المرحوم الشيخ محسن الأعسم رحمه الله تعالى.

الفهرس